

المملكة العربية السعودية

وزارة التعليم العالي

جامعة أم القرى

كلية الشريعة والدراسات الإسلامية

الرحلات المغربيه والأندلسيه مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين السابع والثامن الهجريين

دراسة تحليلية نقديه مقارنه

إعداد الطالبة

عواطف محمد يوسف نواب

إشراف الدكتور

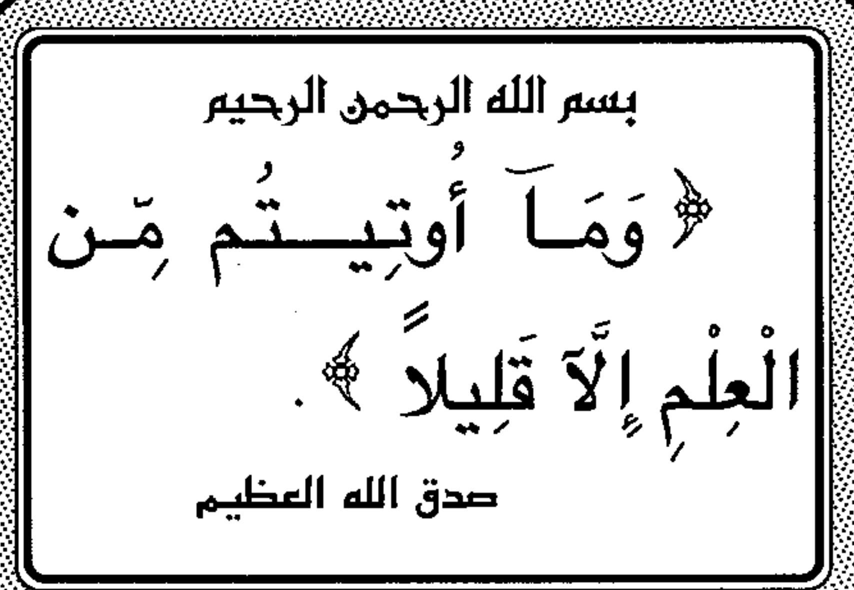
فواز بن علي بن جنيدب الدهاس

دراسة مقدمة إلي قسم التاريخ الإسلامي لنيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي

مكة المكرمة

١٤١١هـ / ١٩٩١م




بسم الله الرحمن الرحيم
﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلَّآ قَلِيلاً ﴾.
صدق الله العظيم

الإهداء

* إلى من افنيا شبابهما

وأرهقا أيامهما

وركبا الصعاب

وبذلا الكثير الكثير من أجلي

بالجهد والوقت والمال .

* إلى من لهما الفضل كل الفضل

بعد الله سبحانه وتعالى

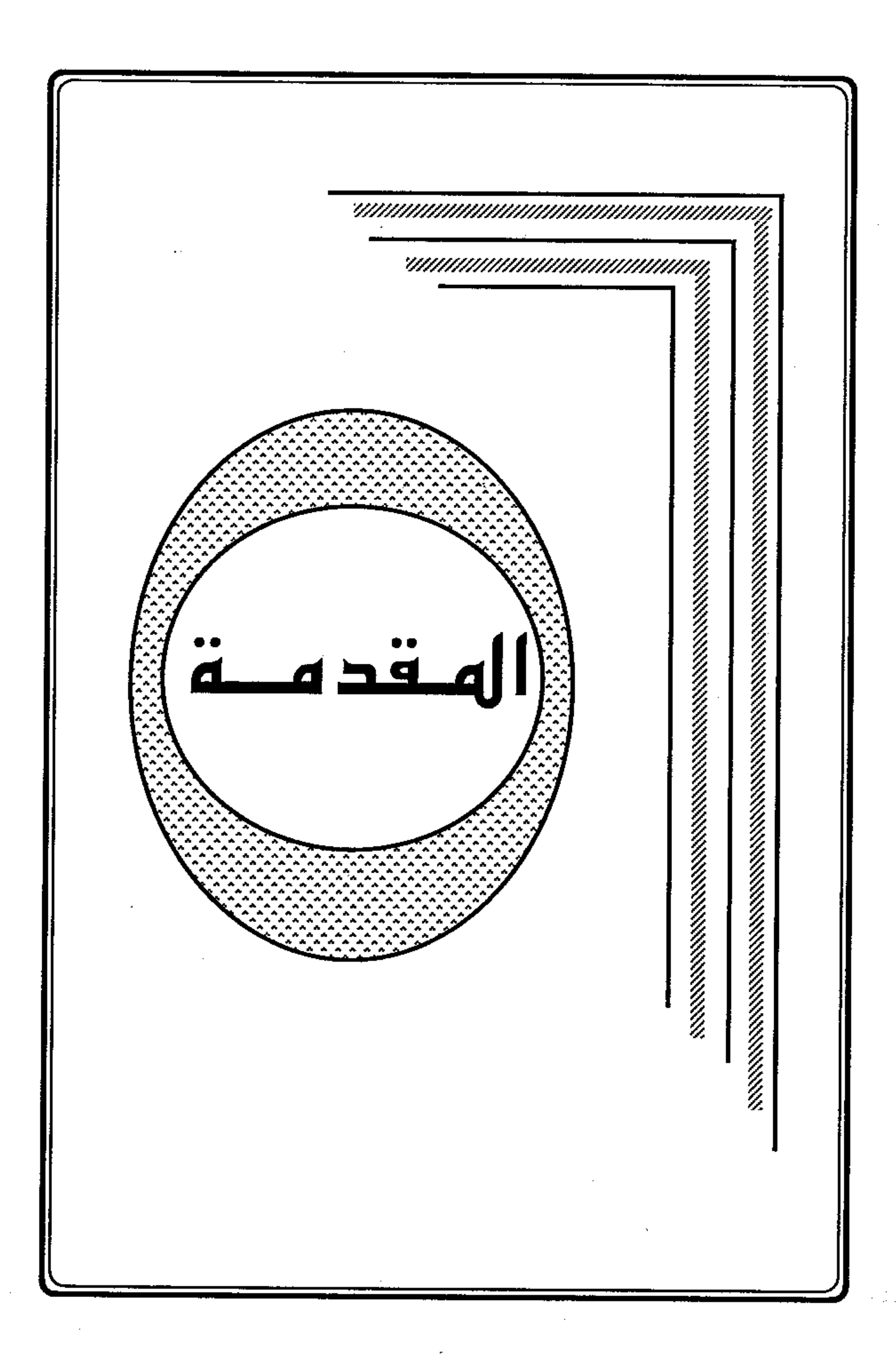
بخروج هذا العمل المتواضع إلى النور .

* إلى أبي وأمي .. مع التقدير .

* وإلى ابني محمد الذي عاني طيلة فترة البحث من بعدي وإنشغالي عنه فإليه .

* وإلى كل من يقرأ رسالتي ارجو منه أن يدعو لوالدي بالصحة وطول العمر ولإبني بالصلاح والهدايه .

الباحثة


المقدمة

مـقدمـة :

الحمد لله الذى بحمده تتم الصالحات ، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده سيدنا ونبينا محمد بن عبدالله وعلى آله وصحبه أجمعين ٠٠٠ وبعد

لقد شهد إقليم الحجاز حدثاً فريداً غير وجهة التاريخ وهو مبعثه عليه أفضل الصلاة والسلام من مكة المكرمة بيت الله الحرام أطهر بقاع الأرض حيث ولد وعاش جُل عمره ﷺ ومن ثم هاجر وأصحابه الغر الميامين رضوان الله عليهم أجمعين إلى المدينة المنورة وفيها تنزل عليه مابقى من القرآن الكريم وبها ثوى جسده الطاهر ٠

بالإضافة إلى كثير من الأماكن المختلفة في منطقة الحجاز والتى شهدت مواقع خاضها ﷺ كانت الفيصل بين الحق والباطل ولذلك فقد ضم الحجاز مناطق تاريخية تهفو نفس كل مسلم لمعرفتها والإلمام بها ٠

فالحجاز كان ولا يزال وسيظل إن شاء الله مركزاً لتجمع المسلمين من مختلف أقطار المعموره يتجهون إليه بأنظارهم وأفئدتهم ٠ لهذا عُد من أقوى مراكز نشر الثقافة الإسلامية بين الأقطار المختلفة ومحط رحال العلماء والمتعلمين ٠

ولكن مع إنتقال مركز الخلافة الإسلامية خارج شبه الجزيرة العربية إنصرف إهتمام الدارسين إلى حيث يكون المُلك والسلطان وظل الحجاز محتفظاً بأهميته التى تمثلت في كونه مركزاً من مراكز الثقافة ومجمع العلماء كل عام يفد إليه منهم مالا يشهده قُطر أخر ٠

وإذا كان الدارسون ولوا وجهتهم إلى العناية والتأريخ للملوك والأمراء وأغفلوا التأريخ للحجاز وشعبه فهناك من المصادر التاريخية التى تعتبر مصدراً أساسياً من مصادر التاريخ تحتوى على معلومات ذات قدر كبير من الأهمية وهي كتب الرحلات والتى لم تنل ماتستحقه من الدراسة على أعتبار أنها من أوفى المصادر وأوثقها بل وأشملها فيما يتعلق بالحجاز من النواحي التاريخية والإجتماعية والإقتصادية والثقافية والجغرافية حيث ينفرد هذا النوع من المصادر بأهمية خاصة

فإلى جانب أن مصنفي هذا النوع من الكتب إتسمت منهجيتهم بتسجيل إرتساماتهم عن مشاهداتهم في مسارهم الطويل ذهاباً وأياباً فوصفوا البلاد ومعالمها والعباد وعاداتهم في قالب أدبي قد يطول أو يقصر حسب ميلهم ومارسموه لأنفسهم فنراهم ينوهون بأسماء شيوخهم مع تراجم مطولة أو موجزة مسجلين أجازاتهم ذاكرين أسماء نفيس المصنفات التى أطلعوا عليها . إضافة إلى وصف المسجدين الشريفين المكي والمدني والمشاهد الإسلامية المقدسة .

ولهذا تنفرد كتب الرحلات بأهمية خاصة فإلى جانب ماسبق فإن مصنفي هذا النوع من المصادر قد شهدوا ما دونوه في أغلب الأحيان . لذا إشتملت مصنفاتهم على بعض المعلومات التى تلقى الضوء على الجوانب المختلفة من تاريخ الحجاز .

ولا يغرب عن بالنا أن الحجاز قد دخل دائرة النسيان بعد القرن الثالث الهجري بمجرد وفاة مؤرخي الحجاز الأزرقي المتوفي سنة ٢٥٠هـ/٨٦٤م والفاكهي المتوفي سنة ٢٨٠هـ/٨٩٣م .(١)

وكان تاريخ الحجاز خلال الفترة الممتدة من القرن الثالث الهجري إلى الثامن الهجري مبعثراً بين طيات المصادر التاريخية . إضافة إلى أن ما كتب عن تاريخه لا يوضح ما وقع فيه من أحداث ولا يتناول إلا الجانب السياسي في أغلب الاحيان مما أوجد فراغاً تاريخياً في النواحي الأخرى .

وفي القرن الثامن الهجرى ظهر المؤرخ المكي تقي الدين الفاسي الذي أخذ على عاتقه سد هذا الفراغ التاريخي للحجاز وذلك بتأليفه كُتباً عن أحوالها أهمهما العقد الثمين في أخبار البلد الأمين ، شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام وقد أشار إلى باعثين جعلاه يقدم على تأليف تاريخه وهما :

---

١ ـ عبدالله عقيل عنقاوي : المؤرخ تقي الدين الفاسي وكتابه شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام ، بحث القي في الندوة الأولى لدراسات تاريخ الجزيرة العربية ضمن مجموعة أبحاث مصادر تاريخ الجزيرة العربية ، الرياض ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م ، ج٢ ، ص ٦٣ .

١ ـ إفتقاره لمصادر متخصصة في تاريخ مكة المكرمة بعد الأزرقي والفاكهي ٠

٢ ـ رغبته في كتابة تاريخ لبلده خلال الفترة التى أعقبت وفاة الأزرقي إلى وقته ٠ (١)

وقد أورد أخباراً عن الفترة التى إنقطع فيها التاريخ للحجاز فيما بين القرن الثالث والثامن الهجري ٠ ومع هذا فمؤلفاته لاتفي بالغرض خاصة وإنها فترة طويلة لم يشهد أحداثها ٠

وفي هذه الفترة المنسية من تاريخ الحجاز قيض الله للحجاز من تتبع تاريخها من معظم جوانبه بصدق وعفويه وهم الرحالة المغاربة والأندلسيون ومن هنا كان سبب إختيارى لموضوع " **الرحلات المغربيه والإندلسيه مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين السابع والثامن الهجريين دراسة تحليلية نقدية مقارنة** " مع الأخذ في الإعتبار النقد والتحليل للمعلومات التى أوردتها كتب الرحالة ومقارنتها وتوثيقها مع ما جاء في بعض مصادر التاريخ العامة إلى جانب إلقاء الضوء الكافي على منهجية هؤلاء الرحالة من كتاباتهم وأسلوب معالجتهم للقضايا التى طرحوها ٠

إضافة إلى أنني لم أجد على حد علمي من تطرق لمثل هذا الموضوع وبالأخص كتب الرحالة المغاربة والأندلسيين خلال القرنين السابع والثامن الهجريين وإعتمادهما كمصدر من مصادر تاريخ الحجاز وعليه فأحسب أن هذا الموضوع من المواضيع الجديدة التى لم تنل ما تستحقه من البحث والدراسة ٠ كما وأن هؤلاء الرحالة عرف عنهم تمسكهم بالدين وتقوى الله فمنهم من كان قاضياً وعالماً وكاتباً فبحكم مكانتهم الدينية والعلمية جاءت كتاباتهم متسمة بالصدق والصراحة لأحداث تلك الفترة حيث ألقت الضوء على تاريخ الحجاز وكشفت عن معالمه وأحداثه بعكس

---

١ ـ الفاسي : شفاء الغرام ، ج١ ، ص١٢ ، ١٥ ٠

المؤرخين المسلمين الذين دونوا تاريخ الحجاز فهم بطبيعة الحال عندما تناولوا تاريخه لم يشاهدوا الحدث حتى ولو كانوا معاصرين له لانه وصل إليهم بالسماع وربما من نقل إليهم الحدث قد حرفه أو أنقص منه أو زاد عليه وبهذا فلا يأتي الحدث بالصورة التى وقع فيها ٠

لذا وجدت في نفسي ميلاً لبحث هذا الموضوع خاصة بعد إطلاعي على بعض كتب الرحلات في تلك الفترة وما وجدته من معلومات غزيرة تنتظر الإخراج والبحث ٠ وكلي أمل أن أكون قد توصلت إلى نتائج مرضية تظهر أهمية كتب الرحلات وإعتمادها كمصدر مهم من مصادر تاريخ الحجاز ٠

أما أهم الصعوبات التى واجهتني فهي مقارنة بعض ماجاء في كتب الرحلات وخاصة المواقع الجغرافية ببعض كتب المعاجم والمصادر التاريخية الأخرى وخاصة المؤلفة من قبل أبناء الحجاز ٠ ولا يخفى علينا أن الرحالة المغاربة والأندلسيين ليسوا من أبناء الحجاز فوجدت أن بعض ما كتبوه لا وجود له إما بسبب إندثارها أو تغير المسميات أو إطلاق الرحالة على هذه الأماكن أسماء من قبل أنفسهم إستناداً على ما وجد فيها من معالم ربما تكون قد تغيرت أو إندثرت ٠ فكان لزاماً علي الإطلاع على كتب المعاجم والتراجم والتاريخ العام لعلى أخرج ببصيص نور يوضح ماغمض على مقارنته ولكني استطعت بحمد الله تعالى إجتياز هذا الأمر وإستأنفت صياغة موضوعي وفق الشروط والقواعد المتبعة في كتابة البحوث والرسائل العلمية والتى أرشدني إليها أستاذى الفاضل ٠ فأرجو الله تعالى أن أكون قد وفقت ٠

وقد قسمت هذا البحث إلى مقدمة وتمهيد وستة فصول وخاتمة تضمنت أهم النتائج التى توصل إليها البحث . أما الفصول فقسمتها على النحو الآتي :

المقدمة :

بينت فيها أهمية الموضوع وسبب اختياره مضافاً إليه عرضاً موجزاً لأهم المصادر التى أفادت البحث .

التمهيد :

وإشتمل على تحديد الحجاز ومفهوم الرحلة في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ومفهوم الرحلة في اللغة وبداية الرحلات في الإسلام وأشهرها سواء ما كان منها بالمشرق أو المغرب مع بيان أنواع الرحلات .

الفصل الأول :

فتناول فن الرحلة عند المغاربة والأندلسيين وتندرج تحته عدة مباحث فرعية تحدثت فيها عن أنواع الرحلات سواء منها البرامج أو الرحلات الوصفية ثم تكلمت عن خصائص الرحلات المغربية والأندلسية التى منها ما هو عام يشمل كتابات جميع الرحالة وخاص أنفرد كل واحد منهم بشيء منها . وختمت هذا الفصل بأهمية الرحلات المغربية والأندلسية وإعادة النظر في وجوب الإعتماد عليها كمصدر مهم من مصادر تاريخ الحجاز .

أما الفصل الثاني :

فقد سُلط الضوء فيه على الرحالة الثمانية الذين كان الإعتماد عليهم وهم ابن جبير ـ الرعيني ـ ابن رشيد ـ العبدري ـ التجيبي السبتي ـ ابن جابر الوادى آش ـ ابن بطوطه ـ البلوى . وقد تناولت فيه مقتطفات عن حياتهم ومكانتهم الإجتماعية والعلمية ومؤلفاتهم ثم خصائص ومميزات رحلتهم . وقد سرت في ترتيبهم على حسب قدومهم للحجاز الأقدم فالأحدث .

وقد تم استبعاد رحلة ابن خلدون بالرغم من انها كانت في القرن الثامن لأنه لم يورد ما يفيد عن أحوال الحجاز ووصفه . (١)

---

١ ـ ابن خلدون : العبر ، ج ٧ ، ص ٤٥٥ .

أما الفصل الثالث :

فقد أفردته للحديث عن الأحوال السياسية حسب ما جاءت في كتب الرحلات فهذا الجانب أخذ حيزاً من البحث لا بأس به وقد سردت فيه العلاقات السياسية لأمراء الحجاز سواء منها الداخلية أو الخارجية ثم تطرقت إلى نظم الحكم والإدارة بالحجاز ٠

وقد شمل الجانب السياسي الأحوال الداخلية لبلاد الحجاز وأسماء بعض الأمراء الأشراف المعاصرين لتلك الفترة وانطباعات الرحالة عنهم ومقارنة ذلك كله بما ورد في بعض المصادر التاريخية ٠ سواء منها المعاصر أو اللاحق ٠ أما نظم الحكم فكان الحديث فيه عن أهم الوظائف القيادية التى وجدت في ذلك الوقت من وزراء وقواد وغير ذلك ٠

أما الفصل الرابع :

أفردت الحديث فيه عن الناحية الإجتماعية والتى إشتملت على الحياة الإجتماعية بالحجاز وقد تناولت فيه الحديث عن عناصر المجتمع وطبقاته والعادات والتقاليد السائدة في تلك الفترة والإحتفالات والمواكب والملابس والأطعمة والأشربة وقد قمت ببعض المقارنات بما ورد في بعض كتب المصادر التاريخية وإن كان هذا الفصل أقل الفصول مقارنة لإغفال المؤرخين لهذا الجانب فأقتصرت في كثير من الأحيان على ماورد في كتب الرحلات ٠ ثم اتبعته بإلقاء الضوء على الحالة الإقتصادية في بلاد الحجاز من خلال كتب الرحالة ٠

الفصل الخامس :

فقد تناولت فيه الحياة العلميه في بلاد الحجاز حسب ما وردت في كتب الرحلات وأشتمل على المذاهب الموجوده وأهم مراكز العلم بالحجاز وهما المسجدان المكي والنبوي إضافة إلى المدارس الموجودة في ذلك الوقت بمكة المكرمة أو المدينة المنورة وسردت أسماء أشهر العلماء وأهم العلوم والكتب المتداولة في ذلك الوقت ٠

الفصل السادس :

وقد إشتمل على المشاهدات الجغرافية والعمرانية من خلال كتب الرحلات فالمشاهدات الجغرافية شملت الطرق التى سلكها الرحالة داخل الحجاز للوصول إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة ٠ثم المشاهدات العمرانية وشملت العمارة الدينية من المساجد والمسجدين المكي والمدني كما شملت أيضاً العمارة المدنية من الدور والعمارة الحربية من الأسوار والقلاع والحصون سواء منها الجديد أو الخرب ثم النقوش والزخارف ومشاريع المياه ٠

الخاتمة :

وإشتملت على أهم ما توصل إليه البحث من نتائج ٠ تلاه ثبت للمصادر والمراجع والفهارس ٠

وفيما يلي عرض مختصر لأهم المصادر التى أستخدمت في البحث :

لقد قمت بالإستعانة ببعض المصادر التاريخية التى كتبت عن تاريخ الحجاز بخلاف كتب الرحلات والتى أُفرد لها فصلين هما الأول وجزء من الفصل الثاني تكلمت فيهما عن خصائصها ومميزاتها وما جاء فيها من معلومات وأهميتها ٠ لذا لا لزوم لإعادة القول عنها ٠ ونكتفي بذكر أهم المصادر المساندة لتلك الرحلات والتى إعتمدت عليها في المقارنة والتوثيق والتى أمدتني في نفس الوقت بمعلومات لم يذكرها الرحالة توضح ما غمض في بعض المواضيع أو تحدث الرحالة عن طرف معين منها مما يجعل الغموض يكتنفها وبمساندة هذه المصادر استطعنا إزالة الغموض وتوضيح ما خفى على الرحالة إظهاره ٠ فمن هذه المصادر التى استفدت منها في المعلومات عن مكة المكرمة ٠

١ ـ تقى الدين الفاسي : العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين وشفاء الغرام بأخبار البلد الحرام ٠

فالكتابان من أهم المصادر التى أعتمدت عليها في البحث لوفرة المعلومات بهما ٠ فالكتاب الأول تناول أخبار مكة المكرمة منذ عهد الإسلام الأول أعقبه تراجم لأهم الشخصيات من الأمراء والعلماء والقضاة سواء منهم المجاورين أو من أبناء مكة المكرمة ٠

كما تناول أهم أعمال الأمراء والأحداث الجارية في عهدهم وقد رتب كتابه على حسب الحروف الأبجدية ما عدا المحمدين والأحمدين إذ قدمهما لفضل الأسمين ٠ فكتابه هذا يعتبر موسوعة تحوى معلومات علمية وأدبية وسياسية وإجتماعية مبثوثة خلال التراجم ٠ وقد أسند ووثق في إيراده لبعض هذه المعلومات إلى مانقله من شواهد القبور وواجهات المساجد والدور ٠

أما الكتاب الثاني : فقد تناول فيه الحديث عن أهم أحداث مكة المكرمة منذ عهد الرسول ﷺ إلى عصره مرتبً بتسلسل السنوات وقد استفدت منه الكثير من المعلومات العلمية والسياسية والإجتماعية الوفيره فضلاً عن العمرانية ٠

٢ ـ نجم الدين عمر بن محمد بن فهد : اتحاف الورى بأخبار أم القرى ٠

وهذا الكتاب لايقل أهمية عن كتابي الفاسي وقد قام بترتيبه بحسب السنوات وما وقع فيها من أحداث بمكة المكرمة متخللاً ذلك تراجم لأشهر العلماء والأمراء مبتدأً بالعصر النبوى وحتى وفاة المؤلف وقد أفادني بالكثير من المعلومات السياسية ٠

٣ ـ عبدالقادر بن محمد الجزيرى : الدرر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة ٠

وقد إستفدت مما أورده من معلومات سياسية وما ذكره عن طريق الحج المصرى وما تم فيه من إصلاح وإنشاء ٠

أما أهم المصادر التى أستفدت منها في المدينة المنورة :

١ ـ محمد بن محمود ابن النجار : أخبار مدينة الرسول المسمى الدره الثمينه ٠

وهو مصدر مهم أمتاز بمعلومات عمرانية وخاصة عن المسجد النبوى ومشاهد المدينة وهو من المصادر التى رجعت إليها خاصة وأنه عاش في القرن السابع الهجرى فجاءت أقواله مطابقة لأقوال الرحالة في كثير من الأمور ٠

٢ ـ نور الدين على السمهودى : وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى :

يعتبر كتابه من الكتب الهامة في تاريخ المدينة المنورة لأنه قد اعتمد على كتب قديمة لم يصلنا منها شيء وقد أستفدت منه في النواحي العمرانية والإجتماعية والسياسية والدينية ٠

٣ ـ شمس الدين السخاوي : التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة :

يعتبر كتابه من الكتب الهامة الزاخرة بالتراجم التى يبرز من ثناياها النشاط العلمى الذى حفلت به المدينة المنورة والتى أستفدت منه كثيراً وقد أمدني هذا الكتاب بالكثير من المعلومات التى أثرت البحث ٠

ومن الكتب المساندة التى أسترعت إنتباهي في المقارنات العمرانية كتاب الإستبصار لمؤلف مجهول من القرن السادس الهجرى ٠ ‹١›

وعلى هذا فإن مؤلف هذا الكتاب عاصر ابن جبير ‹٢› إلا أن ما أورده من أوصاف لبعض المعالم التاريخية بمكة المكرمة والمدينة المنورة مختلفة تماماً عما أورده ابن جبير ٠ ولعل ذلك يرجع إلى ما قيل عن مؤلف الإستبصار ما ذكره محقق كتاب الإستبصار حول مؤلفه إذ يفترض أن للكتاب مؤلفين أحدهما مجهول والآخر هو أبو الفضل جعفر بن محمد بن على بن طاهر بن تميم القيسى المعروف

---

١ ـ مؤلف مجهول من كتاب القرن السادس الهجرى : الإستبصار في عجائب الامصار ، تحقيق سعد زغلول عبدالحميد ٠

٢ ـ المصدر السابق : المقدمة ، ص ب ، ث ٠

بإبن محشره أحد كتاب الموحدين الذى أعاد ترتيب الكتاب وأضاف إليه من الأحداث المعاصره له ٠ أما الدكتور / محمد المنونى فأكد أن الكتاب لمؤلفين وأضاف أن الثاني كان يعيش في سنة ٥٨٨هـ / ١١٩٢م٠ كما اشارت الدكتورة / ليلى نجار أن المؤلف الثاني لهذا الكتاب قد قام بإهدائه إلى أبي عمر ابن أبي يحي بن وقتين وهو أحد كبار رجال الدولة الموحديه ، بعد أن قام بترتيبه وتنقيحه ووضع المقدمة له وقد أيدت ما ذهب إليه الدكتور / المنوني من أن من قام بهذا العمل أحد كتاب المنصور الموحدي ٠ (١)

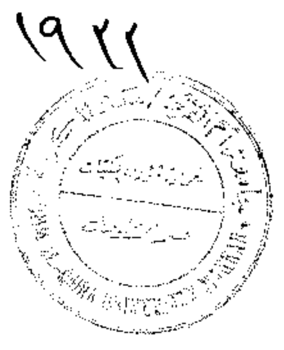
وهو ما نميل إليه أيضاً خاصة وأن التجيبي ينقل نصوصاً ظهر لنا من مقارنتها إنها من كتاب الاستبصار لا سيما وإننا قد وجدنا تطابقاً فيما وصفه التجيبي وصاحب الاستبصار في بعض الأماكن أشرت إليها في مواضعها (٢) ٠ وفي نقله يصرح أحياناً بأنه ناقلٌ عن شخص نعته بالأديب الكاتب أبي العباس بن عبدالرؤوف وأحياناً لا يصرح بذلك وفي كلا الحالتين وجدت تطابقاً في الوصف لفظاً ومعنى مما يرجح أن أبا العباس بن عبدالرؤوف هذا هو صاحب كتاب الإستبصار ٠

كما أن التجيبي أشار إلى أنه كان يحمل كتاب رحلة لرحالة أندلسي تشير الدلائل السابقة إلى أنه كتاب الإستبصار ٠ ولكن للأسف لم أعثر على ترجمة لهذه الشخصية ربما لأنه لم يصرح بأسمه كاملاً مما زاد في غموض الموضوع ٠ ولكن أرجو أن أكون في بداية الطريق الصحيح لمعرفة مؤلف الاستبصار خاصة وإنني قد عرفت جزءاً من أسمه والذى سيقودني ومن يأتي بعدى إن شاء الله إلى معرفته ومن ثم الأطلاع على ترجمة لحياته وماتركه من مؤلفات ٠

---

١ ـ مؤلف مجهول : الإستبصار ، المقدمة ، ص ب ، ث ؛ محمد المنوني : الإستبصار في عجائب الإمصار ، الجزيرة العربية في الجغرافيات والرحلات المغربية وما إليها ، مصادر تاريخ الجزيرة العربية ، ج٢ ، ص ٣٠٨ ؛ ليلى أحمد نجار : المغرب والأندلس في عهد المنصور الموحدى ، ص ٢٤ ـ ٢٥ ، رسالة دكتوراه ٠

٢ ـ أنظر التجيبي : مستفاد الرحلة ، ص ١٢ ـ ١٣ ، ٢٤٣ ٠



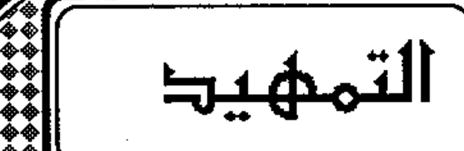
وأخيراً لا يسعنى إلا أن أتوجه إلى المولى عز وجل بالدعاء أن أكون قد وفقت فيما قدمت . كما أتقدم بخالص أمتناني وعظيم شكرى لسعادة أستاذى الفاضل المشرف على هذه الرسالة الدكتور / **فواز بن علي الدهاس** الذى لم يتوانَ عن تقديم النصح والإرشاد والتشجيع لى طيلة فترة البحث فجزاه الله عنى كل خير .

كما أتقدم بالشكر الجزيل لجامعة أم القرى على أتاحتها الفرصة لى لإكمال دراستى كما أتقدم بالشكر لمكتبة جامعة أم القرى ومكتبة الحرم المكي القسم النسائي على ما قدموه لى من تسهيلات طيلة فترة البحث . كما أخص بالشكر والعرفان لسعادة الأستاذ / **محمد حسين زيدان** على مساعدته لى وأمدادى بالنصح وبعض الكتب على سبيل الهبه فجزاه الله عنى كل خير .

كما أشكر العلامه / **حمد الجاسر** الذى أفادني ببعض أفكارٍ أنارت لى أموراً كانت غامضة على فجزكل الله خـيـــر .

كما أتقدم بالشكر الجزيل لكل من مد لى يد العون والمساعدة طيلة فترة البحث .

وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين فهو نعم المولى ونعم المعين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .



أولاً : تحديد الحجاز .

ثانياً : مفهوم الرحلة في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة .

ثالثاً : الرحلة في مفهوم اللغة .

رابعاً : بداية الرحلات في الإسلام وأشهرها .

أولاً : تحديد الحجاز

الحجاز أحد أقاليم شبه الجزيرة العربية القديمة ، معروف موقعه غير واضحة حدوده ٠ ومعنى الحجاز الحد أو الفصل أو الحجز ٠<١> ولفظ الحجاز عرف قديماً منذ كان سكان شبه الجزيرة العربية يعيشون أشتاتاً يعمهم التفكك السياسي ولاتجمعهم دولة ، فهم مجموعة من القبائل إستقرت في مناطق معينة غير واضحة الحدود وغير ثابتة ولا متطابقة مع الأقسام الجغرافية ، مع ملاحظة تمتع بعض مدنه بالإستقلال وفق نظم خاصة مثل مكة والمدينة وبعض إمارات اتسعت رقعتها على حساب غيرها ٠

وبعد ظهور الإسلام أصبح الحجاز جزءاً من الدولة الإسلامية فأوجد المسلمون تقسيمات إدارية متلائمة مع مستجدات الظروف دون الإلتزام بالتقسيمات الجغرافية فنتج عن ذلك عدم ثبوت تلك التقسيمات مما جعل لكل من المدينة ومكة والطائف والٍ قائم بذاته أمتدت في بعض الأحيان سيطرته السياسية إلى أطراف العراق ٠ <٢>

وقد أطلق على البقعة الممتدة من اليمن جنوباً إلى أطراف الشام شمالاً الحجاز لحجزه بين نجد وتهامه وروى هذا التحديد عن ابن عباس رضي الله عنه إذ يعتبر أول من تطرق لحدوده ٠ <٣> وهو كما نلاحظ تحديد واسع غير دقيق ٠

وحدد الهمداني الحجاز شمالاً بأرض طيء وجنوباً بتثليث <٤> وماحولها ٠ <٥> وورد تحديداً آخر للحجاز لدى الأصفهاني بأنه يمتد من صنعاء جنوباً إلى أطراف الشام شمالاً وسمى حجازاً لحجزه بين نجد وتهامه وعليه فمكه

---

١ ـ أنظر : ابن منظور : لسان العرب ، ج ٥ ، ص ٣٣١ ٠

٢ ـ صالح العلى : تحديد الحجاز عند المتقدمين ، مجلة العرب ، الرياض ، العدد الأول ، السنة الثالثة ، ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م ٠ ص ١ ـ ٢ ٠

٣ ـ الهمداني : صفة جزيرة العرب ، ص ٥٧ ـ ٥٨ ٠

٤ ـ (تثليث) بكسر اللام موضع بالحجاز قرب مكة ٠ أنظر : ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ج٣ ، ص ١٥ ـ ١٦ ٠

٥ ـ الهمداني : صفة جزيرة العرب ، ص ٥٧ ـ ٥٨ ٠

من تهامه والمدينة والطائف من الحجاز ، وما انحدر من ذات عرق <١> غرباً فهو من الحجاز وما انحدر من ذات عرق شرقاً فهو من نجد ، <٢>

وذكر عرام ابن الآصبغ حد الحجاز الشرقي والغربي وأغفل حدها الشمالي والجنوبي فالحجاز لديه المنطقة الواقعة بين المدينة ومعدن النقرة <٣> فالمدينة نصفها حجازى ونصفها تهامي <٤> أما الحربي فجعل حد الحجاز من الشمال تبوك وفلسطين ومن الجنوب يلملم <٥> ومن الشرق الربذه <٦> وبطن نخل ومن الغرب العرج <٧> ، فجعل الطائف والمدينة من نجد ، <٨>

أما ابن حوقل فحددها جنوباً بالسرين <٩> وشمالاً بمدين والحجر، وشرقاً باليمامه وجبلي طيء <١٠>، وذكر ياقوت أن الحجاز ما حجز بين تهامه ونجد وبين الشام وتهامه والبادية كما نقل عن الأصمعي قوله أن مكة تهامية والمدينة والطائف

---

١ ـ (ذات عرق) منهل أهل العراق وهو الحد بين نجد وتهامه فما ارتفع من بطن الرمّة فهو نجد إلى ثنايا ذات عرق ويذكر أهلها إنهم من تهامه ، أنظر ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج٤ ، ص١٠٧ـ١٠٨،

٢ ـ الأصفهاني : بلاد العرب ، ص ١٤ ـ ١٥ ،

٣ ـ (معدن النقره) : بطريق مكة وهي منازل حجاج الكوفه وهي حد نجد ، أنظر ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج٥ ، ص ٢٩٨ ـ ٢٩٩ ،

٤ ـ عرام ابن الأصبغ : أسماء جبال تهامه ، ص ٤٢٤ ،

٥ ـ (يلملم) موضع على ليلتين من مكة وهي ميقات أهل اليمن ، أنظر ياقوت الحموي: معجم البلدان ، ج٥ ، ص ٤٤١ ،

٦ ـ (الربذه) من قرى المدينة على ثلاثة أيام قريبة من ذات عرق على طريق الحجاز وبها قبر أبي ذر الغفارى ، أنظر المصدر السابق ، ج٣ ، ص ٢٤ ـ ٢٥ ،

٧ ـ (العرج) : قرية في وادى من نواحي الطائف ، أنظر المصدر السابق ، ج٤ ، ص ٩٨ ـ ٩٩ ،

٨ ـ الحربي : المناسك وأماكن طرق الحج ، ص ٥٢٣ ـ ٥٣٧ ،

٩ ـ (السرين) بلدة قرب مكة على ساحل البحر تبعد عن مكة أربعة أو خمسة أيام قرب جده ، أنظر ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج٣ ، ص ٢١٩ ،

١٠ـ ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٢٩ ـ ٣٠ ،

حـجـازية <١> . بينمـا يذكـر البكرى أن تبـوك وفلسطـين والرّمّه من الـحـجـاز ومن البصره إلى بطن نخل حجازى فمكة وجدة من تهامه . <٢>

وشـارك الجـغرافيـون المحدثون في تحديد الحـجاز حيث ذكـر القشامي أن العقبه والبتراء ضـمن الحـجاز داخلاً فيـها خيبر وتيماء وتبوك والعلا <٣> . بينمـا يرى البلادى أن حـدود الحجاز غير معروفه <٤> . أمـا العلي فيميل إلى أن الحـجاز هو الحـد الفاصـل بين تهامه ونجد مع التسليم بالأختلاف في تحـديد الأماكن من الجهة الشرقية والغربية . <٥>

ويظهر مـن أستعراض بعض أقوال الجـغرافيين المسلمين عدم اتفاقـهم على حدود جغرافيـة واضحـة المعالم للحجاز وما ورد من أقوالهم لا يحـدد مـوقعه بدقة وإنما يشير إلى موقعه بصورة عامة .

لذا نقتصر على المنطقة التي يعتقد أنها من الحجاز والتي تبدأ من تبوك شمـالاً إلى أطراف اليمن جنوبـاً ومن سـاحل البحـر الأحمر غرباً إلى أطراف نجد شرقاً .

---

١ ـ ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج٢ ، ص ٢١٨ ـ ٢١٩ .

٢ ـ البكري : معجم ما استعجم ، ج١ ، ص ١٢ .

٣ ـ القشامي : الآثار في شمال الحجاز ، ج١ ، ص ١٨ .

٤ ـ البلادي : معجم معالم الحجاز ، ج١ ، ص ٨ .

٥ ـ صـالح العلى : تحـديـد الحجـاز عند المتقدمين ، مجلة العرب ، الرياض ، ج١ ، السنة الثالثة ، رجب ١٣٨٨هـ / تشرين الأول ١٩٦٨م ، ص ٩ .

ثانياً : مفهوم الرحلة في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة

لم يدع الإسلام وسيلة من الوسائل التى تفيد الإنسان إلا وحثه على فعلها ومنها الرحلة سواء أكانت للعلم أو الهجرة بالدين من أرض الشرك إلى أرض الإسلام أو الحج أو التجارة ٠

وفي بداية الحديث عن الرحلة لابد من التطرق إلى أولى الرحلات الثابتة لدينا والمستقاة من أوثق وأصدق مصادرنا الإسلامية وهو القرآن الكريم ٠ فقد حفل القرآن الكريم بالأمثلة العديدة كل نوع منها على الرغم من عدم ورود لفظ رحلة فيه إلا مرة واحدة في سورة قريش ٠ قال تعالى : ﴿ **لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ** ﴾ ٠ (١)

وقد أفردت هذه السورة بكاملها للحديث عن الرحلة وهي رحلة قريش التجارية ٠ فكما هو معلوم إن أهل مكة المكرمة إتجهت أنظارهم إلى التجارة بحكم موقع مكة " **بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ** " كما قال تعالى على لسان خليله إبراهيم عليه السلام ﴿ **رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ** ﴾ ٠ (٢)

فهذا الموقع جعلها منطلق التجارة وأظهرت سورة قريش بوضوح رحلتيها إلى الشام واليمن والتى جنت منها أرباحاً طائلة أنعكست آثارها على أوضاعها الإقتصادية وغدت ذات مركز مالى خطير في الحجاز وسوقاً لتبادل السلع ، ولم يكن هدفها من الإستيراد الإكتفاء الذاتي فقط بل قامت بتصدير الفائض عن حاجتها إلى أطراف السواحل الجنوبية لشبه الجزيرة العربية والشام واليمن

---

١ ـ القرآن الكريم : سورة قريش ، ١٠٦ /١ ـ ٤ ٠

٢ ـ القرآن الكريم : سورة إبراهيم ، ٣٧/١٤ ٠

والسواحل الإفريقية المقابلة ٠ حيث بلغت أحمال كل قافلة لتلك الجهات أكثر من ألف بعير <١> ٠ إلى جانب أن أكثر تجارها هم من سَدَنَة وأهل بيت الله الحرام والذى زادت مهابته في نفوس الناس عقب حادثة الفيل فلم يجرؤ أحد بالتطاول على تجار مكة إذ أن الله تعالى من عليهم بهذا الأمان كما جاء في سور قريش ٠

وعلى ضوء ذلك تمتعت مكة المكرمة بمكانة عظيمة وتقاطر الناس عليها استجابة لدعوة خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام ٠ فهذا فيما يتعلق بالرحلات الخارجية ٠ أما الرحلات الداخلية فكانت :

أولاً : لأداء فريضة الحج بدافع ديني وكانوا يستفيدون من رحلتهم تلك في التبادل التجاري حيث كانت تعقد الأسواق قبل الحج وبعده ٠

ثانياً : الرحلات إلى أسواق العرب التى أقاموها في نواحي متعددة من جزيرتهم وأشتهر منها سوق عكاظ <٢> وذى مجاز <٣> ومجنه <٤>

---

١ ـ جواد على : المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، ج٧ ، ص ٢٩٠ ـ ٢٩١ ٠

٢ ـ (عكاظ) اسم سوق من أسواق العرب في الجاهلية كانت قبائل العرب تجتمع به كل سنه ويتفاخرون فيه ويحضرها شعراءهم لإلقاء قصائدهم الشعرية ثم يتفرقون وهو أعظم أسواق قريش والعرب ويستمر طوال شوال ، وعكاظ نخل من وادٍ بينه وبين الطائف ليلة وبينه وبين مكة ثلاث ليالٍ وهو أرض واسعة شرق الطائف بميل نحو الشمال خارج سلسلة الجبال المطيفه به وتبعد تلك الأرض عن الطائف مسافة ٣٥كم تقريباً ٠ أنظر ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج٤ ، ص ١٤٢ ؛ جواد على : المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، ج٧ ، ص ٣٧٨ ؛ حمد الجاسر :موقع عكاظ ، مجلة العرب ، رمضان ١٣٨٨هـ / كانون الأول ديسمبر ١٩٦٨م ، ج٣ ، ص ١١٣٨ ـ ١١١٥٨ ٠

٣ ـ (ذى مجاز) : موضع سوق بعرفه على ناحية كبكب عن يمين الإمام على فرسخ من عرفه وتقيم فيه العرب في الجاهلية ثمانية أيام من ذى الحجة بعد انصرافهم من سوق مجنه ٠ أنظر ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج٥ ، ص ٥٤ ؛ جواد على : المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، ج٧ ، ص ٣٩٠ ٠

٤ ـ (مجنه) اسم سوق للعرب كان في الجاهلية وهو بمر الظهران قرب مكة يقال له الأصفر وهو بأسفل مكة على قدر بريد منها وكان العرب يقيمون فيه عشرين يوماً من ذى القعدة ٠ أنظر ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج٥ ، ص ٥٨ ـ ٥٩ ؛ جواد على : المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، ج٧ ، ص ٣٨٠ ٠

ودومه الجندل <١> وعمان <٢> وهجر <٣> والمشقر <٤> وصنعاء <٥> وحضرموت <٦> وحباشه <٧> وبدر <٨> وبني قينقاع <٩> وغيرها ٠

---

١ ـ (دومة الجندل) : حصن وقرى بين الشام والمدينة قرب جبلي طيء ودومه الجندل من القريات من وادي القرى ويكون سوقها خلال شهر ربيع الأول ٠ أنظر اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ، ج١ ، ص ٢٧٠ ؛ ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج٢ ، ص ٤٨٧ ؛ جواد علي : تاريخ العرب قبل الإسلام ، ط ١٣٧٨هـ / ١٩٥٩م ، ج٨ ، ص ١٥٩٠

٢ ـ (عمان) اسم كوره عربيه على ساحل بحر اليمن والهند من شرقي هجر تشمل على بلدان كثيرة ذات نخل وزرع ٠ أنظر ياقوت : معجم البلدان ، ج٤ ، ص ١٥٠ ؛ جواد علي : تاريخ العرب قبل الإسلام ، ط ١٣٧٨هـ / ١٩٥٩م ، ج ٨ ، ص ١٥٩ ٠

٣ ـ (هجر) مدينة وهي قاعدة البحرين وقيل ناحية البحرين كلها هجر ٠ أنظر ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج٥ ، ص ٣٩٣ ٠

٤ ـ (المشقر) : حصن بين نجران والبحرين وهي على تل عالٍ ويقابلها حصن بنى سدوس وقيل حصن بالبحرين عظيم ويقوم سوق المشقرفي جمادى الأولى ٠ أنظر اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ، ج١ ، ص ٢٧٠ ؛ ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج٥ ، ص ١٣٤ ؛ جواد علي : تاريخ العرب قبل الإسلام ، ط ١٣٧٨هـ / ١٩٥٩م ، ج٨ ، ص ١٥٩ ٠

٥ ـ (صنعاء) مدينة قديمة باليمن بينها وبين عدن ٦٨ ميلاً وهي قصبة اليمن واحسن بلادها ويقوم بها السوق في النصف من شهر رمضان ٠ أنظر اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ، ج١ ، ص ٢٧١ ؛ ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج٣ ، ص ٤٢٦ ؛ جواد علي : تاريخ العرب قبل الإسلام ، ط ١٣٧٨هـ / ١٩٥٩م ، ج٨ ، ص ١٥٩ ٠

٦ ـ (حضرموت) ناحية واسعة من شرقي عدن بقرب البحر وحولها رمال كثيرة تعرف بالاحقاف وبها قبر هود عليه السلام وهي مخلاف من اليمن بينه وبين البحر رمال ٠ أنظر ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج٢ ، ص ٢٧٠ ؛ جواد علي : تاريخ العرب قبل الإسلام ، ط ١٣٧٨هـ / ١٩٥٩م ، ج٨ ، ص ١٥٩ ٠

٧ ـ (حُباشه) : سوق من أسواق العرب في الجاهلية وهو سوق بتهامه وهو سوق لقينقاع ٠ أنظر ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج٢ ، ص ٢١٠ ـ ٢١١ ٠

٨ ـ (بدر) : ماء مشهور بين مكة والمدينة أسفل وادي الصفراء بينه وبين الجار ساحل البحر ليلة وكان بها الواقعة المباركة التي أظهر الله بها الإسلام في شهر رمضان في السنة ٢هـ/٦٢٣م وبين بدر والمدينة سبعة بُرد ٠ أنظر ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج١ ، ص ٣٥٧ ؛ جواد علي : تاريخ العرب قبل الإسلام ، ط ١٣٧٨هـ / ١٩٥٩م ، ج٨ ، ص ١٥٩ ٠

٩ ـ (بني قينقاع) : اسم شعب من اليهود الذين كانوا بالمدينة أضيف إليهم سوق كان بها يقال له سوق بني قينقاع ٠ أنظر ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج٤ ، ص ٤٢٤ ؛ جواد علي : تاريخ العرب قبل الإسلام ، ط ١٣٧٨هـ / ١٩٥٩م ، ج٨ ، ص ١٥٩ ٠

لقد حرص العرب على إقامة هذه الأسواق سنوياً وتميزت بتنافس الشعراء في إظهار عبقريتهم الشعرية إلى جانب إستغلال هذه الأسواق أيضاً لتبادل السلع التجارية المختلفة والترويج للأفكار والديانات الجديدة فقد عرض الرسول ﷺ نفسه على العرب في هذه المواسم ودعاهم إلى الإسلام والدفاع عنه ٠ ‹١›

ثالثاً : الإنتقال سعياً وراء العشب والماء لأنهما قوام حياة العربي في ذلك الوقت فهذه الرحلات الثلاثة داخلية يقومون بها سنوياً وبإنتظام داخل بلادهم ٠

ولقد لفت القرآن الكريم الإنتباه إلى فوائد وأنواع الرحلات ويمكن إدماجها في :

١ ـ الرحلة فراراً بالدين من أرض الشرك إلى أرض الإسلام ٠

٢ ـ الرحلة في طلب العلم ٠

٣ ـ الرحلة للحج ٠

٤ ـ الرحلة للتجارة ٠

١ ـ الرحلة فراراً بالدين من أرض الشرك إلى أرض الإسلام :

وأشهرها هجرة المسلمين الأولى والثانية إلى الحبشة فراراً من إضطهاد وظلم قريش ثم هجرة الرسول ﷺ وأصحابه من مكة إلى المدينة فراراً بالدين وخوفاً من الفتنة ورغبة بما وعد الله من التوسعة في الرزق وثبوت الأجر في حالة الوفاة قبل بلوغ البلاد المنتقل إليها ٠ ‹٢› قال تعالى : ﴿ **وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَماً كَثِيراً وَسَعَةً وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِراً**

---

١ ـ ابن هشام : السيرة ، ج٢ ، ص ٢٤٥ ؛ واخرج ابن ماجه عن جابر بن عبدالله قال كان رسول الله ﷺ يعرض نفسه على الناس في المواسم فيقول " الا رجل يحملني إلى قومه فإن قريشاً قد منعوني أن أبلغ كلام ربي " ابن ماجه : السنن ، ج١ ، ص ٧٣ ٠

٢ ـ القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، ج٥ ، ص ٣٤٧ ـ ٣٥١ ؛ سيد قطب : في ظلال القرآن ، ج٢ ، ص ٧٤٥ ـ ٧٤٦ ٠

إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَّحِيماً ﴾ <١> . وروى عنه ﷺ قوله " إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرىء ما نوى فمن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو إلى امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه " <٢> .

٢ ـ الرحلة في طلب العلم :

وردت في القرآن الكريم آيات كثيرة تبين هذا النوع من الرحلة وأشهر رحلة علم وردت فيه هي رحلة موسى عليه السلام مع الخضر عليه السلام ليتعلم منه قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُباً فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَباً . فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ ءَاتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَباً . قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَباً ـ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَىٰ ءَاثَارِهِمَا قَصَصاً . فَوَجَدَا عَبْداً مِّنْ عِبَادِنَا ءَاتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْماً . قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْداً قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً . وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْراً . قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِراً وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْراً . قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْراً . فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً إِمْراً . قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً . قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْراً . فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَاماً فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْساً زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئاً نُّكْراً . قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً . قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا

---

١ ـ القرآن الكريم : سورة النساء ، ٤/١٠٠ .

٢ ـ البخاري : صحيح البخاري بحاشية السندي ، ج١ ، ص ٦ ؛ مسلم : صحيح مسلم بشرح النووي ، ج١٣ ، ص ٥٣ ـ ٥٤ .

فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْراً • فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَاراً يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْراً • قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْراً • أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْباً • وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَاناً وَكُفْراً • فَأَرَدْنَا أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْراً مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْماً • وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ • لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحاً فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْراً ﴾ • ‹١›

فهذه الآيات مثال واضح ضربه الله تعالى لطلب العلم وبيان وجوبه وقد فهم المسلمون معنى ذلك مبكراً فسعوا لطلبه من مكان إلى آخر مع الحرص على لقاء العلماء والأخذ عنهم •

فموسى عليه السلام بالرغم من بلوغه تلك المرتبة العالية عند الله تعالى واختصاصه بكلامه يرحل إصراراً على لقاء العبد الصالح بغض النظر عن المسافة والمشقه ‹٢› • وطالباً بأدب ‹٣› وسائلاً إياه أن يعلمه مما علمه الله تعالى واشتراطه بعدم الإستفسار مما يراه مخالفاً لشريعته ‹٤› مقابل ذلك يفسر له ما غمض عليه ويمضي السرد القرآني إلى أن يفترقا • ‹٥›

---

١ ـ القرآن الكريم : سورة الكهف ، ١٨/٦٠ ـ ٨٢ •

٢ ـ سيد قطب : في ظلال القرآن ، ج٤ ، ص ٢٢٧٨ •

٣ ـ القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، ج١١ ، ص ١٧ ؛ سيد قطب : في ظلال القرآن ، ج٤ ، ص ٢٢٧٩ •

٤ ـ ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، ج٣ ، ص ٩٥ •

٥ ـ القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، ج١١ ، ص ٩ ـ ٢٣ ؛ سيد قطب : في ظلال القرآن ، ج٤ ، ص ٢٢٧٩ •

ومن الآيات السابقة نستنتج أن الإستزادة من العلم واجبة على الإنسان ووجوب السعي والرحلة لأخذ المزيد منه فكليم الله تعالى رحل لتحصيل علم لايعرفه وقد كان بمقدوره تعالى إحضار العبد الصالح إلى موسى عليه السلام لتعليمه ولكنه سبحانه وتعالى أراد توضيح أن العلم يتطلب البحث والإنتقال لطلبه .

وقد أختلف القول في شخصية العبد الصالح أهو الخضر أم غيره ولكن ثبت في حديث عن رسول الله ﷺ رواه ابن عباس أنه الخضر . <١>

إن الله تعالى خالق كل شيء ومدبره ومسخره للإنسان وبالتالي وضع في الإنسان الدافع لإستكشاف كل ما حوله والإستفادة منه في معرفة عظمة الخالق <٢> ، قال تعالى : ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ . <٣>

وفي القرآن الكريم آيات كثيرة للتفكر والتدبر أولاً في خلق الله تعالى ثم السعي لرؤية المزيد ترسيخاً لإيمان الإنسان ومنعاً من المعاصي الموجبة للسخط والعذاب . <٤>

٣ ـ الرحلة للحج :

قال تعالى : ﴿ وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾ <٥> . فالدعوة لحج بيت الله الحرام قديمة منذ أيام خليل

---

١ ـ البخاري : صحيح البخاري بحاشية السندي ، ج١ ، ص ٢٥ .

٢ ـ القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، ج١٦ ، ص ١٦٠ ؛ سيد قطب : في ظلال القرآن ، ج٥ ، ص ٣٢٢٦ ـ ٣٢٢٧ .

٣ ـ القرآن الكريم : سورة الجاثيه ، ١٣/٤٥ .

٤ ـ سيد قطب : في ظلال القرآن ، ج٤ ، ص ٢٠٣٥ .

٥ ـ القرآن الكريم : سورة الحج ، ٢٧/٢٢ .

الرحمن عليه السلام . فهو معروف في الجاهلية ومشهور وكان مما يرغبهم إلى ذلك الأسواق التى تقام فيه فلما جاء الإسلام الزمهم به مرة في العمر للقادر على ذلك ، قال تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ . <١>

وأصبح الحج أحد قواعد الإسلام مقروناً بالإستطاعة وأجيب نداء الله تعالى للمرة الثانية ولكن المسلمين كرهوا التجارة وإقامة الأسواق في موسم الحج كما هي حالهم في السابق على إعتبار أن أيام الحج أيام ذكر وعباده <٢> . فأنزل الله تعالى آية قرنت الحج بالتجارة ومحت إحساسهم بالتحرج من ذلك فجمعوا رضى الله تعالى من أمر الدنيا والآخرة ، قال تعالى : ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ ﴾ . <٣>

٤ ـ الرحلة للتجارة :

لقد مهر العرب في التجارة وإن كان ذلك داخل نطاق محدود في الجاهلية فهم يرحلون رحلتين في الصيف والشتاء إلى الشام واليمن ولكن بعد إسلامهم أتسع نطاق تجارتهم تبعاً لإتساع دولتهم بل لقد تعداه إلى أماكن لم يصلها غيرهم ولم يكتفوا بالرحلة براً بل ركبوا البحر أيضاً خاصة بعد أن وجه الله تعالى أنظارهم لذلك <٤> ، قال تعالى : ﴿ رَّبُّكُمُ الَّذِي يُزْجِي لَكُمُ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيماً ﴾ . <٥>

---

١ ـ القرآن الكريم : سورة آل عمران ، ٩٧/٣ .

٢ ـ القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، ج٢ ، ص ٤١٤ ـ ٤١٥ .

٣ ـ القرآن الكريم : سورة البقرة ، ١٩٨/٢ .

٤ ـ القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، ج١٠ ، ص ٢٩١ .

٥ ـ القرآن الكريم : سورة الأسراء ، ٦٦/١٧ .

لم يكن القرآن الكريم وحده الحاث على الرحلة في طلب العلم بل إن أحاديث الرسول ﷺ فيها الشيء الكثير الداله على فضل العلم وطلبه والحث على ذلك ففي حديث أبي هريرة رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ قال " ... **ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنه وما أجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده** " . <١>

وأما عن الأحاديث الدالة على الرحلة في سبيل العلم فقد أشرنا إلى قصة موسى عليه السلام فهى أصدق مادلت عليه فالصحابة رضوان الله عليهم ومن بعدهم التابعون والعلماء وبعض خلفاء المسلمين يستشهدون بأحاديث الرسول ﷺ الحاضه على العلم وفضله . <٢>

وقد حرص صحابة رسول ﷺ على المعرفة والإستيضاح لكل ما سنه ﷺ من أمور دينهم ودنياهم فأبو هريرة رضى الله عنه يعد من احرصهم عليه مبادراً بالسؤال وكان الرسول ﷺ يعلم فيه هذا ويحثه عليه فالعلم يؤخذ بالإستفسار والتقصى . <٣>

كما حث الرسول ﷺ على الترحيب بطلبه العلم الذين يقدمون على مسجده ليعلموهم فقد روى : عن أبى سعيد الخدرى عن **رسول الله ﷺ قال : سيأتيكم أقوام يطلبون العلم فإذا رأيتموهم فقولوا لهم مرحباً بوصية رسول الله ﷺ واقنوهم** " . <٤>

---

١ ـ مسلم : صحيح مسلم بشرح النووي ، ج١٧ ، ص٢١ ؛ ابن ماجه : السنن ، ج١ ، ص ٨٢.

٢ ـ البخاري : صحيح البخاري بحاشية السندي ، ج١ ، ص ٢٤ ـ ٢٥ ؛ الترمذي : السنن ، ج٤ ، ص ١٣٧ ؛ ابن ماجه : السنن ، ج١ ، ص ٨٠ .

٣ ـ البخاري : صحيح البخاري بحاشية السندي ، ج١ ، ص ٣٠ .

٤ ـ ابن ماجه : السنن ، ج١ ، ص ٩٠ ـ ٩١ .

ويعتبر مسجد رسول الله ﷺ بمثابة كبرى الجامعات في العالم الإسلامي يقبل إليه طلبة العلم للتزود منه فمما روى عنه ﷺ حاثاً على زيارتـــه للعلم ما رواه أبوهريرة قال " سمعت رسول الله ﷺ يقول : **من جاء مسجدى هـــذا لم يأتيه إلا لخير يتعلمه أويعلمه فهو بمنزلة المجاهد في سبيل الله ومن جاء لغير ذلك فهو بمنزلة الرجل ينظر إلى متا ع غيره** " ٠ ‹١›

كما بين عليه السلام مكانة طالب العلم إذا توفي وهو على حاله فعن " عبدالله بن عباس قال : " قال رسول الله ﷺ " **من جاءه أجله وهو يطلب علماً ليحي به الإسلام لم يفضله النبيون إلا بدرجة** " ‹٢› ،وما رواه أيضاً أبو هـــريـرة وأبو ذر جميعاً سمعا رسول الله ﷺ يقول : **إذا جاء الموت طالب العلم وهو على تلك الحال مات شهيداً** " ٠ ‹٣›

فالرسول ﷺ يحبذ العلم على العبادة لأن من فقه في العلم أتقن العبادة " فعن أبي ذر قال : قال رسول الله ﷺ " **يا أبا ذر لإن تغدو فتعلم آية من كتاب الله خير لك من أن تصلى مائة ركعة ولأن تغدو فتعلم بابا من العلم عمل به أو لم يعمل خير من أن تصلى ألف ركعة** " ٠ ‹٤›

وعندما فهم الصحابة رضوان الله عليهم ومن بعدهم التابعون فضل ذلك أكبوا على العلم ينهلون منه ورحلوا للأخذ من المدارس المنتشرة في الأقطار الإسلامية والتي يمثلها العلماء الموجودون بها بعد أن استقروا بها فهذا ذر بن حبيش يخرج للقاء صفوان بن عسال المرادى ليأخذ عنه فيسأله صفوان

---

١ ـ المصدر السابق والجزء ، ص ٨٢ ـ ٨٣ ٠

٢ ـ ابن عبدالبر : جامع بيان العلم وفضله ، ج١ ، ص ١١٥ ٠

٣ ـ المصدر السابق والجزء والصفحة ٠

٤ ـ ابن ماجه : السنن ، ج١ ، ص ٧٩ ٠

" **ما جاء بك قال انبط العلم قال فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول ما من خارج خرج من بيته في طلب العلم إلا وضعت له الملائكة اجنحتها رضاً بما يصنع** " ‹١› . كما خرج جابر بن عبدالله لعبدالله بن أنيس في طلب حديث المظالم فرحل إليه حتى قدم عليه الشام وسمع منه ثم أنثنى عائداً " . ‹٢›

كما كان عليه السلام يحث صحابته على التبليغ عنه لمن لم يسمعه فعن ابن عمر قال " **إن رسول الله ﷺ قال ليبلغ شاهدكم غائبكم** " ‹٣› . فالرسول ﷺ عالم بطبائع البشر فربما كان من يحمل العلم يستفيد منه غيره إذا ابلغه فورد في هذا المعنى ما رواه انس بن مالك قال " **قال رسول الله ﷺ نضر الله عبداً سمع مقالتي فوعاها ثم بلغها عني فرب حامل فقه ليس بفقيه ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه** " . ‹٤›

وجعل الرسول ﷺ تبليغ العلم أفضل الصدقات " فعن أبي هريرة أن النبي ﷺ **قال أفضل الصدقة أن يتعلم المرء المسلم علماً ثم يعلمه أخاه المسلم** " ‹٥› . وفي المقابل حذر عليه السلام من مغبه كتمان العلم وعدم نشره " فعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال **ما من رجل يحفظ علماً فيكتمه إلا أتى به يوم القيامة ملجماً بلجام من النار** " . ‹٦›

ومما لاشك فيه أن الرسول ﷺ ابتغى من وراء أحاديثه الحث على العلم النافع المحمود فمن دعاء رسول الله ﷺ ما رواه أبوهريرة قال " كان رسول

---

١ ـ المصدر السابق والجزء ، ص ٨٢ .

٢ ـ ابن عبدالبر : جامع بيان العلم وفضله ، ج١ ، ص ١١١ ـ ١١٢ .

٣ ـ ابن ماجه : السنن ، ج١ ، ص ٨٦ .

٤ ـ المصدر السابق والجزء والصفحه .

٥ ـ المصدر السابق والجزء ، ص ٨٩ .

٦ ـ المصدر السابق والجزء ، ص ٩٦ .

ﷺ يقول اللهم انفعني بما علمتني وعلمني ماينفعني وزدني علماً والحمد لله على كل حال " ٠ <١>

ونجد أن أحاديث رسول الله ﷺ عن العلم والحث عليه متممة لما جاء في القرآن الكريم خاصة وأن أول آية نزلت من كتاب الله تعالى هي : ﴿ **اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ** ﴾ <٢> امرٌ للرسول ﷺ ينطبق على أمته من بعده خاصة وأنه آمر بالإستزادة من العلم في قوله تعالى : ﴿ **وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْماً** ﴾ <٣> وهذا أيضاً يشمل أمته عليه السلام ٠

فهذا مفهوم القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة للعلم ٠ لذا كثرت الرحلات في سبيل طلب العلم سواء أثناء وجود الرسول ﷺ قبل هجرته أو بعد هجرته إلى المدينة وأيضاً بعد إنتقاله عليه السلام إلى جوار ربه فكثرت الرحلات في طلب الحديث وقطعت المسافات الطويلة لسماعه من العلماء المنتشرين آنذاك في الأقطار الإسلامية ٠

---

١ ـ المصدر السابق والجزء ، ص ٩٢ ٠

٢ ـ القرآن الكريم : سورة العلق ، ٩٦/١ ٠

٣ ـ القرآن الكريم : سورة طه ، ٢٠/١١٤٠

ثالثاً : الرحلة في مفهوم اللغة

الرحلة في اللغة الترحيل والإرتحال بمعنى الإشخاص والإزعاج يقال رحل الرجل إذا سار ٠ <١> فالرحلة هنا بمعنى السير والضرب في الأرض وجاءت الرحلة بمعنى الإرتحال أي الإنتقال من مكان لآخر " **والترحل والإرتحال الإنتقال وهو الرحلة والرحلة اسم للإرتحال** " ٠

وجاءت الرحلة أيضاً بمعنى الجهة التى يقصدها الإنسان " **الرحلة الإرتحال والرحلة بالضم الوجه الذى تأخذ فيه وتريده تقول أنتم رحلت أى الذين أرتحل إليهم** " ٠ كما تطلق الرحلة أيضاً على السفره الواحده " **الرحلة السفره الواحدة** " ٠ <٢>

ومما سبق في معنى الرحلة نجد أنها جاءت بمعنى السير والإنتقال والوجهة أو المقصد الذى يراد السفر إليه وبمعنى دنو المكان المراد الوصول إليه أو أقترب وقت الرحيل ولهذه المعاني كلها كان لفظ رحلة يطلق على من أنتقل من مكان لآخر ومنه أخذ لفظ رحال وهو الشخص المتنقل من مكان لآخر ٠

فالشخص الذى قام بالرحلة قد ترك موطنه وإنتقل إلى مكان آخر وسافر من موطنه وقصد جهة أخرى غير موطنه وسار إليها لذا كان لفظ رحلة أعم وأشمل ما يطلق على المسافر من مكان إلى آخر فالرحال صفه مشتقه من الفعل الذى قام به وهو الرحلة ٠

ورحلات المسلمين منذ بدايتها كانت كاملة متوفر بها جميع الأسباب والوسائل فمنهم من رحل لأخذ العلم ومنهم من رحل لإكتشاف الأقطار المراد

---

١ ـ ابن منظور : لسان العرب ، ج١١ ، ص ٢٧٦ ؛ الفيروزابادى : القاموس المحيط ، ج٣ ، ص ٣٩٤ ؛ الفيومي : المصباح المنير ، ج١ ، ص ٢٦٤ ٠

٢ ـ ابن منظور : لسان العرب ، ج١١ ، ص ٢٧٩ ؛ الفيروزابادى : القاموس المحيط ، ج٣ ، ص ٣٩٤ ؛ الفيومي : المصباح المنير ، ج١ ، ص ٢٦٤ ٠

فتحها وهناك رحلات منتظمة ربطت أقطار الدولة الإسلامية بعضها ببعض مثل البريد المعروف في الدولة الإسلامية ٠

وعرفت الدولة الإسلامية نظام الجواسيس لمعرفة خطط المشركين ضدها وأول من أوكل له القيام بهذا العمل هو عبدالله بن أبي بكر الصديق رضى الله عنهما فقد أمره أبوبكر بالتحرى عن أقوال قريش فيه وفي رسول الله ﷺ نهاراً ويأتيه بالأخبار ليلاً في غار ثور عند هجرتهما إلى المدينة ٠ <١>

وكانت الناحية الإقتصادية ذات أهمية في الدولة الإسلامية فرافق نشوئها تنظيمات إدارية تطلب الرحلة لوصف البلدان المفتوحة وتقدير الأموال المفروضة على أهلها من جزية أو خراج <٢> ، ويضاف أيضاً رحلات المسلمين التجارية ووصولهم لأماكن لم تكن معروفة لهم سابقاً <٣> إلى جانب الرحلة لأداء فريضة الحج وزيارة المدينة المنورة ٠

ومن خلال رحلات الحج لمعت أسماء بعض من قام بها لتسجيلهم مشاهداتهم بأسلوب جميل وسهل الوضوح لكل مامر بهم منذ خروجهم من مدنهم إلى وصولهم لمكة المكرمة والمدينة المنورة وشمل الوصف الطرق التى قطعها الرحالة والحياة الإجتماعية والعمرانية لكل المدن التى وصلوا إليها ومن أمثلة هؤلاء الرحالة ابن جبير والقاسم بن يوسف التجيبي السبتي وابن بطوطة وخالد بن عيسى البلوى ٠

---

١ ـ ابن هشام : السيرة النبوية ، ج٢ ، ص ٤٨٥ ٠

٢ ـ أحمد رمضان أحمد : الرحلة والرحالة المسلمون ، ص ١١ ٠

٣ ـ المرجع السابق ، ص ١٣ ٠

رابعاً : بداية الرحلات في الإسلام وأشهرها

١ ـ رحلة الإسراء والمعراج :

قال تعالى : ﴿سُبْحَٰنَ الَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ إِنَّهُۥ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ <١> ٠

وأسرى بعبده معناه سير عبده ، وأسريت إذا سرت ليلاً ٠ <٢>

إن حادثة الإسراء ثابتة متواترة منذ حدوثها فقد سيره سبحانه وتعالى ليلاً إلى المسجد الأقصى وسمي الأقصى لبعده عن المسجد الحرام فهو لايبلغ ألا برحلة وراحلة ٠ وقال المفسرون إنما قال ليلاً بلفظ التنكير لتقليل مدة الإسراء وإنه قطع به المسافات الشاسعة البعيدة في جزء من الليل وكانت مسيرة أربعين ليلة ٠ <٣> ، وهذه رحلة كما في سياق الآية لرؤية آيات الله تعالى والوقوف عليها ٠

٢ ـ رحلة أبي ذر الغفاري لفهم تعاليم وقواعد الإسلام :

من أولى الرحلات في عهد الرسول ﷺ أثناء وجوده بمكة المكرمة أول مبعثه وغرضها معرفة مبادىء الدعوة الإسلامية وهي رحلة أبي ذر الغفاري إلى مكة المكرمة أبان مبعثه ﷺ للتثبيت مما يدعو إليه ٠ <٤>

٣ ـ رحلات لتعليم مبادىء الإسلام وهجرة الصحابة من أرض الشرك:

وهذه الرحلات حدثت في وقت مبكر من الدعوة فمنها رحلة مصعب بن عمير عقب بيعة العقبة الأولى إلى المدينة المنورة مع وفد العقبة ليقرئهم القرآن ويعلمهم الإسلام ويفقههم في الدين ٠ <٥>

---

١ ـ القرآن الكريم : سورة الأسراء ، ١/١٧ ٠

٢ ـ ابن منظور : لسان العرب ، ج١٤ ، ص ٣٨٢ ٠

٣ ـ القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، ج١ ، ص ٢٠٤ ـ ٢١٢ ؛ الصابوني : صفوة التفاسير ، ج٢ ، ص ١٥١ ٠

٤ ـ مسلم : صحيح مسلم بشرح النووي ، ج ١٦ ، ص ٢٧ ـ ٣١ ؛ ابن الأثير : أسد الغابه ، ج ٥ ، ص ١٠٠ ـ ١٠١ ؛ ابن حجر : الأصابة ، ج ٤ ، ص ٦٢ ـ ٦٣ ٠

٥ ـ ابن هشام : السيرة النبوية ، ج ١ ، ص ٤٣٤ ٠

وكانت رحلات الصحابة بأمر من الرسول ﷺ بترك أرض الشرك عقب معاناتهم من أذى المشركين فأشار عليهم بالتوجه إلى الحبشة فأستجابوا لذلك فراراً بالدين وخوفاً على أنفسهم من الفتنة وتتابعت هجرة المسلمين إلى الحبشة فمنهم من خرج بأهله ومنهم من خرج وحيداً ثم تلتها هجرة الرسول ﷺ من مكة إلى المدينة وقد سبقه إليها بعض أصحابه <١> ثم تتابعت البقية لحاقاً به .

٤ ـ **رحلات تجسس** :

وجد هذا النوع من الرحلات منذ بدء الإسلام وتنوعت أغراضها أثناء حياة الرسول ﷺ فمنها ما كان بغرض التجسس على الاعداء مثلما حدث في غزوة بدر حين " **بعث الرسول ﷺ على ابن أبي طالب والزبير بن العوام وسعد بن أبي وقاص في نفر من أصحابه إلى ماء بدر يلتمسون له الخبر** " <٢> واستمر هذا النوع من الرحلات الإستكشافية في عهد الخلفاء الراشدين ومن تلاهم من الخلفاء ومثال ذلك . ماحدث في معركة القادسية حيث بعث سعد كاشفاً إلى الحيره <٣> ، فأتاه الخبر بأن الملك قد أمر على الحرب رستم بن الفرخزاد الأرمنى وأمده بالعسكر . <٤>

٥ ـ **رحلات الوفود لإعتناق الإسلام** :

بعد استقرار الرسول ﷺ بالمدينة المنورة وإنتشار دعوته بين القبائل العربية قدمت عليه الوفود راغبة في إعتناق الإسلام ومنها وفد عبدالقيس حيث

---

١ ـ ابن هشام : السيرة النبوية ، ج١ ، ص ٣٢٢ ـ ٣٢٣ ، ٤٦٨ ، ٤٨٥ .

٢ ـ المصدر السابق ، ج٢ ، ص ٦١٦ .

٣ ـ (الحيره) مدينة تبعد ثلاثة أميال عن الكوفة على موضع يقال له النجف وبالحيره الخورنق بقرب منها مما يلي الشرق على نحو ميل والسدير وسط البريه التى بينها وبين الشام وكانت تسكن ملوك العرب في الجاهلية من زمن نصر ثم من لخم النعمان وآبائه . أنظر ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٣٢٨ .

٤ ـ ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ٧ ، ص ٣٧ .

أرشدهم لتعاليم الدين الإسلامي الصحيح وكانوا يجدون المشقة في القدوم عليه لحيلولة قوم من الكفار بين ديارهم والمدينة فأجابهم إلى ما سألوه في الشئون الدينية ليكونوا دعاة الدين الإسلامي لقبيلتهم والقبائل المجاورة لهم <١> . ومنهم من يأتي وحيداً ويكون سبباً في إسلام قومه مثل ضمام بن ثعلبه . <٢>

٦ ـ رحلات الرسل لتبليغ الدعوة الإسلامية :

بعد إرساء قواعد الدولة الإسلامية وقع عبء تبليغ الدعوة للجهات النائية على الرسل الذين انطلقوا لنشر تعاليم الإسلام ومنهم معاذ بن جبل الذى توجه بأمر الرسول ﷺ إلى اليمن . <٣>

وقد أحسن الرسل أداء مهمتهم على أكمل وجه وخاصة ان الرسول ﷺ أرشدهم إلى الطرق الصحيحة لذلك .

٧ ـ رحلات لفهم أحكام الشريعة :

بعد فتح مكة المكرمة وجد نوع جديد من الرحلات للإستعلام عن بعض أحكام الشريعة الإسلامية ومراجعة الرسول ﷺ في ذلك مثل رحيل عقبه بن الحارث إلى المدينة للإستعلام عن حكم الرضاعة <٤> ، ونُلاحظ من أمثلة الرحلات التي قامت في حياة الرسول ﷺ إما لتبليغ دعوة الإسلام إلى مناطق لم يصلها وإما لمعرفة تعاليم الدين الجديد أو للتجسس وإما لمعرفة حكماً من أحكام الإسلام .

---

١ ـ مسلم : صحيح مسلم ، ج ١ ، ص ١٨٧ ـ ١٨٨ .

٢ ـ البخاري : صحيح البخاري بحاشية السندي ، ج ١ ، ص ٢٢ ؛ ابن الأثير : أسد الغابة ، ج ٢ ، ص ٤٣٩ ـ ٤٤٠ ؛ ابن حجر : الأصابة ، ج٢ ، ص ٢١٠ ـ ٢١١ .

٣ ـ ابن هشام : السيرة النبوية ، ج٤ ، ص ٥٩٠ .

٤ ـ البخاري : صحيح البخاري بحاشية السندي ، ج١ ، ص ٢٨ .

٨ ـ الرحلة لمراجعة الأحاديث النبوية :

عقب وفاة الرسول ﷺ لم تنقطع الرحلات نظراً لتفرق الصحابة في البلدان المفتوحة وإستقرارهم بها فكثرت أسفار بعضهم للبعض الآخر لمراجعة الأحاديث النبوية خشية نسيانها وحفاظاً عليها ومن أمثلة هذه الرحلات رحلة جابر بن عبدالله لعبد الله بن أنيس ورحلة أبي أيوب لعقبة بن عامر (١) ، ويمكننا أن نعزو كثرة الرحلات العلمية في ذلك الوقت إلى عدم تدوين الحديث الذى لم يتم تدوينه بصورة رسمية في مصنفاته إلا في النصف الأول من القرن الثاني الهجري . (٢)

وقد رحل التابعيون أيضاً لطلب الحديث الواحد بل وحتى لضبط حرفٍ منه . (٣)

ومن فوائد رحلات طلاب الحديث وتنقلاتهم بين الأقطار الإسلامية الإطلاع على الروايات المتعددة أحياناً للحديث الواحد ومن هذا ما حدث عندما قدم البخارى للبصرة فطلبوا منه أن يعقد لهم مجلساً للإملاء فأجابهم وحدد لهم موعد المجلس الذى حضره جمع غفير من الفقهاء والمحدثون والحفاظ والنظار حدثهم فيه بأحاديث ليست عندهم بالأسانيد التى ذكرها . (٤)

ومن فوائد الرحلات ما يقام من مناظرات والإمتحانات التى تعقد لاختبار كفاءة وعلم العلماء ومنها على سبيل المثال ما حدث للإمام البخاري في بغداد حيث أجتمع العلماء لإمتحان علمه وحفظه وعمدوا إلى مائة حديث فقلبوا متونها وأسانيدها وجعلوا متن هذا الإسناد لإسناد آخر واسناد هذا المتن

---

١ ـ ابن عبدالبر : جامع بيان العلم ، ج١ ، ص١١١ ـ ١١٢ ؛ محمد عجاج الخطيب : السنة قبل التدوين ، ص ١٧٧ .

٢ ـ محمد عجاج الخطيب : السنة قبل التدوين ، ص ٣٣٧ .

٣ ـ ابن عبدالبر : جامع بيان العلم ، ج ١ ، ص ١١٣ .

٤ ـ البغدادي : تاريخ بغداد ، ج٢ ، ص ١٥ ـ ١٦ ؛ الذهبي : سير اعلام النبلاء ، ج١٢ ، ص ٤٠٩ ، ٤١٠ ؛ ابن حجر : هدية السارى ، ص ٤٨٧ ، المقدمه .

لآخر ودفعوها لعشرة أشخاص لإلقائها على البخاري وبعد إلقاء كل شخص بما عهد إليه من أحاديث وهو لايزيد على قوله بعد سماع كل حديث لا أعرفه. وكان العلماء الذين حضروا المجلس يلتفت بعضهم إلى بعض ويقولون فهم الرجل ومن لم يدر القصة يقضي على البخاري بالعجز والتقصير وقلة الحفظ وبعد إنتهاء إلقاء الأحاديث المائة أعاد البخاري تصحيحها فأقر له الناس بالحفظ وأذعنوا له بالفضل خاصة وأنه صححها على الترتيب الذى سمعه . <١>

وأدى إنتشار العلماء إلى تعدد المراكز العلمية والتى أسهمت بدورها في النشاط العلمي على أيدى العلماء الموجودين بها أو العلماء المتنقلين بينها الحريصين على الإستزادة ونشر العلم بين الناس ومثال ذلك تنقلات البخاري بين الأمصار الإسلامية فكانت أولى رحلاته سنة ٢١٠هـ / ٨٢٥م لطلب الحديث والحج <٢> . وقال البخاري عن نفسه معبراً عن رحلاته الكثيرة قائلاً " **دخلت إلى الشام ومصر والجزيرة مرتين وإلى البصرة أربع مرات وأقمت بالحجاز ستة أعوام ولا أحصى كم دخلت الكوفة وبغداد مع المحدثين** " . <٣>

٩ ـ رحلات التجار :

لم تكن رحلات المسلمين مقتصرة على الناحية العلمية التى حظيت بالنصيب الوافر بل كان للتجارة دور كبير وخاصة أن أساطيل المسلمين التجارية أخذت تجوب جميع البحار فليست رحلاتها قاصرة على المناطق الإسلامية بل وصلت إلى مناطق شاسعة في الهند والصين والبلدان الأوروبية وغدا المسلمون بفضل نشاطهم البحري ذوى شهرة كبيرة وأصحاب ثروات هائلة . <٤>

---

١ ـ البغدادي : تاريخ بغداد ، ج٢ ، ص٢٠ ـ ٢١ ؛ الذهبي : سير أعلام النبلاء ،١٢، ص ٤٠٨ ـ ٤٠٩.

٢ ـ ابن حجر : هداية الساري ، ص ٤٨٦ ، المقدمة .

٣ ـ المصدر السابق ، ص ٤٧٨ ، المقدمة .

٤ ـ محمد محمود الصياد : رحلة ابن بطوطة ، ص ٧ ـ ٨ .

وقد أسهمت رحلات التجار إلى تلك المناطق النائية في معرفة الكثير من أحوالها ومن أشهر التجار في هذا المجال سليمان السيرافي ، وابن وهب القرشي ، وقد أفاض المسعودي في سرد رحلة ابن وهب القرشي التى نقلها عن أبي زيد الحسن السيرافي • <١>

ومع الأسف لم يكن شائعاً في ذلك الوقت تدوين تلك المعلومات في كتب معروفة بل عرفت عن طريق أصدقاء الرحالة من معاصريه أو من خلال الأجيال التى تناقلتها بعد ذلك وقد شكلت تلك المعلومات مادة علمية غزيرة أستطاع المؤرخون الأوائل الإستفادة منها في كتاباتهم عن تلك البلدان سواء في النواحي السياسية أو الحضارية وللدلالة على ذلك ما أورده المسعودي من خبر رحلة أحد تجار سمرقند إلى الصين وما لحقه من ظلم في مدينة خانقوا <٢> من جابي الضرائب فما كان منه إلا أن رفع مظلمته إلى ملك الصين فأنصفه • <٣>

تبع تلك الخطوة من قبل التجار قيام نوع جديد من الرحلات وهي الرحلات الجغرافية لوصف الطرق المؤدية إلى البلدان المفتوحة ووصف أحوالها حيث أقتضت مصلحة الدولة ذلك <٤> • فقدموا وصفاً جغرافياً دقيقاً لها ومن أمثلة هؤلاء إبن خرداذبه الذى تولى منصب صاحب البريد في الدولة العباسية•<٥>

---

١ ــ المسعودي : مروج الذهب ، ج١ ، ص ١٤٤•

٢ ــ (خانقوا) مدينة على نهر عظيم أكبر من دجله يصب في بحر الصين وتبعد هذه المدينة عن البحر مسيرة ستة أيام أو سبعة ويدخل إلى هذا النهر سفن التجار الواردة من بلاد البصرة وسيراف وعمان ومدن الهند وجزائر الزابج والصنف وغيرها من الممالك بالأمتعة والجهاز وبالمدينة خلائق من الناس مسلمون ونصارى ويهود ومجوس وغير ذلك من أهل الصين • أنظر المسعودي : مروج الذهب ، ج١ ، ص ١٣٨ •

٣ ــ المصدر السابق والجزء ، ص ١٤٠ ــ ١٤٢ •

٤ ــ عبدالرحمن حميده : اعلام الجغرافيين العرب ومقتطفات من أثارهم ، ص ٤١ •

٥ ــ كراتشكوفسكي : تاريخ الأدب الجغرافي العربي ، ج١ ، ص ١٥٦ •

وقد إعتمد الجغرافيون في تصانيفهم على الوصف والمشاهدة والملاحظة فنمت معارفهم الجغرافية وأصبحت مؤلفاتهم ذات أهمية كبيرة مما حدا بالخلفاء تكليف عمال اقتصرت مهمتهم على كتابة التقارير الجغرافية عن الأمصار المفتوحة ٠ ‹١›

بالإضافة إلى ما سبق يبدو أنه قد توفرت لدى المسلمين الكثير من المعلومات عن الأقطار المراد فتحها ومثال ذلك ما رواه اليعقوبي عن طلب عمرو بن العاص فتح مصر من الخليفة عمر بن الخطاب وترغيبه في ذلك بقوله " **يا أمير المؤمنين تأذن لي أن أصير إلى مصر فإنا إن فتحناها كانت للمسلمين وهي من أكثر الأرض أموالاً وأعجزه عن القتال** " ٠ ‹٢›

ونرى هنا أن عمرو بن العاص كان يعرف الشيء الكثير عن مصر وربما كان هذا بسبب إشتغاله بالتجارة قبل الإسلام ولذلك شجع الخليفة على فتحها وضمها لبلاد الإسلام ٠

بالإضافة إلى علم حكام الدولة الإسلامية بالبلدان المراد فتحها فقد " **أرسل عمر بن الخطاب رسالة إلى سعد بن أبي وقاص يأمره فيها أن يصف له منازل المسلمين قبل معركة القادسية كأنه ينظر إلى أرض المعركة** " ٠ ‹٣›

وربما يمكننا إرجاع العناية بالأقاليم ووصفها إلى بداية التأليف لأخبار الفتح والمغازى يضاف إليه أن إتساع الدولة الإسلامية تطلب الوصف والدراسة تمهيداً لتطبيق أحكام الشريعة وتسهيلاً لمهمة الولاه ٠ ‹٤›

ومما سبق يتضح لنا أختلاف أغراض الرحلة والأرتحال والتى في جملتها أفرزت لنا أدباً مميزاً يمكن أن نطلق عليه أدب الرحلة ولاشك أن أمتع كتب

---

١ ـ البلوي : تاج المفرق ، ج١ ، ص ٨٦ ٠

٢ ـ اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ، ج٢ ، ص ١٤٧ ـ ١٤٨ ٠

٣ ـ الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج٤ ، ص ٩٠ ٠

٤ ـ أحمد رمضان أحمد : الرحلة والرحالة المسلمون ، ص ١٠ ـ ١١ ٠

الرحلات وأرفعها قيمة علمية وأدبية هي تلك التى قام أصحابها بتأليفها بسبب خروجهم للحج أو طلب العلم أو الأثنين معاً . " **فكانت حواضر العالم الإسلامي مراكز علم وإشعاع خاصة مكة المكرمة والمدينة المنورة فكان العلماء يقصدونها بغية التزود بالعلم والمعرفة يفد إليها من أقصى المشرق أو المغرب فيلتقي بعالم آخر من بلاد بعيدة عن بلاده فيحصل من هذا الإلتقاء تقارب وتفاهم واستزادة علم وإمتداد المعرفة وإنتشار الأفكار بين مختلف الأقطار الإسلامية** " . <١>

ولقد كان للخلفاء دور كبير في بروز رحلات لها طابع خاص ولعل أشهرها رحلة سلام الترجمان . <٢>

رحلة سلام الترجمان :

نالت رحلة سلام الترجمان إنتشاراً وشهرةً واسعة حيث نجد الجغرافيين المسلمين يصفونها بالأخبار المشهورة <٣> أو مشهور الأخبار <٤> مما يدل على إنتشارها ولكن بالرغم من شهرتها إلا أنها عرضة للشك المتركز على ما ورد فيها من أخبار حتى أن من تطرق لذكرها من المؤرخين الجغرافيين كانوا على حذر شديد في الإشارة إليها حتى أن ابن خرداذبه معاصر سلام الترجمان في حديثه عن الرحلة قال أنه سمعها أولاً من سلام ثم نقلها من الكتاب الذى كتبه سلام للواثق بالله <٥> زيادة في الأستيثاق مما ورد فيها .

---

١ ـ الدرعي : ملخص رحلتى ابن عبدالسلام الدرعى المغربي ، ص ١١ ـ ١٢ .

٢ ـ سلام الترجمان يجيد عدة لغات وربما كان يعمل في ديوان الترجمة . أنظر ابن خرداذبه : المسالك والممالك ، ص ١٦٣ .

٣ ـ القزويني : آثار البلاد وأخبار العباد ، ص ٥٩٧ .

٤ ـ ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج٣ ، ص ١٩٩ .

٥ ـ هارون الواثق بالله ابن محمد المعتصم بالله ابن هارون الرشيد العباسي أبوجعفر من خلفاء الدولة العباسية بالعراق ولد ببغداد وولى الخلافة بعد وفاة أبيه سنة ٢٢٧هـ / ٨٤١م وكان عمره اثنين وثلاثين سنه . أنظر ابن خرداذبه : المسالك والممالك ، ص ١٦٢ ـ ١٧٠ ؛ الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ، ج١٤ ، ص ١٥ ـ ٢٠ .

وقد نقل ابن رسته قول ابن خردانبه حول الرحلة فقال " **فحدثني سلام الترجمان بجملة هذا الخبر ثم أملاه على من كتاب كان كتبه بذلك إلى الواثق وكتبناه نحن لنقف على ما فيه من التخليط والتذييد لأن مثل هذا لايقبل صحته فوجدته موافقاً** " ٠ <١>

كما أن ياقوت الحموى بعد أن سرد رحلة سلام قال " **قد كتبت من خبر السد ما وجدته في الكتب ولست اقطع بصحة ما أوردته لأختلاف الروايات فيه والله أعلم بصحته فليس من صحة أمر السد ريب وقد جاء ذكره في الكتاب العزيز** " ٠ <٢>

ولاريب أن كثرة الروايات وإختلافها جعلها مثار شك لدى ياقوت وإن كان ما أورده عن رحلة سلام موافقاً ٠ في معظمة لما ذكره ابن خردانبه ٠

ومجمل الرحلة كما أوردها ابن خردانبه أن الخليفة الواثق رأى في منامه كأن السد الذى يحجز يأجوج وماجوج قد انفتح ووقع أختياره على سلام الترجمان كرجل يصلح لمهمة الإستطلاع فهو كما يقال " **يتكلم بثلاثين لساناً** " فجهزه بكل ما يحتاجه وأمره بالخروج بعد أن زوده بكتب توصية لكل الملوك والأمراء الذين تقع مماليكهم في طريقه لتسهيل مهمته وقد وصف سلام جميع ما مر به في رحلته إلى أن وصل إلى مكان السد وأتم مهمته وتأكد أن السد لايزال سليماً فعاد إلى سر من رأى وكان من وقت خروجه إلى وقت عودته ثمانية عشر شهراً ٠ <٣>

---

١ ـ ابن رسته : الإعلاق النفسية ، ج٧ ، ص ١٤٩ ٠

٢ ـ ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج٣ ، ص ٢٠٠ ٠

٣ ـ ابن خردانبه : المسالك والممالك ، ص ١٦٢ ـ ١٦٩ ؛ القزويني : آثار البلاد أخبار العباد ، ص ٥٩٧ ـ ٥٩٩ ؛ ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج٣ ، ص ١٩٩ ـ ٢٠٠ ؛ زكي محمد حسن : الرحالة المسلمون في العصور الوسطى ، ص ١٥ ـ ١٨ ؛ على محسن عيسى مال الله : أدب الرحالة عند العرب في المشرق ، ص٣١ ـ ٣٤ ؛ أحمد رمضان أحمد :الرحلة والرحالة المسلمون ، ص ٣٨ ـ ٤٠ ٠

وقد حفل وصف سلام بالكثير من الغرائب التي إختلط بها الكثير من الأساطير المنتشرة هناك وأوردها على أنها حقيقة مما جعلها مثار شك كبير لدى من تعرض لذكرها • ولكن مجيء ذكر الرحلة بألفاظ سلام في كتاب ابن خرداذبه يوحي بأن الرحلة • قد حصلت فعلاً لإعتماده على ما ورد في الكتاب المقدم للواثق بالله •

وكما كان للمؤرخين وجهة نظر في هذه الرحلة فقد حفلت كتابات المؤلفين المحدثين أيضاً بالعديد من الآراء حولها فمن ذلك ما أورده كراتشكوفسكي KRACHOVSKI من اراء منها المعارض في حدوثها أصلاً ومنها المؤيد لحدوثها فمن المعترضين اشبرنجر SPRENGER الذى اعتبرها عام ١٢٨١هـ/١٨٦٤هـ أنها تضليل مقصود وايده في موقفه غريفوريف GRIGORIEV وميتورسكى MINORSKY فيما بعد ١٣٥٦هـ / ١٩٣٧م وأضاف الأخير أنها مجموعة حكايات خرافية أنتثرت فيها بضع أسماء جغرافية •

أما من أيد حدوثها فهو دى خويه DEGEJE عام ١٣٠٦هـ / ١٨٨٨م وتوماشك TOMASCHEK ‹١› ولا يستبعد أن يكون السبب الحقيقي للرحلة ليس الحلم كما زعم الرواه وإنما أتخذ الحلم ذريعة لغرض سياسي دل عليه إهتمام ملوك وأمراء تلك المناطق بكتب التوصية التى كان يحملها سلام من قبل الخليفة لتسهيل مهمته ‹٢› • والتى دلت على مدى إتساع سلطة الخليفة •

ولاشك أن وجود السد حقيقة مسلم بها لورود ذكره بالقرآن الكريم وسواء وصل سلام فعلاً إلى السد أم لم يصل فالذى يعنينا هنا إهتمام خلفاء المسلمين بأمر الرحلات لإكتشاف المناطق المجهولة من العالم وخاصة التى ورد ذكرها في القرآن الكريم وصرف الأموال اللازمة في سبيل المعرفة •

---

١ ـ كراتشكوفسكي : تاريخ الأدب الجغرافي العربي ، ج١ ، ص ١٤١ •

٢ ـ على محسن عيسى مال الله : أدب الرحلة عند العرب في المشرق ، ص ٣١ •

كما أن قيام مثل هذه الرحلات يدل على إرتفاع شأن الخليفة العباسي وأتساع سلطته وهيمنته على الأماكن التى مر بها سلام وتعاون الملوك والأمراء على تسهيل مهمته ٠

وهناك نوع آخر من الرحلات قامت تحت رعاية الخلفاء وهي رحلات البعوث ومنها رحلة ابن فضلان ٠ <١>

رحلة أبن فضلان :

ويبدو أن سبب هذه الرحلة هو رغبة ملك الصقالبة <٢> وقومه في فهم التعاليم الإسلامية الصحيحة فبعث إلى الخليفة العباسي المقتدر بالله <٣> طالباً إنتداب بعضٍ من رجاله لتلك المهمة إلى جانب العناية بتشييد مسجد ومنبر وحصن يمتنع به ضد أعدائه المشركين <٤> ٠ فلبى الخليفة العباسي دعوته وبعث إليه بعثة عباسية كان من ضمنها ابن فضلان الذى أحسن القيام بالمهمة الموكلة إليه على أكمل وجه ٠ <٥>

---

١ ـ أحمد بن فضلان بن العباس بن راشد بن حماد مولى محمد بن سليمان رسول المقتدر بالله إلى مالك الصقالبة ٠ أنظر ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج١ ، ص ٤٨٦ ٠

٢ ـ (الصقالبة) بلاد بين البلغار والقسطنطينية وهم أجناس مختلفة ولهم ملوك فمنهم من ينقاد إلى دين النصرانية اليعقوبية ومنهم من لا كتاب له ولا شريعة وهم جاهلون وفي بلاد الخزر صنف كثير منهم ومن ملوك الصقالبة ملك الفرنج ويليه في المكانة ملك الترك وكانوا قبلا ينقادون جميعاً لملك واحد وعندما أختلفت كلمتهم صار كل ملك برأيه ٠ أنظر المصدر السابق ، ج٣ ، ص ٤١٦ ٠

٣ ـ جعفر بن أحمد بن طلحه أبوالفضل المقتدر بالله ابن المعتضد ابن الموفق خليفة عباسي ولد ببغداد سنة ٢٨٢هـ / ٨٩٤م وبويع بالخلافة بعد وفاة أخيه المكتفي سنة ٢٩٥هـ / ٩٠٧م فأستصغره الناس وخلعوه سنة ٢٩٦هـ / ٩٠٨م ونصبوا عبدالله بن المعتز ثم قتلوه وأعادوا المقتدر بعد يومين وطالت أيامه وكثرت فيها الفتن وخلع مرة ثانية وبايعوا القاهر ثم أعادوه وكان ضعيفاً مبذراً أستولى على الملك في عهده خدمه ونساؤه وخاصته وفي أيامه خلع أبوطاهر القرمطي الحجر الأسود وقتل المقتدر في ثورة سنة ٣٢٠هـ / ٩٣٢م ٠ أنظر ابن دقماق : الجوهر الثمين ، ج١ ، ص ١٦٦ ـ ١٧٢ ٠

٤ ـ أحمد بن فضلان : رحلة ابن فضلان في وصف بلاد الترك والخزر والروس والصقالبة سنة ٣٠٩هـ / ٩٢١م ، ص ٦٧ ـ ٦٨ ؛ ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج١ ، ص ٤٨٦ ٠

٥ ـ ابن فضلان : رحلة ابن فضلان ، ص ٦٧ ـ ٦٨ ٠

ومما يدل على ما للخليفة من مكانة روحية لدى الملوك طلب ملك الصقالبة منه بناء مسجد وإقامة منبر للدعوة وتشييد حصن لحمايته من أعدائه مع تزويده ببعض الأدوية ٠ <١>

ولم تسعفنا المصادر بالكثير من المعلومات عن الأحوال السياسية لتلك المملكة وإن كان ابن فضلان قد أشار إلى طرفٍ من ذلك ذاكراً أن اليهود كانوا يشكلون خطراً عليهم ويثقلون كاهل الشعب بالضرائب الباهظة مع إلزام الأمراء والملوك المسلمين بتزويج بناتهم لأبناء اليهود ٠ <٢>

وكان خروج هذه البعثة من بغداد يوم الخميس إحدى عشر من شهر صفر / واحد وعشرين حزيران سنة ٣٠٩هـ / ٩٢١م ووصلت إلى بلغار في ثمانية عشر محرم / أثنا عشر أيار سنة ٣١٠هـ / ٩٢٢م ٠ <٣>

ومنذ خروج الرحلة نجد أن ابن فضلان كان يسجل انطباعاته ومشاهداته ساعة بساعة في أسلوب سهل مفهوم تطرق فيها إلى الأحوال السياسية والإجتماعية والدينية والإقتصادية ولم يقتصر وصفه على مملكة الصقالبة بل تعداه إلى جميع مامر به فمن ذلك وصفه لأهل خوارزم <٤> حيث وصفهم بأنهم أوحش

---

١ ـ المصدر السابق والصفحة ٠

٢ ـ المصدر السابق ، ص ١٤٥ ؛ عبدالرحمن حميده : اعلام الجغرافيين العرب ، ص ١٩٩ ٠

٣ ـ ابن فضلان : رحلة ابن فضلان ، ص ٢٥ ؛ ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج١ ، ص ٤٨٦ ؛ عبدالرحمن حميده : اعلام الجغرافيين العرب ، ص ٢٠٠ ؛ على محسن مال الله : أدب الرحلة عند العرب في المشرق ، ص ٨٤ ؛ زكي محمد حسن : الرحالة المسلمون في العصور الوسطي ، ص ٢٧ ؛ أحمد رمضان أحمد : الرحلة والرحالة المسلمون ، ص ٤٥ ٠

٤ ـ (خوارزم) اسم للناحية بجملتها وقصبتها جرجانيه وهي ولاية عامرة تميزت بشتاء شديد البرودة يؤدى إلى تجمد نهر جيحون وصف أهلها بعدم إهتمامهم بالنظافة وابنيتها مشيدة من الخشب واللبن ومن صفات أهلها الجسمية الطول والضخامة وعرض الرأس وإتساع الجبة مدحهم ياقوت بالذكاء والعلم والغنى ورخاء المعيشه ٠ أنظر ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج٢ ، ص ٣٩٥ ـ ٣٩٨ ٠

الناس كلاماً وشبهه بنقيق الضفادع واستنكر تبرأهم من على بن أبي طالب مع ملاحظته لظاهرة النقود المزيفة فيها ٠ ‹١›

وقد صادف وقت رحلة ابن فضلان فصل الشتاء في تلك الأماكن حيث أشار إلى ما تميزت به من برودة شديدة وريح قوية بالإضافة إلى تجمد الأنهار ومنها نهر جيحون ‹٢› وقيام أهل خوارزم بالحفر فيه لإستخراج حاجتهم من الماء ٠ ‹٣›

وتطرق ابن فضلان لوصف عادات أهل خوارزم في الكرم وحسن الضيافة وايواء الأغراب خصوصاً في أوقات الشتاء ومساعدة المحتاجين بأيوائهم وتدفئتهم وإطعامهم وهو أمر شائع في القرى ، كما تميزت طرقاتها بتجمدها شتاءاً وعقب إنتهائه يصيبها الوحل ويتعذر السير فيها ٠ ‹٤›

وتناولت الرحلة أيضاً وصف قطر آخر من بلاد الترك وهي باشغرد ‹٥› فقال بأنهم شر الأتراك وأقذرهم وأشدهم إقداماً على القتل مما يستوجب الحذر منهم كما تميزوا بأكلهم للقمل وأما الهتهم فمتعددة منها الحيات والأسماك

---

١ ـ كان رئيس البعثة سوسن الرسى مولى نذير الحرمي بالإضافة إلى أعضاء أخرين منهم تكين التركي ويبدو من أسمه أنه كان دليلهم في أرض الترك لمعرفته باللسان التركي ومعهم أيضاً بارس الصقلاب ويبدو أن أصله من بلاد الصقالبة أما من أوصل رسالة ملك الصقالبة إلى المقتدر بالله فهو عبدالله ابن باشتو الخزرجي ٠ أنظر ابن فضلان : رحلة ابن فضلان ، ص ٦٧ ـ ٦٨ ، ٨٢ ٠

٢ ـ (جيحون) أصل الأسم بالفارسية هرون وهو اسم وادى خرسان الواقع في وسط مدينة جيهان فنسب إليها وقيل جيجون وينبع من ريوساران جبل بناحية السند والهند وكابل ٠ أنظر ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج٢ ، ص ١٩٦ ـ ١٩٧ ٠

٣ ـ ابن فضلان : رحلة ابن فضلان ، ص ٨٣ ـ ٨٥ ٠

٤ ـ المصدر السابق ، ص ٨٣ ـ ٨٥ ٠

٥ ـ (باشغرد) تنطق بالغين والقاف وهي بين القسطنطينية وبلغار وقد ذكر رجل من أهلها لياقوت عندما سأله عن المسافة بين بغداد وبينها قال من هنا إلى القسطنطينية شهرين ونصف ومن القسطنطينية نحو ذلك وهم يعبدون الهه شتى ٠ أنظر ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج١ ، ص ٣٢٢ ـ ٣٢٣ ٠

والكراكى <١> وقد استغرب ابن فضلان من عبادتهم له فلما استفسر عن ذلك قيل أن هذا الطائر كان سبباً في إنتصارهم ضد أعدائهم في إحدى المعارك مما جعله موضع التقدير والعبادة لديهم .

وحرص ابن فضلان في رحلته هذه على تدوين كل مامر به وخاصة إستقبال البعثة العباسية والنواب المكفلين بذلك في حين قام ملك الصقالبة بلقائهم خارج المدينة على بعد فرسخين <٢> منها . <٣>

وقد نقل إلينا ابن فضلان صورة لما كان عليه مجلس ملك الصقالبة حيث كان الملك يتصدر المجلس وإلى جواره زوجته ثم الملوك والأمراء عن يمينه وأولاده بين يديه . وعندما حانت ساعة الطعام خصت مائدة لكل شخص أحتوت على اللحم المشوى أما شرابهم عقب الأكل فهو العسل . ومن عادة حضور مجلس الملك خلع قلنسواتهم من فوق رؤوسهم ، كما أمتدت هذه العادة إلى العامة أيضاً عند مشاهدتهم له .

وقد أسهم ابن فضلان في حث أهل تلك المناطق على تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية وتمثل ذلك في محاولته القضاء على عادة اختلاط العامة من رجال ونساء عند الإستحمام في الأنهار ، كما نهى عن إقامة الدعوة على المنابر للملك بقولهم " **اللهم أصلح الملك بلطوار ملك البلغار** " إذ الملك هو الله ولايجوز الدعوة به لأحد على المنابر فانصاع حاكم البلغار لذلك وأطلق على نفسه أسم جعفر تيمناً باسم الخليفة العباسي المقتدر بالله . <٤>

---

١ ـ (الكركي) نوع من الطيور والجمع كراكي . أنظر ابن منظور : لسان العرب ، ج١٠ ، ص ٤٨١ .

٢ ـ (الفرسخ) : يساوى ثلاثة أميال = ١٨٤٠ متر والميل ٦١٥ متر . أنظر أحمد رمضان أحمد : الرحلة والرحالة المسلمين ، ص ٦٠ ـ ٦١ ، هامش ١ .

٣ ـ ابن فضلان : رحلة ابن فضلان ، ص ١٠٨ ـ ١٠٩ ، ١١٢ .

٤ ـ المصدر السابق ، ص ١١٥ ـ ١١٨ ، ١٣١ ، ١٣٤ .

ويدل تسمي ملك البلغار بجعفر تقليداً لأسم الخليفة المقتدر بالله على نظرة الإكبار والإجلال للخليفة العباسي وتأكيداً على أعتناقه الإسلام عن اقتناع وفهم لكل ما يتعلق به ومما يدل على ذلك ما رواه ابن فضلان عن لسان ملك الصقالبة عند سؤاله عن سبب طلباته من الخليفة العباسي مع ما عليه مملكته من الإتساع وكثرة الأموال فقال " **رأيت دولة الإسلام مقبلة وأموالهم يؤخذ من حلها فالتمست ذلك لهذه العله ولو إني نويت أن أبني حصناً من أموالي من فضه أو ذهب لما تعذر ذلك علي وإنما تبركت بمال أمير المؤمنين فسألته ذلك** " <١> ومن مميزات الحياة الإجتماعية في بلاد البلغار عدم وجود ظاهرة الزنى أو السرقة ففاعلها عقابه الموت <٢> . أما عاداتهم في الزواج فالمشهور عندهم هو خروج البنات الابكار حاسرات الرأس ومن كانت له رغبة في إحداهن القي على رأسها خماراً ولايمنع منها ، وقد يتزوج الشخص الواحد أكثر من عشرين إمرأة . <٣>

وقد حفلت الرحلة بوصف دقيق لمظاهر الدفن ومنها مراسيم دفن زعيم روسي ، وعلى ضوء ذلك أستطاع أحد رسامي القرن التاسع عشر رسم صورة حية لتلك المظاهر إعتماداً على وصف ابن فضلان <٤> كما تطرق أيضاً للناحية الإقتصادية هناك وقال إن قوام تجارتهم جلد السمور <٥> وإن لديهم الكثير منه وهو يعيش في النهر . كما أشتهرت بلادهم بكثرة نوع معين من الزواحف وهو الحيات . <٦>

---

١ ــ ابن فضلان : رحلة ابن فضلان ، ص ١٤٦ .

٢ ــ المصدر السابق ، ص ١٥٥ .

٣ ــ القزويني : أثار البلاد وأخبار العباد ، ص ٦١٦ .

٤ ــ ابن فضلان: رحلة ابن فضلان ، ص١٥٧ ــ ١٦٣ ؛ أحمد رمضان أحمد : الرحلة والرحالة المسلمون ، ص ٤٦ ــ ٤٧ ؛ زكي محمد حسن : الرحالة المسلمون في العصور الوسطي ، ص ٣٠ ــ ٣١ .

٥ ــ (السمور) دابه معروفة تصنع من جلودها فراء غالي الثمن وهو حيوان يكثر في بلاد الروس وراء الترك يشبه النمس ومنه أسود لامع وأشقر . أنظر ابن منظور : لسان العرب ، ج٤ ، ص٣٨٠ .

٦ ــ ابن فضلان : رحلة ابن فضلان ، ص ١٢٧ ؛ القزويني : أثار البلاد وأخبار العباد ، ص ٦١٦ ؛ ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج١ ، ص ٤٨٨ .

وتميزت بلاد البلغار بكثرة الصواعق فأدت لوجود بعض الخرافات تتمثل في أنه إذا وقعت صاعقة على منزل أحدهم تركوا المنزل ولم يقربوا منه حتى يتلف مع الزمن ويعللون ذلك بأنه موضع مغضوب عليه ٠ ‹١›

إن رحلة ابن فضلان كانت تسجيلاً حياً لما كان عليه أهل تلك المملكة في جميع نواحي حياتهم الإجتماعية والسياسية والإقتصادية والدينية وهي بذلك وصفٌ متكاملاً ولم يعتمد فيه على الذاكرة ٠

بالإضافة إلى أن أسلوبه في الوصف مترابطٌ سهلٌ مفهومٌ ويمكن أن يعد من النثر العلمي ٠ ويمكن أن يقال عنها أيضاً رسالة رائدة في أدب الرحلات ‹٢› ٠ وهي بهذا تقرب من خصائص كتابات الرحالة المغاربة والأندلسيين في نواحٍ كثيرة ٠

وهناك نوع آخر من الرحلات كان الدافع لها شخصي وهو حب الترحال مثل رحلة ابن وهب القرشي ٠

رحلة ابن وهب القرشي إلى الصين :

كل مانعرفه عن إبن وهب القرشي أنه من أصحاب الجاه والثروة من ولد هبار بن الأسود ‹٣› وكان خروجه إلى الصين في أيام ثورة صاحب الزنج ‹٤› بالبصرة ٠

---

١ ـ ابن فضلان : رحلة ابن فضلان ، ص ١٢٧ ، ١٣٢ ٠

٢ ـ على محسن عيسى مال الله : أدب الرحلة عند العرب في المشرق ، ص ١٠٧ ٠

٣ ـ هبار بن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبدالعزي بن قصى القرشي أسلم بعد الفتح وحسن إسلامه وصحب النبى ﷺ ٠ أنظر ابن الأثير : أسد الغابة ، ج٤ ، ص ٦٠٨ ٠

٤ ـ يدعى صاحب الزنج انه على بن محمد بن أحمد بن عيسى بن زيد بن على بن الحسين بن على بن أبي طالب وهو نسب غير صحيح أستمال قلوب العبيد من الزنج بالبصره ونواحيها فأجتمع إليه منهم خلق كثير وعظم شأنه فعاث فساداً بالبلاد العراقية والبحرين وهجر ودامت الحرب بينه وبين الدولة العباسية سنين كثيرة إلى أن تغلب عليه الجيش العباسي حيث أبيد جيش صاحب الزنج وقتل وحمل رأسه إلى بغداد ٠ أنظر ابن الطقطقا : الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية ، ص ٢٥٠ ـ ٢٥١ ٠

ومما ورد في فحوى رحلة ابن وهب القرشي إلى الصين وجود المسلمين بها وحسن معاملتهم وسعة علم ملك الصين بأحوال الممالك والبلدان الأخرى في ذلك الوقت . وقد وصلت إلينا رحلة ابن وهب القرشي عن طريق قصاص هو أبوزيد حسن ويظهر أنه كان مغرماً بجمع القصص والحكايات الغريبه من المسافرين فإبن وهب لم يدون رحلته وإنما حفظت لنا برواية أبي زيد حسن التى رواها عنه المسعودى (١) . وقد ذكر المسعودى إتصال ابن وهب بملك الصين وانعامه عليه ورؤيته لصور الأنبياء السابقين وخاصة " **صورة نبينا محمد ﷺ على جمل وأصحابه محدقون به في أرجلهم نعال عربية من جلود الأبل وفي أوساطهم الحبال قد علقوا فيها المساويك** " . (٢)

والواقع أن هذا الأمر غير مقبول من الناحية العلمية ويمكن تعليل ذلك بأن تكون هذه الرقاع مكتوب عليها صفات الأنبياء وصفة أقوامهم ولمن أرسلوا فزيدت عليها بعض الروايات خاصة وأن صاحب الرحلة لم يدون رحلته .

كما نجد أن الأمر كان موضع شك لدى المسعودى نفسه فقد ذكر في بداية كلامه عن مشاهدة ابن وهب لصور الأنبياء بقوله " **ويزعم هذا القرشي** " ولكن لا يمنع هذا من أن رحلة ابن وهب ذات أهمية من وصف الصين وليس أدل على ذلك من نقل المسعودى عنه في معرض كلامه عن وصف الصين وخاصة مدينة خانقوا .

---

١ ـ المسعودي : مروج الذهب ، ج١ ، ص١٤٢ ـ ١٤٥ ؛ أحمد رمضان أحمد : الرحلة والرحالة المسلمون ، ص ٤٢ ـ ٤٣ ؛ على محسن عيسى مال الله : أدب الرحلة عند العرب في المشرق ، ص ٥٠ ؛ زكي محمد حسن : الرحالة المسلمون في العصور الوسطى ، ص ١٩ ـ ٢٠ .

٢ ـ المسعودى : مروج الذهب ، ج١ ، ص ١٤٤ .

ومن الملاحظ أن الدينورى أشار إلى أحداث القصة السابقة ونسبها إلى عبادة ابن الصامت <١> وأنها وقعت في القسطنطينية ٠ <٢>

فهذه القصة اختلفت تفاصيلها ورواياتها وأماكن حدوثها فقصة عبادة وهي الأقدام حدثت في القسطنطينية أما قصة ابن وهب وهي الأحدث حدثت في الصين مما يضعنا في شك من حدوث هذه الواقعة المتعلقة برواية صور الأنبياء أماما عداها فلانستبعد حدوثها خاصة وأنها قد شملت وصفاً للصين وأهله وهذا يدفعنا إلى القول أن روايات الرحالة الأوائل تقترن غالباً بالأساطير والخيالات التي لاترقي إلى درجة اليقين ٠

وعلى كل فعبادة بن الصامت لم يحدث ان ذهب إلى القسطنطينية لأن هرقل لم يكن موجوداً أنذاك بها بل كان يقيم بسوريا ولم يرحل عنها إلا بعد فتح قنسرين وذلك في سنة ١٥هـ / ٦٣٦م أو ١٦هـ / ٦٣٧م في خلافة عمر بن الخطاب حيث غادرها وقال مقولته المشهورة " **السلام عليك ياسوريه سلام لا إجتماع بعده** " <٣> وأبوبكر كما هو معروف توفي قبل ذلك ٠

ومن الرحلات التى أنطلقت من غرب العالم الإسلامي ومن أفريقيا خاصة رحلة سلطان مملكة مالى السلطان محمد بن قو وقد أخذت رحلته طابعها الشخصي من السلطان نفسه للإستكشاف والإتجاه غرباً في المحيط الأطلسي إلا أنها تظل من الرحلات المجهولة لأن روادها لم يعودوا وبهذا انقطعت أخبارهم وربما هلكوا أثناء رحلتهم ٠

---

١ ـ عبادة بن الصامت بن قيس بن أصرم بن فهر بن ثعلبة بن قوقل وأسمه غنم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج الأنصاري الخزرجي شهد العقبة الأولى والثانية وبدراً واحداً والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ استعمله رسول الله ﷺ على بعض الصدقات وجمع القرآن في زمن النبي ﷺ وكان يعلم أهل الصفه القرآن وأرسله عمر بن الخطاب بعد فتح الشام لتعليم الناس القرآن وتفقيههم الدين وهو أول من ولى قضاء فلسطين توفي سنة ٣٤هـ / ٦٥٤م ٠ بالرمله وقيل في بيت المقدس وهو ابن اثنين وسبعين سنه ٠ أنظر ابن الأثير : أسد الغابة ، ج٣ ، ص ٥٦ ـ ٥٧ ٠

٢ ـ الدينوري : الأخبار الطوال ، ص ١٨ ـ ١٩ ٠

٣ ـ ابن الأثير : الكامل ، ج٢ ، ص ٣٤٣ ـ ٣٤٤ ٠

رحلة سلطان مالي محمد بن قو:

حدث اثناء حكم السلطان الناصر محمد بن قلاوون <١> سنة ٧٢٤هـ / ١٣٢٣م لمصر أن زارها سلطان مملكة مالي <٢> منساموسي <٣> في طريقه إلى الحجاز لأداء فريضة الحج . وقد أفاض القلقشندي في ذكر أخبار مملكة مالي وما بها من خيرات أعتماداً على ما ذكره السلطان منساموسي ومن جملة ما ذكره هذا السلطان كيفية إنتقال الملك إليه فأشار إلى رحلة لم تعرف تفاصيلها وما حدث لروادها لأنهم فقدوا ولم يعودوا ثانية إلى وطنهم وبالتالي ظلت أخبار رحلتهم مجهولة بالنسبة لنا ولكن مجيء هذا السلطان وسؤاله عن كيفية

---

١ ـ محمد بن قلاوون بن عبدالله الصالحي أبوالفتح من كبار ملوك الدولة القلاوونية له آثار عمرانية ضخمة وتاريخ حافل بجلائل الأعمال ولد سنة ٦٨٤هـ / ١٢٨٥م . ولي السلطة وهو صبي سنة ٦٩٣هـ / ١٢٩٣م وخلع سنة ٦٩٤هـ / ١٢٩٤م وأعيد إلى السلطنة سنة ٦٩٨هـ / ١٢٩٨م وكان كالمحجور عليه قرابة عشرين سنة وكان يدبر أمر السلطنة الأستادار الأمير بيبرس الجاشنكير ونائب السلطة الأمير سلار عزم على الحج وعرج على الكرنك فأعلن الأقامة فيها وترك السلطنة فنودي بالأمير بيبرس سلطاناً ولقب بالمظفر سنة ٧٠٨هـ / ١٣٠٨م ولكن الناصر لم يلبث أن وثب على دمشق بعد ذلك بسنه . ودخل مصر واستعاد السلطنة وقتل بيبرس سنة ٧٠٩هـ / ١٣٠٩م وأستمر في الحكم ٣٢سنة وشهرين و٢٥ يوماً وتوفي بالقاهرة سنة ٧٤١هـ / ١٣٤٠م . أنظر ابن دقماق : الجوهر الثمين ، ج٢ ، ص ١١٤ ـ ١١٧ ؛ الزركلي : الأعلام ، ج٧ ، ص ١١ .

٢ ـ (مملكة مالي) بفتح الميم المعروفة عند العامة ببلاد التكرور وهي جنوب المغرب متصلة بالبحر المحيط يحدها من الغرب البحر المحيط ومن الشرق بلاد البرنو وفي الشمال جبال البربر وفي الجنوب الهمج أهلها طوال في غاية السواد مجمدي الشعر وهي مملكة مربعه طولها أربعة أشهر أو أزيد وعرضها مثل ذلك وجميعها مسكونة إلا ماقل وهي من أعظم ممالك السودان المسلمين وتشمل خمس أقاليم كل أقليم مملكة بذاتها وهي مالي وصوصو وبلاد غانه وبلاد كوكو وبلاد تكرور وأكبرها مالي وقد دخل ملوك مالي في الإسلام منذ القدم . أنظر إبن خلدون : العبر ، ج ١ ؛ القلقشندي : صبح الأعشي في صناعة الأنشا ، ج٥ ، ص ٢٧١ ـ ٢٨١ .

٣ ـ منساموسي بن أبي بكر كان رجلاً صالحاً وملكاً عظيماً له أخبار في العدل تؤثر عنه عظمت المملكة في أيامه إلى الغاية وافتتح الكثير من البلاد . أنظر المصدر السابق والجزء ، ص ٢٨٣ .

إنتقال الملك إليه جعلنا نعرف القليل من المعلومات عن هذه الرحلة وهي كما ذكرها السلطان منسا موسي "**إن الذى قبلي كان يظن أن البحر المحيط له غاية تدرك فجهز مائتين سفينة وشحنها بالرجال والازواد التى تكفيهم سنين وأمر من فيها أن لا يرجعوا حتى يبلغوا نهايته أو تنفذ أزوادهم فغابوا مدة طويلة ثم عاد منهم سفينة واحدة وحضر مقدمها فسأله عن أمرهم فقال سارت السفن زماناً طويلاً حتى عرض لها في البحر في وسط اللجة وادٍ له جريه عظيمة فابتلع تلك المراكب وكنت آخر القوم فرجعت بسفينتي فلم يصدقه فجهز الفي سفينة الفاً للرجال والفاً للأزواد وآستخلفني وسافر بنفسه ليعلم حقيقة ذلك فكان آخر العهد به ويمن معه**" ٠ <١>

فهذا السلطان أثر الترحال والتنقل مضحياً بسلطانه في سبيل الإستكشاف ٠ ويرى أهل المغرب أن الإبحار غرباً مخاطرة غير محمودة العواقب حيث ساد الإعتقاد أن الساحل الغربي للمغرب والأندلس هو نهاية الأرض المعمورة ويدلل على ذلك ما أشار إليه سلطان مملكة مالى منسا موسي في قوله " **إن الذى قبلي كان يظن أن البحر المحيط له غاية تدرك** " ويفهم مما سبق عدم إقتناعه بإعتقادات السلطان السابق ٠

ونلاحظ أنه من بين المؤيدين لهذه الفكرة المؤرخ المسعودي إذ أشار إليها في كتابه مروج الذهب أما تفاصيل ذلك فقد أوردها في كتابة أخبار الزمان ولكن لم يصلنا ، وقد وصف المسعودي القائمين بتلك الرحلات في البحر المحيط قائلاً " **من غرر وخاطر بنفسه في ركوبه** " ٠ <٢>

وعقب المسعودى بعد هذا بإضافات مقتضبة مفادها هلاك بعض الرحالة فيه وبنجاة آخرين أستطاعوا وصف ما شاهدوه ومنهم :

---

١ ــ ابن خلدون : العبر ، ج٦ ، ص ٢٠٠ ، ٥ ، ص ٤٣٤ ؛ القلقشندي : صبح الأعشى ، ج٥ ، ص ٢٨٣ ٠

٢ ــ المسعودي : مروج الذهب ، ج١ ، ص ١١٩ ٠

رحلة خشخاش في البحر المحيط :

ذكر المسعودى " **إن رجلاً من أهل الأندلس يدعى خشخاش من فتيان قرطبة وأحداثها جمع جماعة من أحداثها وركب بهم مراكب إستعدها في هذا البحر فغاب فيه مدة ثم أنثنى بغنائم واسعة وقال إن خبره مشهور عند أهل الأندلس** " . ‹١›

ولم يتم تدوين هذه الرحلة إنما إنتشرت شفوياً بين أهل الأندلس ودونت فيما بعد في كتب الجغرافيين المسلمين لذا لانعرف عنها الشيء الكثير سوى ما أورده هؤلاء الجغرافيون . وممن ذهب في البحر المحيط وعاد ليقص علينا مشاهداته الفتية المغرورين أو المغررين وأغلب الظن تسميتهم بالمغرورين أو المغررين نسبة للإعتقاد السائد في ذلك الوقت فيمن يبحر في البحر المحيط بأنه يغرر بنفسه إذ لاتوجد أرض بعد البحر المحيط فسموا المغررين أو المغرورين لتغريرهم بأنفسهم .

وقد ذكر كراتشكوفسكي رأي METZ متز في أنه يجب قراءة إسمهم بالمغربين أى الضاربين غرباً وقد رفض كراتشكوفسكى هذا الرأى لوروده في الكتب السابقة بلفظ المغررين أو المغرورين . ‹٢›

وهذا مما يدعم القول في أن الأسم إنما أطلق عليهم بسبب أعتقادهم بوجود الأرض عقب البحر المحيط وقد لاقت هذه القصة إنتشاراً واسعاً وحمل أحد طرق لشبونه ‹٣› إسم درب المغررين ‹٤› . تأكيداً لشهرتها .

---

١ ـ المسعودي : مروج الذهب ، ج١ ، ص ١١٩ ؛ الحميري : الروض المعطار ، ص ٥٠٩ .

٢ ـ كراتشكوفسكي : تاريخ الأدب الجغرافي العربي ، ج١ ، ص ١٣٧ .

٣ ـ (اشبونه أو لشبونه) بالأندلس مدينة قديمة بغربي باجه على ساحل المحيط الأطلسى وهى عاصمة البرتغال الآن وكان أسمها قديماً قوديه . أنظر الحميري : الروض المعطار ، ص ٦١ .

٤ ـ المصدر السابق والصفحة ؛ زكي محمد حسن : الرحالة المسلمون في العصور الوسطي ، ص ٤٧ .

وتقودنا الرحلة إلى القول بأنه على الرغم من الإعتقاد السائد من أن البحر المحيط لا أرض بعده وبالرغم من تسميته ببحر الظلمات تحذيراً من الإبحار فيه إلاأن الرغبة في الكشف عن المجهول كانت أقوى لدى بعض الأفراد فقامت بعض المحاولات في سبيل ذلك فمن هذه الرحلات ما وصلنا معلومات عنها ومنها مالم يصلنا <١> . مما يقودنا إلى الإفتراض أنه ربما عن طريقه وصل المسلمون إلى أمريكا وعرفوها قبل كولومبس ولكن نظراً لعدم وجود إثباتات تدعم هذا الإفتراض اللهم إلا أخباراً شفويه متواتره بين الناس <٢> تناقلها الجغرافيون المسلمون وربما خالطها الكثير من الأساطير .

وما يهمنا هنا رحلة الفتية المغررين وإبحارهم في البحر المحيط وعودتهم ، ومع عدم تدوينهم للرحلة إلا أنه وصلتنا أخبارها .

رحلة الفتية المغررين أو المغرورين :

ومجمل رحلتهم إنهم ثمانية رجال كلهم أبناء عم خرجوا من مدينة لشبونه وابحروا في بحر الظلمات غايتهم التعرف على ما فيه وإلى اين منتهاه ، فأنتظروا موسم هبوب الريح وتزودوا بمؤن تكفيهم أشهراً وساروا غرباً في خط مستقيم نحو أحد عشر يوماً لم يكن في مقدورهم السير في هذا الطريق لكثرة الصخور وإرتفاع الأمواج وعدم نقاء الهواء فاتجهوا جنوباً خوفاً على أنفسهم وقد ذكر شكيب أرسلان أنهم لو أستطاعوا مواصلة ذلك الطريق لأصبح في إمكانهم الوصول إلى ساحل أمريكا الشمالية . <٣>

وإستمروا في الإبحار جنوباً إثنى عشر يوماً فوصلوا إلى ساحل جزيرة أطلقوا عليها اسم جزيرة الغنم لكثرتها هناك والتى تميزت بمرارة لحومها .

---

١ ــ كراتشكوفسكي : تاريخ الأدب الجغرافي العربي ، ج١ ، ص ١٣٦ .

٢ ــ شكيب أرسلان : الحلل السندسية ، ج١ ، ص ٩٣ .

٣ ــ المصدر السابق ، ج١ ، ص ٩٤ .

وقد ذهب بعض العلماء الأوروبين إلى أنها إحدى جزر أزور والتى ينبت بها نوع من الأعشاب تقتات به الماعز أدى إلى مرارة لحومها <١> ٠ بينما ذكر كراتشكوفسكي إنها إحدى جزر الأنطيل أو ما ديره ٠ <٢>

وتزود الرحالة بجلود الأغنام من هذه الجزيرة وغادروها متجهين ناحية الجنوب مع الإنحراف قليلاً جهة الشرق وأستمروا في الإبحار إثنى عشر يوماً فلاحت لهم جزيرة آهله فاتجهوا إليها وعند إقترابهم منها أحاطت بهم زوارق سكانها وحملوهم في مراكبهم أسرى إلى المدينة وظلوا كذلك لمدة ثلاثة أيام ٠ وفي اليوم الرابع قدم عليهم ترجمان الملك فسألهم عن سبب قدومهم الجزيرة ووجهتهم وعقب سماعه إجاباتهم وعدهم خيراً ، وفي اليوم التالي ساروا للقاء حاكم الجزيرة فأعاد عليهم السؤال فأجابوه بمثل ما أجابوا الترجمان فضحك وأخبرهم أن أباه قد بعث برجال لمعرفة نهاية المحيط فلم يصلوا إلى نتيجة حاسمة حيث أستمروا مبحرين لمدة شهر حتى أنقطع الضوء عنهم فعادوا من غير فائدة ٠

ظل الفتية في حجزهم إلى أن هبت الريح الغربية وعند ذلك أمر الملك بوضعهم في قارب بعد أن عصبت أعينهم وأبحروا بهم مدة ثلاثة أيام إلى أن وصلوا البر فأخرجوهم واوثقوهم وتركوهم وعادوا إلى جزيرتهم ٠ وبينما هم على ذلك الحال سمعوا أصواتاً وضوضاء فقاموا بالإستغاثة لإطلاق سراحهم وكان مصدر ذلك الصوت بعض البربر الذين سارعوا بحل وثاقهم وسألوهم عن خبرهم فلما أخبروهم بقصتهم قالوا لهم " **أتعلمون كم بينكم وبين بلدكم مسيرة شهرين** " فقال زعيم الفتية وأأسفى فسمى المكان إلى اليوم أسفى وهو أحد مراسى المغرب الأقصى ٠ <٣>

---

١ ـ زكي محمد حسن : الرحالة المسلمون في العصور الوسطي ، ص ٥٠ ٠

٢ ـ شكيب أرسلان : الحلل السندسية ، ج١ ، ص ٩٤ ؛ كراتشكوفسكي :تاريخ الأدب الجغرافي العربي ، ج١ ، ص ١٢٧ ٠

٣ ـ الحميري : الروض المعطار ، ص ٦١ ؛ شكيب أرسلان : الحلل السندسية ، ج١ ، ص ٩٢ ـ ٩٨ ؛ زكي محمد حسن : الرحالة المسلمون ، ص ٤٩ ٠

وقد قيل إن الجزيرة التى بلغها الفتية هي إحدى الجزر الخالدات أو أزور <١> أو إحدى جزر كناري <٢> . والواقع إن المعلومات الواردة عن هذه الرحلة لا نستطيع القطع بصحتها حيث أنها لم تدون بل تناقلتها الألسن وستظل إحتمالاً حتى نعثر على ما يؤكده . وأغلب الظن أنها حدثت في القرن الرابع الهجري . <٣>

ومن الملاحظ أن أهل الجزيرة التى وصلها الفتية على علم بالطريق إلى بلاد المغرب بدليل إعادتهم إليه بالإضافة إلى إلمامهم باللغة العربية . وبالرغم أن رحلات المسلمين في المغرب والأندلس أتجهت إلى البحر المحيط لإكتشافه إلا أنه لم تتوفر لدينا المعلومات الكافية عن تلك الرحلات وربما لو وصلنا كتاب المسعودى أخبار الزمان لأصبح من السهل علينا معرفة بعض تلك الرحلات .

وعلى العكس من ذلك نجد الرحالة المشارقة على علم بالبلدان الواقعة إلى الشرق منذ وقت مبكر <٤> . بالإضافة إلى أن هذه الرحلات كانت للتجارة أو السياحة أو مبعوثين من قبل الدولة الإسلامية إلى حكامها .

لقد كانت لأهل المغرب والأندلس رحلات هامة إلى جانب ما سبق أسهمت في إضافة معلومات جغرافية وإقتصادية وإجتماعية ودينية وثقافية عن الأماكن التى ساروا إليها ومثال ذلك رحلة يحي بن الحكم إلى القسطنطينية .

---

١ ـ شكيب أرسلان : الحلل السندسية ، ج١ ، ص ٩٤ ؛ زكي محمد حسن : الرحالة المسلمون ، ص ٥٠ .

٢ ـ كراتشكوفسكي : تاريخ الأدب ، ج١ ، ص ١٣٧ .

٣ ـ زكي محمد حسن : الرحالة المسلمون ، ص ٤٩ .

٤ ـ الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج٨ ، ص ١٠٠ ـ ١٠١ .

رحلة يحي بن الحكم البكري :

يحي بن الحكم البكري الجياني الملقب بالغزال لجماله من بني بكر بن وائل <١> كان شاعراً مطبوع النظم في الحكم والجد والهزل جليلاً في نفسه وعلمه وله منزلة كبيرة عند أمراء الأندلس . <٢>

وقد عمر الغزال طويلاً حيث أنه عاصر خمسة من أمراء الأندلس وكانت ولادته في سنة ١٥٦هـ / ٧٧٢م في إمارة عبدالرحمن بن معاوية <٣> وتوفي في إمارة محمد بن عبدالرحمن <٤> وهو ابن أربع وتسعين سنه . <٥>

---

١ ـ المقري : نفح الطيب ، ج٢ ، ص ٢٥٤ .

٢ ـ الضبي : بغية الملتمس ، ص ٥٠٠ .

٣ ـ عبدالرحمن بن معاوية بن هشام بن عبدالملك بن مروان الملقب بصقر قريش ويعرف بالداخل مؤسس الدولة الأموية بالأندلس ولد سنة ١١٣هـ / ٧٣١م وتوفي سنة ١٧٢هـ / ٧٨٨م بقرطبة كان حازماً سريع النهضة في طلب الخارجين عليه لايخلد إلى راحة ولايكل الأمور لغيره ولاينفرد برأيه شجاعاً مقداماً شديد الحذر سخياً لسناً شاعراً عالماً بنى الرصافه بقرطبه تشبهاً بجده هشام باني رصافه الشام . أنظر الضبي : بغيه الملتمس ، ص ١٢ ـ ١٣ ؛ الزركلي : الأعلام ، ج٣ ، ص ٣٣٨ .

٤ ـ محمد بن عبدالرحمن بن الحكم بن هشام الأموى أبوعبدالله من ملوك الدولة الأموية في الأندلس مولده بقرطبه سنة ٢٠٧هـ / ٨٢٢م توفي بقرطبه سنة ٢٧٣هـ / ٨٨٦م تولى بعد وفاة أبيه سنة ٢٣٨هـ / ٨٥٢م كان كثير الاحسان للرعية عاقلاً عادلاً أحبه أهل البلدان المستقلة في عصره حتى كانوا لايقطعون أمراً دون الأخذ برأيه مثل بنو مدرار بسجلماسه كان كثير المغازى والغزوات على الفرنج كان أيمن الخلفاء بالأندلس ملكاً وأسراهم نفساً وأكرمهم تثبتاً وأناة يجمع إلى هذه الخلال الشريفة البلاغة والأدب خلف اثنين وخمسين ولداً كان له وزير اسمه هاشم بن عبدالعزيز أساء السيرة فضاعت هيبة الدولة في أواخر أيامه . أنظرالضبي : بغية الملتمس ، ص ١٥ ؛ الزركلي : الأعلام ، ج٦ ، ص ١٨٩ .

٥ ـ الضبي : بغية الملتمس ، ص ٥٠١ .

خرج الغزال إلى المشرق قاصداً القسطنطينية على رأس بعثة من قبل الأمير عبدالرحمن بن الحكم <١> وقد أورد المقرى سبب الرحلة أن ملك القسطنطينية توفلس بعث إلى الأمير عبدالرحمن سنة ٢٢٥هـ / ٨٤٠م بهدية طالباً مودته ويرغبه في ملك سلفه بالمشرق حفاظاً عليه من تحركات المأمون والمعتصم فكافأه الأمير عبدالرحمن على الهدية بهدية مماثلة وبعث إليه يحي الغزال من كبار أهل دولته وكان مشهوراً بالشعر والحكمة فأحسن أداء سفارته فأصبح لعبدالرحمن مكانة كبيرة لدى منازعيه من بني العباس دلالة على نجاح سفارة الغزال ٠

وكان عمر الغزال وقت رحلته إلى القسطنطينية قد شارف الخمسين من العمر <٢> ٠ وإختلفت المصادر القديمة فيما يتعلق بسفارة الغزال أكانت للقسطنطينية في المشرق أم إلى بلاد المجوس (ما يعرف بالدنمارك الآن) في الشمال ٠ <٣>

فمن المؤرخين من يرى أن رحلة الغزال موجهة إلى القسطنطينية برسالة لملك الروم <٤> ومنهم من أوردها إلى القسطنطينية

---

١ ـ عبدالرحمن بن الحكم بن هشام بن عبدالرحمن الأموى أبوالمطرف رابع ملوك بنى أمية في الأندلس ولد بطليطله سنة ١٧٦هـ / ٧٩٢م بويع بقرطبة بعد وفاة أبيه بيوم واحد سنة ٢٠٦هـ / ٨٢١م شيد القصور وبنى المساجد في الأندلس وأقام سور أشبيله وجلب الماء العذب إلى قرطبه أتخذ السكة بقرطبه وضرب الدراهم باسمه ونظم الجيش وأكثر من الأسلحة والعُدد احتجب قبل وفاته مدة ثلاث سنوات لعله أضعفت قواه وكانت أيامه أيام سكون وعافيه كثرة عنده الأموال كان عالي الهمة له غزوات كثيرة كان أديباً ناظماً للشعر مطلعاً على علوم الشريعة وبعض فنون الفلسفة مدة ولايته ٣١ سنه و٣ أشهر ووفاته بقرطبه سنة ٢٣٨هـ / ٨٥٢م ٠ أنظر الضبي : بغية الملتمس ، ص ١٤ ؛ الزركلي : الأعلام ، ج٣ ، ص ٣٠٥ ٠

٢ ـ المقري : نفح الطيب ، ج١ ، ص ٣٤٦ ، ج٢ ، ص ٢٥٧ ٠

٣ ـ عبدالرحمن حميده : أعلام الجغرافيين العرب ، ص ١٣٨ ؛ حكمه على الأوسي : يحي بن الحكم الغزال ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، ج٢١ ، سنة ١٣٩١هـ / ١٩٧١م ، العراق ٠

٤ ـ الحميدي : جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس ، ج٢ ، ص ٥٩٧ ؛ الضبي : بغية الملتمس ، ص ٥٠٠ ٠

وبلاد المجوس <١> ، ومنهم مـن نظر إليها بشك كبير <٢> ، في حين أيدها فريق آخـر <٣> ٠ وسـواء كـانت إلى القسطنطينيـة بالمشـرق أو إلى بلاد المجـوس في الشمال فقد قام الغزال فيها بتسجيل مشاهداته لكل ما يمر به ٠ وربما تكون له سفارتان بسبب إختلاف المصادر حولها ولكن أخبار سفارته إلى القسطنطينية واضحة المعالم ٠

أما الثانية فرواياتها مضطربة ومختلطة بأخبار سفارته الأولى ولعل السبب في ذلك ناتج من أن سفارته الثانية لبلاد المجوس هي جزء من السفارة الأولى إذا أخذنا في الإعتبار مروره ببلاد المجوس في طريقة إلى القسطنطينية <٤> .

وما يهمنا هنا أن المسلمين على إختلاف أجناسهم ومراتبهم شغفهم حب الترحال ، وليست كل رحلات الرحالة المسلمين معروفة أخبارها لدينا فما نعرفه أقل القليل وحتى هذا القليل داخله الكثير من الأساطير بالإضافة إلى أن هناك رحالة لانعلم من أمرهم شيئاً إما لانهم لم يدونوا رحلاتهم أو لأنهم لم يوفقوا فيها سواء في الذهاب أو الإياب ولم يعرف مصيرهم ومثال ذلك سلطان مالي محمد بن قو ٠

فهكذا نجد أنه سواء مسلمي المشرق أو مسلمي المغرب والأندلس قد كانت لهم رحلات إلى خارج أقطارهم منذ وقت مبكر وإن تنوعت أقطارها وجهاتها فبهذا تكون الرحلة ليست جديدة على المسلمين في مختلف أقطارهم وإن كانت بدايتها في كلا الجهتين للعلم ٠

---

١ ـ المقري : نفـح الطيـب ، ج١ ، ص ٣٤٦ ، ج٢ ، ص ٢٥٧ ؛ الحجـي : التاريـخ الأندلسي ، ص ٢٣٣ ـ ٢٣٤ ؛ محمد زيتون : المسلمون في المغرب والأندلس ، ص ٣٠٢ ٠

٢ ـ أحمد مختار العبادي : تاريـخ المغـرب والأندلـس ، ص ١٥٢ ـ ١٥٤ ؛ أحمد مختار العبـادي : في التاريخ العباسي والأندلس ، ص ٣٥٣ ـ ٣٥٤ ٠

٣ ـ حسين مؤنس : معالم تاريخ المغرب والأندلس ، ص ٢٩١ ـ ٢٩٢ ٠

٤ ـ احمد مختار العبادى : تاريـخ المغرب والأندلـس ، ص ١٥٢ ـ ١٥٤ ؛ احمد مختار العبادى : في التاريخ العباسي والأندلسي ، ص ٣٥٣ ـ ٣٥٤ .

الفصل الأول

فن الرحلة

عند المغاربة والأندلسيين

١ ـ أنواع الرحلات والبرامج .

٢ ـ خصائص الرحلات المغربية والأندلسية :

* خصائص عامة .

* خصائص خاصة .

٣ ـ أهمية الرحلات المغربية والأندلسية .

فن الرحلة عند المغاربة والأندلسيين

الرحلة فن من فنون الأدب العربي تخصص وبرع فيه الرحالة المسلمون وخاصة المغاربة والأندلسيون لكثرة دوافعهم في القيام بمثل هذه الرحلات ومن أهمها :

١ ـ أداء فريضة الحج وزيارة المدينة المنورة ٠

٢ ـ طلب العلم من منابعه الأصلية مكة المكرمة والمدينة المنورة ومن المراكز الأخرى في الدولة الإسلامية كبغداد ودمشق والقاهرة وغيرها والتى أصبحت محط أنظار طلبة العلم فسعوا للقاء العلماء فيها والإستفادة منهم ٠ ‹١›

وعلى ضوء ما سبق نستطيع القول بأن السببين السابقين كانا نقطة إنطلاق للرحلات المغربية والأندلسية والتى لم تحظ بعناية المؤرخين بالمعلومات عنها إلا أسماء بعضٍ ممن رحلوا إلى المشرق ومن أبرز هذه المؤلفات التى عنيت بذلك صاحب نفح الطيب إذ حفل بالعديد من التراجم والتى بلغت ثلاثمائة ترجمة في هذا الصدد ٠ ‹٢›

وهذا النوع من الرحلات شاع في المغرب والمشرق على السواء ولم تلبث الرحلات أن تأصلت في المغاربة والأندلسيين وأصبحت فناً قائماً بذاته من حيث تدوينه بأسلوب مميز في سفر يشمل تاريخ الخروج والوصول إلى كل مدينة مع إعطاء لمحة وافية عنها وقائمة بأسماء مراحل السفر ومراكز الماء إلى الحجاز كما يشمل وصفاً مفصلاً لمكة المكرمة والمدينة المنورة في جميع النواحي ومناسك الحج والعلماء المأخوذ عنهم وعقب أداء الفريضة يتابعون طريقهم إلى المراكز العلمية المعروفة لتلقي المزيد من العلم فيها مع إعطاء وصف شامل لها ٠

ومن خلال تتبع هذه الرحلات نجدها تسجيلاً حياً للمجتمع الإسلامي في تلك الفترة من كافة جوانبه ٠

---

١ ـ صالح محمد فياض أبودياك : التبادل الفكري بين المغرب والأندلس وشبه الجزيرة العربيه ، مجلة الداره ، العدد الثاني ، السنه ١٣ ، محرم ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٧م ، ص ٩٨ ـ ١٢٥ ٠

٢ ـ المقرى : نفح الطيب ، ج٢ ٠

أولاً : أنواع الرحلات والبرامج

كان الرحالة المغاربة والأندلسيين ينتهزون فرصة أدائهم فريضة الحج في التجول بين المراكز العلمية مثل الأسكندرية والقاهرة للقاء العلماء والأخذ عنهم وتسجيل أسماء مشايخهم وأسانيدهم ومروياتهم وما أخذوه عنهم من كتب وإجازات فمن هؤلاء الرحالة على سبيل المثال ابن رشيد .

فقد حرص ابن رشيد على لقاء العلماء والأخذ عنهم وقد سجل ذلك بأوضح صورة تكاد تنطق بما كانت عليه هاتان المدينتان من نشاط علمي خاصة في ميدان رواية الحديث وما يتعلق به .

زار ابن رشيد الأسكندرية والقاهرة في طريقه إلى بلاد الحجاز لأداء فريضة الحج سنة ٦٨٤هـ / ١٢٨٥م وتردد على المجالس العلمية لتلقي العلم إما قراءةً أو سماعاً ، وأجاز له عدد من العلماء وحرص ابن رشيد على الإشارة إلى أسماء المؤلفات المعول عليها في التعليم لتلك الفترة .

بالإضافة إلى ترجمته لعدد كبير من أهم العلماء المعروفين في البلدان التي زارها ‹١› . كانت هذه التراجم ذات أثر كبير في أضفاء الصبغة العلمية على رحلته ونتج عن تدوينه لرحلته ظهور سفر شامل للعديد من الجوانب التى تعكس الطابع الحضاري ونتائجه العلمية والفكرية التى كانت عليها الديار المصرية في آواخر القرن السابع الهجري .

بالإضافة إلى أنها من أوسع البرامج ‹٢› أو الفهارس العلمية لما أشتملت عليه من تراجم وافية وأسانيد مضبوطة وأسماء مؤلفات وكتب . ويمكننا أن نطلق على هذا النوع من الرحلات الرحلات العلمية وهي أحد نوعي الرحلات المغربيـــة

---

١ ـ ابن رشيد : ملء العيبة ، ج٢ ، ٣ ، ٥ .

٢ ـ البرنامج يقابل معنى الفهرسة فهو كتاب يجمع فيه الشيخ أسماء شيوخه وأسانيده من مروياته وقراءته على أشياخه والمصنفات ونحو ذلك فلفظ برنامج يستعمله أهل الأندلس كثيراً والبرنامج يرادف الفهرسة والمعجم والثبت والمشيخة . أنظر الكتاني : فهرس الفهارس ، ج١ ، ص ٦٧ ـ ٧١ .

والأندلسية والتى أتخذت أساساً للخروج للحج وأطلق عليه لفظ البرنامج والغالب فيها الجانب الثقافي إذ يكاد يخلو من الوصف الجغرافي والتطرق للأحوال السياسية والإقتصادية والإجتماعية التى أختصت بها الرحلات المغربية والأندلسية الأخرى ٠

ومن هنا فالبرنامج نوع من الرحلات قائم بذاته أنصب إهتمام مؤلفه على الجانب العلمي فقط ٠

وهناك رحالة مغاربة وأندلسيون أعتنوا بالجانب العلمي وكتبوا برامجهم التى دلت على مكانتهم العلمية في الدين وعلومه مثل ابن جابر الوادى آشي ٠

إذ أن برنامجه يغلب عليه الإكثار من جمع الأحاديث والرواية ولقاء العلماء فهو سجل علمي جُمع فيه الأدبيات وتراجم العلماء وأسماء كتب مشهورة في ذلك الوقت بعضها لم يُعرف إلا من خلال رحلته بسبب فقدها وضياعها ‹١› ٠ أو لعلها فقد في المشرق ووجدت بعد عدة قرون في طيات كتب هؤلاء الرحالة ٠ بالإضافة إلى عدم معرفة المشارقة أصلاً بأسماء مؤلفيها مثل الفاكهي وأبي على الهجري والهمداني فمثل هؤلاء الرحالة كان آسهامهم عظيماً في نشر الثقافة حيث أنهم حلقة الوصل بين المشرق والمغرب الإسلامي ٠ ‹٢›

تجول ابن جابر الوادى آشي في معظم المراكز الإسلامية المعروفة في ذلك الوقت والتى كانت منار إشعاعٍ للعلم والعلماء فأخذ الوادى آشي عن علماء في الأسكندرية والقاهرة وبيت المقدس والخليل ودمشق ومكة المكرمة والمدينة المنورة وعاد للتدريس بتونس وقد علا شأنه بفضل ما أخذه وجمعه في رحلته ولم يكتف بذلك بل رحل أيضاً إلى المغرب والأندلس حيث بلغ عدد شيوخه الذين أخذ عنهم تسعاً وسبعين ومائتي شيخاً وشيخه ‹٣› ٠ فتمتع بمكانة عظيمة وتمكن في سـنة

---

١ ـ ابن جابر الوادى آشي : البرنامج ، طبعة ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م ، ص ٦ ٠

٢ ـ أبو علي الهجرى : ابوعلي الهجري وأبحاثه في تحديد المواضع ، ص ١١ ـ ١٢ ؛ الدرعى : ملخص رحلتي ابن عبدالسلام المغربي ، ص ١٧ ٠

٣ ـ ابن جابر الوادى آشي : برنامج ابن جابر الوادى آشي ، طبعة ١٤٠١هـ/١٩٨١م ، ص ١٥ ٠

٧٤٨هـ / ١٣٤٧م من عقد المجالس العلمية فجمع فيها بين علماء تونس والمغرب والتى حفلت بالمناقشات والمناظرات العلمية ٠ <١>

ومن ضمن الرحالة المغاربة والأندلسيين الذين الفوا البرامج الرعيني :

فبرنامجه يخلو تماماً من الوصف الجغرافي إذ أورد فيه أسماء شيوخه وعدد من ذكرهم من المشارقه سبعة علماء ذكرهم بإقتضاب ، أما الباقين لم يرد عنهم شيئاً وسبب ذلك كما قال " **لا يعرف طرقهم ولاعمن أخذوا** " <٢> لسهوه لذا فرحلته علمية وهدفه أداء مناسك الحج وإن لم يعن بذكر ذلك ٠

نلاحظ أن رحلة البلوى والتى قام بها في سبيل العلم وأداء الفريضة قد شملت إلى جانب ذلك الوصف الجغرافي وكتبت بأسلوب أدبي جميل فأعتنى البلوى بوصف المدن التى مر بها وحلقات العلم الموجودة بالمساجد بالإضافة إلى وصف المساجد مع ذكر الدواوين الشعرية الذائعة في عصره وتراجم الأعلام الذين لقيهم في رحلته والقضايا الفكرية السائدة لتلك الفترة وإجازات لكتب حصل عليها ٠

ولكل ما سبق اشتملت رحلته على أسس ومقومات الرحلة المغربية والأندلسية ولا يمكننا القول إنها برنامج وتراجم لشيوخه فقط فهي مزيج من رحلة علمية ورحلة وصفية فكان الناتج نوع جديد من الرحلات يعد خليطاً من النوعين السابقين ٠

أما الرحالة ابن بطوطة فلم تكن رحلته رحلة علمية وإنما كان ابن بطوطة رحالة بالدرجة الأولى فسبب رحلته الأساسي الحج ومن ثم قام بالسفر والتجوال في أرجاء العالم مع إيراده لأسماء العلماء الذين لقيهم أجلالاً لقدرهم ٠

---

١ ـ ابن جابر الوادى آشي : برنامج ابن جابر الوادى آشي ، طبعة ١٤٠١هـ /١٩٨١م ، ص ١٥ ٠

٢ ـ الرعيني : برنامج شيوخ الرعيني ، ص ١٧٩ ٠

بينما نجد أن سبب خروج الرحالة ابن جبير الأساسي هو الحج مع حرصه الدائم على حضور المجالس العلمية المعقودة في المدن التى مر بها إلا أنه أغفل الحديث عن هذا الجانب وما كان يجرى فيها من مناظرات أو دروس مثلما حدث معه عندما كان في مدينة بغداد ٠ <١>

لذا لا يمكننا أن نطلق على رحلة ابن جبير لفظ رحلة علمية على الرغم من أن ابن جبير كان واضع الأسس والمقومات للرحلة وتأليفها وقد اقتفى نهجه الرحالة المغاربة الذين جاءوا من بعده ٠ أما الرحالة العبدرى فسبب رحلته الرئيسي الحج ولكنه سعى إلى لقاء العلماء والحصول على الإجازات منهم ٠

وأحتوت رحلة العبدرى على شيء من التفصيل والتوسع بخلاف الرحلات السابقة لإيراده لبعض القضايا وما قيل في مناقشتها من أراء ثم أتبع ذلك برأيه إستناداً على ما قيل في الكتب السابقة ٠

أما الرحالة التجيبي السبتي فبالرغم من نقصان رحلته إلا أنها مليئة بتراجم للعلماء الذين لقيهم وأجازوه والكتب التى حصل عليها مع ملاحظة أن رحلته هدفها أداء الفريضة وطلب العلم ٠

ومن هنا لانستطيع الفصل بين أسباب رحلات الرحالة المغاربه والأندلسيين وهي أداء الفريضة والسعي لطلب العلم ٠

أما النوع الثاني من الرحلات فهي الرحلات الوصفية :

فممن عُنى بالجانب الوصفي ابن جبير حيث إنه يأتي في المقام الأول بين الرحالة ويأتي البلوي والتجيبي السبتي وابن بطوطة والعبدري وابن رشيد وإن أنصب أهتمام ابن رشيد على الجانب الثقافي وبهذا يأتي وصفه مكملاً لمضمون رحلته ولكنه ليس الأساس ٠

---

١ ـ ابن جبير : الرحلة ، ص ١٩٥ ـ ٢٠٠ ٠

وتشمل الرحلات الوصفية على الجوانب التاريخية القديمة والمعاصرة للرحلة والنواحي الإقتصادية والإجتماعية السياسية وقد أشترك في هذه النواحي والتطرق لها جميع الرحالة ما عدا الرعيني وابن جابر الوادي آشي <١> · لأختصاصهم بكتابة البرامج وعلى الرغم من أن هذه الرحلات قد غلب عليها الجانب الوصفي إلا أنها إشتملت على الجانب الثقافي وهو ما إشترك فيه جميع الرحالة بدون إستثناء ·

فنجدهم يخرجون أساساً للحج وطلب العلم ومن ثم يأتي الوصف بجميع جوانبه وإن طغى جانب على جانب آخر أحياناً وهو ما نستطيع القول عنه إنه السمة المميزة لأحدهم دون الآخر في كتاباته ·

---

١ ـ أنظر الحديث عنها في الصفحات السابقة ·

ثانياً : خصائص الرحلات المغربية والأندلسية

إنفراد الرحالة المغاربة والأندلسيين في كتابة رحلاتهم بخصائص ميزتهم عن غيرهم من الرحالة المشارقه والتى أصبحت سمة بارزة من سمات أدب الرحلات المغربية والأندلسية ٠ كما إنفرد كل رحالة ببعض الخصائص في رحلته ويمكننا أن نقسم هذه الخصائص إلى خصائص عامة وخاصة ٠

* الخصائص العامة :

أ ـ التجربة والإختبار :

إعتمدت معلومات الرحالة المغاربة والأندلسيين والمدونة في رحلاتهم على التجربة والإختبار في أغلب الأحيان لا على الرواية والنقل فمثلاً ابن جبير قام بقياس طول وعرض المسجد الحرام ‹١› ٠ أما العبدري والتجيبي السبتي فأثبتا نفس القياس وارجعا نسبته إلى الأزرقي ‹٢› وكذلك ابن بطوطة ‹٣› وعلى الرغم من بقائه مدة طويلة بمكة المكرمة إلا أنه لم يشر إلى قياسه بنفسه ولعل الأمر يعود إلى طول غيابه عن وطنه وفقدان أوراقه التى دون فيها ملاحظاته ٠

ب ـ الرحلة للحج وطلب العلم :

تنوعت أسباب رحلات الرحالة إلى الشرق ما بين أداء الفريضة وطلب العلم وربما التجارة ‹٤› فإبن جبير كان أساس خروجه ورحلته إلى المشرق لأداء فريضة الحج ‹٥› وكذلك ابن بطوطه والرعيني وابن جابر الوادى آشي وإن كان الأخيرين لم يتطرقا لكيفية أدائهم الفريضة كما فعل غيرهم من الرحالة ٠

---

١ ـ ابن جبير : الرحلة ، ص ٦٧ ٠

٢ ـ العبدري : الرحلة المغربية ، ص ١٧٥ ؛ التجيبي السبتي : مستفاد الرحلة ، ص ٢٤٢ ٠

٣ ـ ابن بطوطه : الرحلة ، ص ١٣٢ ٠

٤ ـ مثل العبدري فقد أنتهز فرصة خروجه للمشرق للتجارة ٠ أنظر العبدري: الرحلة المغربية ، ص ١٨٨٠

٥ ـ المقري : نفح الطيب ، ج٢ ، ص ٣٨٥ ٠

وأيضاً التجيبي السبتي والبلوي وابن رشيد رحلوا لأداء الفريضة والعلم ولكنهم ساروا على أسس وخصائص الرحلة المغربية والأندلسية في تسجيل رحلاتهم ·

جـ ـ **الوصف الجغرافي والعمراني :**

إن الوصف الجغرافي هو القاسم المشترك لأغلب الرحالة المغاربة والأندلسيين فقد إختصت معظم كتاباتهم بالوصف الجغرافي لكل مكان وصلوا إليه وعاينوه بالمشاهدة فمنهم من أسهب في الوصف كإبن جبير ومنهم المقل كإبن رشيد ومنهم من لم يتطرق للوصف الجغرافي كالرعيني وإبن جابر الوادي آشي التى إتسمت كتاباتهما بطابع البرامج · ووصل إهتمام الرحالة المغاربة والأندلسيين بالوصف الجغرافي إلى درجة كبيرة فنجد أن من لم يتسن له التدقيق في الوصف أو من لم تسعفه الذاكرة عند كتابته لرحلته يعتمد إلى النقل عن سابقيه للشيء الذى إشتركا في رؤيته وشمل الوصف الجغرافي والعمراني لديهم ·

١ ـ وصف الأحوال الجوية ·

٢ ـ وصف المدن ·

٣ ـ وصف المساجد ·

٤ ـ وصف المباني ·

٥ ـ وصف أماكن وجود الماء والبساتين ·

٦ ـ وصف القلاع والحصون ·

٧ ـ وصف البحر ·

٨ ـ وصف الجبال والصحراء ·

٩ ـ وصف الطرق والقرى ·

١٠ـ وصف الآثار التاريخية القديمة ٠

١١ـ وصف المجتمعات واخلاقهم وطباعهم ٠

١ ـ وصف الأحوال الجوية :

إن إهتمامهم بكل ما يشاهدونه إمتد ليشمل الأحوال الجوية التى عانوا منها فمن ضمن الرحالة الذين تطرقوا لذلك في كتاباتهم الرحالة إبن جبير والبلوى ٠ ‹١›

٢ ـ وصف المدن :

من أهم ما عرفعن الرحالة المغاربة والأندلسيين وصف المدن وهم لم يكتفوا بذلك بل اتبعوا ذلك بارائهم الخاصة مثل ابن جبير والتجيبي السبتي ٠ ‹٢›

٣ ـ وصف المساجد :

أبرز خصائص كتابات الرحالة المغاربة والأندلسيين اعتناؤهم الفائق بوصف المساجد وخاصة المسجد الحرام والمسجد النبوى وقد أشترك جميعهم في وصفهما ما عدا أصحاب البرامج ٠

ولم يقتصر وصفهم للمسجدين بحالتهما أثناء المشاهدة ولكن أمتد ليشمل الناحية التاريخية لهما والإصلاحات التى حدثت بهما والقائمين بها وأماكن حلقات العلم والأئمة فيهما وغيرها من الأمور المتعلقة بالمسجدين ‹٣› ٠ فممن أولى عنايته لتاريخ عمارة المسجد الحرام

---

١ ـ ابن جبير : الرحلة ، ص ١٠٠ ؛ البلوي : تاج المفرق ، ١ ، ص ٢٩٥ ٠

٢ ـ ابن جبير : الرحلة ، ص ٥٣ ـ ٥٤ ؛ التجيبي السبتي : مستفاد الرحلة ، ص ٢١٨ ـ ٢١٩ ٠

٣ ـ ابن جبير : الرحلة ، ص ٥٩ ، ٨٦ ؛ ابن رشيد : ملء العيبة ، ج٥ ، ص ١٠٥ ـ ١٠٦ ؛ العبدري : الرحلة المغربية ، ص ١٨٠ ـ ١٨٣ ؛ التجيبي السبتي : مستفاد الرحلة ، ص ٢٤٠ ، ٢٣٢ ؛ ابن بطوطه : الرحلة ، ص ١٣٢ ، ١٤١ ؛ البلوي : تاج المفرق ، ج١ ، ص ٢٢٩ ، ٣٠٧ ٠

والمسجد النبوي إبن جبير والعبدرى وإبن بطوطه والبلوى <١> . أما التجيبي السبتي فكان ممن أسهب في هذه الناحية بالإضافة إلى ذكر الزيادات التى تمت بهما والقائمين بها <٢> . إلى جانب ذكر المساجد الموجودة بالأماكن التى زاروها مثل التجيبي السبتي . <٣>

٤ ـ وصف المباني :

أبرز من توسع في وصف المباني إبن جبير والتجيبي في وصفهما لمباني مدينة جدة ومكة المكرمة . <٤>

٥ ـ وصف أماكن وجود الماء والبساتين :

تكاد لا تخلو رحلة من الرحلات الوصفية من وصف لأماكن وجود الماء سواء التى كانت في الطريق إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة أو في داخل المدن وسواء كانت أباراً أو عيوناً مع ذكر أسمائها ومواقعها داخل المدن والقرى وكيفية أخذ الماء منها وهذا لايتعلق بالمدن والقرى الموجودة في الحجاز فقط بل تعداه إلى جميع الأماكن في المناطق التى زاروها مثل إبن جبير . <٥>

---

١ ـ ابن جبير : الرحلة ، ص ٥٩ ـ ٨٦ ، ١٦٨ ـ ١٧٣ ؛ العبدري : الرحلة المغربية ، ص ١٨٠ ، ١٨٤ ، ٢٠٤ ، ٢٠٦ ؛ ابن بطوطه : الرحلة ، ١٣٢ ، ١٤١ ، ١١٥ ، ١٢٠ ؛ البلوي : تاج المفرق ، ج١ ، ص ٢٩٨ ـ ٣٠٧ .

٢ ـ التجيبي السبتي : مستفاد الرحلة ، ص ٢٤٠ ـ ٢٣٢ .

٣ ـ المصدر السابق ، ص ٢١٨ ـ ٢١٩ .

٤ ـ ابن جبير : الرحلة ، ص ٥٣ ، ١٢٣ ؛ التجيبي السبتي : مستفاد الرحلة ، ص ٢١٨ .

٥ ـ ابن جبير : الرحلة ، ص ١٨٦ .

إن أكثر البساتين التى لفتت إنتباه الرحالة المغاربة والأندلسيين في رحلاتهم ما شاهدوه في مر الظهران <١> وبدر والمدينة والزاهر <٢> بمكة المكرمة ويمكننا القول أن سبب ذكرهم لها عائد إلى أن الأماكن التى مروا بها مناطق جرداء لذلك لفتت إنتباههم تلك المزروعات ٠

٦ ـ وصف القلاع والحصون :

كان لوصف الإستحكامات الحربية من حصون وقلاع نصيب من وصف الرحالة المغاربة والأندلسيين سواء كانت بحالة جيدة أو خربه مثل ما ذكره ابن جبير والعبدرى وإبن بطوطه ٠ <٣>

٧ ـ وصف البحر :

كان لوصف البحر ومخاطره وأهواله وغدره بالإنسان نصيب في كتابات الرحالة ٠ ولاشك أن المبدع في وصفه لابد أن يكون أديباً بارعاً ونلمس تلك البراعة والإتقان لدى إبن جبير والتجيبي السبتي أثناء عبورهما للبحر الأحمر في طريقهما إلى جدة حيث أبدع كلاهما في وصف معاناتهما فيه إلى أن وطئت أقدامهما الأرض <٤> ٠ ولاريب أنه لو قدر

---

١ ـ (مر الظهران أو بطن مر) ويعرف الآن بوادى فاطمة وهو واد به عيون كثيرة وهو يعتبر من ضواحي مكة المكرمة وبين البيت المشرف ومر ستة عشر ميلاً وسمى مر لمرارتها أو لأن في بطن الوادى بين مر ونخله عرق من الأرض أبيض وعند مر الظهران يجتمع وادى النخلتين فيصيران وادياً واحد ٠ ومر هي القرية والظهران الوادى وفيه عيون ونخيل وجميز ٠ أنظر عرام بن الأصبغ : أسماء جبال تهامه ، ص ٤١٥ ؛ الأصفهاني : بلاد العرب ، ص٢٤ ـ ٣٢ ؛ البكرى : معجم ما استعجم ، ج٤ ، ص١٢١٢ ؛ ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ج١ ، ص ٤٤٩ ٠

٢ ـ (الزاهر) هي الآن داخل مكة المكرمة وتعرف بالشهداء والزاهر كانت تعرف سابقاً بفخ ٠ أنظر الحربي : المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة ، ص ٤٦٧ ٠

٣ ـ ابن جبير : الرحلة ، ص ١٦٢ ؛ العبدري : الرحلة المغربية ، ص ١٦٦ ؛ ابن بطوطه : الرحلة ، ص ١٢٨ ـ ١٢٩ ٠

٤ ـ ابن جبير : الرحلة ، ص ٤٩ ـ ٥٠ ؛ التجيبي السبتي : مستفاد الرحلة ، ص ٢١٢ ـ ٢١٤ ٠

لباقي الرحالة المغاربة والأندلسيين وكوب البحر فهم بلاشك لن يترددوا في وصفه لأن معظمهم أدباء مبدعين متقنين للشيء الذى يصفونه فيحس المرء بأحساسهم وكأنه معهم ناظر لما يصفونه ٠

٨ ـ وصف الجبال والصحراء :

مما أشتمل عليه وصف الرحالة المغاربة والأندلسيين الجبال وقاموا بوصفها بجميع أبعادها مع التطرق لتاريخها إن وجد ومثال ذلك وصف إبن جبير <١> لجبال في الزاهر وقد أورد إبن بطوطه أيضاً وصفها ولكن بإختصار وكذلك البلوى ذكرها ولكنه لم يفصل ٠ <٢>

بينما نجد إبن رشيد يتحدث عن جبل عرفات بالتفصيل وتطرق لإسمه سابقاً قائلاً " **إنه يُعرف عند العرب القدماء بالإل** " <٣> ولم يكتف بذلك بل ضبط إسمه من كتب اللغة مع النقد والتصحيح فقد نقد البكرى في وصفه له حيث قال إنه " **جبل صغير من رمل على يمين الإمام بعرفه** " <٤> ٠ وأوضح أن هذا غير صحيح ٠ كما صحح للأزرقي مؤرخ مكة في مكان موقف الرسول ﷺ بقول قال الأزرقي " **وموقفه منها على النابت** " <٥> وبين إبن رشيد وجهة نظره في هذا ذاكراً إنه كان الأولى به أن يقول " **وموقفه إلى النابت لا على النابت لان النابت لايمكن القرار عليه** " ٠ <٦>

---

١ ـ ابن جبير : الرحلة ، ص ٨٨ ـ ٨٩ ٠

٢ ـ ابن بطوطة : الرحلة ، ص ١٤٤ ـ ١٤٥ ؛ البلوى : تاج المفرق ، ج١ ، ص ٤٧ ـ ٤٨ ٠

٣ ـ ابن رشيد : ملء العيبه ، ج ٥ ، ص ٨٧ ٠

٤ ـ البكري : معجم ما استعجم ، ج١ ، ص ١٨٥ ؛ ابن رشيد : ملء العيبه ، ج٥ ، ص ٨٧ ـ ٨٨ ، ٩٣ ٠

٥ ـ الأزرقي : أخبار مكة ، ج٢ ، ص ١٩٠ ٠

٦ ـ ابن رشيد : ملء العيبة ، ج٥ ، ص ٨٩ ـ ٩٣ ٠

أما وصفهم للصحراء فإن أغلب المناطق التى مر بها الرحالة في طريقهم إلى مكة المكرمة أو المدينة المنورة يغلب عليها الطابع الصحراوي أو شبه الصحراوي وطبيعي أن يتطرقوا لوصفها حيث وصف إبن بطوطه صحراء البزواء ‹١› . وذكر جملة نتبين منها وصف هذه الصحراء فقال " **يضل فيها الدليل** " ‹٢› كنايه عن تشابه معالمها وعدم التفريق بين مسالكها بالرغم من شهرتها وطروق الحجيج لها كل عام في طريقهم إلى مكة المكرمة أو المدينة المنورة . كما وصفها العبدري بمثل ذلك . ‹٣›

٩ ـ وصف الطرق والقرى :

أشترك الرحالة جميعهم ما عدا ابن جابر الوادي آشي والرعيني في وصف القرى منذ إنطلاق رحلتهم فلم يقتصروا على وصف القرى داخل الحجاز فقط حيث وصف البلوى الطريق بين مكة المكرمة والمدينة المنورة وما بينهما من قرى . ‹٤›

١٠ـ وصف الآثار التاريخية القديمة :

من خصائص كتابات الرحالة المغاربة والأندلسيين وصف الآثار التاريخية القديمة وأشترك معظمهم في هذه الخاصية ما عدا الرحالة الذين كتبوا رحلاتهم على هيئة برامج . أما الرحالة الوصفيون فقد أدلوا بدلوهم في وصف الآثار التاريخية القديمة بعد تدقيق شديد ومثال ذلك البلوي ووصفه لمدائن صالح عقب معاينته لها " **فأدرك الناس العبر**

---

١ ـ (البزواء) موضع في الطريق بين مكة المكرمة والمدينة المنورة والبزواء هي الأرض البيضاء الممتدة بين مستورة وبدر على الساحل ، أنظر ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ج١ ، ص ٤١١ ؛ البلادي : معجم معالم الحجاز ، ج١ ، ص ٢١٧ .

٢ ـ ابن بطوطه : الرحلة ، ص ١٢٨ .

٣ ـ العبدرى : الرحلة المغربية ، ص ١٦٤ .

٤ ـ البلوى : تاج المفرق ، ج١ ، ص ٢٩٥ .

وعاينوا منظراً لاتشرحه عبارة الخبرة لايخبر عنه إلا منظره ولا يشفى من حديثه إلا محضره وما عدا ذلك فنجم في سماء ونقطة من ماء " . <١>

كما وصفها إبن رشيد أثناء حديثه عن الطريق إلى المدينة وذكر أن ما شاهده فيها يحار فيه الوصف ، ومما يدلنا على تحليله السليم ما أورده في وصف منازلهم وما شاهده من عظام باقية لأهل مدين قائلاً " **وإن ظاهر أحوالهم أن خلقهم كانت كخلقنا إذ أبواب بيوتهم وزواياها على مقادير أبوابنا المعتادة في الإرتفاع** " <٢> . كما أختصوا بتسجيل النقوش التاريخية الموجودة بالمساجد أو الآثار المقدسة .

١١ـ وصف المجتمعات واخلاقهم وطباعهم :

ابرز من تكلموا عن اخلاق وطباع بعض المجتمعات التى حلوا بها الرحالة العبدرى فقد وصف أهل مكة المكرمة بقوله « **وفي أصحابها بعض جفاء وقلة أرتباط للشرع وهم في الغالب يؤذون الحجاج ويحيفون على المجاورين بها** » <٣>

د ـ وصف أحاسيس النفس :

ظهرت براعة الرحالة المغاربة والأندلسيين في تصوير ما يعتلج في نفوسهم سواء عند الفرح أو الخوف أو الغضب من شيء مخالف للسنه . فقد أبدع إبن جبير ثم البلوي على سبيل المثال في وصف مشاعرهم لحظة دخولهم لمكة المكرمة . <٤>

أما الإحساس بالخوف فأبرز من أوضحه التجيبي أثناء عبوره للبحر الأحمر إلى جدة <٥> . وكان الإحساس بالغضب في حالة ما هو مخالف لتعاليم الإسلام متفاوتاً بين الرحالة كلٌ بحسب طبعه وردود فعله فمنهم من أكتفى بالدعاء بأن يصلح الله الأحوال مثل إبن جبير عند رؤيته للعامة في نهبها

---

١ ـ البلوى : تاج المفرق ، ج١ ، ص ٢٧٨ ـ ٢٧٩ .

٢ ـ ابن رشيد : ملء العيبه ، ج٥ ، ص ١٤ ـ ١٥ .

٣ ـ العبدري : الرحلة المغربية ، ص ١٧٢ .

٤ ـ ابن جبير : الرحلة ، ص ٥٨ ؛ البلوى : تاج المفرق ، ج١ ، ص ٢٢٣ ، ٢٢٥ .

٥ ـ التجيبي : مستفاد الرحلة ، ص ٢١٢ ـ ٢١٤ .

الشمع المقدم للحرم المكي في رمضان فقال على عادته " **وعند الله تعالى في ذلك الجزاء والثواب إنه سبحانه الكريم الوهاب** " . (١)

ومنهم من أنطلق لسانه بالسب والشتم على لصوص الطرق الذين يتعرضون بالأذى لحجاج بيت الله الحرام مثل الأعراب القاطنين قرب المدينة فوصفهم العبدري بقوله " **وعرب تلك الناحية من أكفر العرب وأفجرهم ... لا خفف الله ثقل أوزارهم ولا عفى عن قبيح آثارهم ولا أعفاهم من قوارع الدهر وخطوبه وأنحائه عليهم من كروبه بأنواع ضروبه** " . (٢)

ومن المؤكد ان الذى دفع هؤلاء الأعراب لقطع الطريق هو ما كان يلاقونه من مشقه في سبيل الحصول على الرزق فالدولة الإسلامية في ذلك الوقت لم تكن تلتفت إلى مساعدتهم لتدهور احوالها هى أيضاً إذ لم تكن هناك دولة إسلامية قويه إلا دولة المماليك بمصر وهذه كانت منشغله بحرب الصليبيين .

هـ ـ تصحيح مايرونه من أخطاء شائعة :

من جملة ما أختص به الرحالة المغاربة والأندلسيين تصحيح ما يرونه من أخطاء شائعة في عصرهم وعدم سكوتهم عليها فهم يوردون ما يشاهدونه ويستنكرونه ثم يتبع ذلك تصحيحهم لها مع أبراز رأيهم وبيان ما يقال في ذلك وحقيقته فمما أورده العبدري أثناء وصفه لبدر قائلاً " **أن هناك غار يذكر الناس تخرصاً أنه الغار الذى دخله الرسول ﷺ وأبو بكر رضى الله عنه حينما هاجرا من مكة** " وأوضح عدم صحة ذلك وأن الغاز المذكور موجود في جبل ثور قريب من مكة . (٣)

و ـ التطرق للبدع والشائعات المنتشرة :

لم يترك الرحالة المغاربة والأندلسيون جانباً من جوانب الوصف إلا وطرقوه وتناولوه بالتعليق والتصحيح ومن ذلك موقفهم من الشائعات والبدع التى

---

١ ـ ابن جبير : الرحلة ، ص ١٣٣ .

٢ ـ العبدري : الرحلة المغربية ، ص ٢٠١ .

٣ ـ المصدر السابق ، ص ١٦٤ .

أنتشرت بين الناس دون التأكد من صحتها إذ أشار التجيبي أن الشيبيين <١> أحدثوا داخل الكعبة الشريفة كوة<٢> في الجدار الغربي مقابل الباب يبلغ أرتفاعها نحو ست أذرع وأطلقوا عليها العروه الوثقى وأوهموا العامة أن يلمسوها ونبة على بطلانها ٠ <٣>

ز ـ تسجيل الأحداث التاريخية المعاصرة :

سجلت أقلام الرحالة المغاربة والأندلسيين العديد من الأحداث التاريخية التى عاصروها أثناء وجودهم في الحجاز وكانوا شاهدى عيان لها فحرصوا على تدوينها وبهذا حملت تلك المعلومات الدقة والصدق ٠ فمن ذلك ما حدث أثناء إقامة إبن جبير في مكة المكرمة ومجيء سيف الإسلام طغتكين بن أيوب <٤> شقيق صلاح الدين الأيوبي فقد أشار إلى قدومه إلى الحجاز في طريقه إلى اليمن على إثر خلاف وفتنة وقعت بين حكامها وأكتفى إبن جبير بالإشارة إلى الفتنة دون ذكر تفاصيلها <٥> وكان ذلك سنة ٥٧٩هـ / ١١٨٣م ٠ <٦>

كما أهتم الرحالة المغاربة والأندلسيين بذكر أسماء بعض الملوك المعاصرين لهم والذين كانت لهم صلة بالحجاز مع إيراد طرفٍ من سيرهم بعيداً عن التحيز ٠

---

١ ـ (الشيبيين) من ذرية عثمان بن طلحه حيث سلمه رسول الله ﷺ مفتاح الكعبه يوم فتح مكة وقال له اليوم يوم بر ووفاء ٠ أنظر ابن هشام : السيرة النبوية ، ج٤ ، ص ٤١٢ ٠

٢ ـ (الكوه) بالفتح والضم النقبه في الحائط ٠ أنظر الفيومي : المصباح المنير ، ج٢ ، ص ٦٦٠ ٠

٣ ـ التجيبي : مستفاد الرحلة ، ص ٢٦٤ ـ ٢٦٥ ، أنظر مناقشة هذا الأمر فيما بعد ، ص ٢١٥ـ٢١٦٠

٤ ـ سيف الإسلام أبو الفوارس طغتكين بن أيوب بن شادى بن مروان المنعوت بالملك العزيز ظهير الدين صاحب اليمن كان أخوه السلطان الملك الناصر صلاح الدين قد سيره إلى اليمن وكان رجلاً شجاعاً كريماً مشكور السيره حسن السياسة مقصوداً في البلاد الشاسعة لإحسانه وبره توفي في شوال تاسع عشر منه سنة ٥٩٣هـ / ١١٩٦م بالمنصوره وهي مدينة اختطها باليمن ٠ أنظر ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج٢ ، ص ٥٢٣ ـ ٥٢٤ ؛ الفاسي : العقد الثمين ، ج٥ ، ص ٦٢ ـ ٦٤ ٠

٥ ـ ابن جبير : الرحلة ، ص ١٢٤ ـ ١٢٦ ٠

٦ ـ أنظر تفاصيل ذلك عند أبي شامه : الروضتين ، ج٢ ، ص ٢٥ ـ ٢٦ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ، ج١١ ، ص ٣٠٩ ؛ ابن خلدون : العبر ، ج٥ ، ص ٢٩٥ ـ ٢٩٦ ؛ الخزرجي : العقود اللؤلؤيه ، ج١ ، ص ٣٨ ٠

حـ ـ إبراز الناحية السياسية :

شملت ملاحظات الرحالة المغاربة والأندلسيين والمدونة فى أسفار رحلاتهم النواحي السياسية للبلدان التى زاروها ٠

فقد ذكر التجيبي عامل مدينة جدة من قبل أمير مكة نجم الدين أبي نمي الحسني <١> واصفاً أياه بملك مكة <٢> كناية عن الصلاحيات المطلقة الممنوحة له في إدارة شئون مكة وتوابعها وإنتصاره على الطامعين في الحكم ٠

ط ـ الناحية الإجتماعية :

شكلت النواحي الإجتماعية جانباً لا يستهان به من فن الرحلة عند المغاربة والأندلسيين وهي من أبرز خصائصها وقد أفاض في هذا الجانب الرحالة إبن جبير وإبن بطوطه فمن خلال تسجيلهم لتلك الناحية لأهل الحجاز ـ مكة المكرمة والمدينة المنورة ـ ويمكننا القول أن إبن بطوطه أستطاع أن ينقل لنا صورة دقيقة لمظاهر الحياة الإجتماعية لأهل مكة والمدينة خلال عصره ٠ <٣>

---

١ ـ محمد بن حسن بن على بن قتادة بن ادريس بن مطاعن الحسني يلقب بنجم الدين تولى إمارة مكة نحو خمسين سنه إلا أوقاتاً يسيره زالت ولايته عنها وقد شارك عمه أدريس بن قتادة في أمرتها حوالى سبع عشرة سنه وقد تولى أبي نمي بعد قتل أبيه أبي سعد في المحرم سنة ٦٥٣هـ / ١٢٥٥م وقد وقعت معارك كثيرة بينه وبين أمير اليمن والأشراف وأمير المدينة جماز بن شيحه إلى أن أستقر له الأمر وخطب لملك مصر المنصور قلاوون وللملك المظفر صاحب اليمن ثم أعاد الخطبة لملك مصر الظاهر بيبرس وقد أثنى عليه من ترجم له ووصفوه بالصفات الحسنه وكان شاعراً قال بعض من ترجم له أنه يصلح للخلافة لولا أنه كان زيدياً وتوفي في صفر سنة ٧٠١هـ / ١٣٠١م ٠ أنظر الفاسي : العقد الثمين ، ج١ ، ص ٤٥٦ ـ ٤٧١ ٠

٢ ـ التجيبي : مستفاد الرحلة ، ص ٢١٩ ٠

٣ ـ أنظر ابن جبير : الرحلة ، ص ١٠١ ـ ١١٠ ؛ ابن بطوطه : الرحلة ، ص ١٤٨ ـ ١٤٩ ٠

ي ـ الناحية الإقتصادية :

تعـرض الرحـالة المغـاربة والأندلسـيون للإشـارة إلى الناحـيـة الإقـتـصـادية ونستطيع إستنتاج تلك الجوانـب من خـلال مـا أوردوه فـي كتبهم فمن ذلك مـا ذكـره التـجيبي عن الحـجـاز أن بجـدة عـامل من قـبل أمـيـر مكة مـهمـتـه الأساسـية قبض المكـوس ‹١› والضرائب من الحجـاج وقد أظهـر التجيبي تذمره من هذه المكوس والضرائب لعدم مشروعيتها ‹٢› فقال " **والله تعالى يصلح أحوال الجميع ويعظم الأجر بذلك فعلى قدر النفقة والنصب يكون الأجر** " ‹٣› . ومـعنى هذا أن المكوس والضـرائب كـانت تشكل أحد مـوارد الدخل لأهل الحجاز في تلك الفترة .

ك ـ الناحية الدينية :

حظيت الناحية الدينية بنصيب وافر من إهتمام الرحالة حيث تناولت كتاباتهم قضية تعدد المذاهب الإسلامية المنتشرة في الحجاز وقد أشار إبن جبير لهذا الموضوع . ‹٤›

ل ـ وصف الناحية الثقافية :

ومن أهم الخصائص التى قام عليها فن الرحلات المغربية والأندلسية الحديث عن الناحية الثقافية والتى تشمل :

١ ـ الترجمة للعلماء الموجودين في مكة المكرمة والمدينة المنورة .

---

١ ـ (المكس) الضريبة التى ياخذها الماكس وأصلها الجبايه : أنظر ابن منظور : لسان العرب ، ج٦ ، ص ٢٢٠ .

٢ ـ وأول مكس فرض على الحجاج المسلمين كان من قبل القرامطه سنة ٣٢٧هـ / ٩٣٤م وهى " أول سنة مكس فيها الحاج ولم يعهد ذلك في الإسلام " . أنظر ابن الجوزى : المنتظم ، ج٦ ، ص ٢٩٦ ؛ ابن فهد : اتحاف الورى ، ج٢ ، ص ٣٨٧ .

٣ ـ التجيبي السبتي : مستفاد الرحلة ، ص ٢٢ .

٤ ـ ابن جبير : الرحلة ، ص ٨٧ ـ ٨٠ .

٢ ـ أماكن حلقات العلم التى يجلس فيها العلماء للتدريس ٠

٣ ـ ذكر الإجازات التى حصل عليها الرحالة ٠

٤ ـ المدارس الموجودة بمكة المكرمة والمدينة المنورة ٠

٥ ـ أسماء الكتب المتداولة في ذلك الوقت والمعتمد عليها في التدريس ٠

٦ ـ العلوم المتصدرة في التدريس ٠

م ـ الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ورواية الشعر :

حفلت كتب الرحلات بالكثير من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التى إنتثرت في أماكنها المناسبة إضافة إلى ورود الكثير من الأبيات الشعرية وخاصة التى توضح مدى التشوق لزيارة مكة المكرمة والمدينة المنورة والمدائح النبوية ٠

ن ـ البعد عن الأسلوب الخيالي والإعتماد على الأسلوب المدعم بالآراء العلمية المنطقية:

من أهم الخصائص في تدوين رحلات الرحالة المغاربة والأندلسيين إعتمادهم على الأسلوب العلمي السليم القائم على المشاهد الواقعية وإبتعادهم عن الأسلوب الخيالي القصصي وذلك عائدٌ إلى كونهم شهود عيان لكثير من الأحداث الواردة في كتبهم إلى جانب المناقشة العميقة لعدد من القضايا المدعمة بالوصف القائم على المشاهدة أولاً ثم بإيراد ما يدور حولها من أقوال تطرقت إليها كتابات العلماء السابقين ٠

ومن مميزات أسلوبهم العلمي في الرحلات تدوين المعلومات بحسب تواريخ حدوثها مع الإطلاع على كتب الرحالة السابقين والإشارة إلى ما نقل منها مع تصحيح ما وقعوا فيه من أخطاء ٠ وقد ساعد الرحالة على إنتهاج الأسلوب العلمي السليم في كتاباتهم ما وصلوا إليه من علم غزير وسعة فهم مع حرصهم على تدوين ملاحظاتهم أولاً بأول ومن لم يتسن له ذلك قام بتدوين رحلته عقب عودته إلى بلاده وإلتزامه جانب الدقة وقوة الملاحظة في كل

صغيرة وكبيرة وأحياناً نعثر على بعض الهفوات التاريخية البسيطة ولكنها مع ذلك لاتقلل من أهمية الرحلة ومدى ما تقدمه من مادة علمية متنوعة الموضوعات مما ترتب عليه أزدهار فن الرحلة المغربية والأندلسية على أيدى الرحالة والذى وصل إلى ذروته في القرنين السابع والثامن الهجريين .

* الخصائص الخاصه :

تميز الرحالة المغاربة والأندلسيون بمميزات خاصة في تدوين رحلاتهم فكل رحالة يكمل ما نقص من سلفه ويضيف إلى فن الرحلة لبنات جديدة أعطته صفته وميزته عن باقي الرحالة المسلمين في العالم الإسلامي فمثلاً نجد أن إبن جبير كان أنموذجاً يحتذى به فهو قد جمع فيها بين الخصائص العامة والخاصة وإن لم يقم فيها بالترجمة للعلماء والأعلام الذين التقى بهم ٠

بينما نجد أن رحلة الرعيني تميزت بميزة أخرى وهى البرامج والمختلفة تماماً عما سار عليه إبن جبير إذ أنصب إهتمامه على الجانب الثقافي من حيث الترجمة لشيوخه والكتب التي نال إجازتها وغيرها من الأمور المتعلقة بعلم الحديث فاحتوت بذلك ميزة التعريف بالعلماء ومدى إسهامهم في الحركة العلمية وهو أمر لايقل أهمية عن الجوانب الأخرى المطروقة في غيرها من الرحلات ٠

أما إبن رشيد فقد إتبع منهج إبن جبير من حيث وصف المراحل في طريقه إلى الحجاز ولم يلبث أن طغى الجانب العلمي على رحلته حتى أنه يمكن تصنيفها ضمن رحلات البرامج بما حوته من ذكر العلماء والكتب المتداولة في تلك الفترة سواء القديمة أو الحديثة إلى جانب ما حظيت به رحلته من إضافات عن المناقشات والمناظرات العلمية والأدبية وبهذا يكون جملة ما تطرق إليه من وصف على الرغم من قلته يعد مكملاً لمضمون رحلته ٠ وقد أوضح إبن رشيد مضمون رحلته بقوله :

وقد ضمنته من الأحاديث النبوية والغرائب الأصلية والفقهية واللطائف الأدبية والنكت العروضية وضبطت المشكل من أسماء الرجال والتعريف بكثير من المجاهيل والأغفال " ٠ (١)

---

١ ـ ابن رشيد : ملء العيبه ، ج٢ ، ص ٣٢ ٠

وكما نلاحظ أن كل ما ذكره إبن رشيد يعد جديداً على فن الرحلة وحرص على إضافته وإن كانت الترجمة للشيوخ قديمة بقدم علم الحديث ولكنها هنا في الرحلة المغربية والأندلسية تعتبر جديدة ومن إضافات إبن رشيد والرعيني ٠

وقد حرص إبن رشيد على إصلاح الأخطاء التى وقعت في الأسانيد والآداب فقد قال " **فمما علمت وجه الصواب فيه أوضحته وأقمت صوابه ونبهت على الذى أصلحته** " ٠ ‹١›

أما العبدرى فرحلته تأرجحت بين الرحلة الوصفية والعلمية أذ تشتمل على قسط وافر من الوصف سواء للمراحل أو المدن أو الآثار بالإضافة إلى عنايته الفائقة بشرح النواحي السياسية والحضارية في حين أن الجانب العلمي حظى بالقليل من إهتمامه ٠

وقام العبدرى بتصحيح الأخطاء الشائعة معتمداً في ذلك على الموازنة بين الكتب التى تحدثت عن الموضوع وإبراز الصحيح فيها مع بيان رأيه وبذلك يكون حكمه صادراً من عالم بحقيقة الأمور متمكناً من فهم كافة دقائقها مع إصلاحه للأخطاء الموجودة في تلك المصادر عقب رجوعه إليها مما يعتبر ميزة إنفرد بها العبدرى وإضافة لخصائص الرحلة المغربية والأندلسية ٠ ‹٢›

بينما نجد أن التجيبي السبتي قد جمع بين الرحلة الوصفية والعلمية مع حرصه على تغطية الجانب الوصفي بكل أبعاده ٠ وإضافة التعاريف اللغوية لأسماء بعض المدن التى مر عليها مثل جدة ومكة المكرمة ‹٣› بشيء من التوسع ٠

أما الرحالة إبن جابر الوادي آشي فرحلته تعتبر من الرحلات العلمية الصرفة لما أشتملت عليه من تراجم العلماء والشيوخ الذين إلتقى بهم وبهذا فرحلته تعد من الرحلات المعروفة بالبرامج ٠

---

١ ـ ابن رشيد : ملء العيبه ، ج ٥ ، ص ٣٤ ٠
٢ ـ العبدري : الرحلة المغربية ، ص ١٧٦ ٠
٣ ـ التجيبي : مستفاد الرحلة ، ص ٢١٨ ، ٢٣٠ ـ ٢٣٢ ٠

بينما نجد أن الرحالة إبن بطوطه كان نموذجاً فريداً للرحالة المغاربة والأندلسيين وعلى يديه أخذت الرحلة المغربية والأندلسية شكلها النهائي فمن بين سطور رحلته يظهر لنا إبن بطوطه الفقيه وعالم الإجتماع والإقتصادي والجغرافي فأجتمعت له بذلك العديد من الصفات وربما يعود ذلك إلى كثرة تنقلاته وإتصالاته بالناس مما أدى إلى إتساع أفقه ومداركه .

أما الرحالة البلوي فكانت عنايته بالجانب الأدبي ويعتبر أسلوبه من النثر البليغ مع إهتمامه بالدواوين الشعرية المعروفة في عصره وإعتماده في تدوين رحلته على أهم الخصائص والأسس التى سار عليها سلفه من الرحالة المغاربة والأندلسيين .

ومن المميزات التى عرفت لكل رحالة ما قام به ابن جبير من كتابته لرحلته على هيئة مذكرات يومية ومنهم من أملى رحلته من الذاكرة كإبن بطوطه أو من كتبها أثناء رحلته وعقب عودته قام بتحريرها وتنقيحها ومنهم من تركها على حالها إلى أن وصلتنا دون تحرير أو تنقيح إلا في مواضع قليلة زاد عليها كأبن رشيد مما يؤكد أنهم يراجعون رحلاتهم عقب عودتهم .

ومنها أيضاً قيام بعضهم بذكر المسافات المقطوعة بين كل مرحلة ومرحلة أو مدينة وأخرى بالفراسخ والميال كإبن جبير ومنهم من ذكرها بعدد الأيام تعبيراً عن المسافة التى قطعت كإبن بطوطه .

ومن الملاحظ أن بعض الرحالة المغاربة والأندلسيين عند خروجهم من موطنهم لأداء الفريضة وطلب العلم يكون في صحبتهم أحد قرابتهم أو اصدقائهم مثل إبن جبير وإبن رشيد والعبدري .

ثالثاً : أهمية الرحلات المغربية والأندلسية

لاشك أن الرحلات المغربية والأندلسية إلى الحجاز ظاهرةً أدبية وتاريخية واضحة وجلية إلا أنه لم يصلنا منها إلا القليل بينما حفظت لنا كتب التراجم والتاريخ أسماء رحالة مغاربة وأندلسيين لم نعثر على رحلاتهم أو إنتاجهم أو لم يدونوا رحلاتهم ومنهم من قام بتدوينها ولهذه الرحلات المدونة والمحفوظة الفضل في إمدادنا بمعلومات قيمة لم يدر بخلد مؤلفيها أهميتها وقت تدوينها خاصة وأنهم أودعوا فيها معظم مشاهداتهم عن الحجاز والتى قد لانجدها في كتب التاريخ المعاصرة من حيث الوصف الدقيق للمدن ونمط الحياة فيها فأثنوا على الحسن من عاداتها ودعوا إلى البعد عن الشاذ منها ، مع ذكر المراحل والمسافات التى قطعوها والصعوبات التى واجهتهم إثناء الطريق إلى الحجاز وعلاقة إشراف الحجاز بأهلها وبالملوك والأمراء والمجاورين مع وصفٍ للحياة الإجتماعية والثقافية والمدارس الموجودة فيها ونشاط العلماء والمصادر المعتمدة في الدراسة بالحجاز ٠

فهذا الجانب المهم من تاريخ الحجاز والذى حفلت بها كتب الرحلات المغربية والأندلسية والتى لم تحظ بإهتمام المؤرخين المتخصصين فهي بحق تعد من أصدق المصادر التاريخية للحجاز في هذه الفترة ٠

وعلى هذا يمكننا القول أن نمط كتب الرحلات المغربية والأندلسية فن قائم بذاته زخر بالكثير من المعلومات التى تهم المؤرخ والجغرافي وعالم الإقتصاد وعالم الإجتماع فأهميتها تتجلي بما تحويه من مادة علمية عن تلك النواحي مكتوبة بأسلوب أدبي منسق خال من الأساطير إلا ماندر والمعتمد على المشاهدة والسماع في ملاحظة مختلف المظاهر ومن ثم تدوينها ٠

ولاشك أن المتمعن في كتب الرحلات يجد أن هؤلاء الرحالة يتفاوتون في درجة ملاحظاتهم وإهتمامهم ببعض النواحي دون الأخرى ومن هنا ظهرت لنا أهميتها في النواحي الآتية :

١ ـ أهميتها من الناحية العلمية :ــــــ

إن رغبة الرحالة المغاربة والأندلسيين في أداء فريضة الحج وزيارة الأماكن المقدسة وإرتياد مراكز العلم في المشرق بعد أن تجاوزوا سن الطلب ووصلوا إلى سن تؤهلهم بمجالسة كبار العلماء للأخذ والعطاء وبهذا أثريت الناحية العلمية بفضل هذا التبادل العلمي القائم على الإلتقاء بكبار العلماء للأخذ والرواية عنهم والحصول على أجازاتهم العلمية في المراكز التى وصلوا إليها والتى تعد ينابيع فياضة بالعلم والمعرفة وبهذا أصبح الرحالة رسل علم ومعرفة وحلقة إتصال وتبادل فكري وعلمي بين الشرق والغرب أتاح لأهل المغرب والأندلس النهل من علوم المشرق على أيدى هؤلاء الرحالة الذين قاموا بتدريس تلك العلوم وخاصة علوم الحديث وملحقاته لمواطنيهم إلى جانب ذكرهم للمدارس ومنشؤها وأماكنها والعلماء المتصدرين للتدريس فيها ٠

لذا فكتب رحلاتهم في هذه الناحية تعتبر من أهم الكتب التى تشير بوضوح للجانب الثقافي والعلمي مع الكشف عن الأصول والمنابع التى أستقى الرحالة علومهم منها وعلى ضوء ذلك تعد من أهم المصادر عن الحركة العلمية في الحجاز ٠

٢ ـ أهميتها من الناحية الإجتماعية :

شكلت الناحية الإجتماعية جانباً لا يستهان به في كتابة الرحلات المغربية والأندلسية حيث أن رحلتي إبن جبير وإبن بطوطه سجلات حافلات بالجوانب الإجتماعية التى تبين ما كان عليه أهل الحجاز من عادات وتقاليد وخاصة في مكة المكرمة وبذلك عرفنا الكثير عن ذلك المجتمع في الفترة التى إنصرف فيها إهتمام المؤرخين للنواحي السياسية وتدوين أخبار المشرق الإسلامي وما واجهه من هجمات الصليبيين والتتار مع إهمالهم الناحية الإجتماعية والتى نستطيع أن نستشف منها الأوضاع المعيشية للمجتمع في ظل تلك الظروف ٠

أنصب حرص الرحالة على إظهار للجوانب الحسنة للمجتمع الحجازى وإنتقادهم للسيء منها ٠ وربما جاءت إنتقاداتهم عنيفة مثل العبدرى وربما جاءت بالدعاء إلى الله بإصلاح الأحوال كإبن جبير ومنهم من لم يتعرض لها بالنقد السلبي كإبن بطوطه مثلاً ٠

كما نستطيع أن نتلمس بداية الإنحراف في العبادة والتواكل وغيرها من الأمور التى كانت وبالاً على الإسلام والمسلمين من رحلة إبن جبير والتى بلغت ذروتها في رحلة إبن بطوطه ولعل مرد ذلك إلى الفهم الخاطيء للشريعة الإسلامية ٠

٣ ـ أهميتها من الناحية السياسية :

إن ما سجله الرحالة المغاربة والأندلسيون من ملاحظات عن الأحوال السياسية في البلاد الإسلامية التى نزلوا بها كشفت لنا كثيراً من الأمور التى نجهلها عن علاقات المالك الإسلامية بعضها مع بعض وخاصة علاقات الحجاز بجيرانه والتى توضح مدى ما تمتع به الأشراف من مكانة بين سلاطين وأمراء المسلمين الذين كانوا يغدقون الأعطيات عليهم مقابل السماح بالدعاء لهم في المسجدين الحرام والنبوي والمشاعر المقدسة فعلاقتهم بالماليك هي علاقة تبعيه ٠

وأيضاً علاقة الأشراف بعضهم ببعض والمنازعات الحاصلة بينهم ٠ كما نستشف من كتابات الرحالة أن أشراف الحجاز كانت لهم الحرية المطلقة في إدارة شئون مكة في بعض الفترات ٠

٤ ـ أهميتها من الناحية الإقتصادية :

من خلال كتب الرحالة نستطيع أن نصل إلى بعض المعلومات عن الجوانب الإقتصادية لبلاد الحجاز والتى نلاحظها ونستخرجها من ثنايا ما دونه الرحالة في كتبهم مثل التجيبي السبتي وحديثه عن المكوس على الحجاج والمدفوعة لعامل مدينة جدة وتشكيلها مورداً إقتصادياً لبلاد الحجاز ٠

كما شكلت الإعطيات والهبات الواصلةمن قبل أمراء وسلاطين المسلمين أيضاً مورداً هاماً والتى لم تكن مستمرة أحياناً بسبب تذبذب أحوال الدول المرسلة منها .

فنرى أن أستقرار الأمور ورخاءها في الممالك والسلطنات الإسلامية يتبعه رخاء وإستقرار إقتصادى بالحجاز وهذا الأمر لم يتضح إلا في كتابات هؤلاء الرحالة .

كما تعرض الرحالة المغاربة والأندلسيون لحالات الرخاء والجدب التى كانت تحل بالحجاز أثناء وجودهم وأسبابها . ولاشك أننا بتتبع هذه الرحلات المغربية والأندلسية للحجاز نستطيع أن نخرج بتصور واضح عن الناحية الإقتصادية في الحجاز .

٥ ـ أهميتها من الناحية التاريخية :

لقد تطرق الرحالة المغاربة والأندلسيين للناحية التاريخية القديمة مظهرين نقوشاً قديمة إندثرت فيما يتعلق بتاريخ عمارة أو أما أشبه ذلك وهم بهذا أصبحوا مصدراً هاماً لتاريخ هذه الناحية لما نقلوه في رحلاتهم .

أما الأحداث التاريخية المعاصرة لهم فهم أصدق من كتب في هذا الأمر لمعاصرتهم لها وعدم تحيزهم وبعدهم عن مجرى الأحداث فجاءت كتاباتهم صادقة .

ومما سبق كانت كتب الرحلات المغربية والأندلسية مصدراً مهماً من مصادر تاريخ الحجاز في تلك الفترة التى نشطت فيها هذه الرحلات والتى دونت على أسس وخصائص إنفرد بها الرحالة المغاربة والأندلسيون .

الفصل الثاني

الرحالة المغاربة والأندلسيون ومناهجهم

١ ـ ابن جبير	٥٤٠ ـ ٦١٤هـ / ١١٤٥ ـ ١٢١٧م
٢ ـ الرعيني	٥٩٢ ـ ٦٦٦هـ / ١١٩٥ ـ ١٢٦٧م
٣ ـ ابن رشيد	٦٥٧ ـ ٧٢١هـ / ١٢٥٨ ـ ١٣٢١م
٤ ـ العبدري	كانت رحلته عام ٦٨٨هـ/ ١٢٨٩م
٥ ـ التجيبي السبتي	٦٧٠ ـ ٧٣٠هـ / ١٢٧١ ـ ١٣٢٩م
٦ ـ ابن جابر الوادي آشي	٦٧٣ ـ ٧٤٩هـ / ١٢٧٤ ـ ١٣٤٨م
٧ ـ ابن بطوطه	٧٠٣ ـ ٧٧٠هـ / ١٣٠٣ ـ ١٣٦٨م
٨ ـ البلوي	٧١٣ ـ ٧٨٠هـ / ١٣١٣ ـ ١٣٨٧م

ابن جبير

٥٤٠ـ ٦١٤هـ / ١١٤٥ ـ ١٢١٧م

أبو الحسن محمد بن أحمد بن جبير بن محمد بن جبير بن سعيد بن جبير بن سعيد بن محمد بن مروان بن عبدالسلام بن مروان بن عبدالسلام بن جبير الكناني ٠ <١> رحالة أندلسي ، كان جده عبدالسلام من أوائل الداخلين إليها مع بلج القشيري <٢> في سنة ١٢٣هـ/٧٤٠م <٣> فهو أندلسي شاطبي<٤> بلنسي. <٥>

ولد ابن جبير ليلة السبت العاشر من شهر ربيع الأول سنة ٥٤٠هـ / ١١٤٥م ببلنسيه من شرق الأندلس <٦> ٠ وقيل إن مولده كان سنة ٥٣٩هـ / ١١٤٤م في شاطبة أو بلنسية ٠ <٧>

---

١ ـ التجيبي : مستفاد الرحلة ، ص ٢٤٣ ٠ وهو يُعَد من أوائل المترجمين لابن جبير ونقل نسبه من كتاب ابن فرتون المفقود والمسمى النيل على الصلة ٠ أنظر المنذري : التكملة لوفيات النقله ، ج٢ ، ص٤٠٧ ؛ ابن الخطيب : الإحاطه ، ج٢ ، ص ٢٣٠ ؛ الزركلي : الأعلام ، ج ١ ، ص ٢٧٤ ٠

٢ ـ بلج بن بشر بن عياض القشيرى سيره هشام بن عبدالملك على مقدمة جيش كثيف مع عمه كلثوم إلى أفريقية عندما ثار أهلها على أميرهم ابن الحبحاب فقاتل البربر وقُتل عمه في أوائل سنة ١٢٤هـ/٧٤١م وحصر بلج إلى أن جاءته مراكب أمير الأندلس فرحل إليها مع أصحابه ثم لم يلبث أن قتل أمير الأندلس واستولى عليها وتوفي متأثراً بجراحه وكانت عاصمته قرطبه ٠ أنظر الزركلي : الأعلام ، ج ٢ ، ص ٧٣ ٠

٣ ـ ابن الخطيب : الإحاطة ، ج٢ ، ص ٢٣٠ ٠

٤ ـ نسبة إلى (شاطبه) مدينة شرقي الأندلس ينسب إليها عدد كبير من العلماء ٠ أنظر ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج٣ ، ص ٣٠٩ ٠

٥ ـ نسبة إلى مدينة (بلنسبه) وهي مدينة مشهورة بالأندلس أهلها يسمون عرب الأندلس ينسب إليها عدد كبير من العلماء ٠ أنظر ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج١ ، ص ٤٩٠ ؛ المقّري : نفح الطيب ، ج٢، ص٣٨٢٠

٦ ـ المنذري : التكمله ، ج٢، ص٤٠٧ ؛ ابن الخطيب : الإحاطة ، ج٢ ، ص ٢٣٩ ؛ المقري : نفح الطيب ، ج٢ ، ص ٣٨٢ ؛ ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب ، ج٥ ، ص ٦٠ ٠

٧ ـ ابن القاضي : جذوة الإقتباس ، ج١ ، ص ٢٨٠ ؛ ابن الخطيب : الإحاطه ، ج٢ ، ص ٢٣٩ ٠

وسبب نسبته لبلنسيه لمولده بها على أرجح الأقوال أمّا نسبته إلى شاطبة فعائدٌ لإقامته بها فترة من الزمن ، ويُعد والده من أعيانها وأبرز كتّابها وسلك ابن جبير نهج والده في ذلك ثم سكن غرناطة ٠ ‹١›

توفي رحمه الله بالأسكندرية ليلة الأربعاء التاسع والعشرين لشعبان سنة ٦١٤هـ / ١٢١٧م٠‹٢› وقد بلغ من العمر أربعاً وسبعين عاماً ٠ ‹٣›

نشأ ابن جبير في كنف أبيه الذي أعده لتقلد المناصب ، فتلقي العلم عن أبيه وعلماء عصره بشاطبه وعنى بالأدب فبرع فيه وبرز في صناعة الكتابة ٠ ‹٤› وتنقل ابن جبير في مطلع حياته في عدد من المدن الأندلسية والأفريقية فقطن بلنسية وشاطبة وغرناطة وسبتة ‹٥› وفاس ‹٦› وتقلب في المناصب الكتابيه ويُعد أحد كتّاب الدولة الموحدية حكام الأندلس والمغرب وتمتع بمكانة عالية لديهم لسعة علمه وقدرته على نظم الشعر والنثر ٠ ‹٧›

---

١ ـ المقرّي : نفح الخطيب ، ج٢، ص ٣٨٤ ـ ٤٨٧ ؛ (غرناطه) أقدم مدن كورة البيرة من أعمال الأندلس وأعظمها وأحسنهاوأحصنها بينها وبين قرطبه ٣٣ فرسخاً ويقال لها أغرناطه وأسقطها العامه ٠ أنظر ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج٤ ، ص ٣٢٤ ٠

٢ ـ ابن القاضي : جذوة الإقتباس ، ج١ ، ص٢٨٠ ؛ الذهبي : العبر في خبر من غبر ، ج٣ ، ص ١٦٣ ؛ ابن الخطيب : الإحاطة ، ج٢ ، ص ٢٣٩ ؛ المقري : نفح الطيب ، ج٢، ص ٤٨٩ ٠

٣ ـ المنذري : التكمله ، ج٢ ، ص ٤٠٧ ٠

٤ ـ المقري : نفح الطيب ، ج٢ ، ص ٣٨٢ ٠

٥ ـ (سبتة) مدينة مشهوره من قواعد بلاد المغرب ومرساها أجود مرسى على البحر وهي على بر البربر تقابل جزيرة الأندلس عى طرف الزقاق تميزت بحصانتها ٠ أنظر ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج٣ ، ص ١٨٢ ٠

٦ ـ (فاس) مدينة مشهورة كبيرة على بر المغرب من بلاد البربر ، حاضرة البحر وأجل مدنه قبل اختطاط مراكش ، وهما مدينتان مفترقتان مسورتان الأولى تسمى عدوة القرويين والثانية تسمى عدوة الأندلسيين وكلتاهما في سفح جبل والنهر بينهما ٠ أنظر المصدر السابق ، ج٤ ، ص ٢٣٠ ٠

٧ ـ ابن القاضي : جذوة الإقتباس ، ج١ ، ص ٢٧٨ ؛ الذهبي : العبر في خبر من غبر ، ج ٣ ، ص ١٦٣ ؛ حسين مؤنس : تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس ، ص ٤٢٩ ٠

صفاته :

كان أديباً بارعاً وشاعراً مجيداً سنياً فاضلاً ، نزيه الهمة سري النفس ، كريم الأخلاق ، أنيق الخط ، ذا نظم ونثر بديع سهل حسن ، ومحاسنه عديدة ، ذائع الصيت ، مشهوراً بالخير والصلاح <١> فأهّلته صفاته لتقلد أرفع المناصب في الدولة ، وهو الكتابة ، وأتاح له ذلك المنصب الأطلاع على العديد من الأمور الهامة والتي لا يتاح للمؤرخين العاديين معرفتها ٠ <٢>

ونلاحظ أن ماتميز به ابن جبير من صفات جعلت المقري يصفه بالمروءة والسعي في قضاء حوائج الناس والسعي لأداء واجب إخوانه عليه وإيناس الغرباء فقال " **إن صاحب كتاب الملتمس كان أحرص الناس على مصاهرة قاضي غرناطة ابى محمد عبدالمنعم بن الفرس<٣> فجعل ابن جبير الواسطة في إتمام زواجه ولكن لم يوفق الله بينه وبينها ، فأتاه وشكى له ذلك ، فقال له : إنما ما كان القصد لي في إجتماعكما ولكن سعيت جهدي في غرضك وها أنا أسعى أيضاً في إفتراقكما إذ هو من غرضك وخرج من حينه وفصل القضية من غير أن يظهر عليه أدنى أمتنان بل إنه أتاه بمائة دينار مؤمنية يريد أن يعطيها له يعوضه فيها عما خسره في زواجه هذا** "٠<٤>

---

١ ـ ابن القاضي : جذوة الإقتباس ، ج١ ، ص ٢٧٨ ؛ ابن الخطيب : الإحاطة ، ج٢ ، ص ٢٣١ ٠

٢ ـ القلقشندي : صبح الأعشى ، ج٦ ، ص ١٨٨ ٠

٣ ـ عبدالمنعم بن محمد بن عبدالرحيم الخزرجي المعروف بابن الفرس ولى القضاء بجزيرة شقر وبمدينة وادى آشى ثم بجيان ثم بغرناطه وكان له النظر في الحسبه والشرطه له عدة مؤلفات منها كتاب الأحكام مولده سنه ٥٢٤هـ / ١١٢٩م وتوفي سنة ٥٩٧هـ / ١٢٠٠م ٠ أنظر النباهي : تاريخ قضاة الأندلس ، ص ١٠٠ ؛ ابن فرحون : الديباج المذهب ، ج ٢ ، ص ١٣٣ ـ ١٣٥ ٠

٤ ـ المقري : نفح الطيب ، ج٣ ، ص ٢٩٥ ـ ٢٩٦ ٠

ومما يروى عن لسانه من شعر في حبه لقضاء الحوائج :

يحسب الناس بأني متعب — في الشفاعات وتكليف الورى

والذي يتبعهم من ذاك لي — راحة في غيرها لن أفكرا

وبودي لو أقضي العمر في — خدمة الطلاب حتى في الكرى ‹١›

ولم تكن كل صفات ابن جبير السابقة سبباً في ذيوع شهرته بل إن شهرته عائدة إلى تدوينه لرحلته التي اقترن اسمه بها حيث زار فيها العديد من البلدان والأماكن وسجل مشاهداته فيها بإسلوب جميل بديع ٠

ولابن جبير ثلاث رحلات إلى المشرق ولكل رحلة سببها :

السبب الأساسي للرحلة الأولى :

أداء فريضة الحج وقد سجل ابن جبير تفاصيلها ٠ وأوضح المقري دافعه فيها قائلاً : إنه كاتب السيد أبي سعيد ‹٢› صاحب غرناطة الذي استدعاه ذات يوم ليدون له كتاباً فلما ذهب ابن جبير إليه وجده على مائدة الشراب فطلب السيد من ابن جبير مشاركته فامتنع في البداية فألح السيد عليه فأصابه الخوف فعاد السيد وأصر عليه شرب سبعة أقداح منها ، فلما فعل ابن جبير ملأها السيد سبع مرات بالدنانير وأفرغها في حجر ابن جبير الذي نذر أن يجعلها كفارة لما فعل ، وعزم على الخروج لأداء فريضة الحج ثم باع منزلاً له ليكمل نفقات الرحلة فبدأ رحلته سنة ٥٧٨هـ / ١١٨٢م ٠ ‹٣›

---

١ ـ المصدر السابق ، ج٢ ، ص ٤٨٨ ٠

٢ ـ أبوسعيد بن عبدالمؤمن الكومي عقد له والده على سبته سنه ٥٤٧هـ / ١١٥٢م وعلى غرناطه سنة ٥٤٩هـ / ١١٥٤م وقد أقره على غرناطه أخوه أبو يعقوب يوسف بن عبدالمؤمن عليها سنة ٥٦١هـ / ١١٥٦م ٠ أنظر ابن ابي زرع : الأنيس المطرب ، ص ١٩٤ ، ١٩٦ ، ١٩٨ ، ٢٠٣ ؛ ابن خلدون : العبر ، ج٦ ، ص ٢٢٩ ، ٢٣٦ ، ٢٣٩ ٠

٣ ـ المقري : نفح الطيب ، ج٢ ، ص ٣٨٥ ـ ٣٨٦ ٠ وقد انفرد المقري بما ذكره حيث أن ابن جبير لم يشر لسبب عزمه الى الحج والباعث له مع ملاحظة بُعد المقري عن الحقبه التي عاش فيها ابن جبير مما يجعل تلك القصة مثار شك كبير خاصة وأن المقري لم يذكر مصدر قصته ٠

وحوت الرحلة العديد من المعلومات المختلفة في النواحي السياسية والحضارية والتي تهم الدارسين لتلك الفترة . فابن جبير قام بوصف كل ماشاهده في طريقه إلى الحجاز حتى عودته لغرناطة مرة أخرى عام ٥٨١هـ / ١١٨٥م. <١> وتضم رحلته وصفاً مفصلاً لما كانت عليه الحجاز وخاصة مكة في ذلك الوقت حيث مكث بها ثمانية أشهر وثلث شهر . <٢>

وقد نظم ابن جبير قصيدة عند وصوله إلى مكة المكرمة في الثاني عشر من ربيع الآخر سنة ٥٧٩هـ / ١١٨٣م ومطلعها :

بلغت المُنى وحللت الحرم   فعاد شبابك بعد الهرم
فأهلاً بمكة أهلاً بها   وشكراً لمن شكره يلتزم

ونظم قصيدة أخرى عند استقباله للمدينة المنورة ومطلعها :

أقول وآنست بالليل ناراً   لعل سراج الهدى قد أنارا
وإلا فما بال أفق الدجى   كأن سنا البرق فيه استطاراً <٣>

واشتهرت له قصيدتان أيضاً في صلاح الدين الأيوبي الأولى شاكياً إليه فيها من المكس المأخوذ من الناس في الحجاز والتي منها :

ومانال الحجاز بكم صلاحاً   وقد نالته مصر والشام <٤>

---

١ ـ المقري : نفح الطيب ، ج٢ ، ص ٤٨٨ .
٢ ـ ابن جبير : الرحلة ، ص ١٦١ .
٣ ـ المقري : نفح الطيب ، ج٢ ، ص ٤٩٢ ـ ٤٩٣ ، ٤٨٧ .
٤ ـ المصدر السابق والجزء ، ص ٣٨٤ .

أما القصيدة الثانية فقالها عند خروجه للمرة الثانية للحج ومطلعها:

أطلت على أفقك الزاهر ... سعود من الفلك الدائر <١>

فهذا هو الترتيب التاريخي الصحيح للقصيدتين لأن الثانية يهنىء ابن جبير فيها صلاح الدين بفتح بيت المقدس فأغلب من ذكر القصيدتين خلط في الترتيب الزمني لهما .

سبب الرحلة الثانية :

وهذه الرحلة كان الدافع لها مابلغه من أخبار فتح صلاح الدين لبيت المقدس حيث نلاحظ نظمه للقصيدة السابقة مهنئاً . فكان خروجه من غرناطة للمرة الثانية يوم الخميس التاسع من ربيع الأول سنة ٥٨٥هـ / ١١٨٩م وعودته إليها سنة ٥٨٧هـ/١١٩١م .

وتمكن خلالها من أداء فريضة الحج ثم عاد إلى غرناطة ورحل منها إلى مالقه <٢> وسبته وفاس ولم يلبث أن أنقطع عن الكتابة وجلس لتدريس الحديث. <٣>

سبب الرحلة الثالثة :

يبدو أنه قد تأثر لوفاة زوجته عاتكه <٤> ورحل إلى الحجاز طلباً للراحة والسلوان عقب دفنه لزوجته بسبته حيث قال فيها :

- بسبته لي سكن في الثرى ... وخل كريم إليها أتى
فلو استطيع ركبت الهوا ... فزرت بها الحّي والميّتا <٥>

---

١ ـ أبو شامة :كتاب الروضتين ، ج٢ ، ص ٢ ، ٤ ، ١٠٥ ، ١٠٦ ؛ المقري : نفح الطيب ، ج٢ ، ص ٣٨٣ .

٢ ـ (مالقه) مدينة بالأندلس عامره على ساحل بحر المجاز المعروف بالزقاق واصل وضعها قديم ثم عمرت وكثر قصد المراكب والتجار إليها . أنظر ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج٥ ، ص ٤٣ .

٣ ـ ابن الخطيب : الإحاطة ، ج٢ ، ص ٢٣٢ .

٤ ـ أم المجد عاتكه بنت الوزير أحمد بن عبدالرحمن الوقشي كانت وفاتها يوم السبت لعشر خلون من شعبان سنة ٦٠١ هـ / ١٢٠٤ م وقد قام ابن جبير برحلته الثالثة عقب وفاتها فوصل مكة سنة ٦٠٢هـ / ١٢٠٥م وجاور هناك طويلاً . أنظر المقري : نفح الطيب ، ج٢ ، ص ٤٨٩ .

٥ ـ المصدر السابق والجزء والصفحه .

فكانت هذه آخر رحلاته حيث جاور بمكة طويلاً ثم ببيت المقدس ثم تجول بمصر واستقر بالأسكندرية للتدريس إلى أن توفاه الله <١>.

مـؤلفـاتــه :

لم يدون سوى رحلته الأولى إذ ليس بأيدينا معلومات كافية عن رحلتيه الأخيرتين إلا النزر اليسير المبعثر في طيات الكتب المترجمة له . كما أن كل من ترجم له ذكر أسماء مختلفة لرحلته وهي : تذكرة بالأخبار عن اتفاق الأسفار <٢> ، ورحلة الكناني <٣> ، وكتاب اعتبار الناسك في ذكر الآثار الكريمة والمناسك . <٤>

ويبدو أن هذا الأسم الأخير ليس أسماً لرحلته التى اشتهر بها وإنما هي رسالة مستقلة فقد أشار إلى ذلك إشارة طفيفه ابن عبدالملك المراكشي في كتابه الذيل والتكملة حيث قال" **وله مقالة سماها رسالة اعتبار الناسك في ذكر الآثار الكريمة والمناسك كتب بها إلى وليه أبي الحسن بن مقصير من علماء فاس عند عودته إلى المشرق في ذى القعدة ٥٩٣ هـ / ١١٩٦م**" . <٥>

ونلاحظ هنا أنه ذكرها بلفظ رسالة وليس رحلة وأنه كتب بها إليه سنة ٥٩٣هـ / ١١٩٦م ومن المعروف أن زمن رحلته الأولى سنة ٥٧٨هـ / ١١٨٢م وتاريخ إرسال هذه الرسالة في فترة سابقة مابين رحلته الثانية والثالثة <٦> . ومما

---

١ ـ ابن الخطيب : الإحاطة ، ج٢ ، ص ٢٣٢ .

٢ ـ ابن جبير : الرحلة ، ص ٧ ؛ نقولا زيادة : رواد الشرق العربي في العصور الوسطى ، ص ٨ ؛ زكي محمد حسن : الرحاله المسلمون في العصور الوسطى ، ص ٧٠ ؛ عبدالرحمن حميده : أعلام الجغرافيين العرب ومقتطفات من آثارهم ، ص ٢٣٣ .

٣ ـ حاجي خليفه : كشف الظنون ، ج١ ، ص ٨٣٦ ؛ كراتشكوفسكي : تاريخ الأدب الجغرافي العربي ، ج١ ، ص ٢٩٩ .

٤ ـ محمد عبدالله عنان : تراجم إسلامية شرقية وأندلسية ، ص ٣٣٦ .

٥ ـ المراكشي : الذيل والتكمله ، ج٥ ، قسم ٢ ، ص ٦٠٤ .

٦ ـ المقرى : نفح الطيب ، ج٢ ، ص ٤٨٩ ، فرحلته الثالثة كانت سنة ٦٠٢هـ/١٢٠٥م . أنظر ماسبق ص٩٢ ، هامش٤ .

يؤيد ذلك أن عنوان الرحلة التي بين أيدينا تنكره بالأخبار عن اتفاق الأسفار كما هو مدون في بدايتها ٠ ‹١›

ومما سبق يتضح أنها رسالة مستقلة إما أن تكون وصفاً لرحلته الثانية وتقتصر على الآثار الكريمة والمناسك وإما أن تكون جزءاً مأخوذاً من الرحلة الأولى أشتمل فقط على الآثار الكريمة والمناسك وهذا كله يدعم القول بأنها مختلفة عن الرحلة التي اشتهر بها وهذا مالم يشر إليه أحد ٠

وقد كان ابن جبير ناظماً للشعر والنثر ، له أشعار كثيرة منها : ديوان شعر يعرف بنظم الجمان في التشكي من أخوان الزمان ٠‹٢› وله جزء آخر سماه نتيجة وجد الجوانح في تأبين القرين الصالح ٠ في رثاء زوجته أم المجد ٠ ‹٣›

وأشار شكيب أرسلان إلى عدم صحة ماقيل في أن الرحلة ليست من تأليفه ‹٤› إذ قال " **وهذا غير صحيح لأن نسجه معروف وأسلوبه العالي واحد لا تختلف فيه جمله عن جمله وديباجة كلام ابن جبير لاتخفي على أحد** " ٠ ‹٥›

مكانة ابن جبير الإجتماعية :

وتلقى ابن جبير على عدد كبير من العلماء وقد ذهب الأستاذ عبدالقدوس الأنصاري إلى القول : بأنهم أربعة وعشرون شيخاً ‹٦› ، وهذا عدد قليل بالنسبة لشخص بلغ هذه المكانة مع تعدد رحلاته إلى المشرق فهو بلاشك تلقى العلم على الكثير منهم خلال رحلاته ولعل السبب عائد إلى عدم ذكره أو ترجمته لهم

---

١ ـ ابن جبير : الرحله ، ص ٧ ٠

٢ ـ ابن القاضي : جذوة الإقتباس ، ج١ ، ص ٢٧٨ ٠

٣ ـ شكيب أرسلان : الحلل السندسية ، ج٣ ، ص ١١٨ ٠

٤ ـ ابن القاضي : جذوة الإقتباس ، ج١ ، ص ٢٨٠ ٠

٥ ـ شكيب أرسلان : الحلل السندسية ، ج٣ ، ص ١١٨ ٠

٦ ـ عبدالقدوس الأنصاري : مع ابن جبير في رحلته ، ص ٣٩ ٠

بل أكتفى أحياناً بإيراد الأسم الأول أو اللقب أو الشهرة مما أدى إلى صعوبة تتبعهم والعثور على تراجم وافيه لهم وهو في هذه الناحية يختلف عن غيره من الرحالة الذين انتهجوا منهج الرحلات الوصفيه والبرامج من حيث الترجمة الكاملة لمشايخهم التي قد لاتوجد بهذه السعة والشمول لدى كتاب التراجم من حيث الإشارة لأماكن التدريس والمؤلفات وغيرها من الأمور المتعلقة بهم ٠

وقد بلغ ابن جبير مكانة عالية إذ يقول المنذري " **إنه كان مقدماً في بلاده** " ٠ <١> فارتفاع مكانته عائدٌ لعلمه ومجالسته لعلماء المشرق وغيرهم ، بالإضافة إلى كونه كاتب أمير غرناطة المرموق بفضل ماتمتع به من جمال النظم سواء كان شعراً أو نثراً ، وإن كانت شهرته النثريه أغلب عليه وتدل عليها رحلته المدونه والشاهدة على دقته وبراعته وقد أشار إلى ذلك العلامه ابن جابر الوادي آشي عقب وصفه لدمشق حيث قال " **ولقد أحسن فيما وصف منها وأجاد وتوق الأنفس للتطلع على صورتها بما أفاد هذا ولم تكن له بها إقامة فيعرب عنها بحقيقة علامة وما وصف ذهبيات أصيلها وقد حان من الشمس غروب ولا أزمان فصولها المتنوعة ولا أوقات سرورها المهنئات ولقد أنصف من قال ألفيتها كما تصف الألسن وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين** " <٢>

مميزات رحلة ابن جبير :

قبل البدء في بيان مميزات الرحلة لابد من إبداء ملاحظة لعل الكثيرين غفل عنها وهي عدم عودته بعد أداء فريضة الحج رأساً إلى غرناطة من الطريق التي آتى منها عبر مصر ثم عبوره البحر الأحمر إلى جدة فهو قد عاهد الله تعالى بعدم عبوره مرة أخرى بسبب ماقاساه من أهوال ومشقة <٣> وحيث انه لم يكن هناك إلا طريق البحر وطريق البر الذي سيطر عليه الصليبيون في تلك الفترة فلم يكن أمامه سوى

---

١ ـ المنذري : التكملة ، ج٢ ، ص ٤٠٧ ٠

٢ ـ المقري : نفح الطيب ، ج٢ ، ص ٣٨٧ ٠

٣ ـ ابن جبير : الرحلة ، ص ٥٢ ٠

الذهاب إلى العراق وغيرها من مدن الشام ثم عودته بحراً إلى الأندلس فلولا ماحلف به لسلك نفس الطريق ٠

لقد امتازت رحلة ابن جبير بالعديد من المميزات ومنها : تدوينها على هيئة يوميات لذا كان وصفه شاملاً مفصلاً مع إثبات ذلك بالتاريخ الهجرى والميلادي وهذا يخالف ماذهب إليه كراتشكوفسكى من أنه دونها بعد رجوعه ‹١› ٠ فالدلائل كلها تشير إلى تقييدها يوماً بيوم ٠

ومنها أيضا عنايته الكبيرة بوصف المدن التى مر بها وخاصة مكة المكرمة وآثارها ومعالمها الدينية وأسواقها ومساجدها وغيرها ٠ كما تطرق للناحية الأقتصادية بالحجاز وخاصة المكوس المفروضه على الحجاج في شيء من التفصيل ، ولا يفهم من هذا انه قد أفرد للجانب الإقتصادي مبحثاً خاصاً ، ولكنه يستنتج من خلال كلامه ومن واقع معايشته هناك ٠

وحفلت رحلته بالمدح والثناء على عددٍ كبيرٍ من الأموات والأحياء لصلاحهم وتقواهم ٠ ‹٢›

اتصفت رحلة ابن جبير ببعض المبالغات والتي قد تصل إلى حد التهويل لما يشاهده ليظهر مدى إعجابه أو استنكاره لما يصفه ٠ وبالرغم من أهمية رحلة ابن جبير إلا أنه قد وقع في بعض الأخطاء التاريخية والتي كان من المفروض عليه التحرى عنها مثل مكان مولد الحسن والحسين رضى الله عنهما حيث ذكر أنه بمكة المكرمة٠ ‹٣› ولا ريب أن أشتهار هذا الأمر بين العامة من أهل مكة المكرمة جعله يقع في مثل هذا الخطأ ٠

---

١ ـ كراتشكوفسكي : تاريخ الأدب الجغرافي العربي ، ج١ ، ص ٢٢٩ ٠

٢ ـ كان المسلمون في تلك الفترة يعتقدون بالصالحين والأولياء وخاصة الميتين منهم حيث كانوا يشيدون لهم الأضرحة ويتقربون إليهم بالدعاء وهذا في الواقع بدعه منكره وغير مقبوله فالدعاء والعبادة لله وحده ٠

٣ ـ والصحيح ولادتهما بالمدينة المنورة : أنظر فيما بعد ، ص ٤١٢٠

ويلوح لقارىء رحلة ابن جبير استشهاده بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية في مكانها الملائم في الرحلة إضافة إلى استعماله لبعض الكلمات العامية المستخدمة لدى أهل كل بلد مر بها ٠ ونلمس خُلق ابن جبير في مدح من يستحق المدح وذم من يستحق الذم بدون تجاوز أو تطاول <١> ٠ وعمل ابن جبير على التأكد مما يشاع بين الناس عن زيادة ماء زمزم وقيامه بقياسه للتأكد فعلاً من زيادته أو نقصانه في منتصف شهر شعبان حيث اثبت بطلان زعم زيادته ٠

إضافة إلى عنايته الفائقة بتسجيل النواحي الدينية والإجتماعية والسياسية والإقتصادية بأسلوب سهل واضح أعطى لرحلته قيمة علمية كبيرة أثرت كثيراً فيمن تلاه من الرحالة فنقلوا عنه بعض عباراته مثل ابن بطوطة والبلوي ٠

وقد كان ابن جبير ملماً بالنواحي التاريخية ، كثير المغالاه في التعظيم والتبرك بالآثار المقدسة ، وهو أمر شائع في تلك الفترة بين المسلمين مع ملاحظة عدم اعتنائه بذكر مصدرها فغالباً ما يبدأ ذكر ذلك بلفظ يذكر ٠٠ ويقال وغيرها من الألفاظ التى لا تفيد التوثيق ٠

وحفلت رحلته بالكثير من المحسنات البديعيه مثل : الإستعارة والسجع البديع دون تكلف ، بحيث يسهل فهمها ٠ كما نجده يقدم معلوماته ببراعة مع حسن تصوير وتشبيه وصدق في الوصف والتحري بقدر إطلاعه على حقائق بعض الأمور المذكورة له ٠ إضافة إلى إهتمامه البالغ بما ساد العالم الإسلامي ٠

وعلى الرغم من بعض الأخطاء والهفوات التي وقع فيها ابن جبير فمدونته تحوي الكثير من المعلومات المهمة التي لا يستغني عنها أديبٌ أو جغرافي أو إقتصادي أو مؤرخ يتناول تلك الفترة بالدراسة ولولا تسجيله لها لبقي كأحد الكتاب المشهورين بجمال الأسلوب وحسن الصياغه في الدوله الموحدية ٠

---

١ ـ مدحه لصلاح الدين الأيوبي وذمه لمكثر أمير مكة ٠

الرعيني

٥٩٢ ـ ٦٦٦هـ / ١١٩٥ ـ ١٢٦٧م

الرحالة الأندلسي على بن محمد بن على بن محمد بن عبدالرحمن بن هيصم الرعيني الإشبيلي البطشي حيث كان سلفه فيها يعرفون ببني الحاج ، ويلقب بأبي الحسن ويعرف بابن الفخار صنعة أبيه ، وقد أراد والده أن يعلمه تلك الحرفه فلم يفلح ‹١› . ولد بإشبيلية ‹٢› في شعبان عام ٥٩٢هـ / ١١٩٥م فنشأ فيها وأخذ القراءة على شيوخ عصره ، وقد أجيز صغيراً وقُدم للتدريس في مجالسها ، وتولى القضاء على مذهب الإمام مالك في مورور ‹٣› عام ٦١٥هـ / ١٢١٨م .

ومن المرجح أن تكون رحلة الرعيني إلى المشرق فيما بين عامي ٦١٨هـ / ١٢٢١م و ٦١٩هـ / ١٢٢٢م ففي ترجمته لشيوخه المشارقه يشير إلى التقائه بهم في سنه ٦١٩هـ / ١٢٢٢م في شهر شعبان ‹٤› . واكتفى بإيراد أسماء سبعة منهم فقط وتحرز من ذكر البقية ، وسبب ذلك أنه وقت كتابته لبرنامجه لم تتوفر لديه معلومات مفصله عنهم ولم يقف على فهارسهم .‹٥›

---

١ ـ المراكشي : الذيل والتكملة ، ج٥ ، قسم ١ ، ص ٢٢٣ .

٢ ـ (إشبيلة) مدينة كبيرة بالأندلس قريبة من البحر يطل عليها جبل الشرف ، كثيرة الشجر والزيتون وسائر الفواكه ، اشتهرت بزراعة القطن الذي يُحمل منها إلى جميع بلاد الأندلس والمغرب وهي على شاطىء نهر عظيم تسير فيه المراكب المتصلة يقال له وادى الكبير . أنظر ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج١ ، ص ١٩٥ ؛ الحميري : الروض المعطار ، ص ٥٨ ـ ٦٠ .

٣ ـ (مورور) : كورة مورور متصلة بأحواز قرمونه من جزيرة الأندلس وهي في الغرب والجوف كورة شذونه وهي من قرطبة بين القبلة والمغرب ومدينة قلب قاعدة مورور ودار الولايه بها . أنظر الحميرى : الروض المعطار ، ص ٥٦٤ .

٤ ـ الرعيني : البرنامج ، ص ١٧٤ ـ ١٧٩ .

٥ ـ المصدر السابق ، ص ١٧٩ .

مكانته الإجتماعية :

اشتهر في بدء حياته بالكتابة وكتب لعدد من ملوك الأندلس في إشبيلة وقرطبه <١> وغرناطه ومرسيه <٢> ٠ ويبدو أن الرعيني كثير التنقل ، فقد سكن إشبيلة ومورور وقبطيل <٣> ومالقه وشريش <٤> وقرطبه ومرسيه وغرناطه وتلمسان <٥> واستقر به المقام في آخر حياته بمراكش <٦> حيث توفي فيها في الرابع والعشرين من رمضان سنة ٦٦٦هـ / ١٢٦٧م٠<٧>

١ ـ (قرطبة) مدينة في وسط الأندلس ومقر ملوك بني أميه بينها وبين البحر خمسة أيام ليس لها بالمغرب شبيه من كثرة الأهل وسعة الرقعة محصنه بسور من حجارة لها بابان وأبنيتها متشابكه ٠ أنظر ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٣٢٤ ٠

٢ ـ (مرسية) مدينة بالأندلس اختطها عبدالرحمن بن الحكم بن هشام وسماها تدمُر الشام فاستمرالناس على اسم موضعها الأول وهي ذات أشجار وحدائق محدقة بها ٠ أنظر المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ١٠٧ ٠

٣ ـ (قبطيل) تقع بالأندلس وهي مفرع وادي طرطوشه بالبحر ويعرف أيضاً بالعسكر ٠ أنظر الحميري : الروض المعطار ، ص ٤٥٤ ٠

٤ ـ (شريش) من كور شذونة بالأندلس وهي على مقربة من البحر يجود زرعها ويكثر ريعها وهي موضع رباط ومقر للصالحين يقصد من الأقطار وهي متوسطة حصينة حسنة الجهات بها كروم كثير وشجر الزيتون والتين ٠ أنظر المصدر السابق ، ص ٣٤٠ ٠

٥ ـ (تلمسان) بعضهم يقول تنمسان بالمغرب وهما مدينتان متجاورتان مسورتان بينهما رميه حجر إحداهما قديمه والأخرى حديثة اختطها الملثمون ملوك المغرب ، فيهايسكن الجنود وأصحاب السلطان وأصناف من الناس ، والقديمة يسكنها الرعية ٠ أنظر ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج٢ ، ص ٤٤ ٠

٦ ـ (مراكش) أعظم مدينة بالمغرب وأجلها بها كان ملوك بنى عبدالمؤمن وهي في البر الأعظم بينها وبين البحر عشرة أيام في وسط بلاد البربر اختطها يوسف بن تاشفين سنة ٤٧٠هـ / ١٠٧٧م ٠ أنظر المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ٩٤ ٠

٧ ـ الرعيني : البرنامج ، ص ١٠٢ ، ٢٠٠ ٠ وأنظر المقدمة ص ، ط ـ ى ٠

مؤلفاته :

للرعيني عدة مؤلفات منها :

١ ـ برنامج شيوخه الذي سماه "**كتاب الإيراد لنبذة المستفاد من الروايه والإسناد بلقاء حملة العلم في البلاد على طريق الاقتصار والاقتصاد**" . ‹١›

وقد كتب برنامجه متأخراً عن وقت رحلته ، وأغلب الظن أنه لم تكن لديه نية كتابته لولا عزم بعض أصحابه عليه أن يقيد برنامجه فأحجم فترة لنسيانه بسبب طول العهد بينه وبينهم . ‹٢›

٢ ـ اقتفاء السنن فى انتقاء أربعين من السنن أخرجها عن أربعين شيخاً .

٣ ـ شرح الكافي لابن شريح .

٤ ـ وله كتاب كبير سماه "**جنى الأزاهر النضيره وسنا الزواهر المنيرة في صلة المطمع والذخيره مما ولدته الخواطر من المحاسن في هذه المدة الأخيرة**" . ‹٣›

مميزات برنامج الرعيني :

لقد رتب الرعيني برنامجه وفق اختصاص العلماء حيث أفرد لكل اختصاص باباً سرد فيه أسماء شيوخه وأنسابهم ومواطنهم وماحمله عنهم من كتب وما أخذه من إجازات وقد أفرد أيضاً باباً سرد فيه أسماء مشايخه بدون ترجمة حتى يسهل الرجوع إليهم والتعرف عليهم .

احتوى برنامجه على الترجمة لعلماء المشرق وهم قلة وترجمته لهم مختصرة مع عدم ذكره لأسماء مشايخه الذين أخذ عنهم بمكة المكرمة والمدينة المنورة . وربما يكون هذا عائداً إلى نسيانه اسمائهم لطول العهد بين رحلته وبين كتابته لبرنامجه .

---

١ ـ الرعيني : البرنامج ، المقدمة ، ص ق ؛ كحالة : المستدرك على معجم المؤلفين ، ص ٥٠٨ .

٢ ـ الرعيني : البرنامج ، ص ٤ .

٣ ـ المصدر السابق ، ص ١٤، ١٦، ٢١٤ ؛ كحالة : المستدرك ، ص ٥٠٨ ـ ٥٠٩ .

حيث صنف برنامجه بعد مرور مدة طويلة على رحلته ، لذا نجد أنه كتبها من الذاكرة ٠ وقد رجح محقق البرنامج أن يكون وقت كتابتها سنة ٦٤٦هـ / ١٢٤٨م ٠ فالرعيني هنا يخالف الرحالة المغاربة والأندلسيين من حيث التسجيل الآني والترجمة الفورية لمشايخهم وماحملوه عنهم والإجازات التي أخذت منهم ٠

لذا نراه يغفل ذكر عدد كبير من العلماء لنسيانه إياهم ٠«١» كما أنه عند ذكره لمشايخه في برنامجه ذكرهم ذكر بعيد العهد بهم ويدل على ذلك ما يظهره من ترحم على الغالبيه منهم ٠

وقد خلا برنامجه أيضاً من اللمحات الجغرافية والعمرانية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية وتركيزه فقط على الترجمه لذا فبرنامجه من البرامج العلمية فقط ٠

---

١ ـ الرعيني : البرنامج ، المقدمة ، ص س ، ص ٧ ٠

ابن رُشيد

٦٥٧ ـ ٧٢١ هـ / ١٢٥٨ ـ ١٣٢١م

محمد بن عمر بن محمد بن عمر بن محمد بن أدريس بن سعيد بن مسعود بن حسن بن محمد بن محمد بن رشيد ابوعبدالله الفهري السبتي٠‹١› ولد بسبتة في شهر رمضان سنة ٦٥٨هـ / ١٢٥٨م وكانت وفاته في فاس في يوم الأثنين الرابع والعشرين من محرم سنة ٧٢١هـ / ١٣٢١م٠

رحالة من بلاد المغرب رحل إلى المشرق لأداء فريضة الحج ولقاء أهل العلم سنة ٦٨٣هـ / ١٢٨٤م ٠ ‹٢›

أما صفاته :

فقد أثنى عليه كل من ترجم له ، إذ وصف بالثقة والعدل ٠ كان عارفاً بعلم القراءات والعربيه وعلم البيان والآداب والعروض والقوافي مشاركاً في غير ذلك من الفنون وهو من خدام الكتاب والسنة فاضلاً كريماً براً بأصدقائه ، حسن العهد ، أديباً خطيباً بليغاً ذاكراً يقرض الشعر على تكلف ٠ ‹٣›

وقد طلب منه أن يكتب شيئاً من شعره ولم يكن الوزن من طبعه فكتب :

يامن يفوق النجم موطنه ... كلفتني ما ليس أحسنه
ولتغض عما فيه من خلل ... خُلدت في عز تزينه ‹٤›

---

١ ـ ابن حجر : الدرر الكامنه ، ج٤ ، ص ١١١ ٠ وقد ورد في نسبه بعض اختلافات بسيطة من حيث النقص من أسماء أجداده ٠ أنظر الحسيني : ذيل تذكرة الحفاظ للذهبي ، ص ٩٧؛ ابن فرحون : الديباج المذهب ، ص ٣١٥ ٠

٢ ـ المقري : أزهار الرياض ، ج٢ ، ص ٣٤٧ ـ ٣٤٨ ، ٣٥٦ ٠

٣ ـ المصدر السابق ، ج٢ ، ص ٣٤٨ ٠

٤ ـ الصفدي : الوافي بالوفيات ، ج٤ ، ص ٢٨٥ ـ ٢٨٦ ٠

وكانت له عناية بعلم الحديث وضبط أسانيده ورجاله ومعرفة انقطاعه واتصاله <١> أصيل النظر ذاكراً للتفسير <٢> حافظاً للأخبار والتواريخ . <٣>

ومن صفاته أيضاً أنه كان عظيم الوقار والسكينة ، مضبوط الكتابه ، حسن الخلق ، متواضعاً ، مبذول الجاه ، طلق الوجه ، ملاذاً لطلبة العلم . <٤>

وقد ذُكر عدم انتماء ابن رشيد للمذهب المالكي <٥> بينما أشار هو إلى إنتمائه إلى المالكية . <٦>

وجميع صفاته هذه يشهد عليها كتابه المسمى ملء العيبه بما جُمع بطول الغيبة في الوجهة الوجيهة إلى الحرمين مكة وطيبة . <٧> التي قال عنها السيوطي إنها ست مجلدات مشتملة على فنون <٨> بينما ذكر الصفدي إنها أربع مجلدات. <٩> وأشار ابن القاضي والمقري إنها أربعة أسفار جمع فيها من الفوائد الحديثية والفرائد الأدبية كل غريبة وعجيبة . <١٠>

ويبدو أن رحلته قد استنسخ منها عدة نسخ ، حيث رأى العياشي أجزاء منها بمكة في وقف المغاربه برباط الموفق . <١١> وكما استُنسخ من الرحلة فقد

---

١ ـ ابن القاضي : درة الحجال ، ج٢ ، ص ٩٦ .
٢ ـ السيوطي : بغيه الوعاة ، ج١ ، ص ١٩٩.
٣ ـ ابن فرحون : الديباج المذهب ، ج١ ، ص ٣١٥ .
٤ ـ السيوطي : بغية الوعاة ، ج١ ، ص ١١٩ ـ ٢٠٠ .
٥ ـ ابن القاضي : جذوة الإقتباس ، ج١ ، ص ٢٨٩ ؛ ابن حجر : الدرر الكامنة ، ج٤ ، ص ١١٢.
٦ ـ المقري : ازهار الرياض ، ج٢ ، ص ٣٥٠ .
٧ ـ ابن رشيد : ملء العيبه ، ج٥ .
٨ ـ السيوطي : بغيه الوعاه ، ج١ ، ص ٢٠٠ .
٩ ـ الصفدي : الوافي بالوفيات ، ج٤ ، ص ٢٨٥ .
١٠ـ ابن القاضي : درة الحجال ، ج٢ ، ص ٩٧ ؛ المقري : ازهار الرياض ، ج٢ ، ص ٢٥٠ .
١١ـ العياشي : الرحلة العياشية ، ج٢ ، ص ٢٣٨ . أنظر الحديث عن الرباط فيما بعد ، ص ٤٠٨ .

اختُصر منها أيضاً إذ رأى ابن الخطيب مختصراً لها بسبته ٠ <١> ويدل تعدد نسخها ووجود مختصرات لها على أهميتها ٠

أما مكانته الإجتماعية :

فقد اتجه منذ صباه لدراسة الأدب واللغة <٢> وطلب العلم بجميع فروعه وتلقاه على العديد من العلماء ٠ وبلغ أعلى المراتب بفضل علمه الغزير فصار ذا حظوه عند الملوك والناس <٣> ووُصف بالإمام لجلال قدره ووصفه المقري " **بأنه من خدام الكتاب والسنة لكثرة عنايته بالحديث متنه وسنده ومعرفته برجاله** " ٠ <٤>

سبب الرحلة :

الخروج لأداء فريضة الحج ولقاء العلماء والحصول على الإجازات منهم وقد سجل ذلك في متن رحلته ، وكان خروجه للمشرق سنة ٦٨٣هـ / ١٢٨٤م٠ <٥>

صحبه في جزء من رحلته الوزير أبوعبدالله بن الحكيم٠ <٦> وعندما قفل عائداً من المشرق حل ببلدة سبته ولكن لم تطل مدة إقامته بها ، إذ كتب إليه رفيق رحلته الوزير أبي عبدالله يستدعيه لغرناطة فرحل إليها وقُدم للخطبة والصلاة بجامعها ولي قضاء الأنكحة واستقر به المقام بغرناطه ، وحظي فيها بمكانه عالية

---

١ ـ ابن الخطيب : الإحاطة ، ج٣ ، ص ١٣٧ ٠

٢ ـ ابن حجر : الدرر الكامنة ، ج٤ ، ص ١١١ ٠

٣ ـ ابن فرحون : الديباج المذهب ، ج١ ، ص ٣١٥ ٠

٤ ـ المقري : ازهار الرياض ، ج٢ ، ص ٣٤٨ ـ ٣٥٠ ٠

٥ ـ ابن القاضي : درة الحجال ، ج٢ ، ص ٩٦ ؛ المقري : أزهار الرياض ، ج٢ ، ص ٣٤٧ ٠

٦ ـ أبوعبدالله محمد بن عبدالرحمن بن ابراهيم بن يحي اللخمي الرندي الكاتب البليغ الأديب الشهير الذكر بالأندلس قدم غرناطة أيام السلطان أبي عبدالله محمد بن محمد بن نصر بعد رجوعه من رحلته للحج التي رافق فيها ابن رشيد فألحقه السلطان بخدمته ثم قلد الوزارة في عهد أبي عبدالله المخلوع ولقبه ذا الوزارتين وصار صاحب أمره ٠ إلى أن توفي قتيلاً بغرناطة يوم الفطر سنة ٧٠٨هـ / ١٣٠٨م حيث انتهبت منازله وضاع ماله وكتبه ومثل به قتلته ، وطيف بأشلائه فضاع ولم يقبر ، وكانت ولادته برندة سنة ٦٦٠هـ/١٢٦١م ٠ أنظر المقري : نفح الطيب ، ج٥ ، ص ٤٩٨ ـ ٥٠٧ ٠

كان خلالها يلقي دروسه . <١> إلى أن قتل صديقه الوزير أبوعبدالله فتعرض للأذى وعزم على الرحيل من غرناطة <٢> بالرغم من أن سلطانها خيره بين المكوث بها أو تركها فاختار أن يلحق بمراكش ، ومالبث أن أصبح فيها محط الأنظار وقُدم للصلاة والخطبه بجامعها العتيق ، وكان شغله الشاغل بها العلم والتدريس والتحقيق إلى أن استدعاه سلطان فاس فأنتقل إليها وأصبح من خواص السلطان وجلسائه ، أثيراً لديه لعظم مكانته العلمية إلى أن توفي . <٣>

وُصف ابن رشيد برباطة الجأش فبينما هو على منبر المسجد الأعظم بغرناطة وظن أن المؤذن قد فرغ فقام يخطب فرفع المؤذن أذانه فاستعظم ذلك بعض الحاضرين وقاموا بإشعاره وتنبيهه وكلمه آخرون فلم يلتفت إلى أحدٍ منهم وأكمل ماشرع فيه من الخطبة وأوضح للناس في هذه الخطبة أن الأذان الذي بعد الأول غير مشروع الوجوب وحضهم على طلب العلم ، وتلى قوله تعالى : (**وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا**) <٤> وذكر أحاديث تبين وجوب الإنصات وعدم اللغو عند خطبة الإمام . <٥>

مؤلفاته :

خلف ابن رشيد مؤلفات كثيرة وهامة في علوم الحديث والأدب والعربية منها :

١ ـ رحلته التي سماها ملء العيبة فيما جمع بطول الغيبة في الوجهتين الكريمتين إلى مكة المكرمة وطيبة <٦> وهي أهم مؤلفاته ولم يسبقه أحد من الرحالة في تأليف رحلة في كبر حجمها وماتحتويه من غرائب وفرائد بالإضافة إلى ما اشتملت عليه من تراجم واسعة لشيوخه في المدن الإسلامية التي مر بها .

---

١ ـ ابن القاضي : درة الحجال ، ج٢ ، ص ٩٩ ؛ المقري : أزهار الرياض ، ج٢ ، ص ٣٥٥ .
٢ ـ ابن الخطيب : الإحاطة ، ج٣ ، ص ١٤٢ .
٣ ـ ابن القاضي : درة الحجال ، ج٢ ، ص ٩٩ ؛ المقري : أزهار الرياض ، ج٢ ، ص ٣٥٥ ـ ٣٥٦.
٤ ـ القرآن الكريم : سورة الحشر ، ٥٩/ ٧ .
٥ ـ ابن الخطيب : الإحاطة ، ج٣ ، ص ١٣٧ ـ ١٣٨ .
٦ ـ المصدر السابق والجزء ، ص ١٣٧ .

٢ ـ مقدمة المعرفة في علو المسافة والصفة .

٣ ـ الصراط السوي في اتصال سماع جامع الترمذي .

٤ ـ إفادة النصيح في مشهور رواة الصحيح وجزء فيه مسألة العنعنة .

٥ ـ المحاكمة بين الإمامين .

٦ ـ إيضاح المذهب في تعين من يطلق عليه اسم الصاحب وجزء فيه حكم رؤية هلال شوال ورمضان .

٧ ـ تلخيص كتاب القوانين في النحو .

٨ ـ شرح جزء التجنيس لحازم بن حازم الإشبيلي .

٩ ـ حكم الاستعارة .

١٠ـ وهناك غيرها من الخطب والقصائد النبوية والمقتطفات البديعية . <١>

١١ـ تقييد على كتاب سيبويه . <٢>

١٢ـ الإضاءات والإنارات في البديع المسماة بإيراد المرتع لرائد القوافي لشيخه أبي الحسن حازم . <٣>

ويبدو أنه لم يبق من مؤلفاته إلا رحلته وإفادة النصيح <٤> وقد أورد الكتاني وحاجي خليفه من مؤلفاته أيضاً الرحلة ، وإيضاح المذهب فيمن يطلق عليه اسم الصاحب ، وترجمان التراجم ، والسنن الأبين في السند المعنعن ، وإفادة النصيح في رواية الصحيح . <٥>

---

١ ـ الصفدي : الوافي بالوفيات ، ج٤ ، ص ٢٨٥ .

٢ ـ المقري : أزهار الرياض ، ج٢ ، ص ٣٥٠ .

٣ ـ ابن القاضي : درة الحجال ، ج٢ ، ص ٩٧ ـ ٩٨ .

٤ ـ كحالة : معجم المؤلفين ، ج١١ ، ص ٩٣ .

٥ ـ الكتاني : فهرس الفهارس ، ج١ ، ص ٤٤٣ ـ ٤٤٤ ؛ حاجي خليفه : كشف الظنون ، ج١ ، ص ٢٠٩ .

مميزات رحلة ابن رشيد :

تميزت رحلة ابن رشيد بأنها من الرحلات العلمية فإهتمامه منصب على علم الحديث الذي كان محور الطلب في ذلك الوقت بالإضافة إلى العقيدة والفقه والأدب والسيرة والتصوف واللغة والشعر ٠ حيث ظهرت الناحية العلمية جلية في هذه الفترة بفضل ترجمته لكل من لقيهم من العلماء والحفاظ والفقهاء والأدباء في كل مدينة مر بها ، وأبان طريقة التلقي سواء كانت سماعاً أو مناولة أو قراءة ٠ إضافة إلى تسجيله لأسماء الكتب المقروءة والمسموعة وإبراز أسماء المصنفات التي كان يحرص على أخذ الإجازات عليها له ولبنيه وإخواته ٠

كما أشار إلى تحديد أماكن الدرس والعلم التى لم تكن قاصرة على مكان معين بل نجدها في منازل الفقهاء وحتى الطرقات أو كل مكان يمكن أن يلتقي فيه بشيخه ٠ وهذا يدل على مدى حرصه على تلقى العلم وفي أقصر مدة ٠ كما حرص على السماع والتقييد والحصول على الإجازات التي أورد نماذج منها ٠ <١>

وتميز أيضاً بدقة الضبط للأسانيد مع لفت الانتباه إلى غير المعروف لديه بالبحث عنه مع تعليقه على كل مايقال له وإبداء الرأي فيه ويتخلل كل ذلك نقد للأحاديث وتعريف بالرجال وإيراد سند الأحاديث التي سمعها حتى الوصول بها إلى النبي ﷺ ٠

بالإضافة إلى تصويره للمراحل التي قطعها في طريقه ولكن بالقدر المكمل لقوام رحلته وتبرز لنا شخصية ابن رشيد الحريص على الأقتداء بالسنة وتقبله النصيحه ٠ كما تبرز لنا خلفيته التاريخية في إشارته لبعض الأمور القديمة و يبرز لنا ابن رشيد بشخصية العالم اللغوي الذي استطاع ضبط أسماء المواقع والأماكن لغوياً وخاصة أسماء المشاعر المقدسة بالأعتماد على المعاجم الخاصة بذلك ٠

---

١ ـ ابن رشيد : ملء العيبة ، ج٥ ، ص ١٨٤ ٠

وكان ابن رشيد نواقاً حافظاً للشعر ، وقد وضح هذا عند استشهاده بالأبيات الشعريه المؤيدة لمذهب إليه وذكره لإجازات شعريه حصل عليها .

ولم يكتف ابن رشيد بذكر الأخطاء التى وردت في كتب السابقين بل قام بإصلاحها والتنبيه عليها . وأشار إلى بعض العادات الإجتماعية المتبعة سواء كانت بالمدينة المنورة أو مكة المكرمة لتلك الفترة ، واعتنى بذكر البدع المنتشره والناتجه عن ضعف العقيدة الإسلامية عند بعض ابناء عصره في ذلك المجتمع .

وناقش ابن رشيد نشأة الشاذروان <١> حول الكعبة واستقر رأيه على أنه أنشيء ليصان به الجدار . كما تطرق لقضايا تتعلق بالأماكن المقدسة مثل المسجد الموجود بعرفات <٢> وأشار إلى وصف الحالة الجوية وندرة المياه في المشاعر المقدسة .

---

١ ـ (الشاذروان) : بفتح الذال من جدار البيت الحرام وهو الذي ترك من عرض الأساس خارجاً ويسمى تأزير لأنه كالإزار للبيت . والشاذروان هو الحجارة المائلة الملتصقة بأسفل الكعبة المحيطة بها من جوانبها الثلاثة . أما الجانب المقابل لحجر إسماعيل ففيه درجة واحدة مسطحة وهي بطول جدار الكعبة . أنظر الفيومي : المصباح المنير ، ج١ ، ص ٣٦٣ ؛ الكردى : التاريخ القويم ، ج٤ ، ص ١ .

٢ ـ ابن رشيد : ملء العيبة ، ج٥ ، ص ٩٦ ، ١٢١ .

العبدري

محمد بن محمد بن علي بن أحمد بن مسعود العبدري <١> الحيحي <٢> ويرجع نسبه إلى بني عبدالدار <٣> رحالة من بلاد المغرب لم يعرف إلا القليل عن نشأته حيث لم نجد ترجمة لحياته إلا في جنوة الإقتباس وهي مختصرة لاجديد فيها يزيد عما هو موجود في متن رحلته ٠ والفترة الوحيدة المعروفة يقيناً من حياته هي المسجلة في رحلته ، والتي تكشف عن شخصيته وتبين أنه عالم ملم بجميع العلوم ذو اطلاع واسع إلا أنه ليست لدينا معلومات مفصلة عن بداية حياته العلمية ٠ والراجح أن يكون من عائلة علم فقد نعت والده بالشيخ الصالح الخطيب في بداية نسخة الرحلة المخطوطة في الرباط ، إلى جانب اهتمامات شقيقه يحي العلمية ٠

وفيما يبدو أنه تلقى تعليمه بمراكش لأنه ارتبط فيها بصلة قوية مع عدد من علمائها ومنهم ابن عبدالملك المراكشي ٠ <٤>

صفاته :

حفلت رحلة العبدري بتدوين مشاهداته والتي أظهرت دقته في تسجيل ملاحظاته ٠ إضافة إلى وجود الكثير من المباحث الفقهية والنحوية واللغوية والأدبية والأبيات الشعرية التي إمتلأت بها رحلته ، فمن خلال المباحث يظهر لنا العبدري العالم المثقف المتمكن في علمه ، إذ عكف علي مناقشة القضايا التي أوردها معتمداً على ماسبق كتابته في نفس الموضوع مع ترجيح بعضها على بعض هذا من الناحية العلمية ٠

---

١ ـ ابن القاضي : جذوة الإقتباس ، ج ١ ، ص ٢٨٦ ٠

٢ ـ (حاحة) بلدة واسعة بين مراكش وسوس وحِيَحُه بالكسر قبيلة من قبائل سوس مشهورة وحاحة قرب مدينة الصويرة على شاطىء المحيط الأطلسي على مقربة من مغادور بمراكش ٠ أنظر العبدري : الرحلة المغربية ، ص ت ؛ الزبيدي : تاج العروس ، ط ١٣٦٩هـ / ١٩٦٩م ، ج٦ ، ص ٣٥٨ ؛ نقولا زيادة : الجغرافيه والرحلات عند العرب ، ص ١٦٤ ٠

٣ ـ الزبيدي : تاج العروس ، ط دار الفكر ، ج٣ ، ص ٣٧٩ ٠

٤ ـ العبدري : الرحلة المغربية ، ص ح المقدمة ، ١٤٠ ، ٢٧٥ ٠

صفاته الخُلقية :

فهي الحدة والغضب والسخط وعدم الرضا ، كان صادقاً في أحكامه على أهل المدن ضئيلي الثقافة فهو ما أن يحس بذلك حتى يسارع إلى رميهم بأقدح الذم والهجاء معتقداً صواب مايفعل ·

وقد نقده ابن عبدالسلام الناصري ‹١› في هذا الجانب رغم عدم إنكاره لعلمه وفضله ‹٢› وهو مالم يعهد في رحالة قبله أو بعده ·

وتأتي قيمة رحلته في كونها وثيقة سجل فيها حالة العالم الإسلامي العلمية والدينية ·

سبب الرحلة :

فقد كانت لأداء فريضة الحج والعلم والتجارة ، ونلمس ذلك بوضوح في إشارته إلى أنه كان يحمل القمح لبيعه في مكة المكرمة دلالة على إشتغاله بالتجارة والتي لم يشر أحد إليها · وكان خروجه للرحلة في الخامس والعشرين من ذي القعدة عام ٦٨٨هـ / ١٢٨٩م من مدينة حاحة ، ولكنه لم يبدأ بتدوين رحلته إلا بتلمسان ‹٣› وأسماها بالرحلة المغربية والتى ربما أخذت اسمها من الطريق البري الذي سلكه في شمال أفريقيا مع الأخذ في الأعتبار أنه من ساكني بلاد المغرب ·

والواقع أن العبدري مجهول الميلاد وسنة الوفاة ، وإحتمال أن تكون وفاته قريبة عقب عودته من المشرق لأنه كما قيل لو عمر طويلاً لظهرت له مشاركات في العلوم التي يتقنها ولعثرنا له على مؤلفات قيمة · وكانت رحلة العبدري إلى المشرق في مقتبل حياته · ‹٤›

---

١ ـ محمد بن عبدالسلام بن عبدالله بن محمد بن محمد الناصرى عالم الحديث رحالة من أهل درعه بالمغرب تعلم ببلده وسافر إلى فاس فقرأ على علمائها ورحل إلى المشرق مرتين توفي بالزاويه الناصريه بدرعه له مؤلفات الرحلة الكبرى والرحلة الصغرى · أنظر الزركلي : الاعلام ، ج٦ ، ص ٢٠٦ ·

٢ ـ العبدري : الرحلة المغربية ، ص ص ـ ض ·

٣ ـ المصدر السابق ، ص ٧، ١٨٨ ·

٤ ـ المصدر السابق ، المقدمة ص ١ ج ·

مـؤلفـاتــه :

لا يوجد له مؤلفات غير رحلته التي دونها وسماها الرحلة المغربية ٠

مميزات رحلة العبدري :

أوضح العبدري المنهج الذي سيتبعه في تقييده لرحلته وذلك من قوله إنه سيقيد ما أمكنه تقييده بطريقة تجعل الناظر إليه يسمو مطرقاً ٠ كما أنه سيذكر وصفاً للبلدان التى زارها وأحوال ساكنيها بقدر مايدركه ويعاينه بالمشاهدة من غير إخفاء القبيح أو تحسينه ولا تقبيح الحسن أو أخفائه ٠ مظهراً ذلك كله بصورة واضحة بحيث يكون السامع كالناظر ٠ وأضاف قائلاً : إنه سيورد ما استفاده من أخبار وقصائد ونكات وغيرها من الأمور التي تتمم هدف الرحلة بحيث يكون مؤلفه هذا مغنياً عن غيره ٠ وأكد على أنه سيؤيد أقواله بالأحاديث التي رواها والآثار التى شاهدها متبركاً بإثباتها وإثبات الفضلاء من رواتها ٠ (١)

وقد سار في تقييده على ما رسمه لنفسه فمن ذلك نقده اللاذع وذمه المقدح لأهل المدن التي مر بها بسبب قلة اهتماماتهم العلمية فجعل جل إهتمامه منصباً على هذه الناحية ٠

فأخذ يتقصى ويمعن البحث عن العلماء في كل مدينة يصلها وقد عزا انصراف الناس عن العلم وندرة حامليه إلى " **المُلك الذي قوض دعائمه وصدعت قوائمه ، وقال : إن من أدعاه فاته معناه ، مالهم منه إلا أسماؤه وكناه ، لا يأمن بهم طريق ولا يستفيد بهم غريق ، ولا يذكر منهم أصيل في المجد عريق ، ولا تندى أكفهم بنائل ، ولا تصون عن الابتذال وجه فاضل ، ولا ينصف بهم مظلوم ، ولا يقرع بأسيافهم ظلوم** " ٠ (٢)

---

١ ـ العبدري : الرحلة المغربية ، ص ١ ـ٢ ٠

٢ ـ المصدر السابق ، ص ٣ ـ ٤ ٠

وبهذا يصور حال البلاد الإسلامية السياسية التي مر بها أصدق تصوير ٠ كما أصاب في التحقيقات الجغرافية الدقيقة إضافة إلى وصفه المتقن للمدن فهو في هذه الناحية يضاهى أغلب الجغرافيين الذين أعتمدوا في مؤلفاتهم على النقل في حين أنه أعتمد على مشاهداته ، فوصفه للمناظر والمراحل التي مر عليها وصفاً جميلاً محكماً عاكفاً على تصحيح أخطاء شائعة وردت في مؤلفات سابقة ، بشيء من التوسع ، مع بيان الصحيح منها وإبداء رأيه بالإعتماد على المنطق المرتكز على الحجج العقلية والبراهين التاريخية ٠ ويظهر لنا العبدري الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر في محاربته للبدع المخالفه للقرآن الكريم والسنة المطهرة دلالة على فهمه الصحيح للدين ٠

أما آسلوبه المتبع في رحلته فهو الصدق والدقة والمناقشة المعتمدة على الحجة والمنطق والهجاء اللاذع ٠

وحفلت الرحلة بالكثير من الأبيات الشعرية سواء لأدباء وعلماء لقيهم أو ماكان يخصه ٠ فالعبدري أهتم بعلم التاريخ وخاصة تراجم العلماء وكان صائباً في الحكم على بعض علماء عصره إصابة أثبت التاريخ صحتها في مدحه لهم وإعلاء شأنهم مثل ابن خميس شاعر تلمسان والدباغ القيرواني صاحب كتاب معالم الإيمان وروضات الرضوان في مناقب المشهورين من صلحاء القيروان وابن دقيق العيد ٠ (١)

ومن جملة مميزات الرحلة أيضاً إهتمامه بالتدقيق فى الآثار القديمة والتصوير الدقيق للحالة الإجتماعية والدينية التي كانت عليها البلاد الإسلامية في ذلك الوقت " **فهو يدرك بالنظرة الواحدة ما لايدركه غيره بالتأمل الطويل** " ٠ (٢)

---

١ ـ العبدري : الرحلة المغربية ، ص ١٣ ، ٦٦ ـ ٦٧ ، ١٣٢ ، ١٣٨ ٠

٢ ـ حسين مؤنس : الجغرافية والجغرافيين في الأندلس ، ص ٥٢٣ ٠

إضافة إلى اعتنائه بالجانب الإقتصادي في المدن التي زارها ، فقد كتب رحلته بلغة سليمة تنم عن إحاطته بمفرداتها ودقائق أمورها .

ومن خلال مناقشاته للمواضيع التى تناولها ظهر لنا العبدري العالم المتبحر المشارك في مختلف فنون العلم (١) . ومما يؤخذ عليه كثرة ذمه للناس واخلاقهم ، اما فيما عدا ذلك فالعبدرى كان دقيق الحكم فيما يختص بالأوضاع الدينية والعلمية إلا ما ندر ، وهذا عائد الى قصر الفترة التى مكثها في المناطق التى اصدر عليها حكمه .

---

١ ــ العبدري : الرحلة المغربية ، المقدمة ، ص غ .

التجيبي السبتي

٦٧٠ ـ ٧٣٠هـ / ١٢٧١ ـ ١٣٢٩م

القاسم بن يوسف بن محمد على بن القاسم التجيبي البلنسي المحتد السبتي النشأة والمولد ‹١› النجار المحدث علم الدين . ‹٢›

رحالة أندلسي الأصل نشأ في المغرب وقد أشار إلى سنة مولده في ٦٧٠هـ / ١٢٧١م ‹٣› ونجد أن مضمون رحلته وفهرس مشيخته يظهران لنا مدى ماتمتع به من ثقافة واسعة حتى أنه وصف لغزارة علمه بالعالم البارع المحدث الحافظ ، المتقن العارف بالحديث ، القيم على أنواعه ، الضابط الثقة . توفي سنة ٧٣٠هـ / ١٣٢٩م . ‹٤›

سبب الرحلة :

خرج قاصداً أداء فريضة الحج ، ولقاء العلماء ، والأخذ عنهم ، وكان خروجه في بداية سنة ٦٩٥هـ / ١٢٩٥م. ‹٥› وأخذ يتنقل بين مراكز العلم في شمال أفريقيا حتى وصل القاهرة في بداية سنة ٦٩٦هـ / ١٢٩٦م وقام بتدوين رحلته أثناء سفره وأضاف إليها المزيد من الحوادث التي علمها عقب عودته إلى بلاده . ‹٦›

---

١ ـ التجيبي : البرنامج ، المقدمة ، ص ي .

٢ ـ ابن حجر : الدرر الكامنه ، ج٣ ، ص ٢٤٠ .

٣ ـ التجيبي : البرنامج ، ص ٦٤ ؛ وقد ذكر التنبكتي انه ولد سنة ٦٦٦هـ / ١٢٦٧م . أنظر التنبكتي : نيل الأبتهاج ، ج١ ، ص ٢٢٢ .

٤ ـ التجيبي : مستفاد الرحلة ، ص ٢٠ ؛ التنبكتي : نيل الأبتهاج ، ج١ ، ص ٢٢٢ .

٥ ـ التجيبي : البرنامج ، ص ٢٥٩ . فقد كان موجوداً في بجايه في ذلك الوقت .

٦ ـ التجيبي : مستفاد الرحلة ، ص ٢٠ ، ص ٣٠٦ .

وتقع رحلته التي سماها مستفاد الرحالة والإغتراب <١> في ثلاث مجلدات ضخمه <٢> ، فُقد القسم الأول والثالث منها ، وبقي القسم الثاني الذي تناول فيه الحديث عن القاهرة وجُدة ومكة المكرمة . <٣> واتبع خطوات ابن رشيد في تدوينه لرحلته إلا أنه زاد عليه بتراجم مستوفاة كاملة لمشايخه ومروياته عنهم بأسانيدها . <٤>

أما مؤلفاته :

فلم يعرف له غير :

١ ـ مستفاد الرحلة والاغتراب ويتضمن وصف رحلته من حين خروجه إلى إيابه .

٢ ـ برنامج التجيبي وهو مأخوذٌ من مستفاد الرحلة والاغتراب حيث استخرج التراجم الموجودة فيه وجعلها في برنامج قائم " بذاته مع إضافة ما أخذه أثناء لقائه بالمحدثين والفقهاء في تنقلاته بين المراكز العلمية .

مميزات رحلة التجيبي السبتي :

اعتنى التجيبي بالوصف التفصيلي لمشاهداته الجغرافية والعمرانية مع الإجادة في وصف أحاسيسه وشعوره أثناء اتجاهه لجُدة . كما اهتم بتسجيل تراجم مشايخه ومكان لقائه بهم ومروياته عنهم بأسانيدها ، إضافة إلى تطرقه للنواحي التاريخية الدالة على سعة معرفته بهذا الجانب .

قام التجيبي بضبط أسماء البلدان لغوياً مع إشاراته الدقيقة للنواحي السياسية والإقتصادية والإجتماعية والعلمية للمدن التي زارها . ولكنه وقع في بعض الأخطاء التاريخية التي لاتنقص من قيمة رحلته ، مثل قوله عن كومين من

---

١ ـ التجيبي : البرنامج ، ص ٤٠ ، ٥٦ ، ٩٨ ، ١٦٦ .

٢ ـ ابن حجر : الدرر الكامنة ، ج٣ ، ص ٢٤٠ ؛ التنبكتي : نيل الابتهاج ، ج١ ، ص ٢٢٢ .

٣ ـ التجيبي : مستفاد الرحلة ، المقدمة ص ح ـ خ ـ د ـ ذ .

٤ ـ ابن حجر : الدرر الكامنة ، ج٣ ، ص ٢٤٠ .

الحجارة اشتهرا عند أهل مكة المكرمة بقبري أبي لهب وزوجته قرب ثنيه كُدي. <١> فقال "**وأرى ذلك غير صحيح والذي يشبه عندي أن يكون أحد الكومين قبر أبي رغال** " <٢> ، ووهنا أخطأ التجيبي فأبورغال كان دليل أبرهه في حملته التي أراد بها هدم الكعبة فهلك فيمن هلك ، ودُفن بين مكة المكرمة والطائف في مكان يسمى المغمس <٣> ، وقد مر النبي ﷺ بقبره فأمر برجمه فصار ذلك سنة . <٤> والمغمس خارج مكة المكرمة فكيف يكون قبره بكدي .

امتاز التجيبي بوصفه الدقيق للمسجد الحرام وإشاراته عن الزيادات الملحقه به ، وقصة بناء الكعبة ، وحفر بئر زمزم ، ونسب بنى شيبة سدنة البيت الحرام ، إضافة لوصف مكة المكرمة وماقيل في أسمائها وفضلها والأحاديث النبوية الواردة في هذا الشأن مع العناية بذكر الناحية الإجتماعية .

وقد أجاد التجيبي في وصف حالة مكة المكرمة الدينية والعلمية مع مراعاة التسلسل الزمني للأحداث ، وإضافة الجديد ووضعه في مكانه المناسب ، مثل ذكره لوفاة أبي نمي وبناء ميضأة حول الحرم وتولي ابناء أبي نمي الحكم بعده . وعمل التجيبي على تحقيق الأحاديث النبوية والتنبيه على ذلك وإيراد كرامات الصالحين ، ولقاء العلماء والترجمة لهم .

وقد نبه التجيبي على خطأ ابن جبير في قوله إن مولد الحسن والحسين رضي الله عنهما بمكة المكرمة . كما نبه إلى وهم العامة من أهل مكة على الشجرة

---

١ ـ كدي أعلى مكة يهبط منها إلى الأبطح والمقبرة فيها عن يسارك وتعرف اليوم باسم الحجون : أنظر الحربي : كتاب المناسك وأماكن طرق الحج ، ص ٤٧٣ ؛ البكري : معجم ما استعجم ، ج٤ ، ص ١١١٧ ـ ١١١٨ ؛ ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج٤ ، ص ٤٣٩ ـ ٤٤١ ؛ البلادي : معجم معالم الحجاز ، ج٧ ، ص ١٩٦ ـ ٢٠٢ ؛ البلادي : معالم مكة الأثرية ، ص ٢٧٧ ؛ حمد الجاسر : من آثار مكة المكرمة ، مجلة العرب ، ج١٠ ، السنه ٢ ، ربيع الثاني ١٣٨٨هـ/ تموز ١٩٦٨م ، ص ٨٦٥ ـ ٨٧٥ .

٢ ـ التجيبي : مستفاد الرحلة ، ص ٢٢٤ ، أنظر تعريفه فيما بعد ، ص ٢١٨ .

٣ ـ انظر تعريفه فيما بعد ، ص ٢١٨ .

٤ ـ الأزرقي : تاريخ مكة ، ج١ ، ص ١٤٢ ؛ ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج٢ ، ص ٥٣ ، ج٥ ، ص ١٦١.

الموجودة فوق جبل أبي قبيس والتي قيل أن النبي ﷺ بويع تحتها ، وتتبع أيضاً أماكن وجود المساجد بمكة المكرمة ووصفها ، ووصف الأماكن والمشاعر المقدسة والجبال وماقيل في تاريخها <١> ، وتميز أسلوبه بالسهولة والوضوح وعدم التكلف في صياغة الجمل الإنشائية وملئها بالسجع وقد امتاز التجيبي بعنايته الفائقة في الوصف والتدقيق لكل مايشاهده ولعله خص القسم الثالث المفقود من رحلته للحديث عن المدينة المنورة ، ولعله تناول فيه الكثير عنها فيكون بذلك إضافة جديدة إلى كتب الرحلات في تلك الفترة . حيث أن أغلب كتابات الرحالة المغاربة والأندلسيين كانت متركزة على مكة المكرمة .

---

١ ـ التجيبي : مستفاد الرحلة ، ص ٣٠٦ ، ٢٤٨ ، ٣٠٧ ، ٣٣٤ ، ٣٥١ ، ٣٤٩ ـ ٣٥٠ .

ابن جابر الوادي آشي

٦٧٣ ـ ٧٤٩هـ / ١٢٧٤ ـ ١٣٤٨م

محمد بن جابر بن محمد بن محمد بن قاسم بن أحمد بن إبراهيم القيسي الوادي آشي <١> الأصل ، التونسي مولداً وقراراً <٢> ، المالكي مذهباً ، ولد في جمادي الآخره سنة ٦٧٣هـ/١٢٧٤م بتونس <٣> ويعرف بابن جابر وبالوادي آشي ، ويلقب بشمس الدين وهو من الألقاب المشرقية <٤> ٠ ويكنى بأبي عبدالله ٠ <٥> تلقى تعليمه على يد علماء تونس ، ومن ضمنهم والده الذي كان شيخاً من شيوخ الإسلام في وقته ، وأحد مشايخ العبدري <٦> ٠ وتوفي ابن جابر الوادي آشي سنة ٧٤٩هـ / ١٣٤٨م في الطاعون العام بتونس في شهر ربيع الأول ٠ <٧>

---

١ ـ (وادي آشي) مدينة بالأندلس قريبة من غرناطة كبيرة خطيرة تطرد حولها المياه والأنهار ينحط نهرها من جبل شلير وهو في شرقها وهي على ضفته ولها عليه أرحاء لاصقه بورها كثيرة التوت والأعناب وأصناف الثمار والزيتون والقطن بها كثير ، كان بها حمامان ولها بابان شرقي على النهر وغربي على خندق وقصبتها مشرفة عليها وعليها سور حجارة وهو في ركنها الذي بين المغرب والقبله ويقرب وأدي آشي قرية بها عين تجري سبعة أعوام وتغور سبعة أعوام تُسكن بجريان عينها وتخلو بغورها ٠ أنظر الحميري : الروض المعطار ، ص ٦٠٤ ٠

٢ ـ ابن جابر الوادي آشي : البرنامج ، ط ١٤٠٠هـ /١٩٨٠م ، ص ٥٤ ٠

٣ ـ ابن حجر : الدرر الكامنه ، ج٣ ، ص ٤١٣ ؛ (تونس) مدينة كبيرة محدثه بإفريقية على ساحل بحر الروم عمرت على أنقاض قرطاجنه وهي قصبة بلاد أفريقية بينها وبين صفاقس ثلاثة أيام وبينها وبين القيروان مائة ميل ليس بها ماء جار إنما شرب أهلها من الآبار ومصانع خارجها ومازها ملح ولها غلة فائضة وهي من أصح بلاد أفريقية هواء افتتحت أيام عبدالملك بن مروان على يد حسان بن النعمان ٠ أنظر ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج٢ ، ص ٦٠ ـ ٦١ ٠

٤ ـ ابن القاضي : درة الحجال ، ج٢ ، ص ١٠٢ ٠

٥ ـ ابن فرحون : الديباج المذهب ، ج٢ ، ص ٢٩٩ ٠

٦ ـ الكتاني : فهرس الفهارس ، ج٢ ، ص ١١١٦ ٠

٧ ـ ابن حجر : الدرر الكامنة ، ج٣ ، ص ٤١٤ ؛ ابن فرحون : الديباج المذهب ، ج٢ ، ص ٣٠١ ؛ ابن القاضي : درة الحجال ، ج٢ ، ص ١٠٣ ٠

كانت تونس محط رجال الذاهبين والآيبين ما بين المشرق الإسلامي وبلاد المغرب والأندلس ومركزاً يعج بالعلماء القادمين إليها للعلم والتدريس بها أو لتولي بعض المناصب ذات الأهمية والتي يشغلها كبار العلماء ، ولذا شهدت نشاطاً علمياً واسعاً وفي هذا الجو العلمي نشأ ابن جابر ، والتقى بالرحالة العلماء فاستفاد منهم وتاقت نفسه للمزيد ، فقرر شد الرحال إلى المشرق الإسلامي .

ولابن جابر رحلتان ولقب بصاحب الرحلتين (١) . فرحلته الأولى سنة ٧٢٠هـ /١٣٢٠م والثانية سنة ٧٣٤هـ/١٣٣٣م . وفي كلا الرحلتين حرص على السماع والرواية ، حتى غدا ذا مكانة علمية كبيرة دفعت العديد لتلقي العلم عنه . (٢) .

وقد حدد ابن فرحون شيوخه بمائة وثمانين شيخاً من أهل المشرق والمغرب . (٣) ولم تكن رحلاته قاصرة على المشرق بل شملت المغرب والأندلس أيضاً . (٤) .

سبب الرحلة :

خرج للحج وطلب العلم إذ التقى بعدد كبير من العلماء قيدهم في برنامجه .(٥) وحظى بالسماع على كثير منهم حتى أصبح شيخ المغرب وراوية وقته . (٦) .

---

١ ـ ابن جابر الوادي آشي : البرنامج ، ط ١٤٠١هـ/١٩٨١م ، ص ١٣ .
٢ ـ ابن حجر : الدرر الكامنه ، ج٣ ، ص ٤١٤ .
٣ ـ ابن فرحون : الديباج المذهب ، ج٢ ، ص ٣٠١ .
٤ ـ ابن حجر : الدرر الكامنة ، ج٣ ، ص ٤١٤ ؛ ابن الخطيب : الإحاطة ، ج٣ ، ص ١٦٥ .
٥ ـ ابن القاضي : درة الحجال ، ج٢ ، ص ١٠٢ .
٦ ـ ابن فرحون : الديباج المذهب ، ج١ ، ص ٢٩٩ .

أما صفاته :

كان حسن المشاركة عارفاً بالنحو واللغة والحديث والقراءة ذا فقه قليل <١> ، جوالاً في البلاد المشرقيه والمغربيه ، مكثراً في الرواية ، عظيم الوقار ، من المشتغلين بالتجارة <٢> مهنة أبيه <٣> . فهو شيخٌ فاضل أديبٌ عفيفٌ ظريفٌ مقبلٌ على الأدب وربما قرض الشعر . <٤> فهو طريف النزعة ، قويم السمت . لذا حظي بمكانة علمية كبيرة بفضل سعة علمه . وأشار ابن الخطيب إلى ذلك قائلاً " **إنه أصبح بهم شيخ وحدة انفساح رواية وعلوا إسناد** " . <٥>

وكان ثقه ثبتاً له تقييد عن مشايخه بخطه بالإضافة إلى تقييده لإجزاء كثيره من تواليف المتأخرين وتقييداتهم . <٦>

ويندرج ابن جابر الوادي آشي ضمن الرحالة الذين قيدوا رحلاتهم على هيئة برامج ينعدم فيها الوصف الجغرافي والإشارات التاريخية والإجتماعية والإقتصادية والسياسية ، فبرنامجه بهذا يبدو سجلاً حافلاً لما كانت عليه المدن الإسلامية التي رحل إليها من مكانة علمية بفضل ماحواه من تراجم وأسماء كتب كانت غاية الطلب في ذلك الوقت .

---

١ ــ ابن فرحون : الديباج المذهب ، ج١ ، ص ٢٩٩ .
٢ ــ ابن حجر : الدرر الكامنه ، ج٣ ، ص ٤١٤ .
٣ ــ العبدري : الرحلة المغربية ، ص ٢٦٥ .
٤ ــ ابن القاضي : درة الحجال ، ج٢ ، ص ١٠٢ .
٥ ــ ابن الخطيب : الإحاطة ، ج٣ ، ص ١٦٣ .
٦ ــ ابن القاضي : درة الحجال ، ج٢ ، ص ١٠٢ .

أما مؤلفاته فهي :

١ ـ الأربعون حديثاً البلدانيه . وهي تدل على " **سعة خاطر وانفساح رحلة** " .

٢ ـ أسانيد كتب المالكيه يرويها إلى مؤلفيها . (١)

٣ ـ الإنشادات البلدانيه .

٤ ـ زاد المسافر . (٢)

٥ ـ الترجمة العياضية . (٣)

٦ ـ تقييده على القصيدة العروضية المسماة بالمقصد الجليل في علم خليل . (٤)

٧ ـ تعاليق مفيدة . (٥) غير مبين نوعها .

٨ ـ مسلسلات انتخبها من مرويات مشيخة قاضي مصر مع أناشيد . (٦)

٩ ـ برنامج رحلته . (٧)

ولم يذكرعمر رضا كحالة من مؤلفاته إلا الأربعون في الحديث وبرنامجه وديوان شعر في مجلد كبير . (٨)

وسبب تقييده لبرنامجه يرجع إلى أن بعض من لقيه من المشايخ في تونس أثناء رحلته سأله ان يذكر له ما أخذه عن العلماء على حسب الوسع والأمكان ، ومن أجازه ولقيه . وأخذ عنه أو ممن كتب إليه بالإجازه من المشرق أو المغرب ، وأن

---

١ ـ ابن فرحون : الديباج المذهب ، ج٢ ، ص ٣٠١ .

٢ ـ الكتاني : فهرس الفهارس ، ج٢ ، ص ١١١٦ .

٣ ـ ابن فرحون : الديباج المذهب ، ج٢ ، ص ٣٠١ .

٤ ـ ابن القاضي : درة الرجال ، ج٢ ، ص ١٠٣ .

٥ ـ ابن فرحون : الديباج المذهب ، ج٢ ، ص ٣٠١ .

٦ ـ ابن جابر الوادي آشي : البرنامج ، ط ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م ، ص ٢٩٤.

٧ ـ ابن القاضي : درة الحجال ، ج٢ ، ص ١٠٢ .

٨ ـ كحالة : معجم المؤلفين ، ج٩ ، ص ١٤٦ .

يفصح له عن جمله ذلك ويعرب ، فأجابه وجعله في جزئين ، أحدهما أسماء شيوخه وأنسابهم وكناهم وتواريخ ميلادهم ووفياتهم وأناشيدهم · وفي الجزء الثاني ذكر المأخوذ عنهم مضافاً لهم ما فيه من علو سند بالإجازة ، معتذراً عن التقصير ، وذلك من قوله " **إذ فات حصول المأمول منهم في ذلك اللائق لتعرض الشواغل عن السنن المطابق راجياً في ذلك علو السند** " · <١>

ويبدو أن ابن جابر الوادي آشي لم يدون برنامجه من الذاكرة إذ كانت لديه تقييدات بخطه تحوي ما أخذه عن مشايخه <٢> ساعدته في إخراجه وترتيبه ·

مميزات برنامج ابن جابر الوادي آشي :

تندرج رحلته ضمن البرامج وليست من الرحلات الوصفية فهي علمية بحتة لما أشتملت عليه من تراجم للشيوخ والكتب التي أخذها · فجعل برنامجه من جزئين ، الأول يحوي أسماء المشايخ وقسمه إلى قسمين اشتمل القسم الأول على ترجمة العلماء الذين لقيهم وأخذ عنهم مباشرة · كما ضمنه أسماء العلماء الذين ارتبط معهم بصلات علمية وقد أورد أسماءهم تبعاً لكثرة التلقي عنهم وبحسب المدن التى ينتسبون إليها · وسار في هذا القسم على نمط واحد فهو يورد في الترجمة الأوصاف ، ثم اللقب والكنيه ، والأسم والبلد المنتمي إليه العالم ، وسنة الميلاد والشهر أن وجد ، مع ذكر المناصب التي شغلها ، ويلي ذلك ذكر قراءته عليه ، وبيان مقدار الأخذ ، مع ذكر مكانه والكتب التي سمعها ، ويتخلل ذلك أبيات شعرية إن وجدت ثم يذكر سنة الوفاة مع ذكر اليوم والشهر ومكان الدفن ·

أما القسم الثاني من الجزء الأول فقد أورد فيه شيوخه الذين أجازوه ، حيث رتبهم حسب الحروف الأبجدية مغايراً بذلك منهجه في القسم الأول وقد أفرد قسماً خاصاً للنساء في آخر القسم الثاني دون ترتيب ·

---

١ ـ ابن جابر الوادي آشي : البرنامج ، ط ١٤٠١هـ /١٩٨١م ، ص ٢٨ ـ ٣٧ ·

٢ ـ ابن القاضي : درة الحجال ، ج٢ ، ص ١٠٢ ·

وفي هذا القسم كان ترتيبه البدء باسم العالم دون وصفه يتبعه ولادته وشيوخه الذين أخذ عليهم ، مع ذكر سنة الوفاة إن عرفها وأحياناً ذكر اسم العالم دون ترجمة .

أما الجزء الثاني فقد أفرده للكتب التي أخذها عن العلماء دون وصف لهذه الكتب ، ورتب هذا الجزء حسب العلوم ، فبدأ بالقرآن الكريم وعلومه ، ثم الحديث وعلومه ، ثم كتب التصوف واللغه والأدب ، يتبع ذلك كله كتب الفهارس والمعاجم .

وقد ذكر اسم كل كتاب ومؤلفه وتحديد ما أخذه من الكتاب كما أورد الكتب التي درسها وأعتمد عليها بدون استقصاء لكل ما وقع تحت يديه واستفاد منه إذ يقول في بداية حديثه عنها " **هذا ذكر ماحضرني ذكره** " . (١)

وقد ذكر محقق البرنامج الدكتور/ محمد الحبيب الهيلة أن المؤلف عاد إلى نسخته وأضاف إليها إضافات جديدة في نهايات بعض ترجمات القسم الأول من الجزء الأول حيث أكمل في بعض الترجمات تواريخ وفيات أصحابها وقال : إن هذه الإضافات لاتوجد في نسخة المخطوطه الأندلسية مما يدل على أن المؤلف راجع برنامجه في سنة ٧٤٤هـ /١٣٤٣م أو بعدها بقليل . (٢)

ونلحظ ابن جابر الوادي آشي أراد من تقييده لبرنامجه الأنتفاع والبيان ، لذا جاء أسلوبه سهلاً واضحاً خالياً من السجع المتكلف .

---

١ ـ ابن جابر الوادي آشي : البرنامج ، ط ١٤٠١هـ /١٩٨١م ، ص ١٧٨ .

٢ ـ المصدر السابق والطبعه ، ص ٣٧ .

ابن بطوطة

٧٠٣ ـ ٧٧٠هـ / ١٣٠٣ ـ ١٣٦٨م

محمد بن عبدالله بن محمد بن إبراهيم بن يوسف (بن عبدالرحمن)<١> بن يوسف اللواتي الطنجي ، أبوعبدالله ابن بطوطه <٢> الملقب بشمس الدين <٣> . رحالة مغربي ، يرجع نسبه إلى لواته <٤> إحدى القبائل البربرية . ولد سنة ٧٠٣هـ / ١٣٠٣م يوم الإثنين السابع عشر من رجب بمدينة طنجة . <٥>

ينسب ابن بطوطه لأسرة علم ، فمنها القضاة والعلماء ، وهو ماذكره لملك الهند عندما خيره بين الوظائف التي يرغبها ، فقال " **أما الوزارة والكتابه فليست شغلي ، وأما القضاء والمشيخة فشغلي وشغل آبائي** " . <٦>

وقد أشار إلى توليه قضاء الركب الحجازي عند خروجه من تونس قاصداً الحجاز . وممن تولى القضاء من عائلته ابن عم يقال له أبوالقاسم محمد بن يحي بن بطوطة قاضي إحدى المدن الأندلسية .

---

١ ـ ابن الخطيب : الإحاطة ، ج٣ ، ص ٢٧٣ زيادة في نسبه .

٢ ـ ابن حجر : الدرر الكامنة ، ج٣ ، ص ٤٨٠ .

٣ ـ ابن بطوطة : الرحلة ، ص ٥ .

٤ ـ (لواته) بطن واسع من بطون البتر ينتسبون إلى لوا الأصغر بن لوا الأكبر ابن زهيك ، ولوا الأصغر هو نفرا ولو اسم ابيهم والبربر إذا أرادوا العموم في الجمع زادوا الألف والتاء فصارت لوات فلما عربته العرب حملوه على الإفراد وألحقوا به هاء الجمع ، وهم بطون كثيرة . أنظر ابن خلدون : العبر ، ج٦ ، ص ١١٦ .

٥ ـ ابن بطوطة : الرحلة ، ص ١٤ ؛ و(طنجة) بلد على ساحل بحر المغرب مقابل للجزيرة الخضراء وهي مدينة قديمة آثارها ظاهرة بناؤها بالحجارة قائمة على البحر وهي على ظهر جبل وماؤها من قناة يجرى إليهم من موضع لايعرفون منبعه على الحقيقة وهي خصبة وبين طنجة وسبتة مسيرة يوم واحد هي آخر حدود أفريقيا . أنظر ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج٥ ، ص ٤٣ .

٦ ـ ابن بطوطة : الرحلة ، ص ٥١١ .

ولا تعرف من أخبار عائلة ابن بطوطة ومكانتها سوى ما أشار به في رحلته . وهو من معتنقي المذهب المالكي . تلقى علومه الأولى على مشايخ طنجة وأصبح ذا معرفة واسعه مكنته من تولي قضاء الركب الحجازي . واستمر ابن بطوطة في طلب العلم فهو لم يكن يخالط إلا العلماء والقضاة ، ولعله كان يقرض الشعر ، وذلك من خلال إيراده أبيات نسبها لنفسه ولم نعثر في المصادر إيضاحات عن ذلك . وقد ظهر قوله الشعر عند مدحه لملك الهند رغبة منه في مساعدته لقضاء دينه . (١)

لم يشر ابن بطوطه إلى طلبه العلم في البلدان التي زارها وأكتفى بالإشارة إلى سماعه على بعض كبار العلماء والوعاظ ، كما أنه لم يصرح بأسماء مشايخه في طنجه . وقد ذكر ابن حجر أنه لقي العديد من العلماء . (٢)

أما أخلاقه :

فقد كان سريع الإندماج والتأقلم مع أهل المدن والبلدان التي زارها وألف عاداتها نظراً لطول مدة سفره ، وهو بهذا عكس العبدري .

فابن بطوطة شديد الحرص على التمسك بتعاليم الدين الإسلامي (٣) فلا يكاد يسمع برجل صالح أو عالم إلا وسارع إلى لقائه والتبرك بدعائه وهو كثير الزواج ففي كل بلد يحط رحاله بها يتزوج عازماً على أن تكون معه ولكن نراه لا يلبث أن يفارقها لعدم قبول الزوجة مفارقة وطنها .

وعرف عن ابن بطوطة شدة الإعتزاز بوطنه والحنين لأهله طوال غيابه عنهم ، وتميز بدقة الملاحظة وقوة الذاكرة وهو مادلت عليه رحلته .

---

١ ـ ابن بطوطة : الرحلة ، ص ١٨ ، ٦٦٨ ، ٥١٣ ، ٥١٥ .

٢ ـ ابن حجر : الدرر الكامنة ، ج٣ ، ص ٤٨٠ .

٣ ـ ابن بطوطة : الرحلة ، ص ١٤ .

ولاريب أن ابن بطوطه حذق فنون الفروسيه والقتال ففي رحلته مايشهد على اشتراكه في بعض المعارك التي حدثت أثناء تنقلاته .

أما سبب رحلته :

فقد كان أساساً خروجه للحج وزيارة مسجد الرسول ﷺ . وقضى في رحلته هذه وقتاً طويلاً متنقلاً في البلدان إذ بدأها سنة ٧٢٥هـ / ١٣٢٤م ولم يصحبه أحد من أقاريه أو أصدقائه على عادة الرحالة المغاربة والأندلسيين .

وقد أدى ابن بطوطه فريضة الحج سبع مرات وهو مالم يشر إليه كل من تناول دراسة رحلة ابن بطوطه وقد كانت الأولى منها سنة ٧٢٦هـ / ١٣٢٥م والثانية سنة ٧٢٧هـ / ١٣٢٦م والثالثة سنة ٧٢٨هـ / ١٣٢٧م والرابعة سنة ٧٢٩هـ / ١٣٢٨م والخامسة سنة ٧٣٠هـ / ١٣٢٩م والسادسة سنة ٧٣٢هـ / ١٣٣١م والسابعة سنة ٧٤٩هـ / ١٣٤٨م . (١)

واستمرت رحلة ابن بطوطة في المشرق حوالي خمس وعشرين سنة منذ خروجه عام ٧٢٥هـ / ١٣٢٤م إلى حين عودته إلى فاس عام ٧٥٠هـ / ١٣٤٩م ولكنه لم يلبث أن واصل رحلته إلى الأندلس وتنقل فيها وتركها في عام ٧٥٣هـ / ١٣٥٢م . ثم عاود التجوال متجهاً صوب بلاد السودان وعاد منها سنة ٧٥٤هـ / ١٣٥٣م . (٢)

وهكذا استمرت رحلته مايقرب من تسعة وعشرين عاماً جاب فيها جميع الأقطار التي تسنى له الوصول إليها في ذلك الوقت .

---

١ ـ ابن بطوطة : الرحلة ، ص ١٤ ، ١٧٠ ، ٢٤٠ ـ ٢٤٢ ، ٢٨٠ ، ٦٥٤ .
٢ ـ المصدر السابق ، ص ٦٧٣ ، ٦٩١ .

ويمكننا أن نقسم رحلته إلى ثلاث رحلات الأولى وهي الأطول وشملت المشرق كله بالإضافة إلى جزء من شمال آسيا . أما الرحلة الثانية فكانت إلى بلاد الأندلس ، والثالثة إلى بلاد السودان . وعندما عاد ابن بطوطه إلى فاس قيض الله له السلطان أبا عنان المريني <١> سلطان مراكش الذي اتصل به ، فكان نتيجة هذا الأتصال ظهور كتاب رحلة ابن بطوطة الذي أسماه تحفه النُظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار <٢> ، والذي تصدر لكتابته ابن جزى <٣> حيث انتهى من كتابته في عام ٧٥٧هـ / ١٣٥٦م. <٤>

ويدل عنوان رحلة ابن بطوطة على ماحوته من غرائب وعجائب هي مثار شك أدت إلى اتهامه بالكذب <٥> ، ومن ذلك موقف ابن خلدون وتشكيكه في تلك الروايات أمام وزير السلطان فارس الذي أشار إلى ما يتناقله الناس من حكايات ابن بطوطة ، ويبدو أن الوزير من المؤيدين لها لأنه ضرب مثلاً لابن خلدون عبر فيه عن تصديقه لابن بطوطة ، حيث شبه ابن خلدون بابن الوزير الناشىء بالسجن والذي لايعرف من أشكال الحيوانات غير الفأر لعدم رؤيته سواها . <٦>

---

١ ـ فارس بن على بن عثمان بن يعقوب بن عبدالحميد المريني أبوعنان بن أبي الحسن ملك المغرب ولي السلطنة خمس سنوات ومات سنة ٧٥٩هـ / ١٣٥٧م . أنظر ابن حجر : الدرر الكامنة ، ج٣ ، ص ٢١٩ .

٢ ـ ابن بطوطة : الرحلة ، ص ٧٠٠ .

٣ ـ محمد بن محمد بن أحمد بن عبدالله بن يحي بن عبدالرحمن بن يوسف بن جزي الكلبي من أهل غرناطة وأعيانها يكنى أبا عبدالله برز في الأدب واضطلع بمعاناة الشعر وإتقان الخط ، نشأ بغرناطة في كنف والده وبعد وفاته انتقل إلى المغرب فاستقر بباب ملِكه توفي بفاس في أول سنة ٧٥٨هـ / ١٣٥٦م . أنظر ابن الخطيب : الإحاطة ، ج٢ ، ص ٢٥٦ ـ ٢٥٧ ، ٢٦٥ .

٤ ـ ابن بطوطة : الرحلة ، ص ٧٠١ .

٥ ـ ابن حجر : الدرر الكامنة ، ج٣ ، ص ٤٨٠ ؛ ابن الخطيب : الإحاطة ، ج٣ ، ص ٢٧٣ .

٦ ـ ابن خلدون : العبر ، ج١ ، ص ١٥١ ـ ١٥٢ .

وعلى ضوء ماسبق فهناك من اتهمه بالكذب وهناك من نفاه عنه . <١> والملاحظ أيضاً أن المواضيع التي تضمنتها الرحلة مثار جدل بين مؤيد ومعارض ، فمن المؤيدين لها كوز غارتن KOSEGERTEN أما من عارض حدوثها تمثل في موقف يول YULE ولكن لم تلبث ان عادت الثقة إليها في القرن العشرين مع الاعتراف بقيمتها العلمية .

اما موقف المعارضين فتمثل في مجيك MZIK وشيفير SCHEFER وفيرا FERRAND وياما موتو YAMMOTO وكان اكثر انكاره في زيارته للصين والقسطنطينية . <٢>

وقد قطع ابن بطوطة في تجواله أكثر من مائة وخمسة وسبعين ألف ميل . <٣> لذا لايخفى على الإنسان إنه رحالة العصر . <٤> وكما وفق ابن بطوطة في رحلاته وفق أيضاً فيما أملاه على ابن جزى حيث يُظهر بوضوح أحوال العالم الإسلامي وغيره في تلك الفترة .

وأستطاع ابن بطوطة أن يحتفظ بكل مشاهداته في ذهنه دون تمحيص فهو لم يك من كبار الفقهاء أو العلماء بل رحالة متنقلاً في أرجاء العالم يدفعه لذلك حب الأستطلاع والتعرف على غرائب وعجائب البلدان حتى أنه لقب " بشيخ الرحالين " . <٥>

وأكثر ما يلفت انتباه ابن بطوطة وجعله مثار اهتمام الناس بمختلف طبقاتهم ، وعلى الأخص العلماء والصالحين ، فهو بذلك يعتبر مؤرخاً من الناحية

---

١ ـ ابن حجر : الدرر الكامنة ، ج٣ ، ص ٤٨٠ .

٢ ـ كراتشكوفسكي : تاريخ الأدب الجغرافي العربي ، ج١ ، ص ٤٢٨ ـ ٤٢٩ .

٣ ـ المرجع السابق والجزء ، ص ٤٢١ .

٤ ـ ابن بطوطة : الرحلة ، ص ٧٠١ .

٥ ـ نقولا زيادة : الجغرافية والرحلات عند العرب ، ص ١٨٠ .

الإجتماعية للمسلمين في عصره (١) ـ فرحلة ابن بطوطة تحوي الكثير من الموضوعات وفي مختلف النواحي ٠ ولا شك أن شهرة هذه الرحلة وأهمية ماحوته من هذه الدراسات كانت دافعاً إلى ترجمتها إلى الإنجليزية والفرنسية ٠ (٢)

وبالرغم من شهرة ابن بطوطة ورحلته إلا أننا لا نعرف أية تفاصيل عن حياته عقب انتهائه من تدوين الرحلة وحتى وفاته ٠

ولاشك أن ابن بطوطة كان يجيد أكثر من لغة مكنته من العيش فترة طويلة في مناطق لا ينطق أهلها بالعربية ٠

مناصبه التي تولاها :

أول منصب تقلده كان قاضي الركب الحجازي الخارج من تونس ثم تولى القضاء بالهند وبجزيرة المهل (٣) وعقب عودته إلى وطنه ولي قضاء بعض المدن ٠ (٤)

مؤلفاته :

لا توجد له مؤلفات غير رحلته تحفة النُظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار التى صاغها له ابن جزى ٠

مميزات رحلته :

أمتازت رحلة ابن بطوطة بطولها ، وحفلت بتنوع حوادثها فجمعت الكثير من الغرائب والعجائب التي أثارت الشك لدى الكثير من الكتاب ، وحوت الكثير من

---

١ ـ نقولا زيادة : الجغرافية والرحلات عند العرب ، ص ١٨٢ ٠

٢ ـ حسني محمود حسين : أدب الرحلة عند العرب ، ص ٤١؛ البستاني : دائرة المعارف ، ج١، ص ٣٩٩ ٠

٣ ـ جزيرة المهل : وهي ما تعرف اليوم بجزائر الملديف ٠ أنظر محمد محمود الصياد : رحلة ابن بطوطة ، ص ٤٩ ؛ شوقي عبدالقوي عثمان : تجارة المحيط الهندى في عصر السيادة الإسلامية ، عالم المعرفة ، الكويت ، العدد ١٥١ ، السنة ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م ، ص ١٩٣ ٠

٤ ـ ابن بطوطة : الرحلة ، ص ١٨ ، ٥١١ ، ٥٨٢ ـ ٥٨٨ ؛ ابن حجر : الدرر الكامنة ، ج٣ ، ص ٤٨٠ ٠

المعلومات عن أحوال المسلمين الإجتماعية والسياسية والإقتصادية واستغرقت رحلته فترة تزيد عن الثمانية والعشرين عاماً سلك فيها طريق البر والبحر .

وكان ابن بطوطة حريصاً على الاتصال بالملوك لينال أعطياتهم ويتمكن من مواصلة رحلته مما يدل على علو مكانته الإجتماعية . ويلاحظ أن ابن بطوطة لم يدون في رحلته طلبه للعلم والتقاءه بالعلماء ، والكتب المتداولة وأماكن التدريس .

وقد وقع ابن بطوطة في بعض الأخطاء الجغرافية لاسيما فيما يتعلق بأسماء بعض البلدان والمدن ولعل السبب في ذلك مرده إلى عدم معرفته بلغات أهلها . أو لأنه لم يدونها في حينها بل أملاها من الذاكره وكتبها له ابن جزي بعد سماعها منه .

والملاحظ فيها أيضاً إهتمام ابن بطوطة بالجانب الإجتماعي من حيث حالة العلماء والملوك وعادات الناس في البلاد التي زارها . ويبدو أن ابن بطوطة قام بنقل الوصف الجغرافي من الرحالة السابقين وهذا مرده تدوين رحلته من الذاكرة فكان من الطبيعي أنه لا يستطيع وصف ما شاهده وأغلب الظن أن ابن جزى أكمل هذه الناحية من الرحلات السابقة إذ أن ابن بطوطة لم يُعرها إهتمامه . فهو لم يدون رحلته في حينها فاعتمد على الذاكرة في إملائها بعد عودته فوقع في الكثير من الأخطاء .

والملاحظ أيضاً عدم وجود الترتيب في تقييدها إذ تداخلت الأحداث والحكايات بعضها ببعض ، ولعلها قد تكون نتيجة خطأ الكاتب .

وتمتع ابن بطوطة بذاكرة قوية خاصة في سرد بعض المعلومات الخاصة بوصف المساجد وأبعادها .

وحفلت رحلة ابن بطوطة ببعض الحكايات والروايات الخرافية دون تمحيص منه ولا تدقيق ، وهذا بلاشك عائدٌ إلى تكوين شخصية ابن بطوطة ، فهو رجل مسلم يمثل عامة المسلمين في معتقداتهم لتلك الفترة التي عمت فيها مثل هذه الظواهر الإجتماعية .

ويظهر من فحوى كلام ابن بطوطة أنه لم يكن يرغب في البداية في تدوين رحلته ومرجع ذلك كله إلى رغبة السلطان المريني أبي عنان للأستفادة منها ٠ وابن بطوطة في إيراده للمعلومات الخاصة بالجوانب الإجتماعية والسياسية والدينية يمثل شاهد عيان نقل لنا مشاهداته وما وصل إلى سمعه ، وهذا ماجعله ضمن الرحالة المشهورين الحريصين على إيصال المعلومات بدقة ، ومن هنا تكمن أهمية رحلته من الناحية التاريخية ٠

لقد وصف ابن بطوطة مكة المكرمة والمدينة المنورة والمسجدين المكي والمدني وعمد إلى الاختلاط بطبقات الناس فهو أكثر الرحالة احتكاكاً بهم في رحلاته فجاءت رحلته حافلة بأوصاف دقيقة مع اهتمامه بذكر القصص الغريبة والنادرة ، في رحلته ٠

وعلى العموم فرحلة ابن بطوطة في جملتها مثلت فترة من التاريخ الإجتماعي الإسلامي أكثر من أي ناحية أخرى بسبب ماوجد فيها من غرائب هي مثار فحص وتدقيق للتثبت منها ٠

البلـوي

٧١٣ ـ ٧٨٠هـ / ١٣١٣ ـ ١٣٨٧م

خـالد بن عـيـسى بن أحـمـد بن ابرهـيم بن أبي خـالد البلوي <١> من أهل قنتـوريه <٢> من حـصـون وادي المنصـورة <٣> ٠ لُـقب بأبي البـقـاء <٤> ، رحـالة من بلاد الأندلس وقد أجمع في الثناء عليه لفضله ٠ كثير التواضع حسن الأخلاق جميل العشرة محب في الأدب <٥> " **ذو خط رائق** " ٠ <٦>

صفـاتـــه :

ويبدو أنه قد تأثر كثيراً بأهل المشرق وعاداتهم حتي أن إبن الخطيب قال فيه « **وقـد شـهـرته النزعه الحجـازيه ...وتشبه بالمشـارقـه شكلاًولسـاناً** »وكان يصبغ لحيـتـه بالحنـاء والكتم <٧> ويلبس البـيـاض <٨> وأثنى عليـه بأنه الشـيخ الفـقـيـه القاضي الأعدل . <٩>

ومن غير المعروف بالضبط سنة ميلاده ٠ وأما مكان مولده فهو (قنتورية) وقد رجح محـقق رحلته انه قـد يكون سنة ٧١٣هـ / ١٣١٣م لأنه كمـا قـال رحل في مقتبل الشباب ، وقد جاوز سن الطلب إلى سن الأتصـال بالعلمـاء والرواية عنهم ، وتوفي سنة ٧٨٠هـ / ١٣٨٧م ٠

---

١ ـ البلوي : تـاج المفـرق ، ج١ ، ص ١٨ ؛ ابـن القاضـي : درة الحجـال ، ج١ ، ص ٢٦٢ ؛ المقـري : نفح الطيب ، ج٢ ، ص ٥٣٢ ٠

٢ ـ (قنتوريه) بلدة صغيرة من أعمال ولاية المرية تقع على نهر المنصوره على مقربة من بلدة المنصورة ٠ ووادي المنصورة هو المنطقة الواقعة على نهر المنصورة الذي يخترق شمال ولاية المرية بين برشانة ومدينة المنصورة ٠ أنظر ابن الخطيب : الإحاطـة ، ج١ ، ص ٥٠٠ ، حاشيه رقم ٢ ، ص ٤٨٧ حاشيه رقم ٣ ٠

٣ ـ المصدر السابق والجزء ، ص ٥٠٠ ٠

٤ ـ المقري : نفح الطيب ، ج٢ ، ص ٥٣٢ ٠

٥ ـ المصدر السابق والجزء والصفحة ٠

٦ ـ ابن الخطيب : الإحاطـة ، ج١ ، ص ٥٠٠ ؛ ابن القاضي : جذوة الإقتباس ، ج١ ، ص ١٨٦ ـ ١٨٧ ٠

٧ ـ الكتم نبات يخلط مع الوسمة للخضاب الأسود ٠ أنظر ابن منظور : لسان العرب ، ج٢ ، ص ٥٠٨ ٠

٨ ـ ابن الخطيب : الإحاطة ، ج١ ، ص ٥٠١ ؛ المقري : نفح الطيب ، ج٢ ، ص ٥٣٣ ٠

٩ ـ المقري : نفح الطيب ، ج٢ ، ص ٥٣٢ ٠

وينتسب البلوي إلى أسرة علمية فنشأ في وسط علمي مع تربية دينية صالحة <١> . وعندما وصل إلى سن تؤهله للالتقاء بالعلماء شد الرحال وجاب المدن للقاء علماء عصره بفاس وتلمسان وغرناطة وغيرها من بلاد المغرب والأندلس . <٢> ثم رحل إلى المشرق للحج والإستزادة من العلم وهو في مقتبل العمر ، وألف رحلته التي سماها تاج المفرق في تحلية علماء المشرق <٣> " **وهي مشحونة بالفوائد والفرائد وفيها من العلوم والآداب ما لا يتجاوزه الرائد** " . <٤>

سبب الرحلة :

كانت بقصد الحج وطلب العلم وكانت بداية خروجه ضحى يوم السبت الثامن عشر لصفر من عام ٧٣٦هـ / ١٣٣٥م <٥> من بلدة قتوريه وعاد إليها يوم الأثنين عصراً في بداية ذي الحجه عام ٧٤٠هـ / ١٣٣٩م فمدة رحلته أربعة أعوام وتسعة أشهر واثنا عشر يوماً .

وقد ألف البلوي في هذه الرحلة مؤلفة تاج المفرق في تحلية علماء المشرق وفي بداية تقييده لها بين منهجه الذي اتبعه ، فقال : إنه قصد به ضبط موارد الرحلة الحجازية وذكر معاهد الوجهة المشرقيه ابتغاء مرضاة الله ، وبين أنه سيذكر بعض شيوخه من العلماء والفضلاء والبُلغاء ، وأنه سيذكر نُبذاً من فوائدهم وطرفاً من أناشيدهم . <٦>

وقد سار البلوي في رحلته وفق منهجه فظهرت بالصورة التي حددها وبذلك وصفها المقري ، وإن كان لسان الدين ابن الخطيب قد انتقص من قدرها وقال عنها:

---

١ ـ البلوي : تاج المفرق ، ج١ ، المقدمة ، ص ٢٥ ـ ٢٦ .
٢ ـ ابن القاضي : جذوة الإقتباس ، ج١ ، ص ١٨٦ ـ ١٨٧ .
٣ ـ البلوي : تاج المفرق ، ج١ ، ص ١٤٣ .
٤ ـ المقري : نفح الطيب ، ج٢ ، ص ٥٣٢ .
٥ ـ البلوي : تاج المفرق ، ج١ ، ص ١٤٤ .
٦ ـ المصدر السابق ، ج٢ ، ص ١٥٩ ـ ١٦١ ، ج١ ، ص ١٤٢ ـ ١٤٣ .

« إنه جلب أكثر كلامه في رحلته من كلام العماد الأصبهاني (١) **وغيره »** . وقد أوضح المقري سبب تحامل ابن الخطيب على البلوي ، كونه منحرفاً عنه ، ولكنه لم ينكر فضله وعلمه ، وهذا ما اثبته المقري . (٢)

وأوضح محقق الرحلة أن البلوي كتب رحلته وتناقلها الناس ثم عَنّ له أن يكتبها مرة ثانية وعرضها على أصدقائه من العلماء فقرظوها وهي التي احتفظ بها حفيده ونشرها من جديد .

لذا فهناك اختلافات في النسخ التي وجدت . كما بين محقق الرحلة أن مصدر الرحلة نابع من تجربة البلوي الشخصية ، وأنه لم يعتمد على ماجاء في كتب الرحالة والمؤرخين السابقين ، وهذا القول ربما ينطبق على النواحي الأدبية والسياسية والإقتصادية والتاريخية والإجتماعية أما فيما يتعلق بالنواحي الوصفيه ، فالأمر يختلف خاصة وأن من يقرأ وصف البلوي لبعض المشاهد ، ووصف ابن جبير لها يرى مدى التطابق التام في الكلمات المستخدمة مما يؤيد أنه نقل منه ولعله استفاد أيضاً من غيره من الرحالة الوصفيين خاصة وأن بعض الرحالة السابقين الذين اتبعوا منهج الرحلات الوصفية على إطلاع بما سبق من كتب الرحلات الأخرى ، فجاءت كتاباتهم في مجملها تعالج نفس المواضيع مع الإشارة إلى ماوقع فيه سلفهم من أخطاء .

---

١ ـ محمد بن محمد بن حامد بن محمد بن عبدالله بن على بن محمود بن هبه الله بن آلُه عماد الدين ابوعبدالله بن صفى الدين ابي الفرج بن نفيس الدين أبوالرجاء الكاتب الأصفهاني المعروف بابن أخى العزيز ولد باصبهان سنة ٥١٩هـ / ١١٢٥م برع بالفقه وأتقن النحو والأدب وسمع الحديث ، اتصل بصلاح الدين وكانت مكانته تضاهي الوزراء توفي مستهل رمضان سنة ٥٩٧هـ / ١٢٠٠م بدمشق برع في الشعر والنثر وإن غلب على نثره كثرة الجناس . أنظر الصفدي : الوافي بالوفيات ، ج١ ، ص ١٣٢ ـ ١٣٣ .

٢ ـ ابن الخطيب : الإحاطة ، ج١ ، ص ٥٠٠ ؛ المقري : نفح الطيب ، ج٢ ، ص ٥٢٣ .

مـؤلفـاتــه :

١ ـ رحلته التي سماها تاج المفرق في تحلية علماء المشرق ٠

٢ ـ برنامج روايتة ولكن لم يعثر عليه وإنما ذكر عرضاً اثناء حديثه في رحلته ٠ <١>

٣ ـ ديوان شعر ضمنه قصائده ومقطوعاته ٠

٤ ـ حديث الرحمة وكتاب عن أسانيد لثلاثيات البخاري ٠

٥ ـ له مجموعة منتقاه اختارها من أشعار معاصريه ٠ <٢> ولم يذكر عمر رضا كحاله من مؤلفاته غير رحلته ٠ <٣>

مناصبه التي تولاها :

لم يشغل البلوي مناصب مهمة قبل رحلته الحجازية ولكنه أثناء عودته إلى الأندلس أقام فترة بالأسكندرية ، تلقى فيها العلم وجلس للتدريس <٤> ، ثم تولى الكتابة لأمير تونس فترة من الوقت <٥> ٠ كما تولى القضاء ببلدة قتورية <٦> وعدد من مدن الأندلس ٠ <٧>

وقد بلغ البلوي مكانة عالية من العلم بفضل لقائه العلماء أثناء تجواله ورحلته إلى المشرق ٠

---

١ ـ البلوي : تاج المفرق ، ج١ ، ص٣٦ ، ٤٧ ، ١٧٥ ، ٢٠٦ ، ج٢ ، ص ٢٥ ، ٣٨ ، ٤٦ ، ٧٠ ، ٩٧ ٠

٢ ـ المصدر السابق ، ج٢ ، ص ١١٣ ، ج١ ، ص ٣٦ ، ٢٠٦ ، ٢٢٩ ، ٢٣٢ ، ج٢ ، ص ٥١ ، ٦٢ ، ٩٣ ، ٩٨ ٠

٣ ـ كحالة : معجم المؤلفين ، ج٤ ، ص ٩٧ ٠

٤ ـ البلوي : تاج المفرق ، ج٢ ، ص ٩٣ ٠

٥ ـ ابن الخطيب : الإحاطة ، ج١ ، ص ٥٠٠ ؛ ابن القاضي : جنوة الإقتباس ، ج١ ، ص ١٨٧ ٠

٦ ـ البلوي : تاج المفرق ، ج١ ، ص ٤٣ ؛ ابن الخطيب : الإحاطة ، ج١ ، ص ٥٠١ ؛ المقري : نفح الطيب ، ج٢ ، ص ٥٣٢ ٠

٧ ـ ابن الخطيب : الإحاطـه ، ج١ ، ص ٥٠٠ ٠

مميزات رحلة البلوي :

تعتبر رحلة البلوي من الرحلات الأدبية القائمة على النثر المليء بالسجع وقد استوفى بها شروط الرحلات المغربية والأندلسية من الأهتمام بذكر القضايا الفكرية المثارة في وقته والترجمة لأعلام العلماء ، المأخوذ عنهم من الكتب العلمية المشهورة التي كانت غاية الطلب ، والدواوين الشعرية المتناقلة بين الناس ٠ فعدت رحلته من نماذج الرحلات المغربية والأندلسية ٠

وتميزت بعبارات السجع المتكلف الذي يصعب على القارىء العادي فهمها لأول وهلة مع الإكثار من الشعر سواء له أو لغيره ٠ كما اهتم بالترجمة للعلماء المشهورين وإسباغ الأوصاف والألقاب عليهم ٠ ويبدو أن البلوي على درجة كبيرة من الثقافة ، ويظهر ذلك جلياً واضحاً من خلال ما أورده من كتب وفهارس ودواوين شعر وغيرها في رحلته ٠

وقد اهتم أيضاً بالوصف الجغرافي للمدن والقرى التي مر عليها بدون تطويل ممل أو تقصير مخل ، وإن كان يؤخذ عليه نقل بعض العبارات من ابن جبير وخاصة في هذه الناحية ٠

كما أشار إلى الحالة الأمنية والسياسية والإجتماعية والدينية والعلمية في متن رحلته ، واعتنى بتسجيل النقوش التي شاهدها على الآثار المقدسة في المسجدين المكي والمدني مع وصفه لهما ، وسجل أسماء المدارس بمكة المكرمة والمدينة المنورة والمكتبات الموجودة بهما ، وتتبع بالإضافة إلى ذلك المساجد الموجودة بهما ووصفها ٠

واهتم بذكر النواحي التاريخية القديمة عن المساجد والآثار المقدسة ووصف مكة المكرمة والمدينة المنورة وأسوارهما وذكر أسماء أحياء مكة المكرمة وجبالها ٠

وسجل الإجازات التي نالها من العلماء ، وكعادة الرحالة المغاربة والأندلسيين انتثرت الأحاديث النبوية والآيات القرآنية في رحلته . وأشار أيضاً إلى قضية تعدد الأئمة بالمسجد الحرام ، ووصف مناسك الحج ، واعتنى بتسجيل سبب خروجه وتاريخه وتاريخ وصوله إلى مكة المكرمة وتاريخ خروجه منهما ، وتاريخ وصوله إلى بلده .

الفصل الثالث

الأحوال السياسية والتنظيمات الإدارية
لبلاد الحجاز من خلال
كتب الرحالة المغاربة والأندلسيين مع المقارنة
ببعض ما أوردته المصادر التاريخية

أولا : الأحوال السياسية في بلاد الحجاز :

أ ـ أمارة مكة المكرمة .

ب ـ أمارة المدينة المنورة .

جـ ـ المدن والقرى التابعة للحجاز .

ثانيا : التنظيمات الإدارية في بلاد الحجاز :

أ ـ الأمراء ببلاد الحجاز .

ب ـ نظام ولاية العهد .

جـ ـ نظام الوزارة .

د ـ الوحدات الإدارية .

هـ ـ التنظيمات المالية .

و ـ التنظيمات القضائية .

ز ـ التنظيمات الحربية .

أولاً : الأحوال السياسية في بلاد الحجاز

كانت الحجاز ضمن الولايات التابعة للخلافة العباسية في فترة قوتها ولكن الملاحظ أنه في الفترات الأولى سعى العلويون إلى الاستقلال بها لاعتقادهم بأحقيتهم في الخلافة من الأمويين والعباسيين <١> وفي سبيل ذلك بذلوا محاولات عدّة تمكّن الأمويون من القضاء عليها ؛ مثل ثورة الحسين بن علي ، وثورة زيد بن علي بن الحسين ، وثورة المختار بن أبي عبيدة . <٢>

وعقب إنتقال الخلافه إلى بني العبّاس جدّد العلويون محاولاتهم تلك ولم تكن لتهدأ إلاّ في لحظات ضعفهم ، ثم ماتلبث أن تعود مجدّداً تمهيداً لتكوين خلافة تمثّلهم <٣> ، مع ملاحظة تولّي بعض منهم حكم الحجاز من قبَل الخلفاء العباسيين <٤>. وثورة بعضهم الآخر من الجَوْر والظلم ضدّ عمال العباسيين <٥> ، أو لإي سبب آخر فتبدأ دعوتهم ولكن لا تلبث أن تنتهي إلى الفشل . <٦>

ومنذ تغلّب جعفر بن محمد الحسني <٧> على مكة المكرمة سنة ٣٦٦ هـ / ٩٧٦م في أيام خلافة المقتدر بالله . نستطيع القول إنه أنطلاقاً من هذا الوقت استطاع الأشراف العلويون من ذرّيّة الحسن بن على تكوين أمارة لهم بمكة المكرمة تتمتّع باستقلال ذاتي في ظل الخلافة العباسية . ويتبع أمارة مكة

---

١ ـ الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ، ج٦ ، ص ٢٢٨ ؛ ويتفصيل لذكر أسماء من خرج على الخلافتين الأموية والعباسية من العلويين . أنظر الذهبي : أسماء من رامُوا الخلافة ، ص ٧ ـ ٢٣ .

٢ ـ ابن الطقطقا : الفخري ، ص ١١٥ ، ١٢٠ ، ١٣٢ .

٣ ـ حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسي ، ج٢ ، ص ١٢١ .

٤ ـ عزالدين بن فهد : غاية المرام ، ج١ ، ص ٤٠٥ ـ ٤٠٨ .

٥ ـ ابن الطقطقا : الفخري ، ص ١٩٠ .

٦ ـ عزالدين بن فهد : غاية المرام ، ج١ ، ص ٣٢٢ ، ٣٤٩ ، ٣٨٩ ، ٤٣٤ .

٧ ـ جعفر بن محمد بن الحسن بن موسى بن عبدالله بن موسى بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب الحسني أمير مكة المكرمة غلب عليها في أيام الأخشيديين ، وخطب لنفسه بالإمامة ، وخلع طاعة المقتدر بالله . أنظر الفاسي : العقد الثمين ، ج٣ ، ص ٤٢٩ .

المكرمة عدداً من مدن وقرى الحجاز مثل جُدّة ، والطائف ، ومر الظهران ، والقرين ‹١› ووادى نخل ‹٢› ، وغيرها من المدن والقرى التى ورد ذكرها في كتب الرحالة المغاربة والأندلسيين ٠ وقد تعاقب على حكم مكة المكرمة وتوابعها ثلاث أسر من الأشراف من ذرّية الحسن بن على هم السليمانيون والهواشم ثم بنو قتادة ٠ ‹٣›

أما المدينة المنورة :

فقامت بها أمارة علوية أخرى من ذرية الحسين بن علي بدأت بطاهر بن مسلم ‹٤› الذي قَدمه بنو الحسين بالمدينة المنورة على أنفسهم واستقّل بأمارتها ‹٥› سنة ٣٦٠هـ / ٩٧٠م ومنذ أمارة طاهر بن مسلم استطاع بنو الحسين تكوين أمارة خاصة بهم في المدينة المنورة وكلا الأمارتين كانتا تتأرجحان في الولاء للدولة العباسية حيناً والدولة الفاطمية حيناً آخر على أساس الأموال المدفوعة لها وبانتظام ٠ ‹٦›

وقد وردت بعض اللمحات السياسية المتعلّقة ببلاد الحجاز في كتب الرحالة المغاربة والأندلسيين سواء الخاص بسياستها الخارجية أو الداخلية مما يعطينا

---

١ ـ (القرين) اسم الأكمة الصغيرة البارزة التي بطرف بلدة بحره من الشرق بين مكة المكرمة وجدة ثم سمّيت بحرة وسميت القرين لأنها منتصف الطريق بين مكة المكرمة وجدة وبها حصن صغير ٠ أنظر ابن المجاور : تاريخ المستبصر ، ص ٤١ ؛ البلادي : معجم معالم الحجاز ، ج٧ ، ص ١٢٦٠

٢ ـ (وادى نخل) واد من الحجاز بينه وبين مكة المكرمة مسيرة يومين وبه يجتمع حاج اليمن وتسمى نخلة اليمانية ٠ أنظر ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج٥ ، ص ٢٧٨ ٠

٣ ـ ابن خلدون : العبر ، ج٤ ، ص ٩٩ ، ١٠٢٠

٤ ـ أمير المدينة المنورة في سنة ٣٦٦هـ / ٩٧٦م وفيها جاءت جيوش العزيز صاحب مصر مكة المكرمة والمدينة المنورة وضيّقوا عليهم طالبين إقامة الخطبة للعزيز وأمير مكة المكرمة إذ ذاك عيسى بن جعفر بن محمد بن الحسن بن محمد الحسني وأمير المدينة المنورة طاهر هذا ٠ أنظر السخاوي : التحفة اللطيفة ، ج٢ ، ص ٢٥٧ ٠

٥ ـ عزالدين بن فهد : غاية المرام ، ج١ ، ص ٣٢٢ ، ٣٤٩ ، ٣٨٩ ، ٣٩٣ ، ٤٣٤ ٠

٦ ـ العصامي : سمط النجوم ، ج٤ ، ص ١٩٩٠

صورة شبه واضحة عن إحوالها السياسية منذ زمن رحلة ابن جبير إلى الحجاز عام ٥٧٩هـ / ١١٨٣م وإلى زمن رحلة ابن بطوطة عام ٧٤٩هـ / ١٣٤٨م .

أ ـ أمارة مكة المكرمة :

بدأت الأسرة الثانية أسرة الهواشم في مكة المكرمة بمحمد بن جعفر بن محمد بن عبدالله بن أبي هاشم الحسني <١> وانتهت بمكثر بن عيسى <٢> الذي عاصر ابن جبير في رحلته وقد أورد ابن جبير طَرفَاً من سيرته حيث وصفه بأنه عامل غير صالح . ومن المؤكد أن سبب نقمه ابن جبير عليه عائدٌ لما فرضه من مكوس وضرائب على الحجاج . <٣>

وقد أيّد ابن فهد والجزيري قول ابن جبير مضيفين أن سبب زوال ملك هذه الأسرة إنما هو انصرافها إلى اللهو والتبسّط في الظلم ، والإعراض عن حماية مكة المكرمة من العابثين ، اغتراراً بما كانوا عليه من العز والقسوة لمعارضيهم وفقدهم لولاء قوّادهم <٤> . مما أدّى إلى عدم استقرار الأمن ،

---

١ ـ محمد بن جعفر بن محمد بن عبدالله بن أبي هاشم بن محمد بن الحسين بن محمد بن موسى بن عبدالله بن موسى بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن على بن أبي طالب الحسني المكي أبو هاشم أمير مكة اختاره الصليحي ليكون أميرها وهو صهر شكر بن أبي الفتوح وأعطاه مالاً وسلاحاً وعندما تولى الأمارة قطع الخطبة للفاطميين وأعادها للعباسيين وترك الأذان بحيٍّ على خير العمل ولكنه لم يستمر على ذلك فقد كان تارة يخطب للعباسيين وتارة يخطب للفاطميين كان ظالماً قليل الخير توفي سنة ٤٨٧هـ / ١٠٩٤م . أنظر القاسي : العقد الثمين ، ج١ ، ص ٤٣٩ ـ ٤٤٤ .

٢ ـ مكثر بن عيسى بن فليته بن محمد بن جعفر الحسني المكي كانت ولايته لمكة المكرمة مدة سنين يتداولها هو واخوه داود مدة ثلاثين سنة وبمكثر انقرضت ولاية الهواشم لمكة المكرمة على اختلاف في سنه انقضائها وولايته بدأت سنة ٥٧١هـ / ١١٧٥م وهو الذي بنى الحصن على جبل أبي قبيس وهدمه أمير الحجاج العراقي طاشتكين توفي سنة ٦٠٠هـ / ١٢٠٣م بنخله بعد أن خرج فاراً من أبي عزيز قتادة بن إدريس الحسني الذي تولى أمارتها بعده . أنظر المصدر السابق ، ج٧ ، ص ٢٧٤ ـ ٢٧٩.

٣ ـ ابن جبير : الرحله ، ص ٥٤ ، ٥٧ .

٤ ـ ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٢ ، ص ٥٦٦ ـ ٥٦٧ ؛ الجزيرى : الدرر الفرائد ، ج١ ، ص ٥٧٧ .

إذ أشار ابن جبير إلى عرب بني شعبة <١> المتربصين للحجيج في منى ومزدلفة ، وكذلك الحرابة <٢> أتباع الأمير مكثر ، بالإضافة إلى الفتن الواقعة بين سُودان أهل مكة المكرمة وبين الحجيج من أهل العراق والشام ومصر حيث شاهد ابن جبير إحداها سنة ٥٧٩هـ / ١١٨٣م فقال " **حدثت بين سُودان أهل مكة المكرمة وبين الأتراك العراقيين فتنة وقعت فيها جراحات وسُلّت السيوف والعصي ورميت السهام وانتُهبت بعض أمتعه التّجار بمنى** " <٣> . وأكّد وقوع هذه الحادثة الجزيري في حوادث سنة ٥٧٩هـ / ١١٨٣م <٤> كما قيد ابن جبير بعض حوادث أشارت إلى علاقات مكة المكرمة الخارجية ومنها تبعيّتها للدولة العباسية من خلال إلتزام الخليفة العباسي بإرسال كسوة الكعبة ومايتبع ذلك من أمور تتعلق بالخطباء والمؤذنين <٥> حيث كان الدعاء فيها على المنابر للخليفة العباسي أبي العبّاس أحمد الناصر <٦> يليه أمير مكة المكرمة مكثر بن عيسى ثم لصلاح الدين أبي

---

١ ـ (بنو شعبة) قبيلة اشتهرت بالشجاعة والقوة ، وهم فرع من كنانة ، ويقال من تغلب ، كانوا يسكنون جنوباً ولايوجد من هم أسرف ولا أجرم ولا أخسر منهم في أخذ مال الحجاج لأنهم يسمون الحاج جفنة الله وكانوا يقولون : " إذا حضر جفنه الله لخلقه أكل منه الصادر والوارد " . أنظر ابن المجاور : تاريخ المستبصر ، ص ٥٢ ؛ محمد بن أحمد العقيلي : قبيلة بنى شعبة (مجلة العرب ، ج١١ ـ ١٢ ، ١٣٩٤هـ / ١٩٨٤م ، ص ٨٩٢ ـ ٨٩٣) .

٢ ـ (الحرابة) هم حاملوا الحراب من الأعراب وهم أتباع أمير مكة المكرمة . أنظر ابن جبير : الرحله ، ص ١٥٧ ؛ عبدالقدوس الأنصاري : مع ابن جبير في رحلته ، ص ١٨٤ .

٣ ـ ابن جبير : الرحلة ، ص ١٥٧ .

٤ ـ الجزيري : الدرر الفرائد ، ج١ ، ص ٥٧٤ .

٥ ـ ابن جبير الرحلة ، ص ٥٧ .

٦ ـ أبو العباس أحمد بن الحسن المستضيء بن المستنجد يوسف بن المقتفي محمد بن المستظهر أحمد بن المقتدر بويع بالخلافة يوم الأحد ثاني ذي العقدة سنة ٥٧٥هـ / ١١٧٩م فأخذ الأمر بقوة وكانت وفاته يوم السبت ثاني شوال سنة ٦٢٢هـ / ١٢٢٥م ومدة خلافته ست وأربعون سنة وأحدعشر شهراً وأربعة وعشرون يوماً ، وكان فاضلاً عالماً أديباً حسن الرأي والتدبير حسن السياسية ذا فكرة جيدة يباشر بنفسه الأمور ويطلع على أحوال الرعية وما كان يحتجب على عادة من تقدّمه . أنظر ابن دقماق : الجوهر الثمين ، ج١ ، ص ٢١٤ ـ ٢١٥ .

المظفر يوسف بن أيوب <١> ولولي عهده أبي بكر بن أيوب <٢> ، إلاّ أنّ ابن جبير انفرد بالإشارة إلى ولايه العهد لأبي بكر بن أيوب وذكر اسمه في الخطبة الأمر الذي لم تشر إليه المصادر الأخرى .

وللدلالة على إلتزام أمير مكة المكرمة بالولاء والطاعة لصلاح الدين تنفيذه لأوامره التي تصله بواسطة الرسائل حيث وصلت إحداها أثناء وجود ابن جبير بمكة وأشار إلى مضمون الكتاب ؛ وهو التوصية بالحجاج وحمايتهم من العابثين .<٣>

وقد أشارت جميع مصادر تلك الفترة إلى نص الخطاب هذا وماتضمن من العمل على رفع الضرائب والمكوس عن الحجّاج وتعويض أمير مكة المكرمة عنها . <٤>

وعبّر ابن جبير عن خوف أمير مكة المكرمة من الأيوبيين إذ سعى إلى استرضاء صلاح الدين ، ويلاحظ ذلك من خروجه للقاء شقيق صلاح الدين

---

١ ـ السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب بن مروان بن شاذي الحميدي الرديني تولى وزارة العاضد بعد موت عمه أسد الدين شيركوه ولما ملك مصر انقطعت دولة الفاطميين وملك بلاد الشام ودولته أربعاً وعشرين سنه مات بقلعة دمشق في صفر سنة ٥٨٩هـ / ١١٩٣م افتتح بسيفه من اليمن إلى الموصل ومن طرابلس الغرب إلى النوبه كان كريماً حليماً رحيماً حسن الخلق متواضعاً صبورا لطيفاً قليل التكبر ويحضر مجلسه الفقهاء والفقراء ، بنى المدارس وسور القاهرة وخلّص بيت المقدس من أيدى الفرنج . أنظر المصدر السابق ، ج٢ ، ص ١٣ ـ ١٩ .

٢ ـ الملك العادل أبوبكر بن أيوب تولى بعد موت الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين وكانت وفاته في سابع جمادى الآخرة سنة ٦١٥هـ / ١٢١٨م وعمره خمسة وسبعون وأشهر ، مات بدمشق وكان ذا رأي سديد ومكر شديد خبيراً بالحيل حليماً . أنظر المصدر السابق ، ج٢ ، ص ٢٣ ـ ٢٧ .

٣ ـ ابن جبير : الرحلـه ، ص ٥٧ . أنظر فيما بعد فحوى الكتاب فى الملاحق ، ص ٤٦٢ .

٤ ـ أبو شامة : الروضتين ، ج٢ ، ص٢ ؛ الفاسي : شفاء الغرام ، ج٢ ، ص ٣١٤ ؛ المقريزي : الخطط المقريزية ، ج٢ ، ص ٢٣٣ ؛ ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ج٦ ، ص ٧٨ ؛ ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٢ ، ص ٥٣٨ ـ ٥٤٠ ، ٥٧٦ ـ ٥٦٧ ؛ السيوطي : حسن المحاضره ، ج٢ ، ص ٢٠ ؛ الجزيري : الدرر الفرائد ، ج١ ، ص ٥٧٢ .

طغتكين بن أيوب المتوجّه إلى اليمن وإقرار الأمور بها على إثر وقوع الخلاف بين أمرائها <١> . وقد وصف ابن جبير اللقاء بأنه يحمل في الحقيقة معنى الخشيه والخوف منهم <٢> ، ومما يؤكد وجهة النظر هذه ما اصدره الخليفه العباسي من مرسوم سنة ٥٧٠هـ / ١١٧٤م بإسناد السلطة لصلاح الدين على مصر وبلاد الشام والنوبه وغربي الجزيرة العربية . <٣>

كما يدعّم هذا الرأي ما أورده أبو شامة وابن واصل مشيراً إلى طلب صلاح الدين من الخليفة العباسي التقليد بذلك قائلاً : " ... **ثم طلب من الخليفة المستضيء بنور الله <٤> تقليداً جامعاً بمصر والمغرب واليمن وكل ما تشتمل عليه الولاية النورية ، وكل ما يفتحه الله تعالى للدولة العباسية بسيوفه وسيوف عساكره ، ولمن يقيمه من أخ أو ولد من بعده ، تقليداً يتضمن للنعمة تخليداً وللدعوة تجديداً** " <٥> . وهذا يعني أن التبعية للدولة العباسية اسمية ولكن الإشراف الفعلي على بلاد الحجاز كان لصلاح الدين ولهذا نلاحظ خشية وخوف أمير مكة المكرمة من شقيق صلاح الدين ، لعلمه التام بقدرتهم على عزله من منصبه وإسناد الأمر لغيره ، فحرص الأمير مكثر على المحافظة على وضعه في البلاد ضماناً لعدم فقد أسرته لكرسّي الحكم فيها .

---

١ ـ أنظر تفاصيل الفتنة التي حدثت باليمن من البندارى : سنا البرق الشامي ، ص ١٩١ ؛ أبوشامة : الروضتين ، ج٢ ، ص ٢٥ ـ ٢٦ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ، ج١١ ، ص ٣٠٩ ؛ ابن خلدون : العبر ، ج٥ ، ص ٢٩٥ ـ ٢٩٦ ؛ الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص ٣٨ .

٢ ـ ابن جبير : الرحلة ، ص ١٢٤ .

٣ ـ أحمد عسه : المعجزة المغربية ، ص ٤٤ .

٤ ـ أبو محمد الحسن بن المستنجد بالله يوسف بن المقتفي محمد بن المستظهر أحمد بويع بالخلافة بعد أبيه وتلقب بالمستضيء وذلك يوم الأحد سابع ربيع الآخر سنة ٥٦٦هـ / ١١٧٠م كان عادلاً حسن السيرة عم أكثر الناس أحسانه وأسقط الخراج المجدد والضرائب والمكوس وفي أيامه عادت مصر إلى الدولة العباسية بعد سقوط الدولة الفاطمية على يد صلاح الدين توفي ليلة الأحد ثاني ذي القعدة سنة ٥٧٥هـ / ١١٧٩م . أنظر ابن دقماق : الجوهر الثمين ، ج١ ، ص ٢١٢ ـ ٢١٣ ، وحاشية رقم ١ ، ص ٢١٣ .

٥ ـ أبو شامه : الروضتين ، ج١ ، ص ٢٤٣ ؛ ابن واصل : مفرج الكروب ، ج٢ ، ص ٢٩ .

وقـد أفـاض ابـن جبيـر فـي خبر قدوم طغتكين إلى مكة المكرمـة سنة ٥٧٩هـ / ١١٨٣ م حيث مكث فيها سبعة أيام ، وكانت ابنيته خلالها منصوبة بالزاهر ، وقام بزيارة المسجد الحرام برفقة الأمير مكثر ودخل الكعبة المشرفة مرتـين إحداهما مع زعيم الشيبيين محمد بن إسماعيل بن عبدالرحمن الشيبي <١> ، والأخرى مع الأمير مكثر ، وأغدق الهدايا على الأمير ، ثم أدى صلاة الجمعة بالمسجد الحرام وغادرها إلى اليمن بجنده ٠ <٢>

ونستنتج من تلك الزيارة مدى حرص أمير مكة المكرمة على مودة الأمير الأيوبي مع ملاحظة فرار الأمير عثمان الزنجيلي <٣> من اليمن عند علمه بتوجّه الحملة الأيوبية إليه ، ولجوئه إلى مكة المكرمة ٠ <٤>

ويبدو أن سيـف الإسـلام طغـتكين قـدم إلـى مكـة المكرمـــة في سنة ٥٨١هـ / ١١٨٥م لأمور أوجبت حضوره ودعته للقدوم وهي المرة التي تناولها معظم المؤرخين بالتفصيل بسبب أحداثها وما قام به من بعض التغييرات التى مكّنته من السيطرة على مكة المكرمة فعلياً بعد أن كان إسمياً ومن هذه التغييرات :

١ ـ سك الدنانير والدراهم بأسم اخيه السلطان صلاح الدين ٠

---

١ ـ محمد بن إسماعيل بن عبدالرحمن الشيبي زعيم آل الشيبي وصاحب حجابة الكعبة وقد عزل عن الحجابة لهنات نسبت إليه ثم أعيد إليها سريعاً لأنه فدى نفسه بخمسمائة دينار مكية وذلك في ذي القعدة سنة ٥٧٩هـ / ١١٨٣م ٠ أنظر الفاسي : العقد الثمين ، ج١ ، ص ٤١٤ ٠

٢ ـ ابن جبير : الرحلة ، ص ١٤٨ ـ ١٤٩ ٠

٣ ـ الأمير فخر الدين المعروف بالزنجيلي له مدرسة ورباط بمكة المكرمة عند باب العمرة وسبيل خارج باب الشبيكة في طريق التنعيم وقد وهبها للوقف سنة ٥٧٩هـ / ١١٨٣م وكان نائب السلطان صلاح الدين بعدن وخرج منها هارباً عندما دخلها الملك العزيز سيف الإسلام طغتكين بن أيوب وله أيضاً أوقاف كثيرة بالشام توفي سنة ٥٨٣هـ / ١١٨٧م ٠ أنظر الفاسي : العقد الثمين ، ج٦ ، ص ٣٤ ـ ٣٥ ٠

٤ ـ ابن جبير : الرحلة ، ص ١٤٨ ـ ١٤٩ ٠

٢ ـ تأديب العبيد المعتدين على الحجاج .

٣ ـ إقامة الخطبة باسم أخيه السلطان صلاح الدين .

٤ ـ الحدّ من المذهب الشيعي وذلك بإلغاء عبارة حيّ على خير العمل من الآذان . ‹١›

ويبدو أنه خلال وجود الأمير الأيوبي في مكة حدثت وحشة بينه وبين الأمير مكثر ، فقام مكثر في البداية بالفرار منه ، وأخذ مفتاح الكعبة معه ، ولكنه لم يلبث أن عاد وأعاد المفتاح . ‹٢› وبقي مكثر أميراً على مكة المكرمة من قِبَل سيف الإسلام المستولي عليها ، ومما يؤيّد هذا الرأي ما ذكره الفاسي وعزالدين بن فهد من أن اسم طغتكين مكتوباً على باب زبيد المعروف بباب القُرتب بسبب عمارته له ومن القابه المكتوبة عليه " **سلطان الحرمين والهند واليمن** " ‹٣› وبذلك أصبح الحجاز في تلك الفترة ضمن أملاك وحكم صلاح الدين . ‹٤›

ونلاحظ أن ما أورده ابن جبير مخالفٌ تماماً لما ذكره بعض المؤرخين حول قدومه إلى مكة في سنة ٥٧٩هـ / ١١٨٣م فهو لم يُشر إلى حدوث ما يعكّر صفو العلاقة بين سيف الإسلام وبين الأمير مكثر ولم يُشر إلى أمره بضرب دنانير ودراهم بأسم أخيه السلطان صلاح الدين ، وكل ما ذكره أن الخطبه كانت تقام بالدعاء للخليفة العباسي ، ثُم الأمير مكثر ، ثم لصلاح الدين ، ونستنتج مما ذكره ابن جبير أن أهل مكة المكرمة يميلون كثيراً لصلاح الدين ، كما أنه لم يذكر الغاء عبارة حي على خير العمل من الآذان ،

---

١ ـ أنظر الفاسي : العقد الثمين ، ج٥ ، ص ٦٢ ـ ٦٤ ؛ ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٢ ، ص ٥٥٣ ؛ عزالدين ابن فهد : غاية المرام ، ج١ ، ص ٥٤٨ ـ ٥٤٩ ؛ الجزيري : الدرر الفرائد ، ج١ ، ص ٥٤٧ .

٢ ـ ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٢ ، ص ٥٥٣ ـ ٥٥٤ .

٣ ـ الفاسي : العقد الثمين ، ج٥ ، ص ٦٤ ؛ عزالدين بن فهد : غاية المرام ، ج١ ، ص ٥٥٠ .

٤ ـ السيوطي : حسن المحاضره ، ج٢ ، ص ١٧ .

بل كان مستمراً أثناء وجوده بمكة المكرمة حيث قال "**والحرم أربعة أئمة سنّيين وإمام خامس لفرقة تسمّى الزيدية** <١> ، **وأشراف أهل هذه البلد على مذهبهم ويزيدون في الأذان بحي على خير العمل**" ٠ <٢>

ومما سبق نجد أنه قد حدث خلط لدى بعض المؤرخين حول مجيء سيف الإسلام إلى الحجاز في المرة الأولى والثانية حيث أدمجت في مرة واحدة فالأرجح أنه قصد مكة المكرمة مرتين ؛ الأولى مروراً في طريقه إلى اليمن ، وهذه ذكرها ابن جبير وأيّد حدوثها البنداري والخزرجّي <٣> ، بينما الفاسي وابن فهد وعز الدين ابن فهد يوردون قدومه في المرتين بأسبابها <٤> ٠ أما أبوشامة وابن خلّكان وأبوالفدا وابن خلدون فيتّفقون مع ابن جبير في الحدث وسببه ويختلفون معه في سنة القدوم ، حيث يذكرون قدومه في سنة ٥٧٨هـ / ١١٨٢م ويضيف أبو الفدا حادثة هروب عثمان الزنجيلي في سنة ٥٧٨هـ / ١١٨٢م <٥> ٠ فهذه الحادثة ذكرها ابن جبير في سنة ٥٧٩هـ / ١١٨٣م ٠ ونجد أن الجزيري لم يذكر إلاّ خبر مَقدمه للمرة الثانية فقط <٦> ٠ بعد أن نجح في إخماد الفتنه باليمن ٠ <٧>

---

١ ـ (الزيديه) أتباع زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب جعلوا الإمامه في أولاد فاطمة رضي الله عنها وكانوا يرون جواز إمامة المفضول مع وجود الأفضل وبدأ مذهبهم في أول الأمر قريباً من أهل السنة ثم لم يلبث أن انحرف عن الصواب وأخذوا في الطعن في الصحابة وافترقوا فرقاً كل فرقة تخالف الأخرى ٠ أنظر الشهرستاني : الملل والنحل ، ج١ ، ص ١٥٥ ـ ١٥٧ ٠

٢ ـ ابن جبير : الرحلة ، ص ٧٣ ، ٠٧٨

٣ ـ البنداري : سنا البرق الشامي ، ص ١٩١ ؛ الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص ٣٨ ٠

٤ ـ الفاسي : العقد الثمين ، ج٥ ، ص ٦٢ ـ ٦٤ ؛ ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٢ ، ص ٥٤٨ ـ ٥٤٩ ، ٥٥٣ ـ ٥٥٤ ؛ عزالدين بن فهد : غاية المرام ، ج١ ، ص ٥٤٨ ـ ٥٤٩ ٠

٥ ـ أبوشامه : الروضتين ، ج٢ ، ص ٢٦ ؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج٢ ، ص ٥٢٣ ؛ أبوالفدا : تاريخ أبوالفدا ، ج٣ ، ص ٦٤ ؛ ابن خلدون : العبر ، ج٥ ، ص ٣٣٤ ٠

٦ ـ الجزيري : الدرر الفرائد ، ج١ ، ص ٥٤٨ ـ ٥٤٩ ٠

٧ ـ أنظر فيما تقدم سابقاً ص٧٤ ، هامش ٥ ، ص ١٤٤ ، هامش ١ ٠

ومن هنا حدث الخلط بين المؤرخين فهو في المرتين ذهب إلى اليمن · لذا نرجّح ما ذكره ابن جبير لمشاهدته الحدث لحظة وقوعه وتسجيله له ·

وكما كان الأمير مكثر يخشى صلاح الدين كان أيضاً يخشى الخليفة العباسي ، ويبدو أنّ العلاقه بينهما لم تكن على مايرام إذ يبدو أنه كانت لديه نوايا بالاستقلال التام عن التبعية العباسية ، وأشار ابن جبير إلى ذلك في قوله من أن أمير مكة المكرمة عيسى أبو مكثر <١> شيّد حصناً له فوق جبل أبي قبيس للتحصّن به مما أدّى بالخليفة العباسي إلى إرسال أمير الحاج العراقي <٢> لهدمه إذ اعتبر ذلك مخالفة من أمير مكة · <٣>

كما أشار ابن جبيرإلى أنه في السنة التي حجّ فيها تأخّر أمير الركب العراقي عن موعده فأوجست نفوس أهل مكة المكرمة خيفة من حقد الخليفة على أميرهم ·

---

١ ـ يبدو أن ابن جبير أخطأ في اسم باني الحصن فالذي بناه مكثر وليس والده عيسى · أنظر الفاسي : العقد الثمين ، ج٧ ، ص ٢٧٤ ـ ٢٧٩ ؛ ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٢ ، ص ٥٥٠ ·

٢ ـ أمير الحج العراقي طاشتكين بن عبدالله المقتفوري مُجير الدين أمير الحرمين والحاج حج بالناس ستاً وعشرين حجة وكان يسير في طريق الحج مثل الملوك · كان شجاعاً جواداً سمحاً قليل الكلام ، توفي سنة ٦٠٢هـ / ١٢٠٥م بتستر وحُمل في تابوت إلى مشهد على بن أبي طالب فدفن هناك حسب وصية أوصى بها · أنظر الفاسي : العقد الثمين ، ج٥ ، ص ٥٦ ـ ٥٨ · وتجدر الإشارة إلى أنه قد حدث خلط ولبس بين أمير الحاج طاشتكين وأخ صلاح الدين طغتكين ، فقد ورد في كتاب أحمد السباعي : تاريخ مكة ، ج١ ، ص ٢٢٢ " أن الخليفة العباسي كلف أمير الحاج طاشتكين أخَ صلاح الدين بأن يجلي مكثراً عن مكة المكرمة وأن يهدم حصنه الذي بناه فوق جبل أبي قبيس " · وبالمعنى نفسه ورد هذا الخبر في كتاب سليمان المالكي : مرافق الحج ، ص ١١٦ ـ ١١٧ ؛ عائشة باقاسي : بلاد الحجاز في العصر الأيوبي ، ص ٣٩ · والصحيح أن من قام بتأديب الأمير مكثر وهَدَم حصنه ليس طغتكين بن أيوب وإنما أمير الحج العراقي طاشتكين المقتفوري ، ومن هنا حدث اللبس بين الاسمين خاصة وان كلاهما كانت له صلة بالحجاز والصحيح ما أوردناه · أنظر تفاصيل ذلك في بعض المصادر مثل ابن الأثير : الكامل ، ج٩ ، ص ١٣٧ ـ ١٣٨ ؛ الفاسي : شفاء الغرام ، ج٢ ، ص ٣٦٧ ـ ٣٦٨؛ ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٢ ، ص ٥٣٦ ـ ٥٣٨ ؛ الجزيري : الدرر الفرائد ، ج١ ، ص ٥٧١ ـ ٥٧٢ ·

٣ ـ ابن جبير : الرحلة ، ص ٨٥ ·

ولم يكن لأمير مكة المكرمة مطلق الحرية في إدارة شئون البلاد ، بل كان رأي الخليفة العباسي الفاصل في الأمور ذات الأهمية الكبرى ، مثل عزله لأحد سدنَة البيت الحرام ؛ وهو محمد بن إسماعيل وتعيينه لآخر مكانه ٠ <١>

ابن جبير واليمن :

تناول ابن جبير جانباً من الأحداث التاريخية الجارية في اليمن لتلك الفترة فأشار إلى فرار الأمير عثمان بن علي الزنجيلي من عدن إلى مكة المكرمة في شهر ذي الحجة عَقِب علمه بتوجّه الأمير طغتكين إليها وقد حمل معه من الأموال والذخائر مالا يُعَدُّ ولا يُحصى والتي حازها طوال حكمه فاستطاع الأيوبيون الأستيلاء على جزء منها بينما حمل العبيد الذخائر والنفائس الخاصة بعثمان ووصلوا بها إلى مكة المكرمة ليلاً وأُدخلت داره وجمع هذا الأمير أمواله نتيجة لسوء سيرته وسياسته المعروفة عنه في البلاد ٠ <٢>

وقام المؤرخون بإيراد بعض التفاصيل عن الأمير عثمان نقلاً عن رحلة ابن جبير <٣> ٠ ويبدو أن الدار التي شيدها في مكة المكرمة هما رباطه أو مدرسته المعروفان واللذان أوقفهما سنة ٥٧٩هـ / ١١٨٣م ٠ <٤>

وأشار ابن جبير إلى قيام الأمير عثمان على رأس رجاله بحماية الحجاج من عبث الشعبيين الذين اتخذوا من المضيق الواقع بين مزدلفة وعرفات مكاناً لمهاجمة الحجاج <٥>٠وقد أجمعت المصادر المؤرّخة لتلك الفترة على ذلك٠ <٦>

---

١ ـ ابن جبير : الرحلة ، ص ١٤٩ ، ١٥٧ ٠

٢ ـ المصدر السابق ، ص ١٤٨ ـ ١٤٩ ٠

٣ ـ ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٢ ، ص ٥٤٩ ، مما يؤكد أهمية الرحلات المغربية والأندلسية لمؤرخي الحجاز في تلك الفترة حيث اعتمدوا في التاريخ لبعض الأحداث على ما ورد في كتب الرحلات وهذا بدوره يؤكد ويشير إلى اشتهارها بين المؤرخين لأهميتها وما حوته من معلومات ذات قيمة كبيرة ٠

٤ ـ الفاسي : العقد الثمين ، ج٦ ، ص ٣٤ ـ ٣٥ ٠

٥ ـ ابن جبير : الرحلة ، ص ١٥٠ ٠

٦ ـ مثل ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٢ ، ص ٥٤٩ ٠

والملاحظ في رحلة ابن جبير اعتناؤه بالحديث عن مكة المكرمة دون المُدن الأخرى الواقعة في منطقة الحجاز ، ولعل ذلك مردّه إلى طول إقامته بها ٠

الرحلات عقب ابن جبير :

إن المتتّبع لتاريخ الرحلات المغربية والأندلسية لمكة المكرمة يلاحظ انقطاع تدوينها بعد ابن جبير منذ سنة ٥٧٩هـ / ١١٨٣م ولعل هناك رحلات مدوّنه ، ولكن لم يعثر عليها بعد ٠ وعلى العموم استمّر الأنقطاع إلى زمن ابن رشيد حيث قام برحلته المعروفة سنة ٦٨٤هـ / ١٢٨٥م ، ونستنتج من خلال ما أورده تغيّر الأحداث في سنة ٦٨٤هـ / ١٢٨٥م ، إذ خضعت مكة المكرمة لحكم أسرة جديدة معروفة بأسرة بني قتادة ، وهم أشراف من ذرّية الحسن بن علي ‹١› أيضاً ٠

وأمّا فيما يتعلق بأحداث العالم الإسلامي فقد سقطت الخلافة العباسية ببغداد سنة ٦٥٦هـ / ١٢٥٨م على أيدي التتار ولم تلبث أن انتقلت إلى الديار المصرية سنة ٦٥٩هـ / ١٢٦٠م وسيطرت دولة المماليك على السلطة في مصر ‹٢› ٠ لم يَعْنَ ابن رشيد كثيراً بتسجيل الحالة السياسية في الحجاز بصفة عامة ومكة المكرمة بصفة خاصة كسابقه ولكنه أشار إلى اسم أمير مكة المكرمة في ذلك الوقت ؛ وهو الشريف ابونمي محمد بن أبي سعد الحسني ٠ وأن الأوضاع في المشاعر المقدسة غير آمنة بسبب تعرّض بني شعبة للحجيج هناك ، وأنّ الحالة الدينية فيما يبدو قد اصابها الضعف ، إذ كثر التعرّض للدعاة والوعّاظ مثل : رضّي الدين أبي عبدالله محمد بن أبي بكر بن خليل العسقلاني ‹٣› ٠ أحد العلماء الأجّلاء الذي نذر حياته للدعوة

---

١ ـ ابن خلدون : العبر ، ج٤ ، ص ١٠٥ ٠

٢ ـ الذهبي : دول الإسلام، ج٢ ، ص ١٦٥ ؛ ابن دقماق : الجوهر الثمين ، ج١ ، ص ٢٢٠ ، ٢٢٣ ، ج٢ ، ص ٥٢ ؛ السيوطي : تاريخ الخلفاء ، ص ٤٣٨ ٠

٣ ـ أنظر ترجمته فيما بعد ، ص ٢٧٥ ٠

وإرشاد الناس إلى الحق وكان شديداً على أمير مكة المكرمة في كثير من المواقف التي أدّت فيما بعد إلى سجنه ولكن لم يلبث الأمير أن أطلقه من سجنه معتذراً إليه . ‹١›

ولم يقم ابن رشيد بتقديم المزيد من المعلومات عن الأحوال السياسية لمكة المكرمة أو المدينة المنورة ولكنه في ترجمته لشيخه أبي اليُمن ‹٢› أشار إلى ما حدث خارج الحجاز وفي مصر خاصة من نزول الفرنسيين بدمياط عام ٦٤٧هـ / ١٢٤٩م وهو العام المعروف بعام دمياط ‹٣› . وأيّد وقوع هذه الحادثة في تلك السنة مؤرّخو تلك الفترة . ‹٤›

العبدريّ وبلاد الحجاز :

وصل العبدريّ مكة المكرمة سنة ٦٨٩هـ / ١٢٩٠م ولم يُشر إلى اسم أمير مكة المكرمة مع ملاحظة استمرار أبي نمي أميراً عليها ، وكان تابعاً لسلاطين مصر بحسب الأموال والأعطيات المرسلة إليه ، ولكن متى انقطعت انقطعت بالتالي تبعيّته لهم لإعتباره هذا المال حقاً له . بالإضافة إلى عدم استقرار الأوضاع الأمنية بمكة المكرمة ، ووقوع الفتن بين حجّاج الشام ومصر وأهل مكة المكرمة ‹٥› . في خلال الموسم والتي أدّت إلى وقوع عدد كبير من الضحايا ، كما حدث في سنة ٦٨٩هـ / ١٢٩٠م . ‹٦›

---

١ ـ ابن رشيد : ملء العيبة ، ج٥ ، ص ٨٧ ، ٩٦ ، ١٣١ .

٢ ـ أنظر ترجمته فيما بعد ، ص ٢٧٢ ـ ٢٧٣ .

٣ ـ ابن رشيد : ملء العيبة ، ج٥ ، ص ١٤٥ ، ٢١٨ .

٤ ـ أبوالفدا : تاريخ أبوالفدا ، ج٣ ، ص ١٧٨؛ الذهبي : دول الإسلام ، ج٢ ، ص ١٢٥؛ ابن الوردي : تتمة المختصر ، ج٢ ، ص ٢٦٣ ؛ المقريزي : الخطط المقريزية ، ج٢ ، ص ٢٣٦ ؛ السيوطي : تاريخ الخلفاء ، ص ٤٢٨ ؛ ابن إياس : بدائع الزهور ، ج١ ، ص ج١ ، ص ٢٧٧ .

٥ ـ العبدري : الرحلة المغربية ، ص ١١١ ـ ١٨٧ .

٦ ـ الفاسي : شفاء الغرام ، ج٢ ، ص ٣٨٤ ـ ٣٨٥ ؛ ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣ ، ص ١٢٠ ؛ الجزيري : الدرر الفرائد ، ج١ ، ص ٦٠٩ .

التجيبي السبتي وبلاد الحجاز :

وصل التجيبي إلى مكة المكرمة سنة ٦٩٦هـ / ١٢٩٦م خلال حكم أبي نمي لها ، وأشار إلى مدى إحكامه السيطره على الأوضاع فيها ، والتحصينات التي أعدها لمواجهة أعدائه ، ومن ذلك الحصن الذي شاهده التجيبي ويدعي بالجديد في مكان يسمى البرابر . <١>

ومما ذكره التجيبي عن أبي نمي نستشف منه أنه قد وقعت بينه وبين الأشراف خلافات أدّت إلى حروب كثيرة ، اضطر لخوضها في سبيل تدعيم سلطته على البلاد ، وفي سبيل ذلك أنفق الأموال الكثيره ، وقام ببيع الصفائح الفضية المستخدمة في تزيين أعمدة الكعبة ، علاوة على مابجسده من آثار ضرب السيوف وطعن الرماح <٢> . الدالّة على كثرة الحروب التي خاضها من أجل تثبيت حكمه .

ولهذا انعكست آثار تلك الحروب على مكة المكرمة وأدّت إلى عدم استقرار الأوضاع فيها كما أشار بعض المؤرخين إلى ذلك . <٣>

ونلمس حرص التجيبي على إتمام صورة الحالة السياسية لمكة المكرمة في رحلته ، حيث أنه لم يكتف بما قاله عن أوضاعها وقت وجوده فيها ، إضافة إلى ما سمعه وشاهده بل عمد إلى تقصّي الحقائق السابقة لبداية حكم أسرة بني قتادة ، مشيراً إلى أنّ ولاية أبي عزيز قتادة

١ ـ التجيبي : مستفاد الرحلة ، ص ٢٢٢ ؛ (البرابر) عين كانت جارية بمّر الظهران . أنظر البلادي : معجم معالم الحجاز ، ج١ ، ص ١٩٦ .

٢ ـ التجيبي : مستفاد الرحلة ، ص ٢٥٨ ، ٢٠٥ ـ ٢٠٦ .

٣ ـ ابن خلدون : العبر ، ج٤ ، ص ١٠٦ ـ ١٠٧ ؛ الفاسي : العقد الثمين ، ج١ ، ص ٤٥٦ ـ ٤٧١ ؛ ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣ ، ص ٧٦ ـ ١٢٦ ؛ الجزيري : الدرر الفرائد ، ج١ ، ص ٥٩٨ ـ ٦١١ .

بن إدريس الحسني <١> جدّ الأمير أبي نمي تمّت عقب موت الشريف مكثر بن قاسم <٢> سنة ٥٩٨هـ / ١٢٠١م <٣> . ويُفهم من قول التجيبي أن إمارة مكة المكرمة لم تستقر لأبي عزيز إلاّ بعد موت الشريف مكثر ، وهذا يؤيد ماصرّح به الفاسي والعصامي من أن الشريف أبي عزيز ورث ملك مكثر . <٤>

وأضاف التجيبي مشيراً إلى إتّساع ملك أبي عزيز قتادة بشكل لم يكن من قبل ، وهذا موافقٌ لما ذكره ابن خلدون من أنّ ملكه استفحل وإتّسع إلى نواحي اليمن <٥> . كما أفاد القلقشنديّ أن ملك أبي عزيز تعاظم حتى ملك مع مكة المكرمة والينبع أطراف اليمن وبعضاً من أعمال المدينة وبلاد نجد . <٦>

وأمتدت ولاية أبي عزيز على مكة المكرمة إلى سنة ٦١٧هـ / ١٢٢٠م وقيل ٦١٨هـ / ١٢٢١م وبلغ التسعين من العمر وقيل في سبب موته أن ابناً له

---

١ ـ قتادة بن إدريس بن مطاعن بن عبدالكريم بن عيسى بن حسين بن سليمان بن علي بن عبدالله بن محمد بن موسى بن عبدالله بن موسى بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب يكنّى أبا عزيز الينبعي المكي صاحب مكة وينبع وغيرها من بلاد الحجاز ، ولي مكة المكرمة عشرين سنة أو نحوها على خلاف في مبدأ ولايته هل هي سنة ٥٩٧هـ أو ٥٩٨ه أو ٥٩٩هـ / ١٢٠٠ أو ١٢٠١ أو ١٢٠٢م ، ملك ينبع وصارت له على قومه رئاسة فجمعهم ، وملك بهم وادي الصفراء ، وطمع في إمرة مكة المكرمة فملكها من الأمير مكثر بن عيسى ، وحارب أمير المدينة سالم بن قاسم الحسيني ، وكان أبو عزيز في بداية أمره حسن السيرة صافي السريرة ، ولكن تغيّرت حاله وساءت معاملته للحجاج ، وأكثر المكوس والتغريم بمكة ، كان أديباً شاعراً توفّي سنة ٦١٧هـ / ١٢٢٠م بمكة . أنظر الفاسي : العقد الثمين ، ج٧ ، ص ٣٩ ـ ٦١ .

٢ ـ يبدو أن التجيبي اخطأ في اسم والد مكثر فهو مكثر بن عيسى وليس بن قاسم . أنظر المصدر السابق ، ج٧ ، ص ٢٧٤ .

٣ ـ التجيبي : مستفاد الرحلة ، ص ٣٠٥ .

٤ ـ الفاسي : العقد الثمين ، ج٧ ، ص ٥٣ ـ ٥٤ ؛ العصامي : سمط النجوم ، ج٤ ، ص ٢١٣ .

٥ ـ ابن خلدون : العبر ، ج٤ ، ص ١٠٥ .

٦ ـ القلقشندي : صبح الأعشى ، ج٤ ، ص ٢٧٧ .

يُدعى الحسن بن قتادة <١> قام بقتله خنقاً بالتواطء مع جاريه وعبد له <٢> . ثم قتلهما لإخفاء جريمته <٣> .وهذا مطابقٌ لما ذكره ابن خلدون والفاسي <٤> . بينما أشار ابن الأثير إلى مقتله فقط <٥>. في حين ذكر ابن فهد والعصامي أن أبا عزيز مات مسموماً . <٦>

أكمل التجيبيّ حديثه عن الحسن بن قتادة بأنه تولّى حكم أمارة مكة المكرمة عَقِب وفاة أبيه ، ولكنه لم يتمتّع بالملك حيث استدعاه أمير المؤمنين الناصر لدين الله أبو العباس إلى بغداد فاعتقله بها ومات في سجنه <٧> . ولم يشر الفاسي وابن فهد والعصامي إلى خبر اعتقاله ، ولكنهم أجمعوا على وفاته في بغداد . <٨>

---

١ ــ حسن بن قتادة بن إدريس بن مطاعن بن عبدالكريم الحسني يكن بأبي عالي ويلقب شهاب الدين أمير مكة المكرمة بعد أبيه نحو ثلاث سنين قتل أباه وأخاه وعمه ولكنه لم يستمر في حكم مكة إذ أخرجه منها الملك المسعود سنة ٦١٩هـ / ١٢٢٢م وكان سيء العشرة والسيرة ظلوماً مقداماً ، وهو الذي قتل أمير الحاج العراقي اقباش سنة ٦١٧هـ / ١٢٢٠م وأحدث بمكة اموراً منكرة فأريد القبض عليه فخرج منها هارباً وقصد الشام فلم يلتفت إليه فتوجه إلى العراق ووصل بغداد فتوفي هناك سنة ٦٢٣هـ / ١٢٢٦م . أنظر الفاسي : العقد الثمين ، ج٤ ، ص ١٦٦ ــ ١٧٤ .

٢ ــ التجيبي : مستفاد الرحلة ، ص ٣٠٥ .

٣ ــ العصامي : سمط النجوم ، ج٤ ، ص ٢١٣ .

٤ ــ ابن خلدون : العبر ، ج٤ ، ص ١٠٥ ــ ١٠٦ ؛ الفاسي : العقد الثمين ، ج٤ ، ص ٢١٣ .

٥ ــ ابن الأثير : الكامل ، ج٩ ، ص ٢٤٦ .

٦ ــ عزالدين ابن فهد : غاية المرام ، ج١ ، ص ٥٧٥ ؛ العصامي : سمط النجوم ، ج٤ ، ص ٢١٤ .

٧ ــ التجيبي : مستفاد الرحلة ، ص ٣٠٥ .

٨ ــ الفاسي : العقد الثمين ، ج٤ ، ص ١٧٣ ؛ عز الدين بن فهد : غاية المرام ، ج١ ، ص ٥٩٢ ؛ العصامي : سمط النجوم ، ج٤ ، ص ٢١٦ .

واستمر التجيبي في الحديث عن أسرة أبي نمي وسيطرة صاحب اليمن <١> على الأمور في مكة المكرمة إلى أن قتل <٢> ، وهنا خالف التجيبي جميع المصادر التي لم تذكر مقتل الملك المسعود بينما أشارت إلى إصابته بفالج عطّل يديه ورجليه وأدركته المنّية سنة ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م ودُفن بمكة . <٣>

وبعد موت الملك المسعود سنة ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م تولّى أمر مكة المكرمة والحجاز الشريف أبو سعد الحسن <٤> والد أبي نمي وذلك في سنة ٦٤٨هـ / ١٢٥٠م <٥> . وهنا نجد انقطاعاً تاريخياً في تسلسل الأحداث مدته اثنان وعشرون سنه لم يشر إليها التجيبي بأية معلومات عمن تولّى إمرة مكة المكرمة خلالها إلاّ أنه ذكر أن أبا سعد الحسن ظلّ حاكماً لها بالعدل وحسن السيره في أهلها حتى دَبَّ الخلاف بينه وبين أقاربه مما أدى إلى

---

١ ـ يوسف بن محمد بن ابي بكر محمد بن أيوب الملك المسعود بن الملك الكامل أبي المعالي ابن الملك العادل صاحب اليمن ومكة دخلها وانتزعها من حسن بن قتادة سنة ٦٢٠هـ / ١٢٢٣م وقيل ٦١٩هـ / ١٢٢٢م توفي ثالث عشر جمادى الأولى سنة ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م وكان مولده في ربيع الآخرة سنة ٥٩٩هـ / ١٢٠٢م . أنظر عزالدين بن فهد : غاية المرام ، ج١ ، ص ٥٨٩ ـ ٥٩٥ .

٢ ـ التجيبي : مستفاد الرحلة ، ص ٣٠٥ .

٣ ـ ابن خلدون : العبر ، ج٤ ، ص ١٠٦ ؛ الفاسي : العقد الثمين ، ج٧ ، ٤٩٤ ؛ عزالدين ابن فهد : غاية المرام ، ج١ ، ص ٥٩٢ ؛ العصامي : سمط النجوم ، ج٤ ، ص ٢١٦ ؛ الجزيري : الدرر الفرائد ، ج٣ ، ص ٥٩٠ .

٤ ـ الحسن بن على بن قتادة بن إدريس بن مطاعن بن عبدالكريم الحسني المكي أبوسعد صاحب مكة وينبع ولي إمرة مكة نحو أربع سنين استولى عليها من صاحب اليمن وقوي أمره بها بموت صاحب اليمن المنصور ، ودامت ولايته عليها إلى أن قتل بسبب غروره . كان فاضلاً طيباً شديد الحياء جمع الشجاعة والكرم والعلم والعمل أديباً بارعاً إلاّ أنه نزع بأخره إلى هوى نفسه قتل في أوائل رمضان سنة ٦٥١هـ / ١٢٥٣م أو لثلاث خلون من شعبان . أنظر الفاسي : العقد الثمين ، ج٤ ، ص ١٦٠ ـ ١٦٣ .

٥ ـ التجيبي : مستفاد الرحلة ، ص ٣٠٥ .

استعانتهم بالناصر بن عبدالعزيز <١> سلطان الشام ، فأرسل إليه جيشاً كبيراً يقال إنه بلغ عدد الجمال نحو مائة وثلاثين ألف جمل في سنة ٦٥١هـ / ١٢٥٣م فقُتل رحمه الله على أيدي أبناء عمومته من آل إدريس بن حسين بن قتادة وأخواه جماز <٢> وأحمد <٣> وقد أورد التجيبي كيفية اغتياله فذكر أن أخويه جماز وأحمد كانوا برفقه بعض أبناء عمّهم إدريس بن حسين ، وذلك في منزل أخيهم الحسن المكّنى أبا سعد ، وقد رتب أحمد لمقتله بالاتفاق مع أخ له من الرضاعه الذي داهمه بخنجر أخفاه لذلك ، إلاّ أن أبا سعد تنبّه لهذه المؤامرة فكادت أن تفشل لولا ان استنجد القاتل بأخيه أحمد فبادر أحمد إلى الإجهاز على أخيه الحسن وقعد جماز في الإمرة مكانه وعزم على قتل أبي نمي <٤> ، فبلغه ذلك ، فكاتب عمّي أبيه إدريس <٥>

---

١ ـ يوسف بن محمد بن غازي بن يوسف بن أيوب بن شاذي السلطان الملك الناصر صلاح الدين ابن الملك العزيز ابن الملك الظاهر ابن الناصر صلاح الدين صاحب حلب ثم الشام ولد بقلعة حلب في رمضان سنة ٦٢٧هـ / ١٢٢٩م وقتل سنة ٦٥٩هـ / ١٢٦٠م تولّى الملك بعد موت والده سنة ٦٣٤هـ / ١٢٣٦م وكان الأمر كله لجدّته الصاحبه صفيه خاتون ولما توفيت سنة ٦٤٠هـ / ١٢٤٢م أشتدّ أمره واستولى على حمص ودمشق وقصد مصر وكان سمحاً جواداً حليماً حسن الأخلاق محبباً إلى الرعيه فيه عدل وصفح ومحبة للفضلاء والأدباء ، وقد ضمن له الفرنج أخذ مصر مقابل تسليمهم القدس فرفض ووردت الأخبار في منتصف صفر سنة ٦٥٨هـ / ١٢٥٩م بقدوم التتار إلى حلب وأخذها بالسيف فهرب وزال ملكه ودخل التتار دمشق بعد بيوم وجاء التتار بالأمان فبقي في ذل وهوان ، ثم قتل بالسيف عقب موقعة عين جالوت . أنظر الكتبي : فوات الوفيات ، ج٤ ، ص ٣٦١ ـ ٣٦٦ .

٢ ـ جماز بن حسن بن قتادة بن إدريس بن مطاعن الشريف الحسني أمير مكة ، وليها بعد قتله لأبي سعد الحسن . أنظر ابن تغري بردي : الدليل الشافي ، ج٢ ، ص ٢٥٠ .

٣ ـ لا توجد له ترجمة في المصادر التي تناولناها .

٤ ـ يبدو أنه خاف منه لقوّته فقد درج الأشراف على تولية الأمارة أكثرهم قوة .

٥ ـ إدريس بن قتادة بن إدريس بن مطاعن الحسني أمير مكة المكرمة ولي إمرتها نحو سبع عشرة سنة شريكاً لابن أخيه أبي نمي وانفرد بها يسيراً وقتل بيد أبي نمي بسبب ولدٍ قتله سنة ٦٦٩هـ / ١٢٧٠م . أنظر الفاس : العقد الثمين ، ج٣ ، ص ٢٧٨ .

وراجح <١> ابني أبي عزيز قتادة ، ليستعين بهما على حرب ابن عمه فأجاباه وقَدِما إليه وبرفقتهما عبد لأبيه يدعى ياقوت الذى كان والي جُده فأمّده بالمال ، حيث استفاد منه في جمع العرب حوله وسار بهم إلى مكة المكرمة ، فوصل خبرهم لجماز الذي فّر هارباً إلى ينبع <٢> . واستقّر بها حيث مات ، ودخل أبو نمي وعماه وغانم بن راجح <٣> مكة المكرمة في ذي الحجة سنة ٦٥٣هـ / ١٢٥٥م واتفقوا على جعل أبي نمي وإدريس هما المتوليان لأمرها واستمّرت الأمور على هذا الوضع إلى سنة ٦٦٩هـ / ١٢٧٠م عندما أقدم إدريس على قتل زوج ابنته زيد بن أبي نمي في الحرم فانعكس أثر ذلك على أبي نمي بالخوف ففّر إلى ينبع <٤> مستجيراً بصاحبه إدريس العربي <٥> ، فحشد جيشاً كبيراً سار به إلى مكة المكرمة ودخلها عنوة وقتل إدريس بيده انتقاماً لمقتل ابنه . وقامت العرب بنهب أوقاف الحرم الشريف من كتب وخلافه ، واستبّد الشريف أبو نمي بالأمر في سنة ٦٦٩هـ / ١٢٧٠م ولم يزل كذلك إلى وفاته سنة ٧٠١هـ / ١٣٠١م . <٦>

---

١ ـ راجح بن قتادة بن إدريس بن مطاعن الشريف الحسني أمير مكة وليها أوقاتاً كثيرة توفي سنة ٦٥٤هـ / ١٢٥٦م . أنظر ابن تغري بردي : الدليل الشافي ، ج١ ، ص ٣٠٢ .

٢ ـ (ينبع) على يمين رضوى لمن كان منحدراً من المدينة إلى البحر على ليلة من رضوى ومن المدينة على سبع مراحل وهي لبني الحسن بن علي ، يسكنها الأنصار وجهينه وليث وفيها عيون عذبه غزيرة ، وواديها يليل بها منبر وهي قريه غنّاء بها حصن ونخل وزرع وبها وقف لعلي بن أبي طالب يتوّلاها ولده وهي بين مكة والمدينة . أنظر ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج٥ ، ص ٤٤٩ ـ ٤٥٠ .

٣ ـ غانم بن راجح بن قتادة بن إدريس الشريف الحسني المكي أمير مكة تسلم البلاد من أبيه سنة ٦٥٢هـ / ١٢٥٤م فاقام بها إلى شوال وأخذها منه أبونمي وإدريس بن قتادة . أنظر ابن تغري بردي : الدليل الشافي ، ج٢ ، ص ٥١٨ .

٤ ـ يبدو أنها ملجؤهم الاختيارى لوجود أنصارهم بها فمتى المّت بهم شدّة عادوا إليها لتجميع قّوتهم والعودة مّرة أخرى إلى مكة .

٥ ـ لايوجد له اسم في كافة المصادر التي تناولناها ، ولعله يكون أحد أقاربه الحسنيين .

٦ ـ التجيبي : مستفاد الرحلة ، ص ٣٠٥ ـ ٣٠٦ .

والواقع أن ما أورده التجيبي حول كيفية تولّي أبي سعد الحسن أمارة مكة المكرمة موافق لما ذكره الفاسي على الرغم من اقتضاب السرد لدى التجيبي حول سيطرة أبي سعد على مكة المكرمة مع ملاحظة أنه سنّيّ المذهب ، وهو مالم يُشر إليه أحدٌ من المؤرّخين كالفاسي مثلاً . (١)

وقد سبق وأشرنا إلى إغفال التجيبّي للفترة الممتّدة مابين وفاة الملك المسعود إلى توليــة أبي ســعـد الحسن ، ولعلّه قصد الإشـارة إلى المتولّين من أسرة أبي نمي .

أما المؤرّخون الذين أرّخوا للحجاز فقد أفاضوا في ذكـر كيفيــة استــيلاء أبي سعد الحسن على مكة المكرمة (٢) . بينما أغفل ابن خلدون ذلك . (٣)

وقد أورد التجيبي خبر مقتل أبي سعد الحسن بشكل مفّصل ، ممّا يوحي باستقائه الخبر من مصادر موثوقٍ بها ، وسكت عن ولاية راجح بن قتادة لمكة المكرمة ومن بعده ابنه غانم ، ولكنه أعاد القول في شأن استنجاد أبي نمي بعمي أبيه إدريس وراجح ، ودخولهــم مكة المكرمــة ، وانتزاعهــا من جماز بن حسن . أمّا الفاسي وابن فهد والعصامي فقد أفاضوا في كيفية مقتل أبي سـعـد ، وذكروا أنّ الشـريف جـماز بن حـسن ذهب إلى دمشق طالباً مـسـاعدة الناصـر يوسف بن العـزيز مـحـمـد بن الظاهر غـازي الأيوبي لاسـتـرجـاع مكة المكرمـة من ابن عمـه أبي سـعـد الحسن بن علي وأبدى استعداده بقطع الخطبة فيها للمظفّر (٤) صاحب اليمن والخطبة له مرغّباً

---

١ ـ الفاسي : العقد الثمين ، ج٤ ، ص ١٦٠ ـ ١٦٣ .

٢ ـ الخزرجي :العقود اللؤلؤيه ، ج١ ، ص ٧٧ ـ ٧٨ ؛ ابن تغري بردي : الدليل الشافي ، ج١ ، ص٢٦٦ ؛ ابن فـهـد : إتحـاف الورى ، ج٣ ،ص ٦٨ ـ ٦٩ ؛ الجـزيري : الدرر الفـرائد ، ج١ ، ص ٥٩٧ ؛ العصامي : سمط النجوم ، ج٤ ،ص ٢١٩ ـ ٢٢٠ .

٣ ـ ابن خلدون : العبر ، ج٤ ، ص ١٠٦ .

٤ ـ يوسف بن عمر بن علي بن رسول الملك المظفر أبو المنصور صاحب اليمن توفي بها في شهر رجب سنة ٦٩٥هـ / ١٢٩٥م . أنظر ابن تغري بردي : الدليل الشافي ، ج٢ ، ص ٨٠٤ .

إياه في مساعدته ، فاستجاب له وسيّر معه جيشاً انتصر به على ابن عمه وتمكّن من قتله في الحرم ولكنه لم يلبث أن نقض عهد الناصر وخطب للمظفر صاحب اليمن ثم استولى عمّه راجح بن قتادة على الحكم بلا قتال وفرّ جماز هارباً إلى ينبع . وكان استيلاء جماز على مكة المكرمة وقتل أبي سعد سنة ٦٥١هـ / ١٢٥٣م وفي ربيع الأول سنة ٦٥٢هـ / ١٢٥٤م قام غانم بإخراج والده راجح من مكة المكرمة بلا قتال وأقام بها وقتاً قصيراً ولم يلبث أن استولى أبو نمي محمد بن أبي سعد وإدريس بن قتادة على الحكم عَقِب قتال مع غانم ، وظلّ في مكة المكرمة إلى شهر ذي القعدة ، ثم قام المظفّر صاحب اليمن بالسيطرة على مكة المكرمة ، وعيّن عليها مبارز الدين ابن برطاس<١> ، ولم يستقم له الأمر إذ استطاع أبو نمي وإدريس وجماز بن شيحة <٢> أمير المدينة استعادة مكة المكرمة من صاحب اليمن ، عَقِب حصار شديد وقتال عنيف وسط مكة المكرمة في سنة ٦٥٤هـ / ١٢٥٦م .

احكم أبو نمي سيطرته على الأمور في مكة المكرمة ، ويبدو أن إدريس كانت له تطلّعات لمشاركة أبي نمي في حكم البلاد ، فلما استبّد أبو نمي بالأمور أصابت إدريس خيبة أمل فتوجّه إلى أخيه راجح الذي قام بتقريب وجهات النظر بين إدريس وأبي نمي نتج عنها اشتراكهما في إدارة شؤون البلاد .

وفي سنة ٦٥٦هـ / ١٢٥٨م استطاع أولاد حسن بن قتادة السيطرة على مكة المكرمة لمدة ستة أيام ولكن أبا نمي نجح في استعادتها منهم دون قتال .

---

١ ـ علي بن الحسين بن برطاس ، الأمير مبارز الدين أمير مكة وليها للملك المظفّر صاحب اليمن ، وأخذها من الشريفين أبو نمي وإدريس بن قتادة في شوال سنة ٦٥٢هـ / ١٢٥٤م . عاد إلى اليمن بعد أن هزمه الأشراف . أنظر عزالدين ابن فهد : غاية المرام ، ج٢ ، ص ٤٤ ـ ٤٦ .

٢ ـ جماز بن شيحة بن هاشم بن قاسم بن مهنّا الشريف عزالدين الحسيني أمير المدينة ثم أمير مكة ، أخذها من أبي نمي محمد ثم رحل عنها بعدما حكمها في سنة ٦٨٧هـ / ١٢٨٨م وعاد إلى المدينة واستمّر بها إلي أن توفي سنة ٧٠٤هـ / ١٣٠٤م . أنظر ابن تغري بردي : الدليل الشافي ، ج١ ، ص ٢٥٠ . ويظهر أن أمراء مكة وأمراء المدينة يقوم بينهما تعاون إذا ما ألمّ بهم خطب أو تعدّى عليهم أحد ، وهذا مثال لما كان يحدث .

وفي سنة ٦٦٩هـ / ١٢٧٠م ، وعلى إثر مقتل ابن الشريف أبي نمي وقع الخلاف بينه وبين عمه إدريس فقام أبو نمي بالفرار إلى ينبع مستنجداً بصاحبها حيث جمع جيشاً كبيراً قصد به مكة المكرمة عَقِب أربعين يوماً من مقتل ابنه ، فالتقى بعمّه إدريس بخليص <١> وتحاربا ، فطعن أبو نمي إدريس وألقاه عن جواده ، ونزل إليه وحزَّ رأسه واستبَدّ بالإمرة في مكة المكرمة <٢> . وقد أشار ابن خلدون والقلقشندي والجزيرى إلى مقتل إدريس بالحرم <٣> . ولعَلّ المقصود هنا أن القتل تّم داخل مكة المكرمة .

وقد ذهب الخزرجي ويحي بن الحسين إلى أن أبا سعد قتل في داره وقاتِلهُ حماد بن حسن . <٤>

أما ابن ظهيرة فذكر أن جماز أحد قتلة أبي سعد ، ولكن دون إيراد تفاصيل في ذلك <٥> . ويبدو من تعدد الروايات أن جماز بن حسن قد استنجد بالناصر الذي أمّده بقوة طامعاً في ذكر اسمه على منابر الحرم ، ولكن لا نستطيع الجزم بكبر حجم المساعدة كما ذكر التجيبي خاصه وأن أوضاع العالم الإسلامي وبلاد الشام لا تسمح بإرسال مثل هذا المدد الكبير نظراً لكثرة تهديدات التتار لمقّر الخلافة العباسية في بغداد .

---

١ ـ (خليص) حصن بين مكة المكرمة والمدينة المنورة . أنظر ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج٢ ، ص ٣٨٧ .

٢ ـ الفاسي : العقد الثمين ، ج٤ ، ص ١٦٠ ـ ١٦٣ ، ج٣ ، ص ٤٣٥ ؛ ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣ ، ص ٧٤ ـ ٩٩ ؛ العصامي : سمط النجوم ، ج٤ ، ص ٢٢٠ .

٣ ـ ابن خلدون : العبر ، ج٤ ، ص ١٠٦ ؛ القلقشندي : صبح الأعشي ، ج٤ ، ص ٢٧٨ ؛ الجزيري : الدرر الفرائد ، ج١ ، ص ٥٩٨ .

٤ ـ الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص ١٠٢ ؛ يحي بن الحسين : غاية الأماني ، ج١ ، ص ٤٣٩ ، ولعل ذلك تصحيف الكاتب من جماز إلى حماد .

٥ ـ ابن ظهيرة : الجامع اللطيف ، ص ١٩٣ .

وفي روايات تشير إلى أن الشريف أبا نمي استنجد بعمّه إدريس حيث استعاد مكة المكرمة من غانم بن راجح بالقوة سنة ٦٥٢هـ/ ١٢٥٤م ‹١› بينما تشير روايات أخرى إلى عدم حدوث ذلك ٠ ‹٢›

وأغلب الظن أن المقصود هنا ليست هذه الحادثة خاصة وأن التجيبي ذكرها في سنة ٦٥٣هـ / ١٢٥٥م في ذى الحجه ولكن المراد هنا هو دخول الشريف أبي نمي وعمه إدريس إلى مكة بعد قتالهم للأمير مبارز الدين بن برطاس وإخراجه منها ٠ ‹٣›

وقد أكدت المصادر هذه الحادثة إذ أثبتت ولاية المبارز على بن الحسين بن برطاس من قبل المظفر بن المنصور صاحب اليمن ، إذ جهزه على رأس جيش كبير ومائتي فارس وسيره إلى مكة المكرمة فالتقى مع الشريف أبى نمي وإدريس في معركة كان الظفر فيها لابن برطاس الذي أحكم سيطرته على مقاليد السلطة بمكة المكرمة سنة ٦٥٣هـ / ١٢٥٥م ثم لم تلبث أن وقعت الحرب مرّة أخرى بين الشريف وابن برطاس فتمكّن الشريف من أسر عدّوه ، ولكنه استطاع افتداء نفسه وترك مكة بمن معه ٠ ‹٤›

أما ما كان من أمر أبي نمي وعمه إدريس وقتل ابن أبي نمي زيداً ، فقد أشارت المصادر في حوادث سنة ٦٦٩هـ / ١٢٧٠م قتل أبي نمي لعمّه إدريس عقِب خروجه من مكة المكرمة بأربعين يوماً بعد انفراده بالإمرة ٠ ‹٥›

---

١ ـ الفاسي : العقد الثمين ، ج٧ ، ص ٤ ؛ ابن تغرى بردي : الدليل الشافي ، ج٢ ، ص٥١٨ ؛ عزالدين ابن فهد : غاية المرام ، ج٢ ص ١٠ ؛ الجزيري : الدرر الفرائد ، ج١ ، ص ٥٩٨ ؛ ابن ظهيره : الجامع اللطيف ، ص ١٩٣ ـ ١٩٤ ٠

٢ ـ ابن خلدون : العبر ، ج٤ ، ص ١٠٦ ؛ القلقشندي : صبح الأعشى ، ج٤ ، ص ٢٧٨ ٠

٣ ـ عزالدين ابن فهد : غاية المرام ، ج٢ ، ص ٤٤ ـ ٤٥ ٠

٤ ـ الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص ١١٢ ؛ ابن ظهيرة : الجامع اللطيف ، ص ١٩٥ ؛ العصامي : سمط النجوم ، ج٤ ، ص ٢٢١ ؛ الجزيري : الدرر الفرائد ، ج١ ، ص ٥٩٩ ٠ وذكر الجزيري أن أبا نمي طعن عمه يحي ، وهذا خطأ منه فهو إدريس وليس يحي ٠

٥ ـ الخزرجي : العقود اللؤلؤيه ، ص١٥٩ ؛ ابن ظهيرة : الجامع اللطيف ؛ العصامي :سمط النجوم ، ج٤ ، ص ٢٢٣ ؛ الجزيري : الدرر الفوائد ، ج ١ ، ص ٦٠٣ ٠

أمّا عن سيرة أبي نمي وسنة وفاته التي ذكرها التجيبي ، فقد أجمعت عليها المصادر التي أرّخت لوفاته وكانت سنة ٧٠١هـ / ١٢٠١م ٠ (١)

ومما سبق نلاحظ انفراد التجيبي بايراده لبعض الأحداث دون غيره من المصادر ، منها ذكره لاسم صاحب ينبع الذي استنجد به الشريف ، واسم العبد الذي كان لأبيه ، وما أعطاه له من أموال ساعدته على استرداد أمارة مكة وغيرها من الأمور ٠ ولعل ذلك راجعٌ إلى قرب التجيبي من الأحداث أو أنّه سمعها ممّن عاصر تلك الوقائع فدونها عنه بإدق تفاصيلها بشكل لم يرد لدى غيره من الكتاب ٠

ولا يعنى أن كل ماورد ذكره في رحلته عن حالة مكة المكرمة السياسية يمكن الأخذ به بل وجدنا معلومات احتاجت منا إلى بيان ورد إيضاحه في مكانه ٠ ولا يتنافى ذلك مع إيراده لأحداث ووقائع لم ترد في كافة المصادر التاريخية أشار إليها أصحابها دون تفصيل ووضحت الصورة أكثر بما أورده التجيبي حولها إذ افاض في كيفية وصول الحكم لأبي نمي ، ولم يكتف بنقله لما سمعه من أحداث بل ذكر ما شاهده وسمعه هو أيضا ، فساعد في إكمال صورة الحالة السياسية في تلك الفترة ٠ وهنا تبرز أهميته كمصدر معاصر لبعض الأحداث السياسية في مكة المكرمة ٠

ولا شك أن حرص التجيبي على تقصيّ أوضاع مكة المكرمة السياسية في رحلته استمّر حتى عِقب عودته إلى وطنه ، عندما أعاد تنقيح وكتابة مؤلِفّه ، ومما قاله لإكمال هذه الناحية بعد أن أشار إلى ولاية العهد لرميثة (٢) ،

---

١ ـ الفاسي : العقد الثمين ، ج١ ، ص ٤٧٠ ـ ٤٧١ ؛ ابن تغري بردي : الدليل الشافي ، ج٢ ، ص٦١٢ ؛ عزالدين ابن فهد : غاية المرام ، ج٢ ، ص ٣٨ ـ ٣٩ ٠

٢ ـ رميثة بن أبي نمي محمد بن أبي سعد حسن بن علي بن قتادة بن إدريس الشريف أبو عرادة أمير مكة المكرمة وليها نحو ثلاثين سنة وأزيد في سبع مرات وكانت وفاته يوم الجمعه ثامن ذي القعدة سنة ٧٤٦هـ / ١٣٤٥م ٠ أنظر ابن تغري بردي : الدليل الشافي ، ج١ ، ص ٣٠٦ ٠

ذاكراً أنه بعد وفاة الشريف أبي نمي بعث ملك مصر والشام الملقّب بالناصر ابن المنصور جُملة من العسكر في القافلة المصرية فقبضوا على رميثة وحميضة <١> وقيّدهما وأنزلوهما إلى مصر ، فأعتقلهما بالقاهرة المعزّية ، وولّى أمر مكة المشرّفة وجهاتها لأخيهما أبي الغيث <٢> فَسُرّ الناس بذلك لحُسن سيرته وخوفاً من أن يصيبه مثل ما أصاب أخويه .

كما أشار إلى أن أهل مكة المكرمة كانوا يثنون على رميثة في ذلك الوقت ، أي قبل تولّيه أمارة مكة المكرمة ، ويبدو أنها سياسة سار عليها في سبيل الوصول للإمرة ، وما أن تحقّق له ذلك حتى انقلبت الأمور وأساء السيرة في الناس .

وتميز حميضه بالشجاعة والإقدام والكرم إلا أنه كان ميّالاً للثورة ، حتى هابه المجاورون بسبب قوّته وقوة أعوانه من شرار الناس وسرّاق الحجيج وكانوا يرون أنّ الأمر لا يتمّ معه لرميثه . <٣>

ويتبين لنا أن ما أورده التجيبي قد وقع فعلاً بسبب إختلاف السيرة بين الأخوين ، لذا عمل الناصر على القبض عليهما ، ثم أعادهما إلى مكة المكرمة ، وقام حميضه بتولّي أمورها والإحسان إلى الرعيّة . <٤>

---

١ ـ حميضه بن أبي نمي محمد بن أبي سعد حسن الشريف عزالدين المكي الحسني أمير مكة ولي إمرتها إحدى عشرة سنة ونصف في أربع مرات إلى أن قتل بمكة في جمادي الآخرة سنة ٧١٠هـ / ١٣١٠م . أنظر المصدر السابق ، ج١ ، ص ٢٧٩ .

٢ ـ ابوالغيث بن أبي نمي محمد بن أبي سعد حسن بن على بن قتادة الأمير عماد الدين الشريف الحسني المكي أمير مكة وليها في موسم سنة ٧٠١هـ / ١٣٠١م شريكاً لأخيه عطيفة ثم عزل في موسم سنة ٧٠٤هـ / ١٣٠٤م بأخويه رميثه وحميضه ثم وليها في سنة ٧١٣هـ / ١٣١٣م ووصل مكة بجيش كبير وخرج أخواه رميثه وحميضه منها ثم عجز عن مؤونة الجيش فسرّحهم ، فتوجّه إليه حُميضه وانهزم أبوالغيث إلى وادي نخلة وكان ذلك في رابع ذي الحجة سنة ٧١٤هـ / ١٣١٤م . أنظر المصدر السابق ، ج١ ، ص ٧٩ ـ ٨٠ .

٣ ـ التجيبي : مستفاد الرحلة ، ص ٣٠٦ ـ ٣٠٧ .

٤ ـ المصدر السابق ، ص ٣٠٦ .

وقد أيّد العصامي ما ذكر من تولية حميضة ورميثة الحكم بعد وفاة أبيهما واستمرارهما شريكين في الإمرة إلى أن وصل الحجّاج وكان بصحبتهم ثلاثون أميراً فتوجّه أبوالغيث وعطيفة <١> بالشكوى إليهم من حميضه ورميثه وأنهما احق بالملك منهما ، فمال الأمراء إلى جانبيهما وعقب انتهاء موسم الحج قام الأمراء بتولية أبي الغيث وعطيفه شؤون البلاد وحملوا رميثة وحميضة أسيرين إلى مصر فظلاّ بها إلى سنة ٧٠٣هـ / ١٣٠٣م ولكنهّما لم يلبثا أن عادا إلى حكم البلاد عام ٧٠٤هـ / ١٣٠٤م بالعدل وحسن السيرة وقاما بإسقاط بعض المكوس عن الناس ٠ <٢>

وأشار التجيبي إلى ذلك ولكنه لم يذكر مشاركة عُطيفه لأبي الغيث في الحكم ، وكذلك اشتراك رميثة وحميضه بل نستنتج ذلك من خلال أقواله بالمقارنة مع أقوال المؤرخين ٠

وقد وافق عز الدين بن فهد التجيبٌي ولكن بتفصيل أوسع في أسباب القبض على حميضة ورميثة وأنه كان تأديباً لهما على ما صدر منهما في حقّ أخويهما عُطيفه وأبي الغيث ، وتّم ذلك سنة ٧٠١هـ / ١٣٠١م واستمّرا في السجن إلى سنة ٧٠٤هـ / ١٣٠٤م فلما عادا مّرة أخرى أظهرا العدل وحسن السيرة وقاما بإعفاء الناس من بعض المكوس ٠ <٣>

وقد أشارت روايات إلى هذه الحادثة ولكن دونما تفصيل في أسباب القبض على الشريفيين ٠ <٤>

---

١ ـ عطيفة بن أبي نمي محمد بن أبي سعد حسن بن علي بن قتادة الأمير سيف الدين الشريف الحسني المكي أمير مكة وليها مدة طويلة شريكاً لأخيه رميثة ثم مستقلاً بها ، مات خارج القاهرة بالقبيبات ودفن فيها في سنة ٧٤٣هـ / ١٣٤٢م ٠ أنظر ابن تغري بردي : الدليل الشافي ، ج١ ، ص ٤٤٣ ٠

٢ ـ العصامي : سمط النجوم العوالي ، ج٤ ، ص ٢٢٧ ٠

٣ ـ عزالدين بن فهد : غاية المرام ، ج٢ ، ص ٥٣ ـ ٥٦ ، ٧٩ ـ ٨٢ ٠

٤ ـ القلقشندي : صبح الأعشي ، ج٤ ، ص ٢٧٨ ؛ ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ج٨ ، ص ٢٠٠ ٠

وأورد أبوالفدا خبر اختلاف أولاد أبي نمي بعد وفاته ، وتغلّب رميثة وحميضة على مكة المكرمة ، ثم القبض عليهما وإطلاقهما وعودتهما إلى مكة المكرمة مّرة أخرى ، ثم هروب أبي الغيث منها ٠ <١> و أيد المؤرخون المعاصرون ماسبق ٠ <٢>

ومما سبق يتضح أن التجيبي ركّز على أحوال مكة المكرمة السياسية في عهد الناصر دون الإشارة إلى فترة حكم السلطان حسام الدين أبي الفتح لاجين المنصوري <٣> سلطان مصر سنة ٦٩٦هـ / ١٢٩٦م <٤> ٠ وعلاقاته مع اشراف مكة المكرمة ولكن الواضح أن تلك العلاقة كانت أظهر وأوضح في عهد الملك الناصر ، والذي بدأ تدخّله في شؤون مكة المكرمة السياسية ظاهراً للعيان ، وغدا الأشراف يخشون سلطة المماليك في مصر ، الحريصين على بسط نفوذهم وسيطرتهم على الحجاز لعوامل دينية وسياسية وحملهم لقب خادم الحرمين الشريفيين أو حامي الحرمين الشريفيين ٠ <٥> وإحياء الخلافة العباسية بمصر عقب سقوطها في بغداد على يد التتار سنة ٦٥٦هـ / ١٢٥٨م ٠ <٦>

---

١ ـ أبوالفدا : تاريخ أبي الفدا ، ج٤ ، ص ٤٧ ٠

٢ ـ ابن خلدون : العبر ، ج٤ ، ص ١٠٧ ؛ الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص ٢٧٩ ـ ٢٨٠ ، ٢٩٩ ؛ الفاسي : العقد الثمين ، ج٤ ، ص ٢٣٢ ـ ٢٣٤ ، ٤٠٤ ، ٥٠٦ ؛ ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣ ، ص١٣٤ ـ١٣٥ ، ١٤٠ ـ ١٤٢ ؛ ابن ظهيره : الجامع اللطيف ، ص ١٩٥ ؛ الجزيري : الدرر الفرائد ، ج١ ، ص٩١٤ ـ٩١٧ ؛ ريتشارد مورتيل : الأحوال السياسية والإقتصادية بمكة في العصر المملوكي ، ص ٦٥ ـ ٦٧ ٠

٣ ـ الملك المنصور لاجين المنصوري بويع أوائل صفر سنة ٦٩٦هـ / ١٢٩٦م وكان موصوفاً بالشجاعة والحكمة استمرت دولته سنتين وثلاثة أشهر قتل يوم الخميس عاشر ربيع الآخر سنة ٦٩٨هـ / ١٢٩٨م ٠ أنظر ابن دقماق : الجوهر الثمين ، ج٢ ، ص ١٢٢ ـ ١٢٨ ٠

٤ ـ التجيبي : مستفاد الرحلة ، ص ٢٤٨ ٠

٥ ـ انظر فيما بعد ، ص ٤٣١ ـ ٤٣٢ ٠

٦ ـ انظر الذهبي : دول الإسلام ، ج٢ ، ص ١٦٥ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ١٣ ، ص ٢٠٠ ـ ٢٠٢ ؛ السيوطي : تاريخ الخلفاء ، ص ٤٣٨ ـ ٤٣٩ ٠

كما تتضح أيضاً بداية الأنهيار لإستقلال الأشراف بمكة بسبب تدخّل الناصر تدخّلاً مباشراً في شؤونها الداخلية ، وعبّر ريتشارد مورتيل عن أسباب التدخّل قائلاً : " **فلم يكن يرمي من هذا التدخل الإستيلاء على البلد الحرام وضمّها إلى الدولة المملوكية ، أو النفع المادىّ ، لكنه قام ببسط نفوذه على أمارة مكة المكرمة والتدخل بين أولاد الشريف أبي نمي ليعيد الأمن إلى مكة المكرمة في سبيل حماية الحجاج** " ٠ <١>

وارتبطت مكة بعلاقات مع الدولة الرسولية في اليمن ، وقام حكامها بالدعاء للملك داود المؤيّد بالله <٢> كما أشار إلى ذلك التجيبي <٣> ٠ والواقع أنه بمجرد انشغال سلاطين مصر باموروهم الداخليه يسارع بنو رسول <٤> ملوك اليمن إلى التدخل السياسي وبسط نفوذهم على مكة ابتدائاً من سنة ٦٢٨هـ / ١٢٣٠م <٥> عقب توطيد سلطانهم باليمن ويشهد على عظم صلتهم بمكة المكرمة ما وجد لملوك اليمن من بعض آثار حميدة وصدقات جارية تصل لأهل مكة المكرمة كما أوضح ذلك التجيبي ٠ <٦>

---

١ ـ ريتشارد مورتيل : الأحوال السياسية والإقتصادية بمكة في العصر المملوكي ، ص ٧١ ٠

٢ ـ داود بن يوسف بن عمر بن رسول التركماني الأصل اليمني الملك المؤيد عزيز الدين صاحب اليمن بن المظفر صاحب اليمن ولي بعد أخيه الأشرف في المحرم سنة ٦٩٦هـ / ١٢٩٦م وكان ملكاً فاضلاً مشاركاً في الفنون مات في ذي الحجة سنة ٧٢١هـ / ١٣٢١م ٠ أنظر ابن تغري بردي : الدليل الشافي ، ج١ ، ص ٢٩٧ ٠

٣ ـ التجيبي : مستفاد الرحلة ، ص ٤٦٢ ٠

٤ ـ اسم رسول محمد بن هارون بن أبي الفتح بن يوحى بن رستم وهو من ذرية جبلة ابن الأيهم فلما هلك أقام ولده في بلاد الروم مع قبائل التركمان وتكلموا لغتهم وبعدوا عن العرب ، فلما خرج أهل هذا البيت إلى العراق نسبهم من يعرفهم إلى غسان ومن لا يعرفهم نسبهم إلى التركمان ، وكانوا بيت شجاعة ورئاسة ومحمد بن هارون هذا جليل القدر فيهم فأدناه الخليفه العباسي وأنس به واختصّه برسالته إلى الشام وإلى مصر ، ورفع الحجاب فيما بينهما فأطلق عليه اسم رسول واشتهر به وترك اسمه الحقيقي حتى جهل ثم انتقل من العراق إلى الشام ومنها إلى مصر فيمن معه من أولاده ثم صحبوا الملك المعظم توران شاه إلى اليمن ٠ أنظر الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص ٣٦ ـ ٣٩ ٠

٥ ـ يحي بن الحسين : غاية الأماني ، ج١ ، ص ٤١٩ ـ ٤٢٠ ٠

٦ ـ التجيبي : مستفاد الرحلة ، ص ٤٦٢ ٠

وتطابقت أقوال المؤرخين مع قول التجيبي عند تحدّثهم عن ذلك خلال حوادث سنة ٦٩٦هـ / ١٢٩٦م <١> . وقد أشار الفاسي إلى هذه الناحية بقوله : إن الدافع لأبي نمي ، في الدعاء لصاحب اليمن على منابر المسجد الحرام عِظم صلته ، وهو أمر لايقدم عليه أمير لمكة المكرمة إلا بعد معرفة عميقة بمدى الفائدة العائدة عليه من ذلك <٢> . وهو أمر " ليس بجديد في علاقاتهم مع الدول المجاورة لهم وخصوصاً أن مكة المكرمة عانت من تنافس الدولة العباسية والفاطمية في بسط نفوذهما على الحجاز لصبغ حكمها بالصبغة الشرعية <٣> . فنرى أن ولاء أشراف مكة المكرمة تبع صاحب أكبر صلة وهو المقدم لذلك في الخطبة والدعاء على المنابر .

وقد ترجم التجيبي لملك اليمن داود قائلاً : إنه أحد العلماء المشهود لهم تولّى بعد موت أخيه الأشرف <٤> سنة ٦٩٦هـ / ١٢٩٦م وكان عند موت أخيه معتقلاً فأخرج من سجنه وولي الحكم .

وأشار التجيبي إلى ولاية أبيهما المظفّر سنة ٦٤٨هـ / ١٢٥٠م والموصوف بالخير والفضل والعلم والإيثار خاصة لأهل الحرمين الشريفين ، فله فيهما آثار حميدة ، وصدقات جارية ، ولي بعد مقتل أبيه الملك

---

١ ـ الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص ٢٧٩ ؛ ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣ ، ص ١٢٨ ـ ١٢٩ ؛ عزالدين بن فهد : غاية المرام ، ج٢ ، ص ٢٠ ـ ٢٢ ؛ الجزيري : الدرر الفرائد ، ج١ ، ص ٦١٢ ـ ٦١٣ .

٢ ـ الفاسي : العقد الثمين ، ج١ ، ص ٢٦٤ .

٣ ـ بندر بن رشيد الهمزاني : علاقات مكة المكرمة الخارجية في عهد أسرة الهواشم ، ص ١٣٨، رسالة ماجستير .

٤ ـ عمر بن يوسف بن عمر بن رسول أبوحفص ممهد الدين الملك الأشرف ثالث ملوك الدولة الرسولية في اليمن كان عالماً فاضلاً ، حسن السيرة ، كثير الاطلاع على كتب الأنساب والطب والفلك ، انتدبه أبوه الملك المظفر للمهمّات ، ثم تنازل له عن الملك قبيل وفاته سنة ٦٩٤هـ / ١٢٩٤ فاستمرّ قرابة السنتين وتوفي بتعز سنة ٦٩٦هـ / ١٢٩٦م . أنظر الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص ٢٣٩ ـ ٢٥٠ ؛ الزركلي : الأعلام ، ج٥ ، ص ٦٩ .

المنصـور (١) عـمـر بن علي بن رسـول ، الذي وصل اليـمن مع السلطان المسعود أبي المظفّر يوسف ابن الملك الكامل أبي المظفّر محمد بن الملك العـادل أبي بكر محمد بن أيوب ، وكان ذا حظوة لديه فلما مات المسعود في الثالث عشر من جمادى الأولى سنة ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م ترك ابناً صغيراً هو الناصر صلاح الدين يوسف ، وأوصى له بالملك من بعده تحت وصايه الأمير نور الدين عمر (٢) ، فشكـرت سيرتـه وحمـدت طريقـته وأظهـر عنايـته بالحـرم الشـريـف وبنى به المدرسة المنصـورية وامـتـدت ولايتـه إلى سنة ٦٤٨هـ / ١٢٥٠م . (٣)

وأشار ابن بطوطة إلى أن مكة المكرمة كانت تتبع السلطان يوسف بن رسول ملك اليمن المعروف بالمظفر ، حيث عمل على إرسال الكسوة للكعبة المشرفة إلى أن حلّ محلّه في ذلك المنصور قلاوون . (٤)

أما ماذكره التجيبي من تولية داود بعد الأشرف ، وما قاله من صفاته فقد جاء موافقاً لما ذكره الخزرجي . (٥)

وجاء في غاية المرام أن بني رسول وصلوا اليمن بصحبة الملك المعظّم توران شاه بن أيوب (٦) ، وحظي نور الدين بمكانة كبيرة لدى الملك المسعود حتى

---

١ ـ عمر بن علي بن رسول محمد بن هارون بن أبي الفتح بن نوحي بن رستم الغساني التركماني من ذرية جبلة ابن الأيهم وهو الملك المنصور نور الدين أبو الفتح صاحب اليمن ، ملكها بعد أن وقعت له أمور وحوادث . قتل في ليلة السبت تاسع ذي القعدة سنة ٦٤٧هـ / ١٢٤٩م ، قتله مماليكه . أنظر ابن تغري بردي : الدليل الشافي ، ج١ ، ص ٥٠١ ـ ٥٠٢ .

٢ ـ الملك المنصور .

٣ ـ التجيبي : مستفاد الرحلة ، ص ٤٦٢ .

٤ ـ ابن بطوطة : الرحلة ، ص ١٣٩ .

٥ ـ الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص ٨١ ـ ٨٢ ، ٢٤٩ ، ٢٥٣ .

٦ ـ الملك المعظم توران شاه بن أيوب بن شاذي شمس الدولة فخر الدين شقيق صلاح الدين وأكبر إخواته ، وكان يرى أنه أحق بالملك من أخيه سيرّه صلاح الدين لفتح النوبة سنة ٥٦٨هـ / ١١٧٢م ثم سيرّه إلى اليمن سنة ٥٦٩هـ / ١١٧٣م فأخضعها ومات بمصر سنة ٥٧٦هـ / ١١٨٠م وكان شجاعاً كريماً حسن الأخلاق حازماً . أنظر أحمد بن إبراهيم الحنبلي : شفاء القلوب في مناقب بني أيوب ، ص ٥٠ ـ ٥٥ ؛ الزركلي : الأعلام ، ج٢ ، ص ٩٠ .

أنابه بمكة المكرمة مرّة واستنابة نيابة عامة باليمن مرتين ، وأوصى له بالملك من بعده حتى أنه قال له : " **قد جعلتك نائبي في اليمن ، فإن متّ فأنت أولى بملك اليمن من إخوتي لأنك خدمتني ، وعرفت منك النصيحة والإجتهاد ، وإن عشت فأنت على حالك ، وإياك أن تترك أحداً يدخل اليمن من أهلي ولو جاءك الملك الكامل** ‹١› **والدي مطوياً في كتاب** "‹٢› وقد أيّد كلّ ذلك الخزرجي.‹٣›

ولم تقتصر علاقه أشراف مكة المكرمة بسلاطين مصر واليمن بل تعدّتها إلى بلاد البجة ‹٤› ، وللدلالة على تلك العلاقة أورد التجيبي أن الشريف أبا نمي أمير مكة له ابن يسمّى زيد المعروف بابن السواكنية ، وأمّه بنت ملك البجـة ، صـاحب جـزيرة سـواكن ‹٥› . ويؤيّد ذلك قـول ابن بطوطة عندمـا وصل إلى سـواكن قـال : إن سلطـانهـا الشـريف زيد بن أبي نمي ‹٦› . ويعضـد ذلك

---

١ ـ محـمـد بن أبي بكر محـمـد بن أيـوب بـن شـاذي السلطـان الملك الكامل ابن العادل ، ولد سنة ٥٧٣هـ / ١١٧٧م تولّى بعد وفاة والده سنة ٦١٥هـ / ١٢١٨م كان شجاعاً مهيباً ذكياً فطناً يحب العلماء ، وفي أيامه أخذ الفرنج دمياط وملوكها سنة ٦١٦هـ / ١٢١٩م وأخذ الفرنج بيت المقدس مرّة ثانية سنة ٦٣٥هـ / ١٢٣٧م ومات الكامل يوم الأربعاء حادي عشر رجب سنة ٦٣٥هـ / ١٢٣٧م بقلعة دمشق ودفن فيها ومدّة ملكه عشرين سنة وخمسة وأربعين يوماً . أنظر ابن دقماق : الجوهر الثمين ، ج٢ ، ص ٢٨ ـ ٣١ ؛ الحنبلي : شفاء القلوب ، ص ٢٩٩ ـ ٣٢١ .

٢ ـ عزالدين بن فهد : غاية المرام ، ج١ ، ص ٥٩٦ ـ ٥٩٨ .

٣ ـ الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص ٤٧ .

٤ ـ (أرض البجه) أسفل مصر والبجاة هم جنس من الحبشه وبلادهم بين البحر الأحمر ونيل مصر يسكن عندهم جماعة من العرب من ربيعة بسبب معـدن الذهب والبجة من مدن الحبشه ، وليس للبُجه قرى ولا خصب ، وهم باديه يقتنون النجب ورقيقهم ونجبهم وسائر ما بأرضهم يقع إلى مصر في جمله التجار المصريين أو ما قدم به بعضهم . أنظر ابن حوقل : صورة الأرض ، ص١٥١ ؛ مؤلف مجهول : الاستبصار ، ص ٨٥ ؛ ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج١ ، ص ٢٤٠ .

٥ ـ التجيبي : مستفاد الرحلة ، ص ٢٤٥ ؛ (سواكن) ميناء سوداني على ساحل بحر الجار قرب عيذاب ترفـا إليـه سفـن الذيـن يقدمـون مـن جُدة وأهله بُجاة سُود نصارى . أنظر ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج٣ ، ص ٢٧٦ .

٦ ـ ابن بطوطة : الرحلة ، ص ٢٤٥ ؛ زيد بن أبي نمي محمد بن ابي سعد حسن بن علي بـن قتـادة بـن إدريـس بـن مطـاعن الحسنـي يكنـى أبا الحارث . أنظر الفاسي : العـقد الثمـين ، ج٤ ، ص ٤٨٣ ـ ٤٨٤ .

ماجاء في ترجمة زيد لدى الفاسي فبالرغم من أنه لم يذكر غير اسمه كاملاً وقصيدة ورد فيها ما يؤيّد أن زيداً كان ملكاً بها :

سواكن أنت ياذا الجود مَالكهـا أحييت بالعدل من فيها فما ندموا
جبرتهم بعد كسرٍ واعتنيت بهـم فالناس بالعدل فيها كلهم علمـوا
سواكن مالها في الناس يملكهـا إلا أبوحارث بالعـدل يحتكم ‹١›

وورد في ترجمة مبارك بن عطيفة ‹٢› لدى الفاسي أنه ملك سواكن ومات به فـي سنة ٧٥١هـ / ١٣٥٠م‹٣› ولعل سـبب ملكه لهـا أنّ عـمـه زيد تولّى حكمها ، وإلا لصعب عليه امتلاكها خاصة وأن البحر الأحمر يفصـل بينهـا وبين الحجاز ، فوجود مُلك لعّمه وبعض اتباعهم سهّل له أمر امـتلاكـها ٠ ويظهر مما سبق أنها في ذلك الوقت كانت تتبع أمراء مكة المكرمة وهذا مالم يذكره أحدٌ من المؤرخين ، ولعل سبب ذلك أنها تبعّيه فردية لأحد الأشراف ٠

كما أمتدت علاقة أمراء مكة المكرمة إلى العراق أيضاً فقد تّم الدعاء على قبة زمـزم فـي سنـة ٧٢٩هـ / ١٣٢٨م لسلطـان العـراق أبـي سعيد ‹٤› في

---

١ ـ الفاسي : العقـد الثمـين ، ج٤ ، ص ٤٨٣ ـ ٤٨٤ ٠

٢ ـ مبارك بن عطيفه بن أبي نمي الحسني المكي كان ذا شهامه وإجادة في الرمي ، وكان نائباً عن أبيه بمكة سنة ٧٣٧هـ / ١٣٣٦م مات سنة ٧٥١هـ / ١٣٥٠م شهيداً ٠ أنظر الفاسي : العقـد الثمين ، ج٧ ، ص ١٢٣٠

٣ ـ المصدر السابق والجزء والصفحة ٠

٤ ـ أبوسعيد بن خربند بن أرغون بغا بن هلاوو المغلي ، ملك التتار وصاحب العراق والجزيرة وخرسان والردم ، كان مسلماً حسن الإسلام ، جيد الخط ، جواداً عارفاً بالموسيقا ، مبغضاً للخمور ، وهو آخر بيت هلاوو ، انقضوا بهلاكه ٠ أقام في الملك عشرين سنة وقبل موته بسنة أرسل الركب العراقي إلى مكة فَسلِم وفي السنة التالية جُهزهم فنهبهم العريان ، فسأل عن السبب ، فقالوا له إنهم يقيمون في البراري ولا رزق لهم فجعل لهم مقداراً من بيت المال يكفيهم ، ومات في تلك السنة في ربيع الآخر سنة ٧٣٦هـ / ١٣٣٥م وتأسـف عليه الناصـر لما بلغـه موتـه لأنه هادنـه وعمـرت البلاد في عهده ٠ أنظر ابن حجر : الدرر الكامنة ، ج٢ ، ص ١٣٧ ، ج١ ، ص ٥٠١ ٠

عهدالشريفين رميثة وعطيفة فقد ذكر اسمه في الخطبة أيضاً بعد ذكر الملك الناصر ودُعي له بأعلى قُبة زمزم بعد سلطان اليمن الملك المجاهد نور الدين . ‹١›

ويبدو أن سبب الدعاء لسلطان العراق في ذلك العام عائدٌ إلى كثرة صدقات أهل العراق وسلطانها المبعوثة إلى مكة المكرمة ، فقد ذكر ابن بطوطة وقت وجوده بمكة المكرمة في سنة ٧٢٨هـ / ١٣٢٧م و٧٢٩هـ / ١٣٢٨م وصول أحمد ‹٢› ابن الأمير رميثة ومبارك ابن الأمير عطيفة من العراق حاملين صدقات عظيمة للمجاورين وأهل مكة المكرمة من قِبَل السلطان أبي سعيد ملك العراق ، وفي هذه السنة ذُكِر اسم السلطان أبي سعيد في الخطبة ودُعي له بأعلى قُبّة زمزم . ويذكر ابن بطوطة أن الدعاء لصاحب العراق لم يتكَرر عَقِب تلك السنة . ‹٣›

ولعل هذا الإجراء تعبير عن الشكر والتقدير من أمير مكة المكرمة رميثة لسلطان العراق مع ملاحظة أنه لم يلق قبولاً لدى الأمير عطيفة المشارك له في الحكم حيث بعث بشقيقه منصور ‹٤› لإطلاع الملك الناصر على حقيقة

---

١ ـ على بن داود المؤيد بن يوسف المظفر من ملوك الدولة الرسولية في اليمن ، ولد بزبيد وولي الملك بعد وفاة أبيه سنة ٧٢١هـ / ١٣٢١م فأقام سنة ، وخلعه الأمراء والمماليك ، وولوا المنصور فمكث أشهراً وثار بعضهم فأعادوا المجاهد ، وحجّ سنة ٧٥١هـ / ١٣٥٠م ، وذهب إلى مصر وأقام أربعة عشر شهراً ، وعاد فانتظم أمره إلى أن توفي بعدن وكان عاقلاً محمود السيرة شاعراً عالماً بالأدب ، مقرّباً للعلماء والأدباء ، محسناً إليهم . ومن آثاره مدرسة بمكة ملاصقة للحرم . أنظر الفاسي : العقد الثمين ، ج٦ ، ص ١٥٨ ـ ١٧٤ ؛ الزركلي : الأعلام ، ج٤ ، ص ٢٨٦ ـ ٢٨٧ .

٢ ـ أحمد بن رميثه بن أبي نمي بن أبي سعد حسن بن علي بن قتادة الحسني المكي صاحب الحلة . سافر إلى العراق مرتين في زمن أبي سعيد ابن خربندا ، وعظم شأنه هناك . قتل في الثامن عشر من رمضان سنة ٧٤٢هـ / ١٣٤١م . أنظر الفاسي : العقد الثمين ، ج٣ ، ص ٤٠ ـ ٤١ .

٣ ـ ابن بطوطة : الرحلة ، ص ١٧٢ ـ ٢٤١ .

٤ ـ لم نعثر على ترجمة له في المصادر التى تناولناها .

الأمـر ، وقد حاول رميثة إعاقة وصول الخبر إليه ، إلاّ أنّ عُطيفة استطاع إيصاله عن طريق جُدّة . <١>

ونجد هنا أن ابن بطوطة قد خالف المصادر في تحديد سنة الدعاء لسلطان العراق ، حيث ذكروا أن السنة التي تم فيها الدعـاء لصاحب العـــراق إنما هــي سنة ٧١٧هـ / ١٣١٧م ، ووصـل الخبر إلـــى الناصـــر بمصـر سـنة ٧١٨هـ / ١٣١٨م . <٢>

ونجد أن المصادر التي بين أيدينا قد سكتت عن هذه العلاقة ولم ترد إشارة إلى ذكر أبي سـعيد في الخطبة والدعـاء له في تلك السنة ، غيـر أن الفاسي ذكر خبر سفر أحمد إلى العراق مقتضباً . <٣>

وربما يكون قد حدث خطأ في كتابة السنة لدى هؤلاء المؤرخين خاصة لبُعدهم عن الحَدَث ، في حين أن ابن بطوطة شـاهد عيـان لما حـدث . أو أنّه دُعي له مـرتين مـرة سنة ٧١٧هـ / ١٣١٧م ومـرة سنة ٧٢٨هـ / ١٣٢٧م وفـي المرة الأولى ذكرها المؤرّخون ، وأما الثانية فقد أغفلوا ذكرها . واستدرك ريتشارد مـورتيل قـائلاً : **" إنه ليس ببـعيد أن السلطـان أبا سـعيد كـان يتـرقّب الوقت المناسب لتحدي سيطرة المماليك على أمارة مكة المكرمة ، وخاصة أنه كان بين اشراف مكة المكرمة من يؤّيده "** . <٤>

---

١ ـ ابن بطوطة : الرحلة ، ص ١٧٢ ، ٢٤١ .

٢ ـ الفاسي : العقد الثمين ، ج٤ ، ص ٢٤١ ؛ ابن فـهد : إتحاف الورى ، ج٣ ، ص ١٥٨ ؛ المقريزي : السلوك ، ج٢ /١ ، ص ١٧٦ .

٣ ـ الفاسي : المصدر السابق ، ج٣ ، ص ٤٠ ـ ٤١ .

٤ ـ ريتشارد مورتيل : الأحوال السياسية والإقتصادية بمكة في العصر المملوكي ، ص ٨٣ .

وإذا كان ابن بطوطة قد تحدّث عن علاقة أشراف الحجاز وخاصة أمراء مكة المكرمة بالمماليك والأمارات الإسلامية الأخرى التي أشار إليها بعض المؤرّخين ، إلاّ أن ابن بطوطة انفرد بإلقاء الضوء على علاقات أخرى أفاض في وصفها ؛ وهي علاقة الأشراف بسلطان مصر الملك الناصر ، والتي اتّضح منها عمق علاقته بمكة المكرمة حتى امتدت إلى قضاتها الذين ارتبطوا معه بصلات جيّدة حيث كانت صدقاته وصدقات أمرائه تصل إلى يد قاضي مكة المكرمة نجم الدين محمد بن الإمام محي الدين الطبري وكيله ، والذي تولى توزيع أعطياته على أشراف مكة المكرمة وكبرائها وفقرائها ، وخدم الحرم الشريف ، وجميع المجاورين .

وبالرغم من قوّة الصلة بين سلاطين المماليك في مصر وأمراء مكة المكرمة إلا أنّ صلتهم بملوك اليمن كانت قويّة أيضاً وقد أشار ابن بطوطة إلى الدعاء لسلطان بن رسول وذِكْر اسمه بعد الدعاء للسلطان المملوكي (١) . مما يدل على سياسة الموازنة التى اتبعها أمراء مكة المكرمة للمحافظة على علاقتهم ببني رسول باليمن وسلاطين المماليك في مصر ، إلاّ أنّه يبدو أن علاقتهم بمصر قد شابها نوع من الفتور ، عِقب فتنة أشار إليها ابن بطوطة في حديثه عن علاقة الملك الناصر بأمراء مكة المكرمة الأشراف ، إذ حدث في عام ٧٣٠هـ / ١٣٢٩م أثناء موسم الحج خلاف بين أمير مكة عطيفه وبين أيدمور أمير جندار الناصري (٢) بسبب قيام تجار من أهل اليمن بالسرقة ، فرفع الأمر إلى أيدمور الذي أوعز لمبارك ابن الأمير عُطيفة بإحضار اللصوص ، فاعتذر عن ذلك لعدم معرفته بهم . ولعل في هذا إشارة إلى عدم

---

١ ـ ابن بطوطة : الرحلة ، ص ١٤٩ ، ١٦١ .

٢ ـ ألدمر أحد الأمراء بالقاهرة في الأيام الناصرية كان أمير جندار وحج بالناس فثارت بمنى فتنه فقتل فيها هو وولده خليل في يوم عيد النحر سنة ٧٣٠هـ / ١٣٢٩م . ومن العجب أن الناس تحدثوا بالقاهرة بما جرى له يوم العيد سواء . أنظر ابن حجر : الدرر الكامنة ، ج١ ، ص ٤٠٧ . ونجد هنا اختلافاً في موعد وقوع الفتنة ومكانها كما وجد اختلاف في اسمه بين المؤرخين الذين تناولوا هذه الحادثة .

رضى أمير مكة المكرمة عن تدخل أيدمور في شؤون مكة المكرمة وخاصة الحجاج اليمنيين حفاظاً على علاقة مكة المكرمة وأهل اليمن ، وأما في حالة وقوع سرقة لأهل مصر والشام فقد تكفّل أمير مكة المكرمة بحّل الأمر فلم يرضي ذلك أيدمور وشتمه وقيل تطاول عليه بضربٍ ودفعٍ لأمير مكة المكرمة ، فوقع ووقعت عمامته فأثار غضب الناس عليه ، ثم ركب أيدمور متوجهاً نحو عسكره ، فلحقه مبارك وأتباعه فقتلوه هو وولده ، فوقعت الفتنة بالحرم ، وتصادف فيه وجود الأمير أحمد قريب الملك الناصر ، وتدخّل الترك في القتال فقتلوا امرأة قيل إنها عملت على تحريض أهل مكة المكرمة على القتال ، واشتدت الفتنة ، وحاول القاضي وأهل مكة إيقاف ما حدث وعقد الصلح ودخل الحجاج مكة المكرمة فأخذوا امتعتهم ورحلوا إلى مصر . وبلغ الخبر الملك الناصر فاستاء لذلك ، وسيرّ عساكره إلى مكة المكرمة ففّر الأمراء عُطيفة وابنه مبارك ورميثة وأولاده إلى وادي نخلة ، فلما وصلت عساكر الناصر إلى مكة المكرمة بعث الأمير ابناً له بطلب الأمان، فبذلوه لهم فحضر إليهم بكفنه منتظراً الموت ولكن مبعوث الناصر خلع عليه وأعاده إلى الحكم.(١)

وذكر بعض المؤرخين في حوادث تلك السنة الفتنة ولكن دون تفصيل (٢). أما الفاسي فلم يذكر سبب الفتنة التي أشار إليها ابن بطوطة وأورد قائلاً : " **إنه في سنة ٧٣٠هـ / ١٣٢٩م يوم الجمعة عند طلوع الخطيب المنبر حصلت شوشة ودخلت الخيل المسجد الحرام وفيهم جماعة من بني حسن ملبيين غائرين ، وتفرّق الناس ، وركب الأمراء من المصريين وكانوا ينتظرون سماع الخطبة فتركوها ، وركب الناس بعضهم بعضاً ونُهبت الأسواق ، وقتل من الخلق جماعة من الحجاج وغيرهم ، ونُهبت الأموال ، وصليت الجمعه والسيوف تعمل والقتل بين الترك والعبيد والحرامية من بني حسن ، وخرج**

---

١ ـ ابن بطوطة : الرحلة ، ص ٢٤٢ .

٢ ـ ابوالفدا : تاريخ ابو الفدا ، ج٤ ، ص ١٠١ ـ ١٠٣ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ١٤ ، ص١٤٩ ـ ١٥٢ ؛ ابن الوردي : تتمه المختصر ، ج٢ ، ص ٤١٨ ـ ٤١٩ ؛ عزالدين بن فهد : غاية المرام ، ج٢ ، ص ٩٠ .

الناس إلى المنزلة <١> ، واستشهد من الأمراء سيف الدين الدمر أمير جاندار وولده خليل ومملوك لهم أمير عشره يعرف بابن التاجي وجماعة نسوة وغيرهم من الرجال ودخل الأمراء راجعين بعد الهرب إلى مكة المكرمة لطلب بعض الثار وخرجوا فارين مرة أخرى ، ثم بعد ساعة جاء الأمراء خائفين وبنو حسن وغلمانهم فلما اشرفوا على ثنية كَدا ء من أسفل مكة المكرمة فأمُر بالرحيل ولولا أن سلم الله الناس كانوا نزلوا عليهم ولم يبق من الحجاج مخبر ، فوقف أمراء المصريين في وجوههم وأمر بالرحيل فاختبط الناس مما دفع أكثرهم لترك ما ثقل من أحمالهمْ ونهب الحاج بعضه بعضاً ووقع الخبر بذلك بالقاهرة في نفس اليوم سواء" . <٢>

أما ابن تغري بردي فأشار إلى مقتل الأمير الدمر بمكة المكرمة على أيدي بعض العبيد الذين قاموا بسرقة أموال ومتاع بعض حجاج العراق ، فاستجار الناس بالأمير الدمر الذي تخلّف عن الركب لأداء صلاة الجمعة ، فهبّ مع ابنه للدفاع عنهم وضرب العبيد ، ولكن تمكنّ العبيد من قتل ابنه فاشتدّ حنقه عليهم وعزم على الفتك بهم ، وعندئذ حمل العبيد عليه و قتلوه ، وعمّت الفوضى ونُهبت الأسواق ، ووقع عددٌ كبير من القتلى ، وحاول الأمراء المصريون الاقتصاص لتلك الفعلة ففشلوا ، ثم عادوا إلى مصر وأطلعوا السلطان قلاوون بذلك فسيّر إلى مكة المكرمة عسكراً كثيفاً للاقتصاص لمقتل الدمور وابنه ، وأوقعوا القتل في العبيد ، وفّر أشراف مكة المكرمة ، ونُهبت أموالهم ، وسيطر الأتراك على البلاد في ذلك العام ، وفقد الأشراف سطوتهم وهيبتهم ، وعندما قام الملك الناصر بأداء فريضة الحج كان استقباله لأشراف مكة المكرمة يشوبه الفتور مع تواضع الملك للفقهاء والعلماء <٣> غير أن

---

١ ـ ربما يكون مكان نزول الركب بمكة المكرمة .

٢ ـ الفاسي : شفاء الغرام ، ج٢ ، ص ٣٩٢ ـ ٣٩٣ .

٣ ـ ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ج٩ ، ص ٢٨٢ ـ ٢٨٣ .

المقريزي وابن فهد والجزيري أشاروا الى أن أساس حدوث الفتنة من تدبير الملك الناصر ليقتص من أمير الركب العراقي الذي ناله بما يكره ، فأسّر ذلك في نفسه ، ولما بلغه مسير أمير الركب العراقي إلى مكة المكرمة كتب إلى الشريف عُطيفه بن أبي نمي سرّاً للتخلّص منه ، فلم يجد بُدّاً من امتثال ما أُمر به وأطلع ولده مبارك بن عُطيفة ومن يثق به على ذلك ، وتقدم إليهم بإعمال الحيلة فيه فلّما قضى الحاج النسك تأخرّ أمير الركب العراقي والأمير الدمر وولده والأمير أحمد ابن خالة السلطان الناصر لأداء صلاة الجمعة مع بقية حجاج مصر فلما حضروا للصلاة وصعد الخطيب المنبر حانت لحظة تنفيذ الخطة الموضوعة ، فقام العبيد بإثارة الفتنة بين الناس وهدفهم حجاج العراق ، فخطفوا شيئاً من أموالهم بأحد أبواب المسجد الحرام المعروف بباب إبراهيم ، وكان الشريف عُطيفه جالساً إلى جوار الدمر فصرخ الناس بالدمر ، ولم يكن لديه علم بما كتب به السلطان إلى الشريف عُطيفه ، وقد عرف عن الدمر شجاعته وحّدة مزاجه وقّوة شخصيته ، فنهض وجماعتة من المماليك على صراخ الناس وقام بإهانة الشريف وسبّه وقبض على بعض قواده ، فلاطفه الشريف فلم يهدأ خشية تدخله وإفساد ما رسم لتنفيذه ، وعند اشتداد صياح الناس ركب الشريف مبارك بن عُطيفة في قّواد مكة المكرمة بآلة الحرب وركب جند مصر فبادر خليل ولد الأمير الدمر ليطفيء الفتنة ، وضرب أحد العبيد فرماه بحربة فقتله ، فلما رأى أبوه ذلك اشتد غضبه وحمل بنفسه لأخذ ثأر ولده فرُمي الآخر بحربة فمات ٠

ويقال بل صدف الشريف مبارك بن عُطيفة وقد قصد أمير العراق وعليه آلة حربه ، فقال له ويلك تريد أن تثير فتنة ، وهّم بضربه بالدبوس فضربه مبارك بحربة كانت في يديه أنفذها من صدره فخرّ صريعاً ، وقتل معه في هذه الفتنة عدداً آخر وفر أمير الحج العراقي عند ذلك ونجا بنفسه ورُمي مبارك بن عُطيفة بسهم في يده فشلّت ٠ وصعد أهل مكة المكرمة سطح الحرم ورموا الأمير أحمد ومن معه بالحجارة ، وفّر أمير ركب العراق ، ودخلت

الخيل المسجد الحرام ليمتد القتال إلى من به واختلط الناس ببعضهم ، ونهبت الأسواق ، ووقع عدد كبير من القتلى بأيدى العبيد ، وصلّى الناس الجمعة والسيوف تعمل ، وتجمّع الأمراء في مكان نزولهم خارج مكة المكرمة بعد أن لاحقتهم السيوف وقرّروا العودة إلى داخل مكة المكرمة ثانية طلباً للثأر ، فخرجوا فارّين مرّة أخرى ، وتصدى الشريف عُطيفة للقضاء على هذه الفتنة بعد أن فات الغرض منها بفرار أمير الركب العراقي فحسم الموقف ورحل الحجاج عائدين إلى بلادهم .

ولما علم سلطان مصر بقتل الدمر شقّ الأمر عليه ، وأمر بإحضار الشريف عُطيفة وابنه وقوّاده . وسار العسكر فوصلوا مكة المكرمة وهرب الناس إلى نخلة وغيرها ، وفرّ الشريفان عُطيفة ورميثة وأولادهما وجندهما إلى جهة اليمن وكان الشريف رميثة قد جمع العرب لمحاربة الأمير ، فبعث إليه بالأمان وهو الخاتم والمنديل وقلّده أمارة مكة . (١)

ونجد أن ابن بطوطة خالف معظم المؤرخين في أسباب الفتنة ، ولعلّ ما جاء في رحلته هو الأصحّ لأنهّ شاهد عيان لها . وربما حدث خلط من حيث التحرّش بالحجّاج العراقيين بدلاً من اليمنيين كما وأن ابن بطوطة أورد تفاصيل لم ترد في كافّة المصادر ، مما يدلّ على أنه كان قريباً جدّاً من مكان الواقعة بحيث أنه سمع ورأى ما حدث من دقائق الأمور ، وعلى كلٍ فالحادثة وقعت فعلاً ، وإن اختلف المؤرخون في إبداء أسبابها ، ونرجّح ما جاء في رحلة ابن بطوطة فهو كما سبق شاهد عيان لهذه الحادثة بتفاصيلها .

---

١ ـ المقريزي : السلوك ، ج٢/٢ ، ص ٣٢٣ ـ ٣٢٩ ؛ ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣ ، ص ١٨٩ ـ ١٩٧ ؛ الجزيرى : الدرر الفرائد ، ج١ ، ص ٦٣١ ـ ٦٣٧ .

ولقد ارتبط أمراء مكة المكرمة بعلاقات وديّة مع سلطان كلوا <١> أبي المظفر حسن <٢> حيث كانوا يَفِدون عليه لنيل أعطياته ، كما أشار إلى ذلك ابن بطوطة . <٣>

---

١ ـ (كِلوة) بالكسر موضع بأرض الزنج وعلى بعد نحو ٢٤٠ كم إلى الجنوب من مدينة دار السلام عاصمة تنزانيا حالياً . أنظر ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج٤ ، ص ٤٧٨ ؛ سليمان عبدالغني المالكي : سلطنة كلوة الإسلامية ، ص ١٩ .

٢ ـ أبو المظفر حسن بن سليمان ويكّنى أبا المواهب لكثرة مواهبه ومكارمه ، كان كثير الغزو إلى أرض الزنوج والإغارة عليهم ، فكثرت غنائمه وعمل على صرفها وفق تعاليم الشريعة الإسلامية في كتاب الله تعالى وجعل نصيب ذوي القربى في خزانة على حِده فإذا جاءه الأشراف دفعه إليهم وهو دائم التواضع للفقراء حريص على تناول الطعام معهم ، كثير التعظيم للعلماء . حكم ٢٤ سنة ومات دون عَقِب . أنظر ابن بطوطة : الرحلة ، ص ٢٥٨ ؛ المالكي : سلطنة كلوه الإسلامية ، ص ٤٣ .

٣ ـ ابن بطوطة : الرحلة ، ص ٢٥٨ .

ب ـ أمارة المدينة المنورة :

انصبّ اهتمام الرحالة المغاربة والأندلسيين على مكة المكرمة فكان لها الحظّ الأوفر في كتاباتهم إذ تتبعوا جميع شؤونها وتقصّوا مختلف أحوالها . أما المدينة المنورة فلم تحظ إلا بالقليل من إهتمام الرحالة وبالتالي تضاءلت المعلومات عنها ، ولا نجد عن أحوالها السياسية إلاّ ما تضمنتها رحلة ابن بطوطة وهي معلومات قليلة إذا ما قورنت بما كتب عن مكة المكرمة .

إذ ذكر ابن بطوطة أميرين من أمراء المدينة المنورة عاصرهما هما طفيل بن منصور بن جماز الحسيني <١> وكبيش بن منصور بن جماز <٢> . وتحدّث عن كيفية تولّي طفيل ، فقال : تولى إمره المدينة كبيش بن منصور بن جماز عقب قتله لعّمه مقبلاً <٣> ، وقيل توضأ بدمه ثم إن كبشاً خرج سنة ٧٢٧هـ / ١٣٢٦م إلى الفلاة في شدّة الحر ومعه أصحابه فأخلدوا إلى الراحة وتفرّقوا تحت ظلال الأشجار فما راعهم الا وأبناء مقبل في جماعة من

---

١ ـ طفيل بن منصور بن جماز بن شيحة الحسيني استقر في إمرة المدينة المنورة بعد قتل أخيه كبيش في رجب سنة ٧٢٨هـ / ١٣٢٧م وكان أميراً كبيراً كامل السؤدد وعالي الهمّة مهيباً معظماً في النفوس محبوباً من الجميع جمع مفاخر المناقب جواداً محسناً لاسيما إلى المجاورين ، سمحاً للوافدين والزائرين ، وشفاعات المجاورين عنده مقبولة استمر حاكماً إلى سنة ٧٥٠هـ /١٣٤٩م. أنظر السخاوي : التحفة اللطيفة ، ج٢ ، ص ٢٥٨ ـ ٢٥٩ .

٢ ـ كبيش بن منصور بن جماز بن شيحة بن هاشم بن قاسم ولي إمرة المدينة المنورة بعد قتل أبيه في رمضان سنة ٧٢٥هـ / ١٣٢٤م فاقام سنة ونحو خمسة أشهر ، ولم تصفوا له تلك الأيام واستتاب أخاه طفيلاً وقتل على يد أولاد عمه مقبل بن جماز في يوم الجمعة سلخ رجب سنة ٧٢٨هـ / ١٣٢٧م واستقل طفيل بعده بالإمرة وكان هذا ينوب عن أبيه في الإمرة . أنظر السخاوي : التحفة اللطيفة ، ج٣ ، ص ٤٢٦ ـ ٤٢٧ .

٣ ـ مقبل بن جماز بن شيحة بن هاشم بن قاسم بن مهنا بن حسين الحسيني قريب أمير المدينة وولد مستوليها ، طرقها في شعبان سنة ٧٠٩هـ / ١٣٠٩م فتنغيظ منه كبيش بن منصور بن جماز وهو ابن أخيه وكان إذ ذاك يخالف أباه على الإمره فدهمهم مقبلاً ليلاً ونصب سلماً خشباً كان معه مقطعاً وصعد منه إلى السور فأستيقظ له كبيش وتقاتلا إلى أن قتل مقبل وقتل معه من أقاربه قاسم بن قاسم بن جماز واستمروا حزبين . أنظر ابن حجر : الدرر الكامنة ، ج٤ ، ص ٤٣٦ .

عبيد هم ينادون يالثارات مقبل فقتلوا كبيش بن منصور صبراً ولعقوا دمه ، وتولّى بعده أخوه طفيل بن منصور . (١)

وجاء في رواية القلقشندي أن مقبلاً اشترك في إمرة المدينة المنورة مع أخيه منصور (٢) على إثر طلبه من الظاهر بيبرس بمصر لذلك . وعندما قام منصور بالإيعاز لابنه في تدبير شؤون المدينة المنورة خلال غيابه فاعتبر مقبل ذلك تعدّياً على حقوقه في الإمارة ، فهجم على ابن أخيه وانتزعها منه ، مما دفع بكبيش إلى الخروج من المدينة المنورة واللحاق بأحياء العرب طالباً مساعدتهم ، واستعاد المدينة المنورة وتمكن من قتل مقبل في سنة ٧٠٩هـ / ١٣٠٩م وعاد منصور إلى أمارته ثم هلك سنة ٧٢٥هـ / ١٣٢٤م فولي ابنه كبيش فقتله عسكر ابن عمّه ودى بن جماز (٣) الذي حكم المدينة المنورة من قبل الملك الناصر محمد بن قلاوون وعقِب وفاته تولاها طفيل بن منصور بن جماز وانفرد بإمرتها . (٤)

فنلاحظ أن ما أورده ابن بطوطة حول المدينة المنورة وأمرائها متفقاً مع غالبية المصادر . كما نرى أن اعتماد وسيلة القتل في سبيل الإمارة أيضاً معروف في المدينة المنورة ، بل إنها شملت حتى من يتطاول على شخص الشريف ولو خطأ فيقتل جزاء ذلك ، وذكر ابن بطوطة أن أحد فقهاء ومدرسي المالكية

---

١ ـ ابن بطوطة : الرحلة ، ص ١٢٤ .

٢ ـ منصور بن جماز بن شيحة بن هاشم بن قاسم بن مهنا بن الحسين بن مهنا بن داود بن قاسم بن طاهر بن يحي بن عبدالله بن الحسن بن جعفر بن عبيدالله بن الحسين بن على بن أبي طالب الحسيني صاحب المدينة والد طفيل استقل بالإمرة في حياة والده سنة ٧٠٠هـ / ١٣٠٠م ثم حضر أخوه مقبل فُقتل مقبل ثم توجه إلى مصر فأقام ولده كبيش بها ، وأعاد الناصر منصوراً إلى الإمرة سنة ٧١٦هـ / ١٣١٦م فاستمر بها إلى أن قتله ابن اخيه حديثه بن قاسم بن جماز وقتل قاتله في الحال سنة ٧٢٥هـ / ١٣٢٤م . أنظر ابن حجر : الدرر الكامنة ، ج٤ ، ص ٣٦٢ ـ ٣٦٣ .

٣ ـ ودى بن جماز بن شيحة الحسيني أمير المدينة محباً للسنة وكارهاً للشيعة . أنظر ابن حجر : الدرر الكامنة ، ج٤ ، ص ٤٠٦ ـ ٤٠٧ .

٤ ـ القلقشندي : صبح الأعشى ، ج٤ ، ص ٣٠٤ ـ ٣٠٥ ؛ أحمد بن محمد صالح الحسيني البرادعي : المدينة المنورة عبر التاريخ الإسلامي ، ص ١١٨ ـ ١٢١ .

بالمدينة المنورة ويدعى أبو العباس الفاسي تحدّث يوماً مع الناس فانتهى به الكلام إلى القول أن الحسين بن على ابن أبي طالب عليهما السلام لم يعُقب فبلغ ذلك أمير المدينة طفيل بن منصور بن جماز الحسيني فأنكر كلامه واستعظمه وأراد قتله ثم عدل عنه ونفاه من المدينة ، وقيل بل بعث إليه من قام بقتله واختفى أثره ٠ (١)

إن ما ذكره ابن بطوطة عن أحوال المدينة المنورة السياسية قليلٌ جداً ولكنه أبرز لنا مدى الصراع على الإمره والسلطة فيها ووسائل الوصول إليها ٠ كما نجد أن ما ينطبق على مكة المكرمة ينطبق أيضاً على المدينة المنورة من حيث علاقاتها بمصر في بعض الأحيان وانقطاعها أحياناً أخرى ٠

فالعلاقة والارتباط بمصر قائمٌ على أساس الوضع الاقتصادي والاستقرار الداخلي ، فمتى توفّر الاستقرار وعّم الرخاء الاقتصادي أصبحت أمارة مستقلة ، ومتى تزعزع الوضع الداخلي نجد الأشراف الحسنيين يسارعون إلى الاستنجاد بملوك مصر ضد بعضهم بعضاً فتعود العلاقة مرة أخرى ٠ ومن هنا فعلاقات الحجاز السياسية بمن حوله من المماليك والدول الإسلامية قائمةٌ أولاً وأخيراً على وضعه الاقتصادي ومايصله من مساعدات مالية فهي التي تحكّمت في مدى وقوّة علاقة الحجاز السياسية بهذه الدول ، وبالمقابل حرصت تلك الدول على إقامة علاقة ودّية مع أشراف الحجاز وإرضائهم في سبيل الدعاء لهم على منابر الحرمين الشريفيين ، إضافة إلى أنّ أشراف الحجاز بسبب نسبهم المتّصل بفاطمة الزهراء رضي الله عنها ، كان الأمراء والملوك يتحّرزون كثيراً في عقابهم ضماناً لعدم وصفهم بأنهّم قتلة أبناء رسول الله ﷺ ٠ (٢)

---

١ ـ ابن بطوطة : الرحلة ، ص ١٢٣ ـ ١٢٤ ٠

٢ ـ عزالدين ابن فهد : غاية المرام ، ج٢ ، ص ٤١ ٠

ولذلك فملوك مصر تكتفي من نوّاب الحجاز بإظهار الطاعة <١> ، وأقصى عقاب ينزل بأشراف الحجاز في حالة خروجهم عن الطاعة أو مخالفة مايصدر إليهم من أوامر هو الأعتقال مدة من الزمن في القاهرة ، وإسناد الأمر لمن عليه الدور في تولّي السلطة . <٢>

وكان الصراع القائم على السلطة بين أفراد بني الحسن في مكة المكرمة أو بني الحسين في المدينة المنورة واستنجادهم بالأعراب في سبيل استرداد نفوذهم السياسي وفرضهم للمكوس على الحجاج في بعض الأحيان بسبب قلّة موارد الحجاز الاقتصادية في سبيل الإيفاء بالتزاماتهم نحو البلاد ، وقيام عبيد الأشراف بنهب أموال الحجيج ، واعتداءات بني شعبة على الحجيج بمنى ، وعدم قدرة إشراف مكة المكرمة على ضبط الأمور ، مما كان له انعكاس سيء على الأوضاع السياسية في الحجاز . في حين أن توفّر المساعدات المالية لبلاد الحجاز بشكل منتظم مع الحزم وحسن الإدارة له مردوده الطيب في استقرار أوضاعها السياسية .

وعلى الرغم مما سبق ففي بعض الأحيان نلاحظ وجود تعاون بين أمراء المدينة المنورة وأمراء مكة المكرمة إزاء بعض المواقف المطلوب فيها مثل هذا التعاون ومثالاً لذلك ما حدث من تعاون الشريف أبي نمي وجماز بن شيحة في استرداد مكة المكرمة من الأمير مبارز الدين بن برطاس .

وأما فيما يتعلق بموقف علماء الإندلس من أوضاع الحجاز السياسية فقد أجازوا إسقاط فريضة الحج حفاظاً على أرواح الحجاج ، وما يمكن أن يلاقوه من عنت ومشقة في سبيل ذلك . <٣> وذكر الناصرى بعد ذلك خبر هذه الفتوى من قبل علماء الأندلس مؤكد ما ذكره ابن جبير . <٤>

---

١ ـ عز الدين بن فهد : غاية المرام ، ج٢ ، ص ١٨ .

٢ ـ الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص ٢٨٠ ؛ القلقشندي : صبح الأعشى ، ج٤ ، ص ٢٧٨ ؛ عزالدين بن فهد : غاية المرام ، ج٢ ، ص ٨٠ .

٣ ـ ابن جبير : الرحلة ، ص ٥٥ .

٤ ـ الناصرى : الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ، ج٧ ، ص ٨ .

جـ ـ بعض المدن والقرى التابعة للحجاز التى ذكرها الرحالة المغاربة والاندلسيين :

ينبع :

أشار العبدري إلى أمير ينبع واصفاً حكمه بالاستبداد وسخط الناس عليه ، إلاّ أنّه أغفل ذكر اسمه ولكنه أظهر علاقته بمصر بقوله : " **صاحب ينبع وأهلها في خدمة صاحب مصر حيث يمدهم بالزرع** " ٠<١>

ويستنتج من ذلك مدى الصلة الاقتصادية بين ينبع ومصر ٠ والذي كان سلطانها في تلك الفترة هو الملك المنصور <٢> ، وقد أشار العبدري وقت خروجه من مصر إلى عزم الملك المنصور للجهاد بعكّا ، إلاّ أن المنيّة قد أدركته قبل تحقيق ذلك فجاءت أخبار وفاته أثناء توجّه العبدرى إلى مكة المكرمة ، وعلى بعد مرحلة من رابغ ٠ <٣>

وما جاء في رحلة العبدري موافقٌ لما حدث تلك السنة حيث وصل إلى المنصور خبر غدر الفرنج بعكّا ، وقتلهم المسلمين ، ونهب أموالهم ، فعزم على الخروج لجهادهم ولكنّه مرض وتوفي يوم السبت سادس ذي القعدة عام ٦٨٩هـ / ١٢٩٠م ٠ <٤>

---

١ ـ العبدري : الرحلة المغربية ، ص ١٦٣ ٠

٢ ـ الملك المنصور قلاوون الصالحي تولّى المملكة وجلس يوم الأحد ثاني عشر رجب سنة ٦٧٨هـ / ١٢٧٩م وتلقب بالمنصور وكانت وفاته يوم السبت سادس ذي القعدة سنة ٦٨٩هـ / ١٢٩٠م ٠ والمنصور حسن الشكل معتدل القامة ، دريّ اللون ، قليل الكلام بالعربي ، فصيح اللسان بالتركي ، شجاع مقدام محبٌ لجمع الأموال مغرم بشراء المماليك ، اقتنى منهم ما لم يقتنيه أحد قبله ٠ أنظر ابن دقماق : الجوهر الثمين ، ج٢ ، ص ٩٢ ـ ١٠٤ ٠

٣ ـ العبدري : الرحلة المغربية ، ص ١٦٦ ؛ (رابغ) واد يقطعه الحاج بين البزواء والجحفة ٠ أنظر ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج٣ ، ص ١١ ٠

٤ ـ ابن عبدالظاهر : تشريف الأيام والعصور ، ص ١٧٧ ـ ١٧٨ ؛ الذهبي : دول الإسلام ، ج٢ ، ص ١٨٨ ؛ ابن دقماق : الجوهر الثمين ، ج٢ ، ص ٩٩ ـ ١٠٠ ٠

مـّر الظهـران :

أمّا مّر الظهران فذكرها العبدري ضمن أعمال مكة المكرمة <١> ، وداخل نطاق الأشراف من بني الحسن أمراء مكة المكرمة .

جُـــدّة :

كانت جُدّة تتبع شريف مكة المكرمة ، وعليها عامل من قِبلِه مهمّته تحصيل المكوس والضرائب . <٢>

وادى الصفراء :<٣>

وشمل نفوذ أشراف مكة المكرمة وادي الصفراء إذ ذكر ابن بطوطة أن فيها حصناً يسكنه الحسنيّون <٤> .

خُلَيـــصْ :

حكم خليص أحد الأشراف الحسنيين . <٥>

---

١ ـ العبدري : الرحلة المغربية ، ص ١٦٧ .

٢ ـ ابن جبير : الرحلة ، ص ٥٧ ؛ التجيبي : مستفاد الرحلة ، ص ٢١٩ ؛ ابن بطوطة : الرحلة ، ص ٢٤٣ .

٣ ـ (وادى الصفراء) من ناحية المدينة كثير النخل والزرع والخير بينه وبين بدر مرحلة ، وماؤها عيون كلها ، وهي فوق ينبع مما يلي المدينة ، وماؤها يجري إلى ينبع . أنظر ياقوت الحموي:معجم البلدان ، ج٣ ، ص ٤١٢ .

٤ ـ ابن بطوطة : الرحلة ، ص ١٢٨ .

٥ ـ المصدر السابق ، ص ١٢٩.

ثانياً : التنظيمات الإدارية في بلاد الحجاز

لم يرد الشيء الكثير عن النظم السياسية لمدن وقرى الحجاز في كتب الرحلات بسبب أن الرحّالة المغاربة والأندلسيين كانوا طلبة علم فكان طبيعياً أن يكون احتكاكهم بما يتّصل بالعلم والعلماء أكثر ، ويندر بالتالي احتكاكهم بأصحاب الوظائف السياسية .

أ ـ الأمراء ببلاد الحجاز :

تولّى حكم بلاد الحجاز أسر من الأشراف من ذريّة الحسن والحسين ابني علي بن أبي طالب رضي الله عنهم . فهي أمارة عربية في تقاليدها <١> . ففي مكة المكرمة تَعاقَب على حكمها ثلاثة أسر من ذريّة الحسن بن علي رضي الله عنهما وهم السليمانيون وحكموا من سنة ٣٦٦ ـ ٤٥٣هـ / ٩٧٦م ـ ١٦٠١م . والهواشم وحكموا من سنة ٤٥٦ ـ ٥٩٧هـ / ١٠٦٣ ـ ١٢٠٠م وبنو قتادة الذين بدأ حكمهم سنة ٥٩٧هـ / ١٠٦٣م . <٢>

وعاصر ابن جبير في رحلته إلى مكة المكرمة أحد أفراد أسرة الهواشم ، وهو مكثر بن عيسى <٣> فهو آخر حكّام هذه الأسرة ، والتي انتهت سنة ٥٩٨هـ / ١٢٠١م . ثم أعقبتها أمارة بني قتادة في حكم البلاد لمدّة طويلة .

وقد أشار الرحّالة المغاربة والأندلسيون إلى بعض من حكّامها ، فعلى سبيل المثال : أبوعزيز قتادة بن إدريس ، وحسن بن قتادة <٤> ، وأبو سعد الحسن ، ثم خلفه ابنه أبونمي ، ثم رميثة وحميضة وأبوالغيث وعطيفة . <٥>

---

١ ـ القلقشندي : صبح الأعشي ، ج٤ ، ص ٢٨١ .

٢ ـ انظر شجرة الأمراء الأشراف في الملاحق .

٣ ـ ابن جبير : الرحلة ، ص ٨٥ ؛ التجيبي : مستفاد الرحلة ، ص ٣٥٢ .

٤ ـ التجيبي : مستفاد الرحلة ، ص ٣٠٥ ؛ القلقشندي : صبح الأعشي ، ج٤ ، ص ٢٧٧ .

٥ ـ التجيبي : مستفاد الرحلة ، ص ٣٠٥ ـ ٣٠٦ .

أما المدينة المنورة فخضعت لأسرة من الأشراف من ذرّية الحسين بن علي رضي الله عنهما وأشار ابن بطوطة إلى بعض حكّامها منهم : طفيل بن منصور بن جماز ، وكبيش بن منصور ٠ <١>

وأشار العبدريّ في زيارته لبلاد الحجاز إلى أمير ينبع واستبداده ببلاده ، دلالة على استقلال بعض أمراء بلاد الحجاز بمدنهم عن سلطة الأشراف بمكة المكرمة والمدينة المنورة ٠ <٢>

ومن ضمن سلطات الشريف بمكة المكرمة تعيين وعزل سَدَنَة بيت الله الحرام ، وأشار ابن جبير إلى قيام الشريف مكثر بالقبض على زعيم آل الشيبي محمد بن إسماعيل ، وذلك راجعٌ إلى قيامه ببعض أعمال أوجبت عزله ، ولم يلبث الشريف أن أعاد محمد بن إسماعيل إلى سَدَانَة البيت الحرام ، عقب افتدائه لنفسه ، بمبلغ خمسمائة دينار ، ولكن وصل أمر عزل هذا السادن نهائياً من قِبل الخليفة العباسي ببغداد ، وتعين ابن عمه مكانه ٠ <٣>

والواقع أن هذه الحادثة تدلّ على يقظة الشريف فيما يتعلق بالأمور الدينية والقائمين عليها إلى جانب تغاضيه عن الأخطاء مقابل مبلغ من المال ٠ كما تظهر مدى تبعيّة مكة المكرمة للدولة العباسية بل وتدخّلها حتى في عزل وتولية سَدَنَة بيت الله الحرام ، وعدم قدرة الأشراف الخروج على ذلك ٠

كما لم تغفل كتب الرحّالة الإشارة إلى الصراع القائم بين الأمراء الأشراف في بلاد الحجاز على السلطة ومحاولتهم الوصول إليها بمختلف الوسائل إلى جانب اشتراك اثنين في إدارة شؤون البلاد ، ومثال ذلك الصراع على السلطة ، ودور الشريف أبي نمي فيها ، وما حدث بين رميثة وحميضة ٠ <٤>

---

١ ـ ابن بطوطة : الرحلة ، ص ١٢٣ ـ ١٢٤ ٠

٢ ـ العبدري : الرحلة المغربية ، ص ١٦٣ ٠

٣ ـ ابن جبير : الرحلة ، ص ١٤٢ ، ١٤٥، ١٥٧ ؛ الفاسي : العقد الثمين ، ج١ ، ص ٤١٤ ؛ ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٢ ، ص ٥٤٨ ـ ٥٥١ ٠

٤ ـ التجيبي : مستفاد الرحلة ، ص ٣٠٥ ـ ٣٠٧ ـ راجع ما سبق ص ١٦٢ ـ ١٦٥ ٠

والملاحظ أن الأمر لم يكن مقصوراً على مكة المكرمة ، بل نجده واضحاً في المدينة المنورة في عهد طفيل بن منصور وكبيش ، واشتراك مقبل في الأمارة مع أخيه منصور عَقِب مقتل كبيش ٠ <١>

كما لقب الشريف أبونمي أثناء الدعوة له على منابر الحرم الشريف " **بذي الرئاستين مالك الحرمين الشريفين** " <٢> ٠ ولعلّه دلالة على امتداد سلطته إلى المدينة المنورة ٠

وانحصر منصب حاكم بلاد الحجاز في الأشراف بطريق الوراثة ، كما خضع أمير مكة المكرمة في تعينه وعزله للدولة العباسية ببغداد <٣> ٠ التي تسارع إلى تأديبه إذا انحرف عن السياسة المرسومة له مثلما حدث مع الأمير مكثر ٠ <٤>

واحياناً كان أهل مكة المكرمة يقومون بترشيح أحد الأشراف ليكون الحاكم بدلاً من شريف آخر بسبب سوء سيرته أو إساءته لأهل البلاد ، وخاصة للمجاورين والتجار وتمت الموافقة على ذلك من قبَل سلطان مصر <٥> ٠ وعَقِب انتقال الخلافة العبّاسية لمصر لم يعد الترشيح قائماً على اختيار الأصلح للولاية ٠

---

١ ـ ابن بطوطة : الرحلة ، ص ١٢٤ ٠ انظر ما سبق ص ١٨٠ ٠

٢ ـ التجيبي : مستفاد الرحلة ، ص ٣٠٤٠

٣ ـ ابن جبير : الرحلة ، ص ٨٥ ؛ التجيبي : مستفاد الرحلة ، ص ٣٥٢ ؛ السباعي : تاريخ مكة ، ج١ ص ٢٢٢ ؛ عائشة باقاسي : بلاد الحجاز ، ص ٣٩ ٠

٤ ـ ابن جبير : الرحلة ، ص ٨٥ ؛ ابن الاثير : الكامل ، ج٩ ، ص ١٣٧ ـ ١٣٨ ؛ التجيبي : مستفاد الرحلة ، ص ٣٥٢ ؛ ابوالفدا : تاريخ أبي الفدا ، ج٣ ، ص ٥٨ ؛ الفاسي : شفاء الغرام ، ج٢ ، ص ٥٣٦ ـ ٥٣٨ ؛ ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٢ ، ص ٥٣٦ ـ ٥٣٨ ٠ انظر ما سبق ص١٤٨٠

٥ ـ ابن خلدون : العبر ، ج٥ ، ص ٥٠٥ ٠

ب ـ نظام ولاية العهد :

أشار الرحالة التجيبيّ إلى منصب ولاية العهد الأمر الذي لم يشر إليه المؤرخون ، إذ أن ولاية العهد لم تكن موجودة في تقاليد الأشراف ، ولكن يعّد ولي العهد للحكم عن طريق المشاركة أثناء عهد والده أو أخيه فتُتاح له الفرصة لإثبات مدى أهليته لهذا المنصب ، وتكوين الأنصار والمؤيّدين ، حيث إن المتولّي لمنصب الحاكم في نظر الأشراف وفق إجماع أهل الحل والعقد ، ولهذا حرص الأشراف على إشراك أبنائهم معهم في إدارة شؤون البلاد .‹١›

وأحياناً قد يَعهد الأمير إلى أحد أبنائه صراحة ، وذلك بإشراكه معه في الإمرة مثلما حدث من إشراك الأمير أبي سعد الحسن لابنه أبي نمي معه ‹٢› . أو شراء أبناء الأمير للأمارة من ابيهم كما حدث من محاولة شراء أبناء الأمير رميثة الأمارة منه بسبب مرضه وكبر سنه . ‹٣›

وبسبب كبر السن والمرض أيضاً قد يبادر أحد أبناء الأمير لجمع كبار الأشراف والعلماء لمبايعته كما فعل الأمير حسن بن قتادة . ‹٤›

ولاشك أنّ منصب وليّ العهد محكومٌ بقّوة شخصيته وكثرة أتباعه ، فتقع الصراعات بين أفراد الأسرة بسبب ذلك ‹٥› حتى ينتهي الأمر إما بإشراكه في الإمرة أو إزاحته وتوليّ الأقوى مكانة ، ومثال ذلك موقف رميثة وحميضة في حياة والدهما وبعد وفاته . ‹٦›

---

١ ـ التجيبي : مستفاد الرحلة ، ص ٣٠٧ ؛ أحمد بن عمر الزيلعي : نظام المشاركة في الحكم لدى أشراف مكة ، مجلة الداره ، العدد الثالث ، الرياض ، ١٤٠٩هـ ، ص ٧٤ ـ ٧٥ .

٢ ـ العصامي : سمط النجوم ، ج٤ ، ص ٢٢٥ .

٣ ـ المصدر السابق والجزء ، ص ٢٣٥ .

٤ ـ المصدر السابق والجزء ، ص ٤٦٣ .

٥ ـ المصدر السابق والجزء ، ص ٤١٥ .

٦ ـ المصدر السابق والجزء ، ص ٢٢٧ .

وغالباً ما يكون الفصل في هذا الأمر إما للخليفة ببغداد أو لسلاطين المماليك بمصر ، فقد فصل السلطان الناصر في أمر رميثة وحميضة عندما اشتّد الخلاف بينهما وبين إخواتهم ٠ ‹١›

حيث كانت كلمة المماليك مسموعة بمكة المكرمة وأوامرهم منفّذة ورغباتهم مجابة ومطاعة من الأشراف لمعرفتهم مسبقاً بمدى قّوتهم على تولية وعزل الأشراف ، لذا كان التعيين النهائّي لأمير مكة المكرمة من قبِلهم ‹٢› ٠ فالملاحظ ازدياد تدخّل سلاطين مصر بشؤون مكة المكرمة وخضوع أشرافها لهم ، حيث أصبحت أمارة مكة المكرمة "**ولاية تابعة لمصر كسائر الولايات ،وأصبح تعيين الأشراف وعزلهم بل وحتى اعتقالهم بيد سلاطين المماليك** "‹٣›. وهذه نتيجة حتميّة لنظام المشاركة وعدم انتظام ولاية العهد في أمارة مكة المكرمة ، حيث كان الأشراف قبل نظام المشاركة يتمتّعون إلى حدٍ ما باستقلال داخليّ‹٤›، وفُقِد ذلك نتيجة نظام المشاركة.‹٥›

وقد أورد التجيبي طرفاً من أحداث مكة المكرمة فذكر أن رميثة كان ولّياً لعهد أبي نمي ولكن وجود أخيه حميضه وأتباعه أدّى إلى عدم استقرار رميثة ، وانتهى الأمر بإشراكهما في الإمرة ٠ ‹٦›

وقد أيّد الفاسي والعصاميّ ‹٧› ما ذكره التجيبيّ ٠

---

١ ــ العصامي : سمط النجوم ، ج٤ ، ص ٢٢٧ ٠

٢ ــ المصدر السابق والجزء والصفحه ٠

٣ ــ احمد الزيلعي : نظام المشاركة في الحكم لدى أشراف مكة ، مجلة الداره ، الرياض ، العدد الثالث ، ١٤٠٩هـ ، ص ٨٠ ٠

٤ ــ المقال السابق ، ص ٨١ ٠

٥ ــ المقال السابق ، ص ٨٠ ــ ٨١ ٠

٦ ــ التجيبي : مستفاد الرحلة ، ص ٣٠٧ ٠

٧ ــ الفاسي : العقد الثمين ، ج٤ ، ص ٢٣٢ ؛ العصامي : سمط النجوم ، ج٤ ، ص ٢٢٧ ٠

ولكن لم يلبث التعيين النهائيّ لأمير مكة المكرمة أن صدر من قبَل مصر بتولية الأخوين أبي الغيث وعطيفة معاً ، ثم تلاه بعد ذلك بسنة عودة رميثة وحميضة إلى الإمرة وكان الأمر من قبل سلطان مصر المملوكي <١> أيضا وقد اتفق الفاسي وابن فهد والعصامي <٢> مع ما أشار إليه التجيبيّ ٠

ويلعب رضى الخليفة العباسي وعدمه دوراً كبيراً في الموضوع من حيث التعيين وعدمه أو الإشتراك في الحكم ، أو الأنفراد ، كما حدث أيام الأمير مكثر وأخيه داود ٠ <٣>

وأدّى ظهور الدولة الرسولية وتدخّلها في أحداث مكة المكرمة ، ومناصرة الأشراف ضد بعضهم بعضاً مقابل الدعاء لها في الحرم الشريف إلى تأثير واضح في أوضاعها السياسية ولكن سرعان ما يعود ذلك التأثير إلى الانحسار بعودة المماليك في مصر إلى متابعة الأحوال السياسية في بلاد الحجاز ، وهو ما حدث في عهد الشريف راجح بن قتادة٠ <٤>

---

١ ـ التجيبي : مستفاد الرحلة ، ص ٣٠٧ ٠

٢ ـ الفاسي : العقد الثمين ، ج٤ ، ص ٢٣٢ ـ ٢٣٤ ؛ ج٦ ، ص ٩٦ ؛ ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣ ، ص ١٣٤ ـ ١٣٥ ؛ العصامي : سمط النجوم ، ج٤ ، ص ٢٢٧ ٠

٣ ـ داود بن عيسى بن فليته بن قاسم بن محمد بن جعفر المعروف بابن أبي هاشم الحسني أمير مكة ، ولي إمرتها بعهد من أبيه في شعبان سنة ٥٧٠هـ / ١١٧٤م فأحسن السيرة ، ونازعه أخاه مكثر ، ومات يوم الإثنين رابع عشر شعبان سنة ٥٨٩هـ / ١١٩٣م ٠ أنظر عزالدين بن فهد : غاية المرام ، ج١ ، ص ٥٣٤ ـ ٥٣٧ ٠

٤ ـ الفاسي : شفاء الغرام ، ج٢ ، ص ٣١٨ ـ ٣٢١ ؛ عز الدين بن فهد : غاية المرام ، ج١ ، ص ٦١٧ ـ ٦٢٣ ؛ ريتشارد مورتيل : الأحوال السياسية والإقتصادية بمكة ، ص ٤٦ ـ ٥٠ ٠

جـ ـ نظام الوزارة :

أظهرت كتب الرحّالة وجود الوزراء في بلاد الحجاز ، حيث أظهرتهم رحلة ابن جبير والتجيبي ، ولكن لم تحدد المصادر حدود مهامّهم وأعمالهم ، وربما كان الوزير ينوب عن أمير مكة المكرمة في حضور بعض المناسبات التي قد لايستطيع شريف مكة المكرمة حضورها بسبب التزاماته نحو البلاد ومثالاً على ذلك إنابة الوزير عن الشريف أبي نمي في حضور ختم القرآن في المسجد الحرام ليلة السابع والعشرين من رمضان ٠ ‹١›

وأما فيما يتعلق بالوزارة وكيفية اختيار الوزير ونوع وزرائه ومهامّه السياسية فليست لدينا معلومات واضحة في ذلك ٠

وأعتمد الأشراف في مكة المكرمة على حرس يُسمّى الحرابة من العبيد والسودان ، وقد شكّلت هذه الفئة في بعض الأوقات مصدر خطر على الحجّاج ، إذ قامت بنهب أموالهم وأمتعتهم ، مما اضطر الحكومة المصرية إلى تسيير حملة لتأديبهم ، كما حدث في عهد صلاح الدين ٠ ‹٢›

---

١ ـ ابن جبير : الرحلة ، ص ١٣٤ ؛ التجيبي : مستفاد الرحلة ، ص ٤٦٣ ٠

٢ ـ ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٢ ، ص ٥٥٣ ٠ انظر ماسبق ص ١٤٥ ـ ١٤٦ ٠

د ـ الوحدات الإدارية :

أشارت كتب الرحالة إلى مدن بلاد الحجاز منها :

ينبُـــع :

وتتبعها الدهناء فهي من أعمالها وأحياناً قام حكامها بالاستقلال بأمورها عن مكة وأشرافها ٠

ومنهـا الوجـه <١> ، والمدينة المنورة ومكة المكرمـة وجُـدَّة <٢> ، ورابغ <٣> ، وادى الصفراء وخُليص <٤> ، وتبوك ، الحوراء ، البرابر ، مَر الظهران ٠

وكما هو معروف تمتعت مكة المكرمة والمدينة المنورة بأهمية دينية كبيرة دون سائر مدن بلاد الحجاز وخضعت لحكم الأشراف ، وقام شريف مكة المكرمة بتعين أمير لمدينة جُدَّة ، حمل لقب القائد في عهد الشريف مكثر بن عيسى وهو علي بن موفق ٠ <٥>

أما ابن بطوطة الذي وصل جُدَّة أيضاً أشار إلى متولّي أمرها من قبل أمير مكة المكرمة ولقّبه بالأمير وهو أبو يعقوب بن عبدالرزاق <٦> ٠ مما يعني عدم استمرار حمل لقب قائد في تلك الفترة ٠

إنّ صمت المصادر عن أمور جُدَّة في ذلك العهد يجعلنا نفترض أنه طالما وُجد متولى لأمرها سواء كان لقبه القائد أو الأمير من قبَل أمير مكة المكرمة ، فهي إذاً أمـارة صغيرة ملحقـه بأمـارة مكة المكرمة وأميرها لقّب بالقائد في

---

١ ـ العبدري : الرحلة المغربية ، ص ١٦٣ ، ١٦١ ٠

٢ ـ التجيبي : مستفاد الرحلة ، ص ٢١٩ ٠

٣ ـ العبدري : الرحلة المغربية ، ص ١٦٦ ٠

٤ ـ ابن بطوطه : الرحلـه ، ص ١٢٨ ـ ١٢٩ ٠

٥ ـ ابن جبير : الرحلة ، ص ٥٤ ـ ٥٧ ؛ التجيبي : مستفاد الرحلة ، ص ٢١٩ ٠

٦ ـ ابن بطوطة : الرحلة ، ص ٢٤٣ ٠

البداية ، ثم بالأمير فيما بعد ٠ وقد أصبحت جُدَّة ضمن توابع أمارة مكة المكرمة في عهد شكر ابن أبي الفتوح <١> ، ومن عهده خربت واندرست وبقيت آثارها ٠ <٢>

أما بقّية مدن وقرى الحجاز فكان يعهد بها للأشراف من الأسرة الحسنية <٣> يرتبطون في ولائهم ومساعدتهم لشريف مكة <٤> أبي نمي وقتادة <٥> ، وقد يمتنعون عن ذلك خوفاً من سلطان مصر ٠ <٦>

وفي ينبع حمل حاكمها لقب أمير وأحياناً يلجأ إلى الاستبداد بها وارتباطه بمصر ، كما أشار العبدري وتَبِعتَ مّر الظهران والصفراء مدينة مكة المكرمة ٠ <٧>

هذا فيما يختص بالنظام في المدن التابعة لبلاد الحجاز أمّا ما يتعلق بالدواوين التابعة لهذا الجانب فليست لدينا معلومات مفصلّة عنها ولا يعني هذا بالضرورة عدم وجودها بل من الطبيعي أنها معروفة لما تُقَدّمه من خدمات وأعمال خاصة بالبلاد ٠

---

١ ـ شكر بن أبي الفتوح الحسن بن جعفر بن محمد الحسن بن محمد بن موسى بن عبدالله بن موسى بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب الحسني أمير مكة ولي مكة بعد أبيه وجرت له مع أهل المدينة حروب ملك في بعضها المدينة المنورة وجمع بين الحرمين وملك الحجاز ثلاثاً وعشرين سنة وكانت وفاته سنة ٤٥٣هـ / ١٠٦١م وانقرضت به دولة السليمانيين من مكة وجاءت دولة الهواشم ٠ أنظر الفاسي : العقد الثمين ، ج٥ ، ص ١٤ ٠

٢ ـ ابن المجاور : تأريخ المستبصر ، ص ٤٦ ٠

٣ ـ العصامي : سمط النجوم ، ج٤ ، ص ٢١٢ ٠

٤ ـ التجيبي : مستفاد الرحلة ، ص ٣٠٤ ٠

٥ ـ العصامي : سمط النجوم ، ج٤ ، ص ٢١٢ ، ٢٢٣ ٠

٦ ـ ابن خلدون : العبر ، ج٥ ، ص ٤٨١ ٠

٧ ـ العبدري : الرحلة المغربية ، ص ١٦٣ ، ١٦٧ ؛ ابن بطوطة : الرحلة ، ص ١٢٨ ـ ١٢٩ ٠

هـ ـ التنظيمات المالية :

الواقع إن المعلومات المتعلّقة بهذا الجانب قليلة فكل ما أشارت إليه كتب الرحالة فيما يتعلق بالموارد المالية لبلاد الحجاز بشكل عام نلاحظها في الآتي :

المكوس ‹١› ، الأعطيات ‹٢› ، الأوقاف ٠ ‹٣›

* المكوس والضرائب :

تؤخذ من الحجاج وخاصة عند وصولهم لجُدَّة كما ذكر الرحالة ابن جبير ، ويبدو أن الأمر لم يستمر إذ قام صلاح الدين بإرسال خطاب إلى أمير مكة المكرمة برفع تلك الضرائب والمكوس عند الحجاج وتعويض عامل جُدَّة عنها ‹٤› ٠ ويبدو أن الحجاج عانوا مرّة أخرى من دفع المكوس للأشراف ، إذ نلاحظ القيام بأسقاطها سنة ٦٧٤هـ / ١٢٧٥م ‹٥› عَقِب إشارة إليها في زمن رحلة التجيبي ٠ ‹٦›

* الأعطيات والهدايا والهِبات :

تصل إلى أشراف مكة المكرمة الكثير من تلك الأعطيات والهدايا والهِبات مثل تلك التي أهداها سيف الإسلام طغتكين للأمير مكثر ‹٧› ، وتلك التي أهداها وزير الشريف أبي نمي للخطيب في ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان ‹٨› ، والخلع الواصلة للخطباء والمؤذنين من قَبِل

---

١ ـ ابن جبير : الرحلة ، ص ٥٢ ، ٥٧ ؛ التجيبي : مستفاد الرحلة ، ص ٢٢٠ ٠

٢ ـ ابن بطوطة : الرحلة ، ص ١٤٩ ، ١٦١ ٠

٣ ـ أبو شامة : الروضتين ، ج٢ ، ص ٣ ٠

٤ ـ الفاسي : شفاء الغرام ، ج٢ ، ص ٣١٤ ٠

٥ ـ العصامي : سمط النجوم ، ج٤ ، ص ٢٢٧ ٠

٦ ـ التجيبي : مستفاد الرحلة ، ص ٢١٩ ـ ٢٢٠ ٠

٧ ـ ابن جبير : الرحلة ، ص ١٢٦ ؛ ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٢ ، ص ٥٤٦ ٠

٨ ـ التجيبي : مستفاد الرحلة ، ص ٤٦٣ ٠

العباسيين <١> ومنها التي وصلت من مصر إلى قاضي مكة المكرمة نجم الدين محمد بن الإمام محي الدين الطبري وكيل السلطان الناصر في مصر ، حيث تولّى توزيعها على كافّة أهل مكة المكرمة <٢> ، وكذلك الأعطيات التي تصل من الدولة الرسولية في اليمن في بعض الأحيان <٣> ، وهناك الصدقات والأعطيات الواصلة من العراق لأهل مكة <٤> . ومنها أيضاً التي يأخذها الأشراف من سلطان كلوه . <٥>

ومن هنا نلاحظ ما كانت تحظى به بلاد الحجاز من إهتمام الدول المجاورة والمتمثّلة في الخلافة العباسية والخلع التي تبعثها سواء لأهل البلاد أو للأشراف وكبار أهل مكة المكرمة ، ومن مصر أيضاً سواء من الدولة الأيوبية أو من دولة المماليك فيما بعد ، ثم الصدقات المبعوثة من قِبَل حكّام اليمن وما كان يختص به أشراف بلاد الحجاز من اعطيات سلطان كلوه .

* **الأوقـــاف :**

تمثّلت في المساكن التي أسهم الأغنياء في إنشائها من أموالهم الخاصة سواء من أهل البلاد أو من القادمين عليها وأوقفت على المجاورين ، إلى جانب الأموال المبذولة لهم . <٦>

أما عن كيفيّة مصارف الأموال من قِبَل حكّام الحجاز فليست لدينا أيّة تفاصيل عن ذلك سوى ما أوردناه من إشارات موجزة وأغلب الظن أنها إنما كانت تصرف لتثبيت حكمهم وبناء الاستحكامات الحربية ولم تكن تصرف على تحسين أوضاع البلاد وخدمة الحجاج . حيث لم نجد أي أشارة لا في كتب الرحلات ولا في المصادر التاريخية التي تناولناها ما يشير إلي ذلك .

---

١ ـ ابن جبير : الرحلة ، ص ٥٧ ، ٧٣ .
٢ ـ ابن بطوطة : الرحلة ، ص ١٤٩ ، ١٦١ .
٣ ـ التجيبي : مستفاد الرحلة ، ص ٤٦٢ .
٤ ـ ابن بطوطة : الرحلة ، ص ١٧٢ ، ٢٤١ .
٥ ـ المصدر السابق ، ص ٢٥٨ .
٦ ـ المصدر السابق ، ص ١٤٩ ـ ١٧١ .

و ـ التنظيمات القضائية :

لعب القضاة دوراً هاماً في الحياة العامة لبلاد الحجاز فهو من أجَلّ المناصب <١> إذ تقوم مهامهم على الفصل في الخصومات ومشاكل الأفراد والجماعات ، فالقاضي صاحب السلطة وخاصة في الأمور المتعلقة بالنواحي الشرعية . وفي البداية نلاحظ ارتباط القضاة بالخلافة العباسية فعندما شك القاضي في شهادة الشهود في هلال شهر ذي الحجّة آثر انتظار قدوم الركب العباسيّ من بغداد ضماناً للدقّة <٢> . بينما نلاحظ في سنة ٦٨٠هـ / ١٢٨١م عدم التزام الناس بقرار القاضي وخاصة في حادثة موعد وقفة عرفات فانقسم الناس فيها إلى فريقين حيث وقفت الفرقة الأولى في يوم الجمعة بينما وقفت الأخرى في يوم السبت . <٣>

ومن هنا ففي البداية مثّلت سلطة القاضي القول الفصل مع التزام العامّة بها ، ولكن بمرور الوقت لم يعد لها ذلك التأثير القويّ ، وضعفت أمام قّوة عامّة الناس والحجيج .

ويتم تعيين القاضي في مكة المكرمة من قِبَل الخلافة العباسية قبل سقوط بغداد <٤> . وعَقِب انتقالها إلى مصر أصبح مرسوم تعيين القاضي يصدر منها <٥> . كما يوجد لهؤلاء القضاة نّواب يلتزمون بأداء أعمالهم في حالة غيابهم . <٦>

وكذلك الأمر في المدينة المنورة فهناك القاضي ونائبه . <٧>

---

١ ـ القلقشندي : صبح الأعشي ، ج١٢ ، ص ٢٣٦ .

٢ ـ ابن جبير : الرحلة ، ص ١٤٦ ـ ١٤٩ .

٣ ـ العبدري : الرحلة المغربية ، ص ١٨٦ ؛ الفاسي : شفاء الغرام ، ج٢ ، ص ٢٨٣ ؛ ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣ ، ص ١١٣ .

٤ ـ ابن جبير : الرحلة ، ص ٧٢؛ التجيبي :مستفاد الرحلة ، ص ٤١٥؛ ابن بطوطة : الرحلة ، ص ١٤٩.

٥ ـ ابن بطوطة : الرحلة ، ص ١٦١ ؛ القلقشندي : صبح الأعشى ، ج١٢ ، ص ٢٣٦ ـ ٢٣٧ .

٦ ـ ابن بطوطة : الرحلة ، ص ١٥١ .

٧ ـ المصدر السابق ، ص ١٢٠ ـ ١٢١ .

ومن إختصاصات القاضي إمامة الناس في صلاة الاستقساء ، ويقوم بدعوة الناس لأدائها عَقب صيام ثلاثة أيام ، وفي اليوم الرابع يتجه إلى المسجد الحرام ويؤمّ المصلّين خلف المقام فيصلّي بهم ركعتين يقرأ في الأولى سورة الأعلى وفي الثانية سورة الغاشية ، وبعد إنتهاء الصلاة يصعد إلى المنبر ويلقى على الناس خُطبة بليغه يدعوهم فيها إلى صالح الأعمال والعودة إلى الله عز وجل وترك المنكرات ٠ <١>

وعند ثبوت هلال شهر ذي الحجّة يقوم القاضي بإلقاء خطبة شاملة وخاصة ٠ بأحكام الحج لكافة الحجاج موضحاً لهم الطرق السليمة لأداء الفريضة ٠ <٢>

ومن مهام القاضي إلقاء خطبة الجمعة المشتملة على الوعظ والتذكير والصلاة على النبي محمد ﷺ وآله والصحابة الأربعة ، والدعاء لعمّي النبّي ﷺ حمزة والعباس ، وللحسن والحسين وزوجات النبي ﷺ وفاطمة الزهراء ثم الدعاء للخليفة العباسي وأمير مكة المكرمة ، ثم لحاكم مصر وولي عهده ٠ <٣>

---

١ ــ ابن جبير : الرحلة ، ص ١٢٨ ــ ١٢٩ ٠

٢ ــ التجيبي : مستفاد الرحلة ، ص ٤٦٥ ؛ ابن بطوطة : الرحلة ، ص ١٦٩ ٠

٣ ــ ابن جبير : الرحلة ، ص ٧٣ ؛ ابن بطوطة : الرحلة ، ص ١٦٠ ٠

الحِسْبَة :

لعبت الحِسْبَة دوراً هاماً في الحياة العامة في بلاد الحجاز . والحِسْبَة من الوظائف الدينية وتعتمد على الأمر بالمعروف إذا ظهر تركه والنهى عن المنكر إذا فشى فعله <١> . وهي بذلك تُسهم مع القاضي في تنفيذ القوانين المتصلة بالمصالح والآداب العامة ، وتقوم بحماية العامة من الغش والاحتيال ، والقائم بها لابد من أن تتوفر به شروط هامّة منها : العلم بأحكام الشريعة ، والحرية والعدل ، والشدّة والصرامة في تنفيذ الأحكام مع النزاهه والفقه وفي بلاد الحجاز وردت في كتب الرحالة إشارات إلى هذه الوظيفة لدى ابن رشيد ، حيث ذكر أن شيخه رضيّ الدين من القائمين بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ولكن يبدو أن ذلك لم يكن يرضي الشريف ابا نمي فقام بسجنه ولكنه لم يلبث أن أطلقه . <٢>

وقام ابن بطوطه بإيراد اسم أحد الأشخاص الذين تولوا منصب المحتسب وهو إمام الحنابلة محمد بن عثمان <٣> فإلى جانب قيامه بالحسبه ناب في القضاء أيضاً . ويبدو أن أمير مكة المكرمة يقوم بحماية المحتسب فمتولّي هذا المنصب يتّم تعيينه وفق أمر الأمير ، ويعُطى عمامة في حضور عددٍ كبيرٍ من الناس ضماناً لعدم التعّرض له بسوء . <٤>

ويمكننا القول أن المحتسب لم يكن يتمتع بالحماية في زمن رحلة ابن رشيد ولكن لم يلبث أن أصبح من المتمتعين بحماية أمير مكة المكرمة في زمن رحلة ابن بطوطة .

---

١ ـ الماوردي : الأحكام السلطانية ، ص ٢٩٩ ؛ ابن الأخوة : معالم القربة ، ص ٥١ ؛ السنامي : نصاب الإحتساب ، ص ١٢ ـ ١٣ .

٢ ـ ابن رشيد : ملء العيبة ، ج٥ ، ص ١٣١ .

٣ ـ انظر ترجمته فيما بعد ص ٢٨٢ ـ ٢٨٣ .

٤ ـ ابن بطوطة : الرحلة ، ص ١٥١ ـ ١٥٢ ؛ الفاسي : العقد الثمين ، ج٢ ، ص ١٣٤ ـ ١٣٥ .

ز ـ التنظيمات الحربية :

يشمل النظام الحربيّ الحديث عن الجيش والأسطول وكافة ما يتعلق بذلك ، ولكن نقتصر هنا على مادوّنه الرحالة في كتب رحلاتهم ، والواقع إنها معلومات قليلة وضئيلة وبالرغم من ذلك فهي تلقى بعض الضوء على ما كانت عليه الأوضاع في تلك الفترة ٠

حملت إشارات الرحالة الحديث عن قادة جيش أمير مكة المكرمة ، ويتولّى هذا المنصب من حاز صفات القوة والشجاعة ، وقد يكون أحد أبناء الأمير ، كما حدث في عهد أبي سعد الحسن والذي أشرك ابنه أبا نمي في قيادة بعض الحملات ، ويمكن أن يتولاّه أحد أخوة الأمير ، كما فعل الأمير قتادة في إسناد قيادة جيشه السائر إلى المدينة لأخيه في سنة ٦١٧هـ أو ٦١٨هـ / ١٢٢٠م أو ١٢٢١م ٠ (١)

ولكن الملاحظ أن الأمر لم يقتصر على أبناء الأسرة الحاكمة بل تعدّاه إلى الموالي (٢) ، حيث برز منهم أحد القادة من ذوي الكفاءة والشجاعة في عهد الشريف أبي نمي ، وأشار التجيبي إليه إذ نزل في داره ، ويُدعى محمد بن الحسن (٣)٠ كما أشار ابن بطوطة إلى أسماء بعضهم فمنهم : محمد بن إبراهيم وعلي وأحمد أبناء صُبَيح ، وعلي بن يوسف ، وشداد بن عمر ، وعامر الشرق ، ومنصور بن عمر ، وموسى المرزق ٠ (٤)

ويظهر مما سبق وجود جيش كبير أعتمد عليه أشراف مكة المكرمة في تثبيت دعائم سلطانهم والقضاء على معارضيهم ٠

أما نظام المعارك وحروبهم وطريقة تسيير الجيش لها وتنظيماته وعدد أفراده فليست لدينا أيّة تفاصيل عنها ٠

---

١ ـ العصامي : سمط النجوم ، ج٤ ، ص ٢٢٥ ، ٢١٣ ٠

٢ ـ القلقشندي : صبح الأعشى ، ج٤ ، ص ٢٨١ ٠

٣ ـ لم نجد له ترجمة في المصادر التى تناولناها ٠

٤ ـ التجيبي : مستفاد الرحلة ، ص ٢٢٩ ؛ ابن بطوطة : الرحلة ، ص ١٦٢ ٠

الفصل الرابع

الأحوال الاجتماعية والاقتصادية
لبلاد الحجاز من خلال
كتب الرحالة المغاربة والأندلسيين

أولاً : الأحوال الاجتماعية :

١ ـ عناصر المجتمع .
٢ ـ طبقات المجتمع .
٣ ـ العادات والتقاليد .
٤ ـ الاحتفالات .
٥ ـ المواكب .
٦ ـ الملابس .
٧ ـ الأطعمة والأشربة .

ثانياً : الأحوال الاقتصادية :

١ ـ الزراعة ومصادر المياه .
٢ ـ الثروة الحيوانية .
٣ ـ الصناعة .
٤ ـ التجارة .

أولاً : الأحوال الاجتماعية

تنوعت الحياة الاجتماعية في بلاد الحجاز متّخذة مظاهر عدة لذلك وسنحاول قدر الإمكان تتبّعها من خلال كتب الرحّالة . وفي البداية نتحدّث عن عناصر المجتمع في بلاد الحجاز :

١ ـ عناصر المجتمع :

* ضمت مكة المكرمة العديد من العناصر البشرية لما لها من مكانة وهيبة في نفوس المسلمين الوافدين من شتّى بقاع العالم والواقع أننا لن نستطيع حصرها وإنمّا سنعمل على إبراز أهم العناصر الموجودة في بلاد الحجاز والتي استخرجناها من كتب الرحالة فمن عناصر السكان :

آل بيت الرسول ﷺ من ذرّية الحسن بن علي وهم السليمانيون وبنو هاشم وبنو قتادة <١> ومن سكان مكة المكرمة الأوائل القرشيون وهم قلّة تفرّقت الغالبيه العظمى منهم في البلدان مثل الشام والعراق وغيرهما مع موجة الفتح الإسلامي لتلك الأماكن . ونجد جزءاً منهم في الطائف والوديان المحيطة به وفي جُدّة ونواحيها . <٢> ومنهم من غادر الحجاز إثر ثورات العلويين . <٣>

* أما المدينة المنورة فمن عناصر السكان بها آل بيت الرسول ﷺ من ذريه الحسين بن علي . ومن سكانها الأصليين الأوس والخزرج . كما شكّل المجاورون نسبة كبيرة من السكان في المدينتين

---

١ ـ القلقشندي : صبح الأعشى ، جـ ٤ ، ص ٢٧٢ ، ٢٧٥ ، ٢٧٧ .

٢ ـ ابن جبير : الرحلة ، ص ١٦٢ .

٣ ـ ابن خلدون : العبر ، ج٤ ، ص ٩٩ .

المقدستين بصفة عامة حيث قدموا من بقاع شتّى بهدف الاستقرار في مكة . ‹١›

ومن العناصر السكانية الموجودة في بلاد الحجاز :

*** الأعراب :**

وهم فئة من الناس احترف بعضهم السرقة والاعتداء على الحجاج وسلب أموالهم مما تسبب في بروز خطرهم حتى على أفراد المجتمع في بلاد الحجاز أنفسهم ونلاحظ أماكن تواجدهم في الطرق المؤدّية إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة مثل المناطق المحيطة بذي الحُليفه ‹٢› وسيطرتهم عليها ‹٣› وانتشارهم في الطريق من الوجه ‹٤› إلى المدينة المنورة . ‹٥›

وفي مكة المكرمة انتشرت أعراب بنو شُعبة ‹٦› في المشاعر المقدسة ، وهدفها الاعتداء على الحجاج بالسلب والنهب والقتل ، ووصل خطرهم لدرجة أنّ ابن رشيد ترك المبيت بمنى وقت أدائه لفريضة الحج خوفاً على حياته منهم ‹٧› كما أشار البلوي ‹٨› إلى انعدام الأمن أيضاً من الأعراب عند وصوله إلى ماء هدية . ‹٩›

---

١ ـ التجيبي : مستفاد الرحلة ، ص ٣٠٨ .

٢ ـ (ذو الحليفه) قرية على بعد ٦ أو ٧ أميال من المدينة وهي ميقات أهلها . انظر ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج٢ ، ص ٢٩٥ .

٣ ـ العبدري : الرحلة المغربية ، ص ٢٠١ .

٤ ـ (الوجه) بلدة تقع شمال ينبع . أنظر البلادي : معجم معالم الحجاز ، ج٩ ، ص ١٢٩ ـ ١٣٠ .

٥ ـ العبدري : الرحلة المغربية ، ص ١٦١ .

٦ ـ أنظر فيما سبق ص ١٤٢ ، هامش ١ .

٧ ـ ابن رشيد : ملء العيبة ، ج٥ ، ص ٨٧ ؛ التجيبي : مستفاد الرحلة ، ص ٤٦٨ .

٨ ـ البلوي : تاج المفرق ، ج١ ، ص ٢٧٩ .

٩ ـ (هدية) محطة للجمال في وادي الطبق . أنظر البلادي : معجم معالم الحجاز ، ج٩ ، ص ١٦٩ .

* العبيـد :

ومن العناصر التي وجدت أيضاً أهل البلاد السودان ويجلبون من أماكن متفرّقة مثل الحبشة والنوبة والديلم <١> واستخدموا كعبيد لذوي السلطة <٢> وخدم في المنازل بالإضافة إلى وجود الجواري للغاية ذاتها . <٣>

ومنذ القدم كان أهل مكة المكرمة يجلبون العبيد والجواري ويجعلون على الواحد منهم مبلغاً مطلوب يدفعه كل يوم لسيّده مما أدّى في وقت من الأوقات إلى دفعهم للحصول على المال عن طريق السرقة وأحياناً بالحيلة فاستفحل ضررهم على المجتمع المكّي ولهذا قدم سيف الإسلام طغتكين على رأس جيش كبير سنة ٥٨١هـ / ١١٨٥م لتأديبهم والقضاء على ضررهم . <٤>

٢ ـ طبقات المجتمع :

* الطبقة الحاكمه :

تولّى حكم الحجاز الأشراف من ذرية الحسن بن علي رضي الله عنهما في مكة المكرمة . ومن ذرية الحسين بن علي رضي الله عنهما في المدينة المنورة واتّسم حكمهم بطابع الإماره فقط . <٥>

وفي رحلة ابن جبير نجد إشاره إلى حاكم مكة المكرمة الأمير مكثر بن عيسى <٦> وكان مقيماً في داخل مكة المكرمة واعتمد

---

١ ـ ابن خلدون : العبر ، ج٤ ، ص ٩٩ .

٢ ـ التجيبي : مستفاد الرحلة ، ص ٣٠٤ ، ٣٠٧ .

٣ ـ جميل حرب : الحجاز واليمن في العصر الأيوبي ، ص ٢٣١ .

٤ ـ ابن جبير : الرحلة ، ص ١٠٠ ؛ ابن المجاور : تاريخ المستبصر ، ص ٧ ؛ ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٢ ، ص ٥٥٣ ـ ٥٥٤ .

٥ ـ القلقشندي : صبح الأعشى ، ج٤ ، ص ٢٨١ .

٦ ـ ابن جبير : الرحلة ، ص ٧٣ ، ٧٥ ويلاحظ قلّة المعلومات عن هذا الأمير . أنظر عز الدين ابن فهد : غاية المرام ، ج١ ، ص ٥٣٨ .

على الوزراء والقوّاد والحاشية في تسيير أمور البلاد إلاّ أننا لم نعثر على أسماء أحد منهم ٠ <١>

وتشمل هذه الطبقة أيضاً الأمراء الذين اعتمد عليهم الشريف في إدارة القرى والمناطق التابعة لمكة المكرمة في حين انفردت مدينة ينبع بأمير مستبّد بها ٠ وقام بحكم خليص أحد الأشراف المعروف بالعدل وحسن السيرة والإحسان إلى الحجاج ٠ وفي مّر الظهران أيضاً أحد الأشراف من بني الحسن والمعين عليها من قبل شريف مكة المكرمة ٠ <٢>

وفي رحلة ابن رشيد نجد إشارة إلى شريف مكة المكرمة أبي نمي محمد بن أبي سعد الحسني وما تمتع به من هيبة وسلطان وقوّة شخصيته ٠ <٣> والذي استمر في إمارته حتى زمن رحلة العبدري والذي أغفل الإشارة إليه واستمر حكمه في عهد رحلة التجيبي الذي أشار إلى تعيينه عاملاً من قبله على مدينة جدة٠ <٤>

وقد أشار التجيبي في رحلته واصفاً الشريف أبا نمي من الناحية الخلقية قائلاً إنه شيخ خفيف العارضين ، شديد السمرة ، ضخم الجسم ، معتدل القامة حسن الصورة ، تميّز بالسكينة والهيبة وقوة النفس والاقدام والشجاعة والتواضع وقال في هذا : إنه رأى الشريف ذات ليله أثناء طوافه بالبيت الحرام وهو يهّم بتقبيل الحجر الأسود وكان المجاورون قد سبقوه إلى ذلك وحاول اتباعه إبعادهم عن الحجر الأسود وإفساح المجال للشريف فنهاهم عن

---

١ ـ ابن جبير : الرحلة ، ص ٨٤ ، ١٠٠ ٠

٢ ـ العبدري : الرحلة ، ص ١٦٣ ، ١٧٧ ٠

٣ ـ ابن رشيد : ملء العيبة ، ج٥ ، ص ٩٦ ، ١٠٠ ٠

٤ ـ التجيبي : مستفاد الرحلة ، ص ٢١٩ ٠

ذلك وانتظر حتى انفضّوا وقام بتقبيل الحجر وعقب فراغه اتجه إلى المقام وصلّى فيه ركعتي الطّواف على الأرض بعد إزاحته لرداءٍ فرشه له أحد اتباعه ، واتجه بعدها إلى السعي لإتمام عمرته ٠

وللشريف أبي نمي أعوان لمساعدته في الحكم منهم وزير قدير لم ترد إشارة إلى اسمه وكانت إقامة الشريف في حصن له خارج مكة المكرمة يسمّى الجديد ٠

ترك الشريف أبونمي عدداً من الأولاد تولى بعضهم إمارة مكة المكرمة وأسهموا في أحداثها مثل رميثة وحميضةَ وغيرهم وهذا له دلالة على حصر السلطة في أعضاء الأسرة الحاكمة من الأشراف ٠ ‹١›

ويلاحظ في رحلة ابن بطوطة أيضاً من حكام مكة المكرمة الأشراف من نسل الشريف أبي نمي عطيفه ورميثةَ ومقرهما مكة المكرمة ٠ ‹٢› ودارهما قرب المسجد الحرام وإقام رميثة أحياناً في حصن الجديد ٠ ‹٣›

وقد تميّز رميثة بحسن السيرة في أهل مكة المكرمة بينما كان الناس يخشون أخاه حميضه لقسوته ٠ ‹٤› وتولى الحكم من أولاد رميثة عجلان ‹٥› وثقبة ٠ ‹٦›

---

١ ـ التجيبي : مستفاد الرحلة ، ص ٣٠٤ ـ ٣٠٨ ، ٤٦٣ ٠

٢ ـ ابن بطوطة : الرحلة ، ص ١٨٤ ٠

٣ ـ الفاسي : العقد الثمين ، ج٤ ، ص ٤١٥ ٠

٤ ـ التجيبي : مستفاد الرحلة ، ص ٣٠٦ ـ ٣٠٧ ٠

٥ ـ عجلان بن رميثة ولي مكة لعدّة مرات وتوفي سنة ٧٧٧هـ / ١٣٧٥م ٠ أنظر ابن تغري بردي : الدليل الشافي ، ج١ ، ص ٤٤٢ ٠

٦ ـ ثقبه بن رميثه من أسرة قتادة ولي إمارة مكة شريكاً لأخيه ثم استقل بها إلى أن مات سنة ٧٦٢هـ / ١٣٦٠م ٠ أنظر ابن تغري بردي : الدليل الشافي ، ج١ ، ص ٢٣١ ٠ وفيما يتعلق بتولي وعزل كل منهما ٠ أنظر ابن بطوطة : الرحلة ، ص ١٤٨؛ الفاسي : العقد الثمين، ج٤، ص ٥٩ ـ ٦٠ ٠

أمـا المدينة المنورة فـمن حكّامـهـا نلاحظ إشـارة ابن بطوطة إلى كُبيش بن منصور بن جماز سنة ٧٢٦هـ / ١٢٢٨م <١> وطُفيل بن منصور بن جماز <٢> من ذرية الحسين بن علي ٠

واعتمد الأشراف على حرس يسمون بالحرابة ووصفوا باللصوص لسلبهم أمتعه الحجاج بحيل وطرق عجيبة ٠ <٣>

* **طبقة القواد :**

وهي طبقة لها أهميتها الكبرى تتبع الشريف ويتّم اختيار أفرادها من أكابر الأشراف <٤> واحتفظت كتب الرحّالة باسم أحد هؤلاء القوّاد وهو محمد بن الحسن مولى الشريف أبي نمي <٥> وأحياناً قد يكون القائد لايمّت إلى الأسرة الحاكمة بصلة كما أشار ابن بطوطة إلى هذا الأمر من خلال ما أورده من أسمائهم ٠ <٦>

* **طبقة العلماء :**

حظي العلمـاء بأهمية كبيرة لدى الناس حيث حرص الكثير على القدوم إليهم وتلقّي العلم عنهم ، وحظيت بلاد الحجاز بزيارة العديد منهم وجلسوا لإلقاء الدروس على الناس مع حرص بعضهم الشديد على إزالة البـدع والمنكرات والأمـر بالمعـروف والنهي عن المنكر وتحمل الأذى في سبيل ذلك ولهم مواقف في الحق مع الحكام نسوق منها على سبيل المثال ما حدث بين العالم أبي عبدالله محمد بن أبي بكر بن خليل العسقلاني حيث سجنه

---

١ ـ ابن بطوطة : الرحلة ، ص ١٢٤ ٠

٢ ـ القلقشندي : صبح الأعشى ، ج٤ ، ص ٣٠٤ ـ ٣٠٥ ٠

٣ ـ ابن جبير : الرحلة ، ص ١٠٠ ؛ ابن بطوطة : الرحلة ، ص ١٦٢ ـ ١٦٣ ٠

٤ ـ ابن جبير : الرحلة ، ص ٧٤ ؛ ابن بطوطة : الرحلة ، ص ١٦٢ ٠

٥ ـ التجيبي : مستفاد الرحلة ، ص ٢٢٩ ؛ سليمان مالكي : بلاد الحجاز ، ص ١١٠ ٠

٦ ـ ابن بطوطة : الرحلة ، ص ١٦٢ ٠ أنظر ما سبق ص ١٩٩ ٠

الشريف أبونمي لقيامه بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ولم يلبث أن أطلقه بعد مدّة من الزمن ٠ <١>

*** طبقة القضاة :**

يلحق بفئة العلماء طبقة القضاة والأئمة حيث يختارون من رجال العلم وأهل الدين ويقومون بتنفيذ الأحكام الدينية على سائر الناس ٠ وفي بلاد الحجاز نلاحظ وجود قضاة لجميع المذاهب فكّل طائفة تتبع إمامها وقاضيها ولكل إمام مكان محّددٌ في المسجد يصلّي فيه مع أتباعه وإلى جانب قضاة السنة هناك قضاة وأئمة للمذهب الشيعي ، وقد أشار ابن بطوطة إلى وجود قاضٍ شيعّي في المدينة المنورة ٠ <٢>

*** أصحاب المهن :**

التجار : لعب التجار دوراً كبيراً في بلاد الحجاز إذ أنه من الملاحظ اعتماد بلاد الحجاز بالدرجة الأولى على التجارة وكانت حوانيت التجار مصفوفة على جانبي الصفا والمروة ٠ وهناك الفلاحون المشتغلون في بساتين مكة المكرمة المتناثرة في الزاهر والمسفله ٠ بالإضافة إلى مهن أخرى متنوّعة منها كالسقايين والخبازين <٣> وصناع الحلوى <٤> والرعاة <٥> ٠ والأغوات وهمخدم المسجد الحرام في مكة المكرمة والمسجد النبوي في المدينة المنورة <٦> وهم من أصل حبشي وصقلبي تميزوا بالظرف

---

١ ـ ابن رشيد : ملء العيبة ، ج٥ ، ص ٩٦ ٠

٢ ـ ابن جبير : الرحلة ، ص ٧٨ ؛ ابن بطوطة : الرحلة ، ص ١٢٧ ٠

٣ ـ ابن جبير : الرحلة ، ص ٩٩ ؛ ابن بطوطة : الرحلة ، ص ١٤٨ ٠

٤ ـ ابن جبير : الرحلة ، ص ٩٨ ٠

٥ ـ جميل حرب : الحجاز واليمن ، ص ٢٣٠ ٠

٦ ـ (الأغوات) جمع أغا ٠ أنظر عبدالرحمن عبدالكريم الأنصاري : تحفه المحبين ، ص ٥٣ ؛ وعن مراتب وأعمالهم ٠ أنظر توفيق نصر الله : الأغوات نسل منقطع النظير ، مجلة اليمامة ، العدد ١٩٢ ، ١٤١٠هـ ، ص ٤٢ ـ ٤٦ ٠

وحسن المظهر <١> وسبب استمرارهم هو صلاح الدين الأيوبي فقد ثبتهم في أعمالهم وكتب لهم بذلك كتاباً وقفهم فيه على الحرم النبوي وهو موجود لديهم إلى وقت السخاوي • ويعملون على العناية بالمسجد خلال ساعات النهار ويقومون بإغلاق أبوابه ليلاً مع القيام بنظافته وإشعال وإطفاء قناديله وغير ذلك • <٢>

ويبدو ان استخدام الخدم للعناية بالمسجدين أمرٌ قديم إذ نجد أن معاوية بن أبي سفيان جعل عبيداً للمسجدين في مكة والمدينة ومن ثم أصبح ذلك تقليداً معروفاً • <٣>

ومن المهن أيضاً صناعة الثياب إذ يطلق على أحد أبواب المسجد الحرام بباب الخياطين <٤> • وهناك المعلّمون والنساخ <٥> إلى جانب مهنة الطوافة وقيام سدنة البيت بالطواف بالحجاج مقابل أجر يأخذونه <٦> • إضافة إلى مهن أخرى كالحمالة <٧>

---

١ ـ ابن جبير : الرحلة ، ص ١٧١ ـ ١٧٢ •

٢ ـ السخاوي : التحفة اللطيفة ، ج١ ، ص ٦١ ـ ٦٣ •

٣ ـ الأزرقي : أخبار مكة ، ج١ ، ص ٢٥٤ •

٤ ـ ابن جبير : الرحلة ، ص ٦٨ ؛ التجيبي : مستفاد الرحلة ، ص ٢٤٧ •

٥ ـ ابن جبير : الرحلة ، ص ٦٨ •

٦ ـ التجيبي : مستفاد الرحلة ، ص ٢٦٤ وهذه أول إشارة لها ويثبت ان الطوافه عرفت منذ ذلك الوقت وليس كما يذكر البعض انها إنما عرفت بعد القرن الثامن الهجري • أنظر محمد عبدالله مليباري : المنتقى في أخبار أم القرى ، ص ١٨٩ وتجدر الاشارة إلي أن هذا الكتاب منتقى من ثلاث كتب الأول كتاب الفاكهى والثاني الأزرقى والثالث الفاسي وقد انتقى مادته وجمعه المستشرق الألماني الأستاذ/ فردناد وستنفلد ـ F - wustenfeld ـ وليس كما ذكر محقق الكتاب من ان نسبته تعود إلى ناسخه الذي أعتقد أنه الشيخ عبدالستار الدهلوى • أنظر ما جاء حول هذا الموضوع في مقالة للدكتور / فواز الدهاس : وقفه عند كتاب المنتقى في أخبار أم القرى ، جريدة عكاظ ، العدد ٦٩٦٠ ، ٢١ شوال ١٤٠٥هـ / ٩ يوليو ١٩٨٥م ، العدد ٧٠٢٣ ، ٢٥ ذى الحجة ١٤٠٥هـ / ١٠ سبتمبر ١٩٨٥م•

٧ ـ ابن بطوطة : الرحلة ، ص ١٤٨ ، ١٥٠ ، ١٥٩ •

والجزارة <١> والبناء والتنجيد <٢> وصناعة الدهان ٠ <٣>

ومن المهن الموجودة في جدة فئة عملت بتأجير الجمال للراغبين بذلك إلى جانب مهنة الحطاب <٤> والصياد <٥> ٠ وهذه مجمل عن المهن التى وردت عنها اشارات واستطعنا تتبعها ولايعنى هذا اقتصار أهل الحجاز على هذه المهن فقط فربما وجدت غيرها ولكن يبدو ان الرحالة اغفلوا ذكرها ٠

٣ ـ العادات والتقاليد :

* الاسرة في بلاد الحجاز :

اشتهر أهل الحجاز بنكاح الجواري الحبشيات <٦> ٠ ولم يكن الأمر قاصراً على العامة بل نجده منتشراً بين الطبقة الحاكمة من الأشراف مثل الشريف أبي نمي حيث أنّ ابنه رميثة أسود اللون <٧> وكذلك حميضة وكانت والدة الشريف أبي سعد الحسن حبشية <٨> وربما يكون الداعي الى التزوج بهذا الجنس هو لتدعيم سلطة الشريف المتولى للامارة ٠

---

١ ـ ابن جبير : الرحلة ، ص ٩٩ ٠

٢ ـ أى الأشخاص القائمين على صناعة بعض الأثاث المستخدم في المنازل ٠ أنظر التجيبي : مستفاد الرحلة ، ص ٣٥٢ ٠

٣ ـ ابن حجر : الدرر الكامنة ، ج٤ ، ص ٣٣٦ ٠

٤ ـ ابن جبير : الرحلة ، ص ٥٣ ٠

٥ ـ التجيبي : مستفاد الرحلة ، ص ٢١٩ ـ ٢٢٠

٦ ـ ابن جبير : الرحلة ، ص ٥٣ ؛ ابن المجاور : تأريخ المستبصر ، ص ٥ ٠

٧ ـ التجيبي : مستفاد الرحلة ، ص ٣٠٦ ـ ٣٠٧ ٠

٨ ـ عزالدين ابن فهد : غاية المرام ، ج٢ ، ص ٧٦ ، ٦٣٧ ٠

العادات والتقاليد :

حظي هذا الشهر في بلاد الحجاز بالتعظيم والإجلال لما له من أهمية دينية ، ومن العادات المعروفة فيه المسحّراتي وهو القائم على إيقاظ الناس وقت السحور . وفي مكة المكرمة يقوم المؤذن الزمزمي بهذه المهمة حيث يقف في المنارة الواقعة في الركن الشرقي من المسجد الحرام للدعاء والتذكير وإظهار فضل وبركة السحور ، ويقف معه إثنان من أخوته يقومان بترديد بعض أقواله . ويبدو أن السبب في اختيار هذا المكان لإيقاظ الناس قربه من منزل الأمير ، وعلى هذه المناره تنصب خشبه طويله في رأسها عود كالذراع وفي طرفيه بكرتان صغيرتان يوضع عليها قنديلان كبيران من الزجاج يوقدان خلال فترة السحور وسبب ذلك إعلام الناس حال رؤيتها بدخول وقت السحور لمن لايتسنّى لهم سماع صوت المسحراتي لبعد منازلهم عن المسجد المكي . وعند اقتراب الفجر يقوم المؤذن الزمزمي بإنزال القنديلين ويبدأ الأذان وهذه عادة مستمرة طوال ليالي الشهر الكريم .

وعند إقبال شهر شوال يتميز الناس فيه بإرتداء الملابس الجديدة والتي أعدّت خصيصاً لهذه المناسبة ويتبادلون فيما بينهم التهاني .

وحرص المؤذن الزمزمي في الحرم المكي على الدعاء للخليفة العباسي ولأمير مكة ولصلاح الدين إثر صلاة المغرب دلالة على ما لهؤلاء الحكام من محبة في نفوس أهل الحجاز .

ومن العادات أيضاً ضرب الطبول في أوقات الصلاة إشعاراً بابتداء موسم الحج . (١)

---

١ ـ ابن جبير : الرحلة ، ص ٨٠ ، ١٠١ ـ ١٠٢ ، ١٢٣ ، ١٣٥ ، ١٤٨ .

ومن عادة أهل مكة المكرمة في حالة وجود قحط إخراج مصحف مكتوب بخط زيد بن ثابت الصحابي الجليل رضي الله عنه ووضعه في القبة مع المقام بعد فتح باب الكعبة ثم يجتمع الناس وهم حاسري الرؤوس داعين الله ومتضرعين إليه حتى يتداركهم برحمته ٠ <١>

والواقع ان هذه العادة بدعة لأن الوارد في السنة أنه في حالة القحط تقام صلاة الاستقساء ويجتمع الناس لأدائها في أماكن خارج البلد لأجل السعة مع الاستغفار والتوبة والإقلاع عن الذنوب ٠

ومن عادات المكيين أيضاً الاحتفاء بالضيوف وإقامة الولائم كل حسب استطاعته المادية بالإضافة إلى عادة استقبال الحجاج وإخراج أطفالهم لمساعدتهم في أداء المناسك وإرشادهم إلى الطرق الصحيحة لأداء الفريضة ٠ <٢>

كما درج أهل مكة على إعداد مياه زمزم للشرب في الحرم حيث توضع في دوارق بعد تنظيفها وجميرها وتوضع حولها كيزان <٣> بيضاء تسمى الغراريف ٠ <٤>

كما تحدث ابن بطوطة عن العادات الحسنة لأهل مكة واصفاً إيّاها بأنها من " **الأفعال الجميله والمكارم التامة والأخلاق الحسنة والإيثار إلى الضعفاء والمنقطعين وحسن الجوار للغرباء** " ٠ ودلّل على ذلك بأنه متى صنع أحدهم وليمة بدأ فيها بإطعام الفقراء المنقطعين المجاورين وذكر أماكن تواجد المساكين والمنقطعين فقال يكون بالأفران حيث

---

١ ـ المصدر السابق ، ص ٨٠ ـ ٨١ ؛ ابن بطوطة : الرحلة ، ص ١٣٨ ٠

٢ ـ ابن رشيد : املء العيبة ، ج٥ ، ص ١٢٩ ، ٨٠ ٠

٣ ـ (الكوز) نوع من الأواني ذو عروة وفي حالة عدم وجودها يسمى كوباً ٠ أنظر ابن منظور : لسان العرب ، ج٥ ، ص ٤٠٢ ـ ٤٠٣ ٠

٤ ـ ابن جبير : الرحلة ، ص ٦٦ ؛ التجيبي : مستفاد الرحلة ، ص ٢٢٣ ، ٤٦٣ ؛ المغرفه ما يغرف بها وهي على قدر ملء اليد ٠ أنظر ابن منظور : لسان العرب ، ج٩ ، ص ٢٦٣ ٠

" يطبخ هناك أهل مكة أخبازهم فإذا طبخ أحدهم خبزه واحتمله إلى منزله يتبعه المساكين فيعطي لكل واحد منهم ما قسم له ولا يردهم خائبين ولو كانت له خبزة واحدة فإنه يعطي ثلثها أو نصفها طيّب النفس بذلك من غير ضجر " .

ومن حميد عاداتهم أيضاً اعتناؤهم بالأيتام ومساعدتهم على تعلّم طرق الكسب الحلال حيث اعتاد الأيتام الصغار الجلوس في السوق ومع كل واحد منهم قُفّتان إحداهما كبيرة والأخرى صغيرة ويسمون القُفة مَكتلاً فيأتي الرجل من أهل مكة إلى السوق فيشتري الحبوب واللحم والخضر ويُعطي ذلك للصبي فيجعل الحبوب في إحدى قفّتيه واللحم والخضر في الأخرى ويحمل الصبي ذلك إلى دار الرجل ليهَيّأ له طعامه منها مقابل أجر معلوم في حين يتجه الرجل لقضاء أعماله . (١)

وقد أشار ابن بطوطة إلى كثرة استعمال أهل مكة للطيب والكحل والسواك ووصف نساء مكة بأنهن فائقات الحسن بارعات الجمال تميزن بالصلاح والعفاف ومشاركتهّن الرجال في حبّهن للطيب لدرجة استبداله بالقوت والطعام كما حرصت النساء على الطواف في ليلة الجمعة فيذهبن إلى المسجد الحرام في أحسن لباس فيغلب عند ذلك على الحرم رائحة طيبهّن حتى بعد ذهابهّن يبقى أثر الطيب عبقاً . (٢)

---

١ ـ ابن بطوطه : الرحلة ، ص ١٣٧ ، كانت هذه العادة موجودة إلى وقت قريب جداً وقبل التوسع العمراني الذي رافق الطفرة الإقتصادية.

٢ ـ ابن بطوطة : الرحلة ، ص ١٥١ ؛ ابن المجاور : تاريخ المستبصر ، ص ٩ ؛ وفي هذا تجاوز للشريعة الإسلامية والتي أمرت بعدم الطيب للمرأة حال خروجها من المنزل فقد روي عن زينب امرأة عبدالله قالت (قال لنا رسول الله ﷺ إذا شهدت إحداكن المسجد فلا تمس طيباً) . أنظر مسلم : صحيح مسلم ، ج٤ ، ص ١٦٣ .

وقبل أن نختم حديثنا عن العادات والتقاليد في المجتمع المكي يجدر بنا أن نشير إلى بعض الخرافات والبدع التي كانت موجودة فيها مثل اعتقادهم في زيادة ماء زمزم في ليلة النصف من شهر شعبان ‹١› . وقيل أيضاً في كل ليلة جمعة ‹٢› ، كما أشير إلى عدم هبوط الحمام فوق الكعبة وانتشاره حولها وفي حالة نزوله عليها فإنه يموت لحينه أويشفى من علته إذا كان عليلاً ‹٣› . وقد أشار التجيبي إن ذلك نوع من البدع خصوصاً عند ملاحظته لاقتراب الحمامة منه لمرة واحدة الأمر الذي أثار فضوله فتوجه بالسؤال لشيخه أبي إسحاق الطبري فأخبره إن العادة درجت عندهم أنه لاينزل عليه طائراً إلا مستشفياً من مرض ثم أردف قائلاً : والله أعلم . ‹٤›

وقد سجل هذا النوع من البدع الرحالة المغاربة والأندلسيون على الرغم من حرصهم على الدقة في كثير من الأمور ولم يقم أحد منهم بمناقشة هذا الأمر ولكن ناقش هذه القضية محمد طاهر الكردي بإفاضة عند ذكره لحمام الحرم ووقوفه أحياناً على الكعبة المشرفة وقد أثبت صوراً تؤيّد هذا ذاكراً أن غيره من الحمام لايقع على الكعبة لأسباب منها :

١ ـ الكعبة بالنسبة لما سواها من الأبنيه منخفضة والطيور محبة للأماكن المرتفعة .

٢ ـ الكعبة المشرفة ليس لها بروزات سوى ميزابها وهي ملساء مفروشة بالحرير في حين أن الحمام يحبّ الأشياء البارزة

---

١ ـ ابن جبير : الرحلة ، ص ١١٩ ؛ ابن بطوطة : الرحلة ، ص ١٣٧ .

٢ ـ العبدري : الرحلة المغربية ، ص ١٧٥ ـ ١٧٦ .

٣ ـ الفاسي : شفاء الغرام ، ص ٣٠٠ ؛ ابن ظهيرة : الجامع اللطيف ، ص ٣٩ .

٤ ـ التجيبي : مستفاد الرحلة ، ص ٢٨٩ .

الخشنة ليستطيع التمسك بها علاوة على أن سطحها مفروش بالرخام فهو معّرض لحرارة الشمس الحارقة فلايمكن الوقوف عليه لذلك .

٣ ـ ليس في الكعبة فجوات تجذب الحمام إليها لبناء أعشاشها . ‹١›

ولعل ما أورده الكردي حول هذه المسألة صحيح لذا فالكعبة لاتجذب الطيور للوقوف عليها فساد هذا الاعتقاد عند أهل مكة وغيرهم .

ومن الشائعات أيضاً قولهم إنه على جانبي طريق الزاهر جبال أربعة جبلان عن اليمين وجبلان عن اليسار عليها أعلام من الحجارة وقيل إنها جبال مباركة لأن إبراهيم عليه السلام جعل عليها أجزاء الطير ثم دعاهن حسبما ورد في القرآن الكريم وأردف ابن جبير أنها سبعة وليست أربعة وعزا ذلك إلى علم الله تعالى ‹٢› وأغلب الظن أن هذا القول غير صحيح إذ لم يرد بشأنها أي ذكر في أخبار مكة للأزرقي بالإضافة إلى أن كتب التفاسير التي فسرت الآية : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ ‹٣› . ولم تشر إلى أن هذه الجبال بمكة المكرمة بل نجد أن ابن كثير في تفسيره لم يكن واثقاً من عدد الجبال أهي أربعة أم سبعة ‹٤› مثل ابن جبير . وأغلب الظن أن الحادثة وقعت قبل قدوم إبراهيم عليه السلام إلى مكة

---

١ ـ انظر بإفاضة محمد طاهر الكردي المكي : التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم ، ج٢ ، ص ٢٢٠ ـ ٢٢٤ .

٢ ـ ابن جبير : الرحلة ، ص ٨٩ ؛ التجيبي : مستفاد الرحلة ، ص ٣٦١ ؛ ابن بطوطة : الرحلة ، ص ١٤٤ ـ ١٤٥ ؛ البلوي : تاج المفرق ، ج١ ، ص ٤٧ ـ ٤٨ .

٣ ـ القرآن الكريم : سورة البقرة ، ١/٢٦٠ .

٤ ـ ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، ج١ ، ص ٣١٥ .

المكرمة ولم يشر القرطبي في تفسيره إلى مكان وجود هذه الجبال فقال " **وقال ابن عباس أمر الله تعالى إبراهيم بهذا قبل أن يولد له وقبل أن ينُزل عليه الصحف** " ٠ ‹١›

ومما ورد أيضاً عن البدع والشائعات ما قاله ابن جبير حول الحجارة الموضوعة عند باب بني شيبة من أنها أصنام لقريش كانت تعبدها في جاهليتها قد كُبت على وجهها تطؤها الأقدام وتسير الناس عليها بالنعال ، وقد نفى ذلك وأوضح أن الأصنام قد أمر النبي ﷺ يوم فتح مكة بإحراقها وإن هذه الحجارة الموجودة على الباب منقولة وشبهها الناس بالأصنام لعظمها ٠ ‹٢› وأشار التجيبي لهذا الأمر ولم يناقشه ٠ ‹٣›

ومن الشائعات ما أثير حول جبل ثور وقولهم من لم يستطع دخول الغار من الفتحه التي دخل الرسول ﷺ منها فهو ابن زنا وأمّا موقف العامة فهناك عدد كبير رافض لذلك ٠ ‹٤›

ومنها أيضاً ما أورده ابن رشيد والتجيبي مما قام به آل الشيبي داخل الكعبة المشرفة من استحداثهم كوة في الجدار الغربي مقابل الباب يبلغ ارتفاعها نحو ستة أذرع وأطلقوا عليها العروة الوثقى وأوهموا العامة أن من يلمسها يعتبر مستمسكاً بها مع حرصهم على وضع كرسي من خشب الساج يقف عليه الراغب في لمس الكوّة بعد دفع شيء من المال للشيبيين ٠ وأدى الأمر إلى تزاحم

---

١ ـ القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، ج٣ ، ص ٣٠٢ ؛ عبدالوهاب النجار : قصص الأنبياء ، ص ٩٧ ٠

٢ ـ ابن جبير : الرحلة ، ص ٩٠ ٠

٣ ـ التجيبي : مستفاد الرحلة ، ص ٢٤٤ ٠

٤ ـ ابن جبير : الرحلة ، ص ٩٤ ؛ العبدري : الرحلة المغربية ، ص ١٨٦ ؛ التجيبي : مستفاد الرحلة ، ص ٣٥٣ ـ ٣٥٦ ؛ ابن بطوطة : الرحلة ، ص ١٤٥ ٠

الناس في البيت في سبيل ذلك وما كان من التجيبي إلاّ أن قام بتحذير من تسنّى له تحذيره من هذه البدعة وموضحاً أن العروة الوثقي التي فرض الإسلام على الناس الالتزام بها هي لا إله إلا الله ٠

أما البدعة الثانية فهي وجود مسمار من الفضة في وسط البيت على لوحة من رخام يسمى سُرة الدنيا يضع الشخص بطنه فوقه بعد الكشف عن سرته عقب دفع مبلغ من المال نظير ذلك ٠ ‹١›

والدليل على أن هذه الأمور من البدع ‹٢› عدم وجودها زمن زيارة ابن جبير ومع أنها كانت موجودة زمن وجود العبدري بمكة إلا أنه لم يشر إليها وإنما ذكر أن القائمين على الكعبة لايسمحون بدخولها إلا بعد دفع شيء من المال عند بابها ٠ ‹٣›

ومن غير المعروف بالتحديد وقت ابتداء هذه البدعة وكما أشرنا فإن الداعي لظهورها الحاجة الشديدة إلى المال ٠ ‹٤›

والملاحظ في مثل هذه البدع إقبال الكثير على تصديقها واعتبارها حقيقة مسلماً بها وقد يبدو أن ضعاف النفوس والراغبين في الثراء على حساب الجهال من عامة الناس فروّجوا تلك الشائعات رغبة في جلب الناس إلى العروة الوثقى والمسمار وغيره والتصديق بهما لاحُباً في نفع المسلمين بل لما سيعود عليهم من المال الوفير والمأخوذ بطبيعة الحال من البسطاء والحجاج دون وجه حق إلى جانب عدم احترام قدسية المكان الشريف المستغل في عملية النصب والاحتيال ٠

---

١ ـ ابن رشيد : ملء العيبه ، ج٥ ، ص ٢٦٤ ؛ التجيبي : مستفاد الرحلة ، ص ٢٦٤ ـ ٢٦٥ ٠
٢ ـ الفاسي : شفاء الغرام ، ج١ ، ص ١٧٥ ـ ١٧٦ ٠
٣ ـ العبدري : الرحلة المغربية ، ص ١٧٦ ٠
٤ ـ التجيبي : مستفاد الرحلة ، ص ٢٦٤ ـ ٢٦٥ ٠

وقد انتهى أمر هذه البدع إلى الزوال على يد الصاحب زين الدين أحمد بن محمد بن علي بن محمد المعروف بابن حناء (١) سنة ٧٠١هـ / ١٣٠١م عند مشاهدته لما يحدث في البيت من أمور منكرة فأمر بإزالتها وانتهت هذه البدعة على يديه ٠ (٢)

ولعل سبب ظهور مثل هذه البدع المفسدة للعقيدة راجع أيضاً إلى ضعف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بمكة المكرمة واقتصار العلماء على التعليم والحديث دون التعرض لذلك إلا من قلة (٣) ٠ إضافة إلى ضعف الوازع الديني في نفوس سدنة بيت الله الحرام وسعيهم وراء المال بطرق غير مشروعة ٠

كما ظهر من البدع زمن وجود ابن رشيد والتي لم يشر لها غيره من الرحالة وهو طواف النساء ليلاً وهن حاملات الشموع بأيديهن وسافرات عن وجوههن فعبر عن استنكاره للأمر بأنه من البدع غير المقبولة ٠ (٤)

ومما شاع أيضاً لدى أهل مكة المكرمة قولهم إن مولد الحسن والحسين رضي الله عنهما بمكة المكرمة وقد ذكره ابن جبير على أنه حقيقي (٥) ونفاه التجيبي ٠ (٦)

---

١ ـ أحمد بن محمد بن علي بن محمد بن سليم زين الدين ابن الصاحب محي الدين ابن الصاحب بهاء الدين ابن حناء سمع من سبط السلفي وحدث عنه وتفقه ودرس وكان فقيهاً ديناً رئيساً وافر الحرمة مات في صفر سنة ٧٠٤هـ / ١٣٠٤م ودفن في قبر حضره لنفسه بجنب الشيخ أبي محمود بن أبي جمره ٠ أنظر ابن حجر : الدرر الكامنة ، ج١ ، ص ٢٨٣ ٠

٢ ـ الفاسي : شفاء الغرام ، ج١ ، ص ١٧٥ ـ ١٧٦ ٠

٣ ـ ابن رشيد : ملء العيبة ، ج٥ ، ص ١٣١ ؛ الفاسي : العقد الثمين ، ج٢ ، ص ٦٠ ٠

٤ ـ ابن رشيد : ملء العيبة ، ج٥ ، ص ٢٦٥ ٠

٥ ـ ابن جبير : الرحلة ، ص ١٤١ ـ ١٤٢ ٠ أنظر ما سبق ، ص ٩٦ وفيما بعد ، ص ٤١٢ ٠

٦ ـ التجيبي : مستفاد الرحلة ، ص ٣٣٣ ٠

ومن الشائعات زمن زيارة التجَيبي لمكة وجود شجرة فوق جبل ابي قبيس يقصدها الناس على أنها الشجرة التي تمت بيعة الرسول ﷺ تحتها فنفى التجيبي هذا الزعم قائلاً " **إنها خفيت على أصحاب النبي ﷺ مع معاينتهم لها وقرب العهد بها فكيف يعلمها هؤلاء** " ‹١› . فضلاً عن أن هذه الشجرة بالحديبية وليست بمكة وقد أمر بقطعها عمر بن الخطاب رضى الله عنه خوفاً من افتتان الناس بها . ‹٢›

ومن جملة ما شاع لديهم أيضاً وجود أكوام كبيرة من الحجارة على قبرين عرفا بأنهما قبرا أبي لهب وامرأته وقيل بل قبر أبي رغال ‹٣› وهذا رأى غير صحيح ‹٤› من التجيبي فقبر أبى رغال بالمغمس والمغمس خارج منطقة الحرم وأبورغال هذا كان دليلاً لأصحاب الفيل ولم يصلوا الحرم . ‹٥›

المدينة المنورة :

من عادات أهل المدينة الحسنة ما ذكره ابن رُشيد من قيامهم باستقبال ركب الحجيج مبشرين بالوصول إلى حضرة المصطفى ﷺ مع تقديم التمر لهم وقد وضعوا عصياً في أطرافها أوعيه صغيرة

---

١ ـ المصدر السابق والصفحة .

٢ ـ الأزرقي : أخبار مكة ، ج١ ، ص ١٤٢ ؛ التجيبي : مستفاد الرحلة ، ص ٣٥١ .

٣ ـ أبورغال هو دليل الحبشة عند غزوهم للكعبة أهلكه الله فيمن هلك منهم ودفن بين مكة والطائف فمر النبي ﷺ بقبره فأمر برجمه فصار ذلك سنه . أنظر ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج٣ ، ص٥٣ .

٤ ـ ابن جبير : الرحلة ، ص٨٨ ؛ العبدري : الرحلة المغربية ، ص ١٦٨ ـ ١٦٩ ؛ التجيبي : مستفاد الرحلة ، ص ٢٢٤ .

٥ ـ المغمس بالضم موضع قرب مكة في طريق الطائف مات فيه أبورغال . أنظر الأزرقي : أخبار مكة ، ج١ ، ص ١٤٢ ؛ ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج٥ ، ص ١٦١ .

يضعون فيها شيئاً من التمر يناولونه للجالسين داخل القباب المغطاة بالأقمشة . <١>

ونلاحظ خلال كتابات الرحالة قلة معلوماتهم عن الحياة الاجتماعية في المدينة المنورة ولعل ذلك راجع إلى قصر مدة إقامتهم بها .

أما البدع المنتشرة في المدينة فمما ذكره ابن جبير عن إطالة جلوس الخطيب يوم الجمعة بعد الخطبة الأولى لجمع المال من المصلين ثم يعود عقب ذلك لمواصلة خطبته . <٢>

وقد استعظم ابن جبير الأمر ولعلها إحدى وسائل كسب المال بطرق غير مشروعة .

كما أورد خبراً عن بقية الجذع الذي حنّ للنبي ﷺ قائلاً إن هناك قطعة منه في وسط العمود ظاهرة يقبلها الناس ويبادرون للتبرك بلمسها ومسح الخدود فيها <٣> . ولم يشر ابن جبير إن ذلك من صنع العامة بل على أساس أنه ما بقي من الجذع حقاً . كما أورده البلوي أيضاً معتقداً صحته وزاد العبدري على أن هذا الجذع قد فقد بعد وفاة الرسول ﷺ ولم يجده أبوبكر رضي الله عنه في حين وجده عمر ابن الخطاب أثناء خلافته عند رجل بقباء قام بدفنه حتى أكلته الأرضه فأخذ له عمر ابن الخطاب عموداً فشقه وادخله فيه ثم شعبه ورده بموضعه فلما زاد عمر بن عبدالعزيز في القبلة جعله في المحراب . <٤>

---

١ ـ ابن رشيد : ملء العيبة ، ج٥ ، ص ١٦ .

٢ ـ ابن جبير : الرحلة ، ص ١٧٩ ـ ١٨٠ .

٣ ـ المصدر السابق ، ص ١٧٠ . وهذا مما لم يأمر به الشرع وهو مغالاة منهم .

٤ ـ العبدري : الرحلة المغربية ، ص ٢١٩ ؛ البلوي : تاج المفرق ، ج١ ، ص ٢٨٦ ـ ٢٨٧ . ونلحظ من قول العبدري جهل الحجاج به وحرصهم على ذلك قائمٌ على التقليد .

ومن العجيب إشارة العبدري أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قام بأخذه من رجل أخفى أمره فأعاده إلى مكانه ووجه العجب هنا ما عرف عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه بتخلصه مما يمكن أن يؤدي إلى فتنة الناس إذ أنه هو الذي أمر بقطع الشجرة التي تمت بيعة النبي ﷺ تحتها خوفاً من الفتنة فكيف يسعى لشيء يؤدي إليها ٠

إضافة إلى أن ابن النجار ذكر أن الجذع غار وذهب بعد ما خيره الرسولﷺ بين أن يغرس بالجنه وبين أن يرد إلى مكانه فينمو مرة أخرى فاختار أن يكون في الجنة وكان الجذع في موضعه وعلى حاله زمن الرسول ﷺ وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما ولما هدم عثمان بن عفان رضى الله عنه المسجد اختلف في الجذع فقيل أخذه أبي بن كعب وقيل دفن في موضعه ‹١› ٠ وقد جاءت إشارة إلى وجود الجذع زمن السمهودي حيث ناقش هذا الموضوع مناقشه مستفيضه مؤيداً ما ذهب إليه ابن النجار وأنكر وجوده لاسيما وإن المسجد النبوي قد تعرض لحريقين الأول سنة ٦٥٤هـ / ١٢٥٦م والثاني سنة ٨٨٦هـ / ١٤٨١م فيستحيل بالتالي سلامته ٠ ‹٢›

والحاصل أن الأوهام التي علقت بأذهان الناس ومنهم الرحالة ابن جبير والعبدري وابن بطوطة حول الجذع الذي حنّ إلى الرسول ﷺ غير أن الواقع وما تشير إليه الروايات التاريخية تؤكد أنه ليس الجذع ذاته لزواله منذ وقت مبكر ولا علاقه بينهما ‹٣› ٠ ولعل وجود هذه القطعة إنما لتكون علماً على موضعه الذي ربما يكون قريباً من هذا المكان ٠

---

١ ـ ابن النجار : أخبار مدينة الرسول ، ص ٧٨ ٠

٢ ـ السمهودي : وفاء الوفا ، ج١ ، ص ٣٨٠ ـ ٣٨٢ ، ج ٢ ، ص ٥٨٩ ـ ٦٣٣ ٠

٣ ـ ابن جبير : الرحلة ، ص ١٧٠ ؛ العبدري : الرحلة المغربية ، ص ٢١٩ ؛ ابن بطوطة : الرحلة ، ص ١١٣ ٠

ومما أورده ابن جبير عن البدع في المدينة المنورة ما قيل إن بالمسجد النبوي حجراً مربعاً أصفر طوله شبر في شبر شديد اللمعان قيل إنه مرآة كسرى وفي أعلاه داخل المحراب مسمار مثبت في جداره فيه علبه صغيرة غير معروفة يقال إنها كأس كسرى <١> . ويلاحظ من قول ابن جبير عدم تمكّنه من معرفته وأدى هذا الأمر فيما بعد إلى الاعتقاد أنه خرزة فاطمه بنت رسول الله ﷺ وقد أمر بقلعها سنة ٧٠١هـ / ١٣٠١م الصاحب زين الدين نظراً لما تحدثه من فتنه لدى الناس . <٢>

وكان في الجهة الشرقية من البلاط الثاني دفة مغلقة على وجه الأرض على سرداب يهبط بواسطة درج تحت الأرض تقود إلى خارج المسجد إلى دار أبي بكر رضي الله عنه وكان طريق عائشة رضي الله عنها إليها وبجانبه دار عمر بن الخطاب وابنه عبدالله رضي الله عنهما وهما بلاشك موضع الخوخة المؤدية لدار أبي بكر رضي الله عنه التي أمر النبي ﷺ بإبقائها خاصة <٣> . ولم يلبث مع مرور الوقت أن راجت حولها الأكاذيب بأنها دار عائشة أو فاطمة رضي الله عنهما طمعاً في سلب أموال الناس . <٤>

ونجد أن البدع والشائعات التي انتشرت بين الناس واستقرت في أذهانهم وكأنها حقيقه مسلم بها دفعت كثيراً من العلماء لمقاومتها والتخلص منها حفاظاً على صحة وسلامة النواحي الدينية .

---

١ ـ ابن جبير : الرحلة ، ص ١٧٢ .

٢ ـ السمهودي : وفاء الوفا ، ج١ ، ص ٣٧٣ .

٣ ـ ابن جبير : الرحلة ، ص ١٧١ ؛ البلوي : تاج المفرق ، ج١ ، ص ٢٨٧ .

٤ ـ حمد الجاسر : رسائل في تاريخ المدينة ، ص ١٦٠ .

ولا شك أن مرد ذلك إلى ضعف الحالة الدينية وربما كان الحافز على انتشار مثل هذه البدع يعود إلى محاولة لكسب الأموال من البسطاء والحجاج .

الشائعات والبدع السائدة في طرق الحجاز المؤدية إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة:

قد حفظت لنا كتب الرحلات بعض العادات والبدع والشائعات سجلها الرحالة أثناء طريقهم إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة فمن ذلك ما ذكره ابن رشيد وابن بطوطة من عادة الركب المار بتبوك إعداد الجيش بأسلحته ويتقدم الرجّالة والفرسان وخلفهم الركب في حين يقوم بعضهم بتحميل أكوام الحطب على الدواب لقلّته بأرض تبوك ويقبلون على المدينة بهذه الهيئة زاعمين أن الرسول ﷺ دخلها بتلك الطريقة . (١)

وأشار ابن رشيد إلى وجود شجرة بأرض تبوك جلس النبي ﷺ تحتها فأخضرت . (٢)

وأورد ابن جبير وابن بطوطة مزاعم أهل بدر حول جبل يسمى بجبل الطبول يقال إنهم يسمعون صوت الطبول على مقربة منه . (٣)

وجبل الطبول هذا لم يرد له ذكر بهذا الأسم في كتب المعاجم أو المصادر التي أرّخت للمدينة المنورة ولكن أشار السمهودى بهذا الصدد قائلاً " **شهد رسول الله ﷺ بدراً بسيفه الذي يدعى العضب وضربت فيها طبلخانة النصر فهى تضرب إلى قيام الساعة** " . (٤)

---

١ ـ ابن رشيد : ملء العيبة ، ج٥ ، ص ٧ ؛ ابن بطوطة : الرحلة ، ص ١١٢ .

٢ ـ ابن رشيد : ملء العيبة ، ج٥ ، ص ١٠ .

٣ ـ ابن جبير : الرحلة ، ص ١٦٦ ؛ ابن بطوطة : الرحلة ، ص ١٢٨ .

٤ ـ السمهودي : وفاء الوفا ، ج٤ ، ص ١١٤٦ .

وأغلب الظن أن الأصوات المسموعة ليست قرع طبول وربما هي أصوات بفعل حركة الرياح عند ملامستها للأتربة والصخور وخاصة إن الذاكرين لخبر جبل الطبول من الرحّالة اختلفوا في تحديده مع ملاحظة عدم سماعهم لذلك بل يوردون الرواية بصيغة إشاعه مثل ابن بطوطه حيث أشار إلى ضرب الطبول يوم الجمعة وابن جبير حددها بيومي الإثنين والخميس ٠ ‹١›

ومن البدع الموجودة في بدر وجود هضبة يسعى الناس لصعودها بالإضافة إلى دخولهم لمكان يزعمون أنه الغار الذي اختبأ الرسول ﷺ وصاحبه فيه عند هجرتهما إلى المدينة المنورة وأشار العبدري إلى عدم صحة الأمر نظراً لوجود الغار في جبل ثور على مقربه من مكة ٠ ‹٢› وهذا يدل على انقطاع المعرفة بسيرة الرسول ﷺ في ذلك الوقت من قبل العامة .

ومن المشهور أيضاً ذكرهم لبدر وحنين بشكل متلازم وبالطبع فذلك غير صحيح لاختلاف كل منهما عن الأخرى إلى جانب اختلاف المكان والزمان ٠ ‹٣›

ولو كان قصد العبدري بزعم أهل هذه المنطقة (**بدر وحنين**) المشهورتان في التاريخ الإسلامي فأمر غير مقبول ولكن أورد الجزيري خبراً يشير بأن حنين عين أمام بدر وأنها ليست المقصودة في الآية وقد أوضح محقق كتاب الجزيري " **إن قبالة بدر عين ضعيفه يقال لها عين حنين** " ‹٤› ٠ ومن هنا يتضح الخلط الحاصل في إدماج الاسمين معاً لدرجة لم يعرف المقصود من دمجهما فوهم كثير من الناس بأن المقصود بحنين الغزوة المشهورة ٠

---

١ ـ ابن جبير : الرحلة ، ص ١٦٦ ؛ ابن بطوطة : الرحلة ، ص ١٢٨ ٠

٢ ـ العبدري : الرحلة المغربية ، ص ١٦٤ ٠

٣ ـ المصدر السابق والصفحة ٠

٤ ـ الجزيري : الدرر الفرائد ، ج٢ ، ص ١٤٢٤ ـ ١٤٢٥ ٠

٤ ـ الاحتفالات :

درج أمراء مكة على الاحتفال ببداية الشهور الهجرية وذلك بالذهاب إلى الحرم المكي مع طلوع شمس أول كل شهر ٠ أما العامة فيقومون بتهنئة بعضهم بعضاً مع دعاء كل منهم للآخر ٠ ‹١›

كما حرص أهل مكة على الاحتفال بشهر رجب وهو لديهم بمثابة موسم كبير يجري الاستعداد له قبل قدومه بمدة من الزمن بالإضافة إلى حرصهم على أداء العمرة الرجبيه ‹٢› فيه ويشاركهم ذلك المجاورون وسكان المناطق القريبة من مكة المكرمة فيكون احتفالهم في غاية الغرابة والعجب فقبل ليلة وصباح بداية الشهر يتّم الاستعداد لها بأيام فتمتلىء شوارع وأزقة مكة المكرمة بالهوادج المشدودة على الإبل المكّسوة بالحرير والكتّان كل حسب سعته ويخرجون إلى التنعيم فتملىء بهم الشعاب والأباطح وقد ذكر ابن جبير أن هذه الهوادج يخيل للناظر إليها أنها قباب مضروبة ٠

وفي أول ليلة من الشهر تُشعل النيران على جانبي الطريق كله بالإضافة إلى الشموع التي تتقدم الإبل وعند عودتهم إلى المسجد الحرام تكون الصفا والمروة كلها مسرجة وموقدة والازدحام فيها شديد وعند ثبوت دخول شهر رجب تضرب الطبول وتنفخ الأبواق إشارة إلى أنها ليلة الموسم ٠

ويشارك الأمير الاحتفال بهذا الشهر ويخرج هو وحاشيته لأداء العمرة وطريقته في الطواف كعادته في أول كل شهر وبعد انتهاء

---

١ ـ ابن جبير : الرحلة ، ص ٧٤ ـ ٧٥ ، ١٠١ ـ ١٠٢ ٠

٢ ـ هي من البدع التي حرص أهل مكة عليها ويأتي كونها بدعة من اختصاصها بشهر معين وعلى الرغم من أنها بدأت كشكر لله تعالى عقب إتمام عبدالله بن الزبير بناء الكعبة إلا أنها استمّرت وكأنها أحد أركان الإسلام الواجبة ٠ أنظر الأزرقي : أخبار مكة ، ج١ ، ص ٢١٠ ٠

الطواف يصلّي خلف المقام عقب إخراجه من الكعبة خوفاً عليه في مثل هذه المناسبات ويوضع في قبته الخشبية وعند فراغه من الصلاة ترفع القبة فيستلم المقام ويتمّسح به <١> ثم تعاد القبة عليه .

والملاحظ هنا ان الاحتفال بهذا الشهر لم يكن قاصراً على الرجال فقط بل شاركت النساء ايضاً في الاحتفال فيتصافح الرجال ويدعوا كل منهم للآخر وكذلك النساء . <٢> ويكون اجتماعهم بهذه الطريقة طوال الشهر . وفي أول ليلة منه وفي منتصفه وفي السابع والعشرين منه بحيث تكون متميزة عن باقي أيام الشهر وتفتح الكعبة كل يوم فيه ويوم التاسع والعشرين من الشهر مخصص للنساء فقط .

وفي ليلة الخامس عشر من شهر رجب يخرج الأمير أيضاً على هيئته في أول ليلة للعمرة وكذلك العامة في ليلة التاسع والعشرين يخرجون على هيئاتهم السابقة ويحرمون من الاكمة التي أمام المسجد والأصل في هذه العمرة عندهم كما ذكر ابن جبير أن عبدالله بن الزبير لما فرغ من بناء الكعبة خرج ماشياً حافياً معتمراً وأهل مكة فانتهى إلي تلك الأكمه فأحرم منها وكان ذلك في اليوم السابع والعشرين من رجب وجعل طريقه على ثنيّة الحجون (**ثنيّة كداء**) المؤدية إلي المعلى التي كان دخول المسلمين منها يوم فتح مكة المكرمة فبقيت تلك العمرة سنّة عندهم من ذلك اليوم ومن تلك الأكمة نفسها <٣> . وهم لا يقتصرون

---

١ ـ وهذا الأمر من البدع المتفشيه في مكة فالأمر صريح للمسلمين بأن يكون المقام مصلى فقط كما ورد في القرآن الكريم ﴿وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ القرآن الكريم : سورة البقرة ، ١/١٢٥ .

٢ ـ ابن جبير : الرحلة ، ص ١٠٦ ـ ١٠٧ .

٣ ـ انظر الصفحة السابقة هامش رقم ٢ .

على الاحتفال بالعمرة فقط بل تعدّاه إلي تنعّمهم في المطعم ويستمر ذلك أياماً يتهادون فيما بينهم على قدر استطاعتهم شكراً لله . ‹١›

وللنساء احتفال خاص بهّن في يوم التاسع والعشرين من رجب فيفرد البيت لهن فيجتمعن من كل صوب مستعّدات لهذا اليوم فلا تبقى امرأة بمكة المكرمة إلا حضرت المسجد الحرام في ذلك اليوم فيفتح الشيبيون الباب لهن ويسرعون بالخروج ويترك الناس الطواف والحِجر لهن فيخلوا المطاف من الرجال فتبادر النساء الصعود إلي الكعبة ويتسلسل بعضهن ببعض متشابكات حتى يكاد يقع بعضهن على بعض وهن خلال ذلك صائحات مكبرات مهللات وينقضي الوقت المخصص لهن الى قرب الظهر مع إكثارهن من تقبيل الحجر واستلام الأركان فهذا اليوم يمثل أكبر أعيادهن لذا يكثرن من الاستعداد والتأهّب له .

ويقوم الشيبيون بغسل الكعبة بماء زمزم في اليوم التالي بسبب إحضار النساء أبنائهن الصغار والرضع معهن فيتحّرى غسله تكريماً وتنزيهاً له مما يخشى عليه من بول الأطفال الصغار فيتولّى الشيبيون غسله ويبادر كثيرٌ من الرجال والنساء عند انسكاب الماء عند غسله بغسل وجوههم وأيديهم منه تبركاً به وربما يقومون بجمعه في أوان قد أُعدّت لذلك غير مدركين العلّة في غسله ، ومنهم من يتوقّف عن ذلك لعدم جوازه ‹٢› . وهو الأصح .

ومن العادات الدينية الاحتفال بليلة النصف من شعبان حيث يبادرون إلى أعمال البر من عُمرة وطواف أفراداً وجماعات فقد شاهدهم ابن جبير وقال يصلون جماعات جماعات تراويح يقرأون فيها بفاتحة

---

١ ـ ابن جبير : الرحلة ، ص ١١٥ ـ ١١٦ .

٢ ـ نفس المصدر السابق والصفحه .

الكتـاب ويقل هو الله أحد عشر مرات في كل ركعـة إلى أن يكملوا خمسين تسليمة بمائة ركعة وكل جماعة يتقدمها إمام " وفي هذه الليلة تبسط الحصر وتوقد الشموع وتشعل المشاعل وتضاء المصابيح وقد أحصى الجماعات فوجدها سبع أو ثمانية كما أشار إلى طائفة آثرت الصلاة على انفراد وأخرى آثرت الاعتمار وثالثة اكتفت بالطواف وهم من المالكية ٠

أما شهر رمضان فله احتفالاته وعاداته الخاصة فإبن جبير أشار إلي الخلاف في ليلة حلوله بين أهل السنة والشيعة وعند التأكد من حلوله تعطي الإشارة ببدء الصوم ٠ ‹١›

وأول شيء يتم بالمسجد الحرام في رمضان تجديد الحصر والإكثار من الشمع والمشاعل وغيرها من أدوات الإضاءة ويتفرّق الأئمة لإقامة التراويح في أنحاء المسجد ؛ كل إمام بفرقته في ناحية منه والمالكيه لها ثلاثة قراء يتناوبون القراءة وهم أكثر جمعاً ، ويتنافس التجار المالكيه في جلب الكثير من الشمع لإمامهم فتكون أماكنهم " **تروق حسناً وترتمي الأبصار نوراً** " ومع ذلك فجميع أنحاء المسجد وزواياه مليئة بالقرّاء والمصليين ٠

أمّا الغرباء فيفضلون الطواف والصلاة في الحِجر على أداء التراويح ٠ وكان إمام الشافعية أكثر الأئمة اجتهاداً في العبادة وبعد إتمام عشر ركعات من التراويح يتّجه بجماعته للطواف فإذا فرغ عاد للصلاة ويكون الإعلان عن بدء الصلاة بضربة من الفرقعة الخطيبية ‹٢› يسمعها من في المسجد لارتفاع صوتها فإذا فرغ من

---

١ ـ المصدر السابق ، ص ١١٩ ـ ١٢٠ ، ١٢٢ ٠

٢ ـ أول ما بدأ الاعلان عن معاودة الصلاة بالحمد والتكبير حول الكعبة وكان ذلك في زمن ولاية خالد القسرى على مكة في خلافة عبدالملك بن مروان ٠ أنظر الفاسي : المقد الثمين ، ج٤ ، ص ٢٧٢ ٠ وأنظر صفة الفرقعه فيما بعد ، ص ٢٤٢ ٠

ركعتين عاد للطواف وعند انتهائه تضرب الفرقعة مرة أخرى ويعاود الصلاة ركعتين ثم العودة للطواف <١> . وهكذا إلى أن يتم عشر ركعات فيكون المجموع عشرون ركعة ثم يؤدي ركعتي الشفع والوتر وينصرف وهذه القاعدة التزم بها غالبية الأئمة . والقائمون على إقامة التراويح خمسة أئمة أولهم إمام الفريضة وأوسطهم الفقيه أبوجعفر بن علي الفنكي القرطبي وتستعمل الفرقعة الخطيبية طوال الشهر المبارك وتضرب ثلاث ضربات عند الفراغ من آذان المغرب ومثلها عند الفراغ من آذان العشاء وهذه بدعة كما أشار ابن جبير .

ويفرد للعشر الأواخر من شهر رمضان نوع خاص من العبادة حيث يختم في كل ليلة وتر القرآن ابتداءاً من ليلة إحدى وعشرين ويقوم بختم القرآن أحد أبناء مكة بحضور قاضي مكة وعدد من الشيوخ فإذا فرغ هذا الصبي قام فيهم خطيباً ومن ثم يستدعي أبو الصبي للاحتفال بهذه المناسبة الحضور إلى منزله .

وفي ليلة الثالث والعشرين يقوم صبي آخر من أبناء المكيين من ذوي الثراء بختم القرآن وهو غلام لم يتجاوز الخمس عشرة سنة ويقيم أبوه في هذه الليلة احتفالاً بديعاً حيث يُعدّ له ثريا مصنوعة من الشمع مغصنه قد انتظمت فيها أنواع الفواكه الرطبه واليابسه واعد لها شمع كثيراً ويضع شبه محراب مربع مما يلي باب شيبه وهذا المحراب مصنوع من أعواد مشرجبة . <٢> قد أقيم على قوائم أربع ربطت في أعلاه عيدان أنزلت منها قناديل وأسرجت في أعلاها مصابيح ومشاعيل وثبت حول المحراب كله مسامير حديد يوضع فيها الشمع باستدارة المحراب كله وتوقد الثريا المغصنة بالفواكه ويوضع على مقربة من المحراب منبر مغطى بقماش مختلف الألوان فإذا انتهى

---

١ ــ أول من أمر بالطواف بين كل ركعتي تراويح بعد ان ادار الصفوف حول الكعبة خالد القسرى . أنظر المصدر السابق والجزء والصفحة .

٢ ــ الشرجب هو الطويل . أنظر ابن منظور : لسان العرب ، ج١ ، ص ٤٩٣ .

الصبي من صلاة التراويح وقف عليه ويجتمع الناس لرؤيته وهو في محرابه لايكاد يُرى من كثرة أنوار الشموع المحدقة به ثم يخرج من محرابه وهو مرتدياً أفخر ملابسه مكحول العينين مخضوب الكفين والذراعين ولكثرة ازدحام الناس يقوم أحد السدنة بحمله ووضعه على منبره فإذا استقرّ في مكانه بدأ بالسلام على من حضر وجلس القراء بين يديه مبتدئين القراءة بصوت واحد وعقب نهاية عشرة أجزاء من القرآن يقوم الخطيب بإلقاء خطب الوعظ والتذكير في حين يقف بين يديه في درجات المنبر أشخاص ممسكين بأتوار <١> الشموع في أيديهم رافعين أصواتهم بيارب يارب عند كل فصل من فصول الخطبة ويكررون ذلك ويعود القراء مرة أخرى للقراءة وفي أثناء ذلك يلزم الخطيب الصمت حتى يفرغوا ويعود بعدها لإتمام خطبته ٠

وعند ذكره للبيت العتيق يرفع ذراعيه مشيراً إليه وعند ذكر زمزم والمقام يشير إليهما بكلتا اصبعيه ثم يختتم بتوديع الشهر المبارك وترديد السلام عليه ثم الدعاء للخليفة ولكل من جرت العادة بالدعاء له من الأمراء وينتهي ذلك الحفل ويقيم والد الصبي حفلاً يدعى إليه القاضي وغيره من الناس ٠

أما ليلة الخامسة والعشرون يقوم الإمام الحنفي بالختم وقد أعدّ أحد أبنائه ويكون نحو سّن الأول ويقيم حفلاً كبيراً بهذه المناسبة ويقوم بإحضار أربع ثريات من الشمع كل منها مختلفة عن الأخرى منها مزينة بأنواع الفواكه الرطبة واليابسة ومنها غير مزينة فتصف أمام حطيمه ويتوّج الحطيم بخشب والواح وضعت في أعلاه السُرج والمشاعل والشموع لتنير الحطيم كله حتى يبدو في الهواء كالتاج العظيم من النور ، ويجلب الشمع في أواني الصفر ويوضع محراب

---

١ ــ إناء من الصفر ٠ أنظر ابن منظور : لسان العرب ، ج٤ ، ص ٩٦ ٠

مشرجب ويحاط أعلاه بالشمع ويوضع المنبر المزين أمامه ويقوم الصبي بختم القرآن فإذا انتهى برز من محرابه إلى منبره ثم يشير بالسلام للحاضرين ويلقي خطبة جليلة للوعظ والتذكير . ويحضر القراء بين يديه وفي اثناء فصول الخطبة يقومون بالقراءة فيصمت ثم يعاود الخطبة وبين يديه في درجات المنبر طائفة من الخدم بعضهم يمسك أتوار الشمع بأيديهم وبعضهم ممسك بإناء البخور المنبعث منه رائحة العود وعندما يصل إلى فصل من فصول الخطبة فيه تذكير رفعوا أصواتهم بيارب يارب ويكررونها ثلاثاً أو أربعاً وعقب الانتهاء يقوم والد الصبي بدعوة الأعيان إلى وليمه في منزله أو بإرسال الأطعمة إلى منازل الحضور .

وفي ليلة السابع والعشرين وهي ليلة الجمعة (١) فيستعد لها قبل ليلتين أو ثلاثه ويقام إزاء حطيم إمام الشافعية أخشاب عظيمة عالية الارتفاع موصول بين كل ثلاث منها بأذرع وصلت بالحطيم ثم تمد بينها ألواح طوال وضعت على الأذرع بحيث تكون على هيئة طبقات بعضها فوق بعض حتى تكتمل ثلاث طبقات وفي الطبقة العليا خشبه مستطيله تثبت بمسامير محددة الأطراف ملتصق بعضها ببعض تنصب عليها الشموع والطبقات السفلى عبارة عن ألواح مثقوبة متصلة وضعت فيها زجاجات المصابيح ذوات الأنابيب الممتدة من أسفلها وتدلت من جوانب الألواح والخشب والاذرع قناديل ذات أحجام مختلفة ويتخللها أشباه أطباق مبسوطة من الصفر قد أمسك بكل طبق منها ثلاث سلاسل مثقوبة ومعلقة وضعت فيها زجاجات ذات أنابيب من الناحية السفلية لتلك الأطباق الصفرية متساوية في الطول وأوقدت فيها المصابيح فبدت كأنها موائد ذات أقدام كثيرة تضيء نوراً ووصلت بالحطيم الثاني الذي يقابل الركن الجنوبي من

---

١ ـ ليلة الجمعة حسب ما كان موافقاً لرحلة ابن جبير .

قبة زمزم أخشاب مثل السابقة في الصفة متصلة بالركن ذاته وأوقد المشعل الموضوع في أعلى القبة وانتظمت الشموع مما يقابل البيت وحف المقام الكريم بمحراب من الأعواد المشرجبة المثقوبة محاط " أعلاها بمسامير حديدية الأطراف امتلئت بالشموع ووضعت على يمين المقام ويساره شموع كبيرة الحجم في اتوار تناسبها ووضعت تلك الأتوار على الكراسي المخصصة لها ٠ وغطى جدار الحِجر بالشمع في أتوار من الصفر فأصبحت كأنها دائرة من نور ساطع وأحاطت المشاعل الموقد بإرجاء الحرم ٠

أما شرفات الحرم فوقف فيها صبيان مكة وبيد كل منهم كرة من القماش المشبع بالزيت ثم توقد وتوضع في رؤوس الشرفات ويتبارى الصبيان في إشعالها من شرفة لأخرى مع قيام الصبيان برفع أصواتهم بقولهم يارب ٠

وعقب ذلك يتقدم القاضي لأداء صلاة العشاء ويبدأ في صلاة القيام بسورة القدر وهي السورة التي انتهت القراءة عندها في الليلة السابقة ويحرص بقيه الأئمة على حضور هذا الختم ٠

ويقوم السدنة بإخراج المقام من الكعبة ويوضع في مكانه وتوضع عليه قبة الخشب التي يقف الناس خلفها للصلاة فيختم القاضي بركعتين ويقف خطيباً مستقبلاً المقام والكعبة ولايكاد يسمع صوته نظراً للازدحام والضوضاء فإذا أتّم خطبته عاد الأئمه لإكمال التراويح ٠

أما في ليلة التاسع والعشرين فيكون الختم فيها لجميع أئمه التراويح ثم يشرعون بالخطبه بعد الختم ٠

ويتقدم المالكي بإعداد ستة أعمدة إزاء محرابه منصوبة على هيئة نصف دائرة مرتفعة عن مستوى الأرض بين كل اثنين منها عمود

ممدود يحيط الشمع أعلاها وجهاتها السفلى ويحف داخل الدائرة أيضاً شمع متوسط الحجم ويجتمع المالكية للختم بالتناوب بين أئمة التراويح وعقب قضاء الصلاة تلقى خطبة مشتملة على الوعظ والتذكير يلقيها أحد الأئمة وهي مأخوذة من خطبة ابن الإمام الحنفي ٠

أما عن احتفالهم بليلة الأول من شوّال فتكون مثل ليلة السابع والعشرين من رمضان حيث توقد المشاعل وتضاء الثريات والشموع في أنحاء الحرم وكذلك سطح المسجد وفي أعلى جبل أبي قبيس ويقف المؤذن طوال الليل فوق سطح قبة زمزم للتهليل والتكبير ٠

وفي صباح أول يوم من شهر شوال يحرص الجميع على أداء صلاة العيد ويفتح باب الكعبة ويجلس زعيم آل الشيبي على عتبتها وسائر الشيبيين داخلها ويقومون لاستقبال الأمير مكثر عند باب النبي فيأخذ طريقه إلى الطواف في حين يقف المؤذن الزمزمي فوق سطح قبة زمزم كعادته رافعاً صوته بالثناء والدعاء للأمير متناوباً مع أخيه ، فإذا أكمل الأمير طوافه اتجه إلى مصطبة قُبة زمزم المقابلة للركن الأسود ليجلس وأبناؤه عن يمينه في حين يقف وزيره وحاشيته عن يساره ويعود الشيبيون إلى مكانهم ويقوم الشعراء المرافقون للأمير بالإنشاد لحين وقت الصلاة فيُقبل القاضي الخطيب متهادياً بين رايتين ذات لون اسود والفرقعه أمامه ثم يقيم الصلاة وعقب الانتهاء منها يأخذ طريقه إلى المنبر الموضوع إلى جدار الكعبة فيلقي خطبة العيد ويبدؤها بالتكبير فإذا كبّر كبر المؤذنون معه إلى نهاية خطبته ٠ وعقب انتهائها يسارع الناس إلى تهنئة بعضهم بعضاً ثم يتوجهون إلى المقبرة داعين للأموات بالرحمة والمغفرة ٠ (١)

---

١ ـ ابن جبير : الرحلة ، ص ١٢٢ ـ ١٣٥ ٠ وظلت هذه العادة لدى أهل مكة إلى عهد قريب ٠

وفي صلاة الجمعة يوضع منبر الخطيب بجوار الكعبة مقابل المقام بين الركن الأسود والعراقي ثم يُقبل الخطيب من باب النبي وهو يقابل المقام في البلاط الممتد من الشرق إلى الشمال ٠ حتى يصعد منبره قائلاً السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فيبادر الناس بالرد عليه ثم يجلس فيبدأ الأذان لصلاة الجمعة ويلقي الخطيب خطبة الجمعة المشتمله على الوعظ والإرشاد ، وعند جلوسه بين الخطبتين يضرب بعقب السيف إعلاناً ببدء الخطبة الثانية التي يكثر فيها من الصلاة على محمد ﷺ وعلى آله وأصحابه والدعاء للخلفاء الراشدين بأسمائهم والدعاء لعمّي الرسول ﷺ حمزة والعباس وللحسن والحسين ثم لأمهات المؤمنين زوجات النبي ﷺ وفاطمة الزهراء وخديجه الكبرى بهذا اللفظ ثم الدعاء للخليفة العباسي أبي العباس أحمد الناصر ثم لأمير مكة مكثر بن عيسى ثم لصلاح الدين الايوبي ولولي عهده اخيه ابي بكر بن ايوب وعند ذكر صلاح الدين يردد الجميع الدعاء له من كل مكان ٠ وفي اثناء الخطبة توضع الرايتان في أول درجه من المنبر يمسك بهما رجلان من المؤذنين وفي جانبي باب المنبر حلقتان تركز الرايتان اليهما ٠ فإذا فرغ من الصلاة اتجه الى خارج الحرم ثم يعاد المنبر الى موضعه بإزاء المقام ٠ (١)

وحرص خدم الحرم الشريف على تقديم ماء زمزم مبّرداً في أواني فخارية تسمى الدوارق لكل دورق مقبض واحد ٠ (٢)

ويعمل السدنة في المسجد على فتح باب الكعبة كل يوم اثنين وجمعة إلا في رجب فبابها مفتوح " يومياً ويفتح من بداية شروق الشمس ويوضع منبر له درج للراغبين في دخول الكعبة له تسع درجات

---

١ ـ ابن جبير : الرحلة ، ص ٧٢ ـ ٧٤ ٠

٢ ـ المصدر السابق ، ص ٦٦ ٠ وكانت لاتزال هذه العادة إلى وقت قريب ٠

مستطيلة منصوبة على قوائم خشبية ذات أربع عجلات ليسهل جره ويوضع بإزاء باب الكعبة فيصعد زعيم آل الشيبي إليها وهو شيخ كبير السن جميل الشكل والملابس وبيده مفتاح القفل ومعه أحد السدنة في يده ستر أسود يمسح يديه به أمام باب الكعبة فإذا فتح القفل قبل العتبة ثم يدخل زعيم آل الشيبي وحده ويقفل الباب خلفه لأداء ركعتين ثم يدخل باقي الشيبيين بعده للصلاة ويفتح الباب بعدها ويبادر الناس بالدخول وفي أثناء فتح باب الكعبة يقف الناس أمام بابها داعين الله ومستغفرين وقائلين " **اللهم افتح لنا أبواب رحمتك ومغفرتك يا أرحم الراحمين** " ٠ <١>

كما التزموا بإبعاد الطائفات من النساء في آخر الحجارة المفروشة حول البيت فالحرم الشريف مفروش برمل أبيض <٢> ٠ وبدأت تلك العادة منذ تولى خالد بن عبدالله القسرى <٣> إذ كان النساء والرجال سابقاً يطوفون مختلطين فعمل على منع ذلك ٠ <٤>

وقد اعتادوا حفظ المقام الشريف داخل الكعبة وعند إخراجه في الأيام العادية توضع عليه قبة من خشب ٠ أما في الموسم فتوضع عليه قُبّة حديد صوناً له من أيدي الحجاج ٠ <٥>

---

١ ـ ابن جبير : الرحلة ، ص ٧٠ ٠

٢ ـ المصدر السابق ، ص ٦٣ ٠

٣ ـ خالد بن عبدالله بن يزيد بن أسد القسري من بجيلة ٠ أبو الهيثم أمير مكة والعراق وأحد خطباء العرب وأجودهم ، يماني الأصل من أهل دمشق ولي مكة سنة ٨٩هـ /٧٠٧م للوليد بن عبدالملك ثم ولاه هشام العراقين سنة ١٠٥هـ / ٧٢٣م فأقام بالكوفة وطالت مدته إلى أن عزله هشام سنة ١٢٠هـ / ٧٣٧م وولى مكانه يوسف بن عمر الثقفي وأمره بعقابه فسجنه وعذبه بالحيرة ثم قتله في أيام الوليد بن يزيد ٠ أنظر الفاسي : العقد الثمين ، ج٤ ، ص٢٧٠ ـ٢٨٢ ؛ الزركلي : الإعلام ، ج٢ ، ص٢٩٧ ٠

٤ ـ الأزرقي : أخبار مكة ، ج٢ ، ص ٢٠ ؛ ابن ظهيرة : الجامع اللطيف ، ص ٨١ ٠ ولايزال إلى اليوم يفرق بين الرجال والنساء في الطواف ٠

٥ ـ ابن جبير : الرحلة ، ص ٦٣ ٠

وعندما قدم التجيبي مكة نلاحظ عدم تغير احتفالات أهل مكة المكرمة كثيراً عما وصفه ابن جبير في رحلته بالرغم من مرور أكثر من قرنٍ على رحلته من حيث ما يقام في شهر رمضان من التأنق في إضاءة الحرم بالشمع والقناديل والمشاعل ومن ختم القرآن في ليالي الوتر من العشر الأواخر منه ولكن نلاحظ اختفاء عادة صعود الصبي الخطيب وحلّ محله صعود أحد المكيين (١) . والملاحظ من كلام التجيبي ظهور العنصر المصري بكثرة بمكة المكرمة حيث ذكر وصول عدد من القراء المعروفين بحسن الصوت وطيب النغمه يجتمعون في كل ليلة جهة باب بني شيبة من الحرم الشريف لقراءة القرآن على عادة القرّاء في البلاد المشرقية وكان لهؤلاء القراء رئيس يصعد كّل ليلة من ليالي رمضان إلى سطح المدرسة المنصورية المشرفة على الحرم ويقوم بقراءه جزءٍ من القرآن رافعاً صوته بحيث يسمعه الناس .

وطرأت بعض التغييرات على احتفال ليلة السابع والعشرين من رمضان بقيام الشريف أبي نمي بحضورها وعدم صعود صبي من أبناء مكة المكرمة بل قيام أحد المصريين بإلقاء الخطبة بعد الختم وبعد فراغه من خطبته يشرع في الدعاء للشريف أبي نمي ويرفع نسبة إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضى الله عنه فيأمر له الشريف أبونمي بخلعة حسنة حريرية وعمامة حريرية مصفّحة بالذهب ويأمره بلبسها على المنبر فيفعل والناس ناظرة إليه ونلاحظ من كلام التجيبي وجود اعتراض على لبس الخطيب للحرير ، ولكن التجيبي علل عمله ذلك بالخوف من الشريف . لأن المعروف أن لبس الحرير محرم على الرجال ومحلّل للنساء حسب ما ورد في السنة المطهرة .

---

١ ـ التجيبي : مستفاد الرحلة ، ص ٤٦٠ .

وكان للفرقة الزيدية يوم ختم أيضاً وهذا ما لم يذكره ابن جبير وإنما ذكره التجيبي وخطب لهم بعد ختمهم ليلة التاسع والعشرين الخطيب المصري السابق مع الدعاء أيضاً للشريف أبي نمي فقام وزير الشريف بإكرامه (١) . ولم يقم الشريف أبونمي بحضور هذا الحفل .

الاحتفال بغسيل الكعبة المشرفة وإحرامها :

ذكر ابن جبير احتفال أهل مكة المكرمة في الحرم لإحرام الكعبة المشرفة في يوم السابع والعشرين من ذي القعدة بحيث يرفع ثوبها بنحو قامة ونصف من نواحيها الأربع وأما فتح بابها فلا يتم إلاّ عقب الوقفة بعرفة . (٢)

أما التجيبي فقد أفاض في ذكر هذا الموضوع بالتفصيل فأشار إلى انه في اليوم السابع والعشرين من ذي القعدة يتوافد أهل مكة المكرمة إلى البيت العتيق حيث تمتلىء ساحات الحرم بهم ثم يقوم خطيب مكة المكرمة فيصعد المنبر لإلقاء خطبة ذاكراً فيها الكعبة المشرفة ومكة المكرمة مع إيراد بعض الأبيات الشعرية الحسنة ثم يقوم بالدعاء ، فيحمل الناس الكثير من القماش للكعبة . ويتقدم زعيم آل الشيبي إلى الكعبة المشرفة وقد نُصب له بجوانبها كرسي خشبي يرتقي عليه ويقطع من كسوة الكعبة المشرفة نحو قامة ونصف مما يلي الأرض من الجوانب الأربعة ، وهذا يسمى إحرام الكعبة المشرفة ويعين الشيبيون زعيمهم ثم ينزل ويفتح باب الكعبة المشرفة ويدخل هو وآله وبعض الأعيان ويحمل لهم ماء زمزم فيغسلون البيت الشريف ثم يقومون بتجميره وإغلاق الباب ولا يتم فتحه إلا بوصول أمير الحاج المصري .

---

١ ـ التجيبي : مستفاد الرحلة ، ص ٤٥٩ ـ ٤٦٣ .

٢ ـ ابن جبير : الرحلة ، ص ١٤٣ .

أما المقطوع من ثياب الكعبة المشرفة فتوزع قطعاً صغيرة على الحجاج ويفعل ذلك أيضاً بباقي ثوبها المنزوع عنها في يوم عيد الأضحى المبارك <١> ٠ ولون ثوبها المعروف هو الأسود تزين أعلاه كتابة باللون الأبيض ٠ <٢>

أما في زمن رحلة ابن جبير فكانت الكسوة مرسلة من بغداد وتسلم لزعيم آل الشيبي ويقومون بوضعها على الكعبة المشرفة وتميزت الكسوة بلونها الأخضر اليانع يزين أعلاها رسم أحمر عريض وعقب وضع الكسوة ترفع جوانبها لصيانتها من عبث الأعاجم ٠ <٣>

ونلاحظ اختلافاً كبيراً بين ما وصفه ابن جبير وما وصفه التجيبي في كسوة الكعبة المشرفة وإحرامها وربما بدأ الأمر كما ذكر ابن جبير برفع جوانبها وتسميته إحراماً إلى أن وصل الأمر إلى تقطيع أستارها زمن رحلة التجيبي ولايزال إلى الوقت الحاضر القيام بما يسمى بإحرام الكعبة المشرفة حيث تغسل الكعبة وترفع اطراف ثوبها إلى ثلثها تقريباً مع وضع قماش " أبيض محيط بها يكون آخر أطرافها ثوبها المرفوع ٠ والقماش الأبيض علامة الإحرام ويكون هذا العمل في الخامس من ذي الحجة ولاينزع عنها القماش الأبيض إلا يوم عيد الأضحى حيث توضع الكسوة الجديدة مع رفع جوانبها أيضاً إلى نهاية شهر محرم حفظاً لها من الأيدى ٠ وقد ذكر إبراهيم رفعت أن الكعبة المشرفة يوضع عليها إزار أبيض علامة الإحرام <٤> ٠ فنرى أن الأرجح في بداية هذا الأمر كما ذكر ابن جبير ٠

---

١ ـ كان يعمل بهذا الأمر إلي وقت قريب إلا أنه استبدل بالمال المدفوع لآل الشيبي عوضاً عن الثوب المعاد إلى مصنع الكسوة ٠

٢ ـ التجيبي : مستفاد الرحلة ، ص ٤٦٥ ، ٢٥٩ ؛ الفاسي : شفاء الغرام ، ج١ ، ص ٢٠٢ ـ ٢٠٣٠

٣ ـ ابن جبير : الرحلة ، ص ١٥٧ ـ ١٥٨ ٠

٤ ـ إبراهيم رفعت : مرآة الحرمين ، ج١ ، ص ٤١ ٠

وتطرّق ابن بطوطة إلى الحديث عن بعض جوانب الحياة الاجتماعية في مكة المكرمة إذ انفرد بذكر ما لم يذكره غيره وأضاف إليه ما عاينه وشاهده مع الإشارة إلي ما هو باقٍ على حاله إلى جانب العادات التي طرأ عليها التغيير بالمقارنة مع الرحالة الآخرين فمن ذلك أن المقام الكريم ثبت في مكانه ولم يعد محفوظاً في الكعبة المشرفة كما في زمن رحلة ابن جبير ويظهر أنه أقيم عليه بناء ، فقد ذكر ابن بطوطه أن عليه قبة أسفلها فتحة . مغلقة بأعمدة حديد تبعد عن المقام قدر ما تصل أصابع الإنسان في حالة دخولها إلى ذلك الشباك وإلى الصندوق <١> . ويبدو أن حفظ المقام داخل الكعبة حدث عقب سيل أم نهشل حفاظاً عليه <٢> . واستمروا في وضعه داخل الكعبة المشرفة لعدم وجود مكان حصين يحفظ فيه ، ولكن بعد بناء مكان له أصبح موضعه ثابتاً . وقد بقي طواف النساء كما هو في أيام ابن جبير في آخر الحجارة المفروشة حول الكعبة . <٣>

واستمرت احتفالات أهل مكة في يوم الجمعة وخروج الخطيب والمؤذنين وغير ذلك مما ذكره ابن جبير . ولم تتغير عاداتهم سواء في استهلال الشهور العربية وخروج الأمير إلى المسجد الحرام وطوافه ودعاء المؤذن الزمزمي له وتهنئته بدخول الشهر وطرق احتفالهم بشهر رجب والعمرة وغيرها من العبادات واحتفالهم أيضاً في شهر شعبان من إيقاد المصابيح والمشاعل والصلاة والطواف والخروج للاعتمار . <٤>

---

١ ـ ابن بطوطة : الرحلة ، ص ١٣٦ .

٢ ـ الأزرقي : أخبار مكة ، ج٢ ، ص ٣٣ .

٣ ـ ابن بطوطة : الرحلة ، ص ١٣٧ .

٤ ـ المصدر السابق ، ص ١٦٠ ـ ١٦٥ .

وكذلك احتفالاتهم في رمضان من ضرب الطبول عند باب الأمير ، وتفرق الأئمة السنية استعداداً لإقامة التراويح ، وتجديد فرش المسجد ، والإكثار من الشمع والمشاعل ، واستمرار عادة ختم القرآن الكريم في الوتر من العشر الأواخر لشهر رمضان ، كما كانت عليه في عهد ابن جبير من قيام أحد أبناء كبار أهل مكة المكرمة فينصب له المنبر للخطبة وبعد الانتهاء يتوجهون إلى منزل والد الصبي لتناول الطعام .

واستمروا في الاحتفال ببداية شهر شوال وتزيين الحرم المكي بالمصابيح والشموع الموقدة في جميع أنحاء الحرم وسطحه وسطح المسجد الموجود بأعلى جبل أبي قبيس .

فنلاحظ أن تلك الاحتفالات لم يطرأ عليها تغيير عما ذكره ابن جبير من صلاتهم للعيد بالمسجد الحرام وبتبكير آل الشيبي بالحضور وفتحهم باب الكعبة المشرفة وتلقّيهم لأمير مكة المكرمة وخروج أهل مكة المكرمة عقب صلاة العيد إلى مقبرة المعلاه .

أما الاحتفال بإحرام الكعبة المشرفة فظلّت في زمن ابن بطوطة كما كانت في زمن ابن جبير ولم يقم سدنة البيت بتقطيع ثوبها القديم وتوزيعه على الحجاج كما حصل زمن التجيبي ، مع استمرار عدم فتح بابها إلا عقب وقفة عرفات .

واستمر الاحتفال بشهر ذي الحجة زمن رحلة ابن بطوطة (١) من حيث ضرب الطبول في أوقات الصلاة إلى يوم الصعود إلى عرفات ويقوم الخطيب يوم السابع من ذي الحجة إثر صلاة الظهر بإلقاء خطبة في الناس ترشدهم إلى الطرق الصحيحة في أداء الفريضة . وهذه العادة كانت موجودة وقت زيارة ابن جبير لمكة المكرمة . (٢)

---

١ ـ ابن بطوطة : الرحلة ، ص ١٦٦ ـ ١٦٨ ـ ١٦٩ ، ٦٨ .

٢ ـ ابن جبير : الرحلة ، ص ١٤٩ .

أما زمن رحلة التجيبي فقد أشار إلى عدم وجود عادة ضرب الطبل في ذي الحجة <١>. وهناك احتمال بعودتها زمن وجود ابن بطوطة في مكة المكرمة أو أنه في ذكره لهذا الأمر عائدٌ لنقله عن ابن جبير في رحلته .

أما الكعبة المشرفة فترتدي حلّتها الجديدة في ثالث أيام عيد الأضحى وتميزت بلونها الأسود وقماشها من الحرير مبطنة بالكتان في أعلاها طرازٌ مكتوبٌ فيه بالبياض وترفع أطرافها حفاظاً لها من عبث الحجّاج .

ويتم فتح باب الكعبة المشرفة كل يوم بعد النزول للعراقيين والخراسانيين لتأخّر سفرهم عقب سفر الركبين الشامي والمصري بأربعة أيام . <٢>

أما البلوي فأشار إلى طواف النساء بعيداً عن الاختلاط بالرجال . <٣>

وقد أشار ابن جبير إلى الأرض المحيطة بالكعبة المشرفة وأنها مفروشة بحجارة تشبه الرخام <٤> وفي وقت وجود ابن بطوطة عبارة عن حجارة سوداء تصبح شديدة الحرارة بفعل أشعة الشمس فعملوا على رشها بالماء من حين لآخر لإكسابها نوعاً من البرودة . <٥>

---

١ ـ التجيبي : مستفاد الرحلة ، ص ٢٤٨ .
٢ ـ ابن جبير : الرحلة ، ص ١٥٨ ؛ ابن بطوطة : الرحلة ، ص ١٧١ .
٣ ـ البلوي : تاج المفرق ، ج١ ، ص ٣٠٤ .
٤ ـ ابن جبير : الرحلة ، ص ٦٣ .
٥ ـ ابن بطوطة : الرحلة ، ص ١٣٧، ١٢٢ .

٥ ـ المواكب :

تقاليد دخول الشريف إلى الحرم عند بداية كل شهر هجري :

يتقدم القراء أمامه لقراءة القرآن الكريم ويحرص على الدخول من الباب المسمّى باب النبي محاطاً بحاشيته المؤلفة من القواد والحرابة ويتجّه إلى المطاف يتقدّمه الخدم والأتباع وبأيديهم الحراب ويقوم الخدم بفرش سجّادة من الكتان يصلي عليها ثم يشرع في الطواف ، وعند إكماله لشوط يرتفع صوت أخي المؤذن الزمزمي داعياً للأمير بقوله : " **صبح مولانا بسعادة دائمة ونعمة شاملة** " . مع تهنئة الشريف أو الأمير بكلام جميل ومدحه بأبيات من الشعر فإذا أطّل الأمير من الركن اليماني يرفع صوته بالدعاء كما سبق مع أبيات من الشعر مختلفة عن سابقتها أيضاً في مدح الأمير وعائلته ويستمّر في ذلك حتى نهاية الأشواط السبعة . ويلاحظ أن عمر أخي المؤذن الزمزمي هذا لا يتجاوز إحدى عشرة سنة . وعقب انتهاء الطواف يؤدي الأمير ركعتي الطواف عند الملتزم ثم ينصرف . (١)

أما عن موكب الأمير خلال الاحتفال بشهر رجب اذا خرج إلى الميقات للعمرة بين أبنائه وقواده وأمامه الرايات المرتفعة والطبول بين يديه تتبعه حاشيته وعسكره على مراتبهم ويقومون باللعب بين يديه ويخرج أعراب البوادي ممتطين الإبل الجميلة المنظر مسابقين للخيل بها مع رفع أصواتهم بالدعاء والثناء للأمير حتى وصوله إلى المسجد الحرام وعقب انتهاء طوافه يقوم وأمامه الحرابة وبعد الفراغ من السعي استّل أتباعه السيوف أمامه والتفوّا حوله حتى يصل إلى منزله القريب من المسعى .

---

١ ـ ابن جبير : الرحلة ، ص ٧٤ ـ ٧٥ .

وموكب العامة مختلف في طريقته عن موكب الأمير عند احتفالهم بالعمرة الرجبية فيكون خروجهم أول الشهر بقبائلهم وحارة حارة متقلدين لأسلحتهم بترتيب معّين ، فالفرسان بخيولهم في البداية مع الرقص بالأسلحة ، ثم الرجّالة يتبارون بأسلحتهم والحراب بأيديهم مرتدين تروسهم ومتقلدين بسيوفهم ويأخذون في مبارزة بعضهم بعضاً ثم رمي الحراب في الهواء والعودة للإمساك بها بإتقان شديد ٠ <١>

كما وصف لنا الرحالة طريقة موكب خطيب المسجد الحرام لصلاة الجمعة إذ يأخذ الخطيب طريقه إلى المسجد من باب النبي تحيط به رايتان ذات لون أسود يمسك بهما رجلان من المؤذنين وبين يديه يسير آخر حاملاً لعصا مخروطة الشكل حمراء اللون في طرفها جلد مفتول رقيق يضربها في الهواء فيسمع صوتها وهي إعلان عن وصول الخطيب وتسمى الفرقعة ٠ وعند اقترابه من المنبر يبدأ بتقبيل الحجر الأسود ثم يصعد إلى منبره وأمامه رئيس المؤذنين بالحرم ، وعند صعود الخطيب لأول درجات المنبر يقلّده المؤذن السيف فيضرب درجات المنبر به حتى يقف في أعلاه داعياً مستقبلاً الكعبة المشرفة وعند انتهائه من أداء صلاة الجمعة يأخذ طريقه خارج الحرم تحيط به الرايتان ذات اللون الأسود والفرقعة تُضرب أمامه إيذاناً بانصرافه ٠ <٢>

أما التجيبي فقد أشار إلى عدم وجود الفرقعة هذه ولم يرها وقت عيد الفطر ٠ <٣>

---

١ ـ ابن جبير : الرحلة ، ص ١٠٦ ـ ١١٠ ٠

٢ ـ المصدر السابق ، ص ٧٢ ـ ٧٤ ٠

٣ ـ التجيبي : مستفاد الرحلة ، ص ٤٦٤ ـ ٤٦٥ ٠

٦ ـ الملابـس :

حرص أهل مكة المكرمة على لبس الملابس النظيفة الحسنة فإذا نظرنا إلى أمير مكة المكرمة نجده يلبس ثوباً أبيض وعمامة صوف بيضاء رقيقة متقلداً لسيفه ٠

ويلبـس القاضـي الخطيب في صباح يوم العيد ثياباً سوداء <١> ٠ أما في صلاة الجمعة فملابسه سوداء مزينّة بخيوط الذهب وعلى رأسه عمامة سوداء مزينّة أيضاً وعليه طيلسـان شرب رقيق وهي كسوة مرسلة من قبل الخليفة ٠

كما يرتدي رئيس المؤذنين وقت صلاة الجمعة ملابس سوداء ويحمل على عاتقه سيفه ٠

وساد اللون الأبيض ثياب أهل مكة وقيام الأمير بإلباس المحتسب عمامة تكون له جواراً فلا يجروء أحد على التعّرض له ولكنها تصبح عديمة النفع عند رحيل صاحبها عن مكة المكرمة ٠ <٢>

٧ ـ الأطعمة والأشربة :

من المعروف أن بلاد الحجاز تميّزت بأوضاع اشتهرت بها واختصت بأطعمة معينّة تصنع لذلك مثل إعداد أطعمة معيّنة أثناء الحج يحملونها معهم إلى عرفات ٠ <٣>

ولا ننسى الإشـارة إلى وضع أهل مكة المكرمـة في الأكل ، وهو اقتصارهم على تناول وجبة واحدة في اليوم عقب صلاة العصر مع

---

١ ـ ابن جبير : الرحلة ، ص ٧٤ ـ ٧٥ ، ص ١٣٥ ٠
٢ ـ ابن بطوطة : الرحلة ، ص ١٥١ ـ ١٥٢ ٠
٣ ـ ابن رشيد : ملء العيبه ، ج٥ ، ص ١٢٩ ٠

تناول التمر في سائر النهار ، وانعكس هذا بالطبع على صحة أجسامهم وخلوها من الأمراض ٠ ‹١›

أما الحلويات فهناك نوع يصنع من العسل والسكر المعقود مع إضافة الفواكه الطازجه والمجففة إليه وقد أتقن أهل مكة المكرمة صنع هذا النوع ٠ ‹٢›

ومن خلال استعراضنا لهذا المبحث يتبين لنا أن الرحالة المغاربة والأندلسيين لم يتطرقوا لذكر الاحتفالات الاجتماعية التي يحتفل بها أهل مكة المكرمة بخاصة وأهل الحجاز بصفة عامة مثل احتفالات الزواج والختان وغيرها ٠ كما لم يشيروا إلى أنواع الملابس والحلي التي كانت منتشرة بهذا المجتمع في تلك الفترة وهذا بطبيعة الحال عائدٌ الى انهم كانوا حجاجاً وطلبة علم أكثر من أى شيء آخر ٠

---

١ ـ ابن بطوطة : الرحلة ، ص ١٥١ ٠

٢ ـ ابن جبير : الرحلة ، ص ٩٨ ٠

ثانياً : الحياة الإقتصادية :

تظهر لنا حالة الحجاز الإقتصادية من خلال كتب الرحالة المغاربة والأندلسيين في إشاراتهم للزراعة والصناعة والتجارة إذ عن طريقها يمكننا معرفة مدى الازدهار والركود الذي ساد في تلك الفترة ٠

ولم تحظ الناحية الإقتصادية بعناية المؤرخين حيث إن كتاباتهم أهتمت بإظهار الجانب السياسي أكثر من النواحي الأخرى وقد تطلّب استخراجها الكثير من الجهد لقلّة المادة العلمية في هذا المجال ولذا سيكون إظهارها قاصراً على ما ورد في كتب الرحالة إلى جانب ما أورده بعض المؤرخين في هذا الصدد ٠

١ ـ الزراعة ومصادر المياه :

وفيما يتعلق بالزراعة في بلاد الحجاز نلاحظ اعتمادها على المياه ومن ناحية توفرها نجد في القرين بئر مياه عذبة وفي مكة المكرمة هناك سقاية للماء وفي بطن مر وخليص وبدر والصفراء (١) وقباء (٢) مياه آبار عذبة ٠ وترتب على وفرة المياه قيام بعض المشروعات البسيطة مثل انشاء السقايه في مكانه لاستغلال المياه سواء للشرب أو الاستفادة بها في المجالات الزراعية وبالتالي اتسعت الرقعه الزراعية في مختلف مدن بلاد الحجاز ٠

وإذا تتبعنا البساتين والأراضي الزراعية من خلال كتب الرحالة فإننا نجد أنها تنتشر في مكة المكرمة على جانبي طريق الزاهر والتي تعود

---

١ ـ ابن جبير : الرحلة ، ص ٥٧ ـ ٥٨ ، ٨٨ ـ ٨٩ ، ٩٣ ، ١٦١ ـ ١٦٦ ٠

٢ ـ (قباء) : بئر هناك عرفت به وهي علي بعد ميلين يسار القاصد إلى مكة ٠ أنظر ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج٤ ، ص ٣٠١ ٠

ملكيتّها لأحد أهل مكة المكرمة . كما تنتشر البساتين في منطقة المسفلة حيث زرعت أشجار النخيل والرّمان والعنّاب والحنّاء . ‹١›

كذلك وجدت الأراضي الزراعية في الأراضي القريبة من مكة المكرمة وما حولها من القرى والأودية مثل وادى نخلة والبرابر ‹٢› وبطن مر ‹٣› وأدم ‹٤› وعين سليمان التي تنسب لسليمان بن علي بن عبدالله بن موسي وقد اشتراها الشريف الحسن بن ثابت وهي قريبة من حدّه . ‹٥›

كما اشتهرت الطائف ‹٦› بخصوبة تربتها الزراعية فعمّت الزراعة بها وما حولها من القرى . وقد تحدثت كتب الرحالة عن مناطق زراعية في الطرق التي سلكوها أثناء رحلتهم في ينبع ‹٧› وبدر وقباء ‹٨› والصفراء والدهناء ‹٩› وتبوك . ‹١٠›

وتميزت بلاد الحجاز بوجود بعض الغلّات الزراعية مثل التمر والرمان والعنّاب والحنّاء والتين والسفرجل والخوخ والأترجّ والجوز والبطّيخ والكرنب والباذنجان والقثاء ‹١١› . وقد ذكر ابن جبير ان من أسباب ازدهار الزراعة في الاوديه المحيطة بمكة المكرمة وجود جاليه مغربية بها قامت باستصلاح الأراضي فقال« **قد جلب الله إليها من المغاربه**

---

١ ـ ابن جبير : الرحلة ، ص ٨٨ ـ ٨٩ ، ٩٣ .

٢ ـ التجيبي : مستفاد الرحلة ، ص ٢٢٣ .

٣ ـ ابن بطوطة : الرحلة ، ص ١٣٢ .

٤ ـ (أدم) من أشهر أودية مكة المكرمة . أنظر ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج١ ، ص ١٢٥ .

٥ ـ أنظر ابن المجاور : تاريخ المستبصر ، ص ٤١ .

٦ ـ ابن جبير : الرحلة ، ص ٩٩ .

٧ ـ العبدري : الرحلة المغربية ، ص ١٦٣ .

٨ ـ ابن جبير : الرحلة ، ص ١٧٤ ؛ العبدري : الرحلة المغربية ، ص ٢٠٣ .

٩ ـ (الدهناء) منزل " بطريق مكة بها ماء عذب ونخل . أنظر ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج٢ ، ص ٤٩٣ ؛ العبدري : الرحلة المغربية ، ص ١٦٣ .

١٠ـ (تبوك) موضع بين وادي القرى والشام وهي عبارة عن حصن به ماء وزرع . أنظر ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج٢ ، ص ١٤ ؛ ابن رشيد : ملء العيبة ، ج٥ ، ص ٧ .

١١ـ ابن جبير : الرحلة ، ص ٨٨ ـ ٨٩ ، ٩٣ ـ ٩٦ ـ ٩٧ ؛ ابن المجاور : تاريخ المستبصر ، ص ٩ ؛ القلقشندي : صبح الأعشي ، ج٤ ، ص ٢٥٣ ـ ٢٥٤ .

ذوي البصاره بالفلاحة والزراعة فأحدثوا فيها بساتين ومزارع فكانوا أحد الأسباب في خصب هذه الجهات » . <١>

والرياحين العبقه والمشمومات العطرة . كما وجد العسل المعروف عند أهل مكة المكرمة بالمسعودي . <٢>

٢ ـ الثروة الحيوانية :

تمتعت بلاد الحجاز بوجود ثروة حيوانية بها ومنها على سبيل المثال الجمال وتستخدم في نقل الأشخاص والأمتعة <٣> ؛ والضأن والماعز والبقر ، وقد تبع ذلك كثرة المنتوجات الحيوانية وتنوعها مثل اللحوم وجودتها وهذا دلالة على وجود المراعي التي أسهمت في تنمية الثروة الحيوانية . <٤>

*** صيد السمك :**

تميزت مدينة جدة بوفرة الأسماك حيث أنها مدينة ذات موقع بحري متميّز أسهم في جعل أهلها يشتغلون بهذه الحرفه <٤> . والواقع أنه ليست لدينا معلومات عن أنواعه ولا الطريقه المتبعة في الصيد ولا أدواته .

كما اشتغل أهل جزيرة تقع مقابل الحوراء <٥> يسكنها عرب يصيدون السمك الذي كان قوام غذائهم فضلاً عن بيعهم السمك للركب وقت حضوره . <٦>

---

١ ـ ابن جبير : الرحلة ، ص ٦٨ .

٢ ـ ابن جبير : مرجع سابق ، ص ٩٧ ـ ٩٨ .

٣ ـ التجيبي : مستفاد الرحلة ، ص ٢١٩ ـ ٢٢٠ .

٤ ـ ابن جبير : الرحلة ، ص ٩٨ ـ ٩٩ .

٥ ـ التجيبي : مستفاد الرحلة ، ص ٢١٩ ـ ٢٢٠ .

٦ ـ (الحوراء) من اشهر موانىء الحجاز خربت قبل القرن السابع الهجري وبقي اسمها معروفاً إلى أول القرن الحالي حيث كانت إحدى محطات الحجاج القادمين من مصر . يقابلها في البحر جبل منقطع يسكنه العرب به ماء عذب وعيشهم على صيد السمك يبيعونه إلى الركب إذا حضر . العبدري : الرحلة المغربية ، ص ١٦٢ ؛ الجزيري : الدرر الفرائد ، ج٢ ، ص ١٤٠٤ ؛ الدرعي : ملخص رحلتبن عبدالسلام ، ص ٨٣ ؛ حمد الجاسر : بلاد ينبع ، ص ١٧٨ ـ ١٨١ .

٦ ـ العبدري : الرحلة ، ص ١٦٢ .

٣ ـ الصناعة :

لابد لنجاح الصناعة في أي مكان من توفر مقوّماتها المتمثّلة في المواد الخام والأيدي العاملة والاستقرار السياسي وفي بلاد الحجاز نلاحظ بعض المواد الخام المجلوبه إليها مثل الجواهر والياقوت وغيرها من الأحجار الكريمة ٠ ‹١›

ونستطيع مما سبق القول عن مكة المكرمة مثلاً على ضوء توفر تلك المواد بوجود صناعة رائجة ومعروفة وهي صناعة الحلي والمجوهرات إذ أن تطعيم القطع والمصوغات الذهبية يتطلّب وجود الياقوت والجواهر وغيره من الأحجار المستخدمة في ذلك المجال ٠

كما يظهر لنا من خلال بعض المصادر وجود مصنوعات من الفضة استخدمت في تزيين المسجد الحرام حيث تجلب هذه المادة إلى البلاد وقد أشار ابن بطوطة إلى توفّر الفضة والذهب في مكة المكرمة ورخص أسعارهما ٠ ‹٢›

٤ ـ التجارة :

اعتمدت بلاد الحجاز على التجارة لإقبال الكثير على العمل في مجالها ويبدو أن طبيعة البلاد دفعت السكان إليها ونجد ذلك واضحاً في القرآن الكريم في دعوة إبراهيم الخليل لأهلها ﴿ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِيَ إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾ ‹٣›
﴿ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَماً آمِناً يُجْبَىٰ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾.‹٤›

---

١ ـ ابن جبير : الرحلة ، ص ٩٦ ـ ٩٧ ٠

٢ ـ مؤلف مجهول : الاستبصار ، ص ١١ ؛ ابن بطوطة : الرحلة ، ص ١٧١ ـ ١٧٢ ٠

٣ ـ القرآن الكريم : سورة إبراهيم ، ٣٧/١٤ ٠

٤ ـ القرآن الكريم : سورة القصص ، ٥٧/٢٨ ٠

فالآيات تشير إلى المكان وما خصّه الله به من مميزات دينية وهي اتجاه القلوب إليه ثم الناحية الإقتصادية المتمثّلة فيما ساقه الله لهم من رزق ليكونوا شاكرين لنعمه ومحافظين عليها ٠

أما الآية الثانية فأشارت إلى قدسية المكان وإلى الأرزاق والخيرات المحمولة إليه من كل مكان ٠

ونجد انه قد هيء سكن للتجار والحجاج إذ نلاحظ وجود الفنادق بكثرة في مدينة جدة وفيما يبدو أنها أُعدّت لنزول المسافرين والتجّار بها ٠

ومن المراكز والمحطات التجارية في بلاد الحجاز جُدّة وهي ميناء بحري ومكة المكرمة ‹١› وينبع وتبوك والعلا والحوراء والدهناء ورابغ والبرابر وعسفان ٠ ‹٢›

أما أهم الواردات التجارية الداخلية والخارجية فهي كالآتي:

*** الناحية الداخلية :**

تقوم مدينة جدة بتصدير السمك إلى مكة المكرمة ‹٣› ، وتحمل إليها الخضار والفواكه من الأودية القريبة مثل وادي نخلة وبطن مر ‹٤› ومن الطائف وأدم ٠ ‹٥›

---

١ ـ ابن جبير : الرحلة ، ص ٥٣ ، ٥٧ ـ ٥٨ ، ٩٦ ـ ٩٧ ٠

٢ ـ العبدري : الرحلة المغربية ، ص ١٦٥ ـ ١٦٦ ؛ ابن رشيد : ملء العيبة ، ج٥ ، ص ٢٧٧ ـ ٢٧٨ ؛ التجيبي : مستفاد الرحلة ، ص ٢٢٣ ؛ ابن بطوطة : الرحلة ، ص ١١٣ ، ١٢٨ ـ ١٢٩ ٠

٣ ـ التجيبي : مستفاد الرحلة ، ص ٢١٩ ـ ٢٢٠ ٠

٤ ـ ابن بطوطة : الرحلة ، ص ١٣٢ ٠

٥ ـ ابن جبير : الرحلة ، ص ١٦١ ٠

ومن خارج بلاد الحجاز تحمل إليها من الهند المسك والكافور والعنبر والعود والعقاقير الهندية ومن اليمن الزبيب الأسود والأحمر واللوز وقصب السكر والعسل <١>. كما قام السرو <٢>. بجلب الحنطة واللوبيا والسمن وغيرها ، فهؤلاء كانوا ذو أهمية كبيرة في اقتصاد أهل مكة المكرمة بما كانوا يحملونه من أرزاق حتى ان أهل مكة المكرمة شبهوا مقدمهم بمقدم المطر لكثرة الخير الذى يعم عليهم بوجودهم . ومن الجهات التي تحمل السلع منها إلى مكة المكرمة أيضاً بلاد العراق وخراسان والحبشة والمغرب <٣>

أما أهم الصادرات من مكة المكرمة لأهل اليمن فقد تمثّل في الأمتعه والملابس والملاحف والفُرش وهي أشياء لا يحملها التجار من أهل مكة المكرمة إليهم بل نجدها تتم بواسطة المقايضة مع هؤلاء القوم لعدم استعمالهم للنقود في البيع والشراء بل يقومون باستبدال ما حملوه إلى مكة من الأطعمة بالأمتعه التي أشرنا إليها .

ويلاحظ أيضاً من كلام ابن جبير أن النقود المستخدمة في البيع والشراء في مكة هي الدنانير والدراهم . <٤>

* **الأسواق التجارية :**

تعددت الأسواق التجارية في بلاد الحجاز وتنوعّت مبيعاتها وأوقاتها ففي مكة المكرمة يوجد سوق تجاري مابين الصفا والمروة تباع فيه الأطعمة وسوق للبزازين <٥> والعطارين عند باب بني

---

١ ـ المصدر السابق ، ص ٩٦ ـ ٩٨ .

٢ ـ (السرو) من قبائل العرب لهم قرى كثيرة تصل إلى أكثر من مائتين قرية وهم أهل جبال السراة من قبائل غامد وزهران وغيرها . أنظر ابن جبير : الرحلة ، ص١١٠؛ ابن المجاور : تاريخ المستبصر ، ص ٢٦ ـ ٢٧ ؛ عبدالقدوس الأنصاري : مع ابن جبير في رحلته ، ص ١٩٧ .

٣ ـ ابن جبير : الرحلة ، ص ٩٦ ـ ٩٧ .

٤ ـ ابن جبير : الرحلة ، ص ١١١ ، ٩٨ .

٥ ـ (البزاز) بائع الثياب والأمتعة . أنظر ابن منظور : لسان العرب ، ج٥ ، ص ٣١٢ .

شيبة <١> وسوق الدقاقين <٢> في أجياد <٣> وللخياطين مكانٌ متخصص لهم <٤> ، وهناك وسوق العبيد والجواري المعروف بسوق النخاسة <٥> وأما الأسواق التي تقام في موسم الحج ففي عرفه سوق كبير <٦> وفي منى سوق يستمر طوال أيام عيد الأضحى وتباع فيه الجواهر والأمتعة وغيرها . <٧>

كما توجد الأسواق في ينبع وبدر ورابغ وخليص والحوراء . <٨> كما عرف سكان الحجاز معاملات تجارية مختلفة سواء منها البيع والشراء أو الرهن أو الاستدانه وربما شمل التعامل بالربا . <٩>

*** النقود في بلاد الحجاز :**

وردت إشارة عن دار لسك النقود بمكة المكرمة لدى البلوي إذ أشار إلى أن الدار المعروفة بمكة المكرمة بدار أبي بكر الصديق رضي الله عنه أصبحت داراً للسكة <١٠>. وقد اكتفى البلوي بهذا القول دون ذكر نوعية النقود المسكوكة وأحجامها فقد أغفل الرحالة ذكر النقود المستعملة بالحجاز ولم يشر الى ذلك إلا ابن جبير <١١>. بينما أشار القلقشندى الى نوعياتها مثل الدينار الذهبي والدرهم الفضي كما بين أيضاً أنها على نوعين الدراهم الكامليه المنسوبة للملك الكامل الذى عرف بدرهم النقره والدراهم المسعوديه المنسوبة للملك المسعود ملك اليمن <١٢> وقد سبق أن ضربت دراهم منذ سنة ٥٨١هـ/ ١١٨٥م عندما دخل طغتكين مكة المكرمة وسكنها بأسم أخيه السلطان صلاح الدين الأيوبي . <١٣>

---

١ ـ ابن جبير : الرحلة ، ص ٨٥ ؛ ابن المجاور : تاريخ المستبصر ، ص ١٢ ـ ١٣ .

٢ ـ (الدق) مصدر قولك دققت الدواء أدقّه دقاً والدقاقة ما اندّق من الشيء والدقاق فتات كل شيء دُق وأهل مكة يطلقون على توابل القدر دُقة (البهار) . أنظر ابن منظور : لسان العرب ، ج١٠ ، ص ١٠٠ ـ ١٠١ ويحتمل أنه سوق للطحانين أو بائعي البهارات .

٣ ـ ابن بطوطة : الرحلة ، ص ١٣٩ .

٤ ـ ابن جبير : الرحلة ، ص ٦٨ .

٥ ـ جميل حرب : الحجاز واليمن في العصر الأيوبي ، ص ٢٣١ .

٦ ـ العبدري : الرحلة المغربية ، ص ١٨٥ .

٧ ـ ابن جبير : الرحلة ، ص ١٥٧ .

٨ ـ العبدري : الرحلة المغربية ، ص ١٦٢ ـ ١٦٣ ، ١٦٥ ـ ١٦٦ .

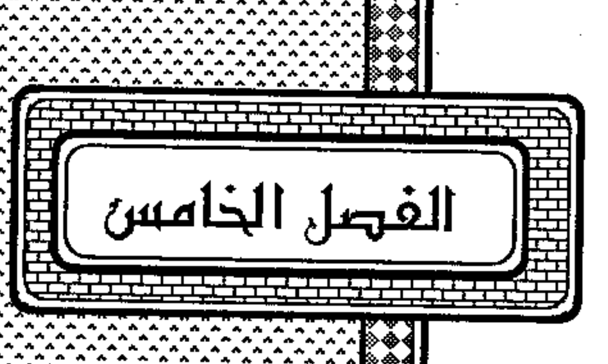
٩ ـ الفاسي : العقد الثمين ، ج٣ ، ص ٤٤٦ ، ١٦١ ـ ١٦٦ ؛ السخاوي : التحفة اللطيفة ، ج١ ، ص ٢٤٤ ـ ٢٤٥ .

١٠ـ البلوي : تاج المفرق ، ج١ ، ص ٣١٢ .

١١ـ ابن جبير : الرحلة ، ص ٩٨ .

١٢ـ القلقشندى : صبح الاعشى ، ج٤ ، ص ٢٨٠ ؛ ريتشارد مورتيل: الأحوال السياسية والاقتصادية في العصر المملوكي ، ص ١٩٣ـ١٩٤.

١٣ ـ الفاسي : شفاء الغرام ، ج٢ ، ص ٣١٥ ؛ ابن فهد : اتحاف الورى ، ج٢ ، ص ٥٥٢ .



الحركة التعليمية والأدبية في بلاد الحجاز من خلال كتب الرحالة المغاربة والأندلسيين

مع مقارنة

ببعض ما أوردته المصادر التاريخية

١ ـ المذاهب في بلاد الحجاز .

٢ ـ مراكز العلم ومدارسه .

٣ ـ كبار العلماء .

٤ ـ أشهر العلوم وأهم الكتب .

أولاً : المذاهب في بلاد الحجاز

تعدد الأئمة في الحرم المكي تبعاً لتعدد المذاهب في ذلك الوقت الأمر الذي انفردت به مكة المكرمة في ذلك الوقت عما سواها من المدن ، حيث كان لكل مذهب من المذاهب السنية الأربعة إمام مقدّم للصلاة بطائفته بالمسجد الحرام ولكن الأولوية للأمام الشافعي لأنه من قبل الخليفة فهو الذي يقيم الخطبه ويبدأ بالصلاة وأهل مكة على مذهبه <١> ، ويليه بقية الأئمة كما يوجد إمام خامس لفرقة الزيدية وأعيان مكة على مذهبه <٢> ولهذا يلقون الدعم واستمرارية الوجود ،

ولقد لفت انتباه الرحالة تعدد الأئمه وصلاة كل إمام بمن يتبعه واستنكارهم لذلك وزاد استنكارهم من وجود الفرقة الزيدية وإمامها فالإمام الزيدي كان موجوداً زمن رحلة ابن جبير عام ٥٧٩هـ / ١١٨٣م واستمر وجوده إلى وقت مجيء التجيبي <٣> مكة ، سنة ٦٩٦هـ / ١٢٩٦م ، ولكن اختفى وجوده في وقت وجود ابن بطوطة الذي زار مكة المكرمة سنة ٧٢٦هـ / ١٣٢٥م ضمن رحلاته المتعددة إذ أنه لم يذكر وجود الفرقة الزيدية ،

والغالب أنه لم يعد للمذهب الزيدي مكان بالحرم المكي ومما يؤيد ذلك الإجراءات التي اتخذت للحد منه والتي كملت بعدما وصل مرسوم من السلطان الناصر محمد بن قلاوون في سنة ٧٢٦هـ / ١٣٢٥م إلى الشريف عطيفه يستنكر فيه وجود أمام زيدي بالحرم فأصدر إليه أمراً بمنعه فنفذ الشريف الأمر <٤> ، ولم يعد أتباعه يجهرون بشعائرهم لأن مكة المكرمة في ذلك الوقت كانت تتبع للمماليك تبعية مباشرة وإن خرجوا عنها في فترات

---

١ ـ ابن جبير : الرحلة ، ص ٨٠ ،

٢ ـ المصدر السابق ، ص ٧٨ ،

٣ ـ المصدر السابق والصفحة ؛ التجيبي : مستفاد الرحلة ، ص ٢٩٧ ـ ٢٩٨ ،

٤ ـ الفاسي : العقد الثمين ، ج٦ ، ص ٩٨ ،

قصيرة لا يلبث اشرافها أن يعودوا إليها مرة أخرى لقوة المماليك في ذلك الوقت ٠

ويبدو أن أشراف مكة التزموا بالمرسوم الذي أصدره الملك الناصر حيث لم يشر البلوي إلي وجود إمام زيدي بالحرم عندما تطرق لقضية تعدد الأئمة بالحرم المكي ٠ <١>

ومما ذكر من أفعال الزيدية زيادتهم في الأذان " **حي على خير العمل** " بعد " **حي على الفلاح** " وصفوا بأنهم روافض لا يجمعون مع الناس وإنما يصلون ظهراً أربعاً ويصلون المغرب عقب فراغ الأئمة من صلاتهم ويتبرؤون من أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ٠ <٢>

ويبدو أنه لم يكن لأهل مكة وعلمائها طاقة على الأعتراض فضلاً عن التغيير إلا بالقلوب لمساندة أعيان مكة لهم ٠ <٣>

وقد عبر ابن جبير عن استنكاره للزيدية بقوله " **والله من وراء حسابهم وجزائهم** " ٠ أما التجيبي فعبر بقوله " **والله تعالى يرشدهم إلى مذهب أهل السنة والجماعة بمنه وكرمه** " ٠ <٤>

وكانت الأولوية للمذهب الشافعي بمكة المكرمة حيث يصلي إمامهم خلف مقام إبراهيم عليه السلام وتقديمه لهذا المكان يرجع إلى أنه المقدم من الخليفة ويليه في المرتبه والاتباع الإمام الحنفي فجميع ما يحتاجه يأتيه من دولة الاعاجم فهم على مذهبه ومكان صلاته بأتباعه أمام الميزاب ثم يليه في المكانة والاتباع الإمام الحنبلي ومكان صلاته ما بين الركن الأسود والركن اليماني ٠ وأضعف الأئمه أتباعاً المالكي ويصلي قرب الإمام الحنفي ٠ <٥>

---

١ ـ البلوي : تاج المفرق ، ج١ ، ص ٣١٠ ٠

٢ ـ ابن جبير : الرحلة ، ص ٧٨ ؛ التجيبي : مستفاد الرحلة ، ص ٢٩٧ ٠

٣ ـ التجيبي : مستفاد الرحلة ، ص ٢٩٩ ٠

٤ ـ ابن جبير : الرحلة ، ص ٧٨ ؛ التجيبي : مستفاد الرحلة ، ص ٢٩٩ ٠

٥ ـ ابن جبير : الرحلة ، ص ٧٨ ـ ٨٠ ؛ التجيبي : مستفاد الرحلة ، ص ٢٩٥ ـ ٢٩٧ ؛ البلوي : تاج المفرق ، ج١ ، ص ٣٠٦ ٠

إن ظاهرة تعدد الأئمة بالحرم المكي الشريف من المستحدثات التي لا يعرف على وجه التقريب متى بدأت ٠ <١> ولعل تعددهم بدأ منذ النصف الثاني من القرن الرابع الهجري ومما يؤيد هذا الافتراض أنه إلى سنة ٣٢٨هـ / ٩٣٩م لم يكن لهم ذكر فابن عبدربه قدم مكة المكرمة في حدود هذا التاريخ ووصف المسجد الحرام ولم يشر إلي وجودهم مما يعنى أنه لم تتعدد الأئمة بعد بالحرم الشريف ٠ <٢>

إن أول خبر ورد عن بداية وجودهم بالحرم المكي ما ذكره صاحب غاية الأماني من أن بداية وجودهم كانت زمن المأمون <٣> وأورد خبراً أخر يفيد أن أول من أحدث المقامات حول الكعبة المشرفة المتوكل <٤> وكلا الخبرين مشكوك في صحته خاصة وأنه بدأه بعبارة " **ولعله** " وختمه بقوله " **والله أعلم** " ٠

وربما ترجع بداية وجودهم مع بداية دولة الموسوين الأشراف <٥> ٠ فيكون بذلك الإمام الزيدى أول الأئمة ظهوراً بعد الإمام السني خاصة وأن الحجاز قد خضع لتدخلات الصليحيين حكام اليمن ردحاً من الزمن وتدخلات وحماية الفاطميين حكام مصر ردحاً آخر وكلا الدولتين كانتا تعتنقان المذهب الشيعي فنتج عنه أنتشار المذهب الزيدي بالحجاز خاصة وأن الحجاز وقع تحت

---

١ ـ الفاسي : شفاء الغرام ، ج١ ، ص ٢٩٥ ٠

٢ ـ حسين باسلامه : تاريخ عمارة المسجد الحرام ، ص ٢٢٤ ٠

٣ ـ ابو العباس عبدالله بن هارون الرشيد بن المهدي بن المنصور كان إماماً عالماً محدثاً لغوياً أديباً ، مدة خلافته اثنتا وعشرون سنة وقيل عشرون سنة وخمسة أشهر وثلاثة أيام ومات سنة ٢١٨هـ / ٨٣٣م في رجب ودفن بطرسوس ٠ أنظر ابن دقماق : الجوهر الثمين ، ج١ ، ص ١٣١ ـ ١٣٦ ٠

٤ ـ يحيى بن على : غاية الأماني ، ج١ ، ص ١٥٦ ؛ أبوالفضل جعفر بن المعتصم بن الرشيد بويع بعد أخيه الواثق يوم الأربعاء خامس عشر ذي الحجة سنة ٢٣٢هـ / ٨٤٦م ومات ليلة الأربعاء رابع شوال سنة ٢٤٧هـ / ٨٦١م وعمره أربعون سنة وخلافته أربع عشر سنة وتسعة أشهر وثمانية أيام ٠ انظر ابن دقماق : الجوهر الثمين ، ج١ ، ص ١٤٢ ـ ١٤٥ ٠

٥ ـ ابن خلدون : العبر ، ج٤ ، ص ٩٩ ٠

سلطـة الفاطميين التـي بـدأت منـذ سنـة ٣٦٥هـ / ٩٧٥م بعد حصار مكـة المكرمة بجيش مـن قبل العزيز ‹١› صاحب مصر حتى تقام له الخطبة بها ٠ ‹٢›

وتتابع بعد ذلك ظهور الإمام الحنفي والمالكي اللذين وجدا سنة ٤٧٠هـ / ١٠٧٧م وظهر الإمام الحنبلي في سنة ٥٤٠هـ / ١١٤٥م ‹٣› ويكون بذلك آخر الأئمة ظهوراً بالحرم الشريف ٠

ولم يتطرق أحد من الرحالة إلى بداية وجودهم وتعددهم بالحرم الشريف غير أن التجيبي أورد خبراً عن بداية تعددهم فقال إن تعددهم " **جاء نتيجة تغلب الديلمي على العراق فتفرق العلماء من العراق ومن الحجاز إلى غيرها من البلدان فبقي الناس بالحرم الشريف اشتاتاً غير أمام لهم يقيم لهم الصلاة ففزع أهل كل مذهب في الحرم إلى رجلٍ منهم فقدموه ليصلي بهم جماعة فمضى العمل على ذلك من يومئذ** " ‹٤› ٠ ولم يوضح التجيبي من هو المعنى بالديلمي كما أغفل تحديد السنة أيضاً ٠

ولعل المعنى هنا بالديلمي هو معز الدولة ابن بويه ‹٥› فقد دخل بغداد سنة ٣٣٤هـ / ٩٤٥م واعتقل الخليفة العباسي

---

١ ـ أبومنصور العزيز بالله بن المعز لدين الله معد بن منصور القائم بن المهدي العبيدي بويع بعد أبيه يوم الخميس أربع ربيع الآخر سنة ٣٦٥هـ / ٩٧٥م ومات سنة ٣٨٦هـ / ٩٩٦م عرف عنه الكرم والشجاعة ٠ انظر ابن دقماق : الجوهر الثمين ، ج١ ، ص ٢٥٠ ٠

٢ ـ ابن الأثير : الكامل ، ج٨ ، ص ٧٩ ٠

٣ ـ يحيى بن على : غاية الأماني ، ج١ ، ص ١٥٦ ٠

٤ ـ التجيبي : مستفاد الرحلة ، ص ٢٩٦ ٠

٥ ـ أبوالحسين أحمد بن أبي شجاع بُويه له ثلاثة أخوة كان صاحب العراق والأهواز ويقال له الأقطع لأن يده اليسرى مقطوعة وبعض أصابع يده اليمنى دخل بغداد يوم السبت لأحدى عشرة ليلة من جمادى الأولى سنة ٣٣٤هـ / ٩٤٥م في خلافة المستكفي وملكها بلا عناء توفي يوم الأثنين سابع عشر شهر ربيع الآخر سنة ٣٥٦هـ / ٩٧٥م ببغداد ٠ أنظر ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج١ ، ص ١٧٤ ـ ١٧٦ ٠

المستكفي <١> وسمل عينيه وكان معز الدولة شيعياً حتى قيل أنه أراد مبايعة شيعي ولكنه عدل عن ذلك وأصبحت الحالة في العراق مذرية من الفقر والجوع حتى صارت العقارات تباع برغيفين من الخبز وأكل الناس الجيف والدواب والكلاب وهجرها أهلها ٠ <٢>

ونخلص بالقول إلى أنه بالرغم من تعدد الأئمة والمذاهب بالحرم الشريف إلا أنه لم يحدث اضطهاد أو تحيز لمذهب على آخر بل سار أئمة وعلماء المذاهب جنباً إلى جنب لنشر العلم وذلك بعقدهم لمجالس العلم وحلقاته وربما يحدث تفقه العلماء على أكثر من مذهب <٣> مما يؤكد أن تعدد المذاهب نتج عنه انتشار أوسع للعلم ٠

وظلت مكة المكرمة والمدينة المنورة مقصداً يصلهما العلماء وطلبة العلم للزيارة وأداء فريضة الحج ونيل العلم فيقيمون فيهما فترة قد تمتد إلى سنوات ٠ بل إننا لنجد بعضاً من هؤلاء العلماء يقضي بقية عمره بأحدهما <٤> ٠ كما تعد الرحلة إليهما في طلب العلم من الأشياء الهامة لعلماء تلك الفترة <٥> ٠ وحفلت كتب التراجم بالإشارة لذلك فهي توضح مجاورة العديد منهم سواء بمكة المكرمة أو المدينة المنورة أو كليهما وذلك عائد إلى مكانة المدينتين في نفوس المسلمين وما كان عليه المسجد الحرام والمسجد النبوي من نشاطٍ علمي إذ كانا بمثابة جامعة كبيرة متنوعة العلوم يعقد فيهما الحلقات العلمية يومياً ٠ وهذه الحلقات مفتوحةٌ لكل راغبٍ في المعرفة غير مرتبطة بدوام

---

١ ـ عبدالله بن علي المكتفي بن المعتضد يكنى أبا القاسم ولد في صفر سنة ٢٩٢هـ / ٩٠٤م ولي الخلافة وعمره أحدى وأربعون سنة وكان ذلك سنة ٣٣٣هـ / ٩٤٤م وفي أيامه دخل معز الدولة بن بُويه بغداد وسمل عينيه وكانت مدة خلافته سنة وأربعة أشهر ويومين ٠ أنظر ابن الجوزي : المنتظم ، ج٦، ص٣٢٨ـ٣٤٣٠

٢ ـ المصدر السابق والجزء ، ص ٣٤٢ ـ ٣٤٥ ؛ ابن الأثير : الكامل ، ج٦ ، ص ٣١٤ ـ ٣١٦ ٠

٣ ـ الفاسي : العقد الثمين ، ج٥ ، ص ١٩٦ـ١٩٩؛ ٤، ص٣٢٧ ؛ السخاوي : التحفة اللطيفة ، ج٢، ص٢٢٠

٤ ـ ابن حجر : الدرر الكامنة ، ج٤ ، ص ١٣٣ ؛ السخاوي ، التحفة اللطيفة ، ج٢ ، ص ٢٠ ٠

٥ ـ ابن خلدون : العبر ، ج١ ، ص ٣٦١ ٠

محدد ولا تفرض مادة بعينها للدرس يتنقل فيها الطالب من حلقة لإخرى إلى أن يستقر في الفن الملائم له . <١>

ويتصدر الشيخ هذه الحلقات وحوله طلبة العلم يسمعونه ويناقشونه ويناقشهم واستعملت بهذه الحلقات طريقة الإملاء والقراءة ودراسة الرواية والدراية والمناظرة كطريقة للتعليم . <٢>

وطبيعي أن تتعدد الحلقات العلمية بتنوع العلماء حيث أشار ابن جبير إلى كثرتها . <٣>

ولا ريب أن مكة المكرمة والمدينة المنورة مبدأ ومنتهى الحركة العلمية بسبب الرحلات السنوية للحج والزيارة وهذه ميزة أنفردت بهما عن سائر الأقطار الإسلامية . فهي بذلك ملتقى العلماء ووسيلة هامة لنقل الكتب إلى مختلف البلاد الإسلامية حتى قيل إن بعض العلماء إذا افتقد كتاباً ولم يستطع الحصول عليه رغم تطوافه في البلدان لجأ إلى الإعلان عنه في الحج طمعاً في معرفة مكانه أو كيفية الوصول إليه . <٤>

وأدت شهرة علماء مكة المكرمة في مختلف الأقطار الإسلامية إلى الإجابة على كل ما يردهم من أسئلة واستفسارات <٥> . ولا شك أن مجيء العلماء لمكة المكرمة لم يكن للحج فقط بل لطلب العلم والاستزادة منه فأصبحوا رسلاً لنشر العلم والثقافة بين البلاد الإسلامية . <٦> كما كانت شهرة العالم

---

١ ـ محمد المجذوب : رسالة المسجد قديماً وحديثاً ، بحوث مؤتمر رسالة المسجد المنعقد في ١٥ رمضان ١٣٩٥هـ ، ص ٤٨٥ .

٢ ـ السيوطي : تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي ، ج٢ ، ص ١٣٢ ـ ١٣٩ ؛ عبدالرحمن الحوت : رسالة المسجد والإمام ، بحوث مؤتمر رسالة المسجد ، ص ١٥٢ ـ ١٥٣ .

٣ ـ ابن جبير : الرحلة ، ص ٦٨ ، ٧٢ .

٤ ـ ياقوت الحموي : معجم الأدباء ، ج١٦ ، ص ١٠٢ ؛ أحمد شلبي : موسوعة النظم والحضارة الإسلامية ، ج٥ ، ص ٣١٤ .

٥ ـ الفاسي : العقد الثمين ، ج٢ ، ص ٥٦ .

٦ ـ ابوعلى الهجرى : أبوعلي الهجري وأبحاثه في تحديد المواضع ، ص ١٠ .

مقصداً لطلبة العلم في كل مكان يصله <١> وأدت بالتالي إلى أنتشار مؤلفاتهم في العالم الإسلامي <٢> ويبدو أن إنتشار الكتب في البلاد الإسلامية عائد إلى طلبة العلم المتنقلين بين المراكز العلمية ٠

وكانت مكة المكرمة من أبرز مراكز العلم في العالم الإسلامي بفضل كثرة العلماء بها بالإضافة إلى علمائها من العائلات التي تخصصت في طلب العلم وتوارثته كما توارثت خطبة الجمعة والإمامة في المسجد الحرام <٣> مثل عائلة الطبري كما قام العلماء بالتعليم والتدريس دون مقابل ٠ <٤>

---

١ ـ الخشني : قضاة قرطبة ، ص ٥٣ ـ ٥٤ ؛ شوقي ضيف : عصر الدول والامارات ، الجزيرة العربية ، ص ٦٢ ـ ٦٣ ٠

٢ ـ ياقوت الحموي : معجم الأدباء ، ج٩ ، ص ٢١١ ٠

٣ ـ أحمد السباعي : تاريخ مكة ، ج١ ، ص ٢١٧ ٠

٤ ـ عبدالرحمن صالح : تاريخ التعليم في مكة المكرمة ، ص ٣٩

ثانياً : مراكز العلم ومدارسه

مكة المكرمة :

كان المسجد الحرام من أعظم المراكز العلمية بالحجاز على الإطلاق فهو مقر للتدريس وجامعة مفتوحة لطلبة العلم لا فرق بين غنيهم وفقيرهم ففيه تعقد حلقات العلم <١> حيث يتصدر الشيخ الحلقة وحوله التلاميذ من مختلف الجنسيات <٢> إلى جانب تنوع العلوم الملقاة فيها <٣> . ويظهر ذلك من تراجم مختلف العلماء لدى الرحالة المغاربة والأندلسيين .

ولم يكن التعليم في المسجد الحرام وفق منهج محدد بل كان الأمر متروكاً لكل عالم في تدريس المفيد والصالح من العلم <٤> والطالب يتبع ميوله العلمية فإذا برز في علم واستطاع اجتياز الأمتحان أجيز فيه وأصبح مؤهلاً لتدريس ذلك العلم . <٥>

وقد ظهرت كثرة حلقات العلم بالمسجد الحرام من إشارات الرحالة المغاربة والأندلسيين حيث أشار ابن جبير إليها دون تفصيل في هذه الناحية بأكثر من قوله إنه " **غاص بحلقات الدرس** " <٦> . ونتلمس دور المسجد الحرام العلمي في ذلك الوقت من كتب الرحالة المغاربة والأندلسيين الذين دونوا رحلاتهم على نمط البرامج مثل ابن جابر الوادي وابن رشيد وغيرهم ممن تأرجحت كتاباتهم بين نمط البرامج والوصف مثل التجيبي فهم يظهرون مدى إشعاع هذا المركز العلمي وشهرته في كل ناحية من أقطار البلاد الإسلامية

---

١ ـ على حسني الخربوطلي : الحضارة العربية الإسلامية ، ص ٢٢٩ .

٢ ـ عبدالرحمن صالح عبدالله : تاريخ التعليم في مكة المكرمة ، ص ٤١ .

٣ ـ محمد الحسيني : الحياة العلمية في الدولة الإسلامية ، ص ٣٧ ـ ٣٨ .

٤ ـ عبدالرحمن صالح عبدالله : تاريخ التعليم في مكة المكرمة ، ص ٤١ .

٥ ـ على الخربوطلي : الحضارة العربية الإسلامية ، ص ٢٢٩ ـ ٢٣٠ .

٦ ـ ابن جبير : الرحلة ، ص ٦٨ ، ٧٢ .

فموسم الحج مناسبة لكل شيء <١> . ولا يلبث أن يغادر العالم أو طالب العلم إلى موطنه محملاً بما ناله من علم وما حصل عليه من إجازات فقد أورد ابن رشيد نماذج لمثل تلك الإجازات في رحلته <٢> . كما قام ابن جابر الوادي آشي بنشر ما تلقاه من علوم في موطنه عندما عاد . <٣>

وزخرت كتب التراجم بالكثير من تراجم العلماء الراحلين إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة ونادراً ما نجد من لم تكن له رحلة إليهما حيث أن قيمة العالم تكمن في كثرة ما له من رحلات ومشايخ تلقى العلم عنهم . <٤>

ويبدو أن مكانة المسجد الحرام العلمية بدأت منذ أن تصدر ابن عباس للجلوس والتدريس فيه حتى لقب بحبر الأمة وسُمي بالبحر لغزارة علمه بحديث رسول الله ﷺ <٥> وبطرق التقاضي في عهد أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم وبالفقه والشعر وتفسير القرآن الكريم والحساب والتأويل والمغازي وأيام العرب لذلك تنوعت حلقات العلم التي عقدها خاصة وإنه لكل علم من العلوم السابقة مجلسٌ ويومٌ خاص . وإلى جانب ما سبق هو أعلم الناس بالمناسك إذ شوهد في أيام الحج يلجأ إليه الحجاج لسؤاله عن المناسك .<٦>

ومنذ تلك الأيام برزت المكانة المرموقة للمسجد الحرام كمقر للتدريس والفتيا واستمر الوضع بتصدر كبار العلماء للتدريس والتعليم فقد ذكر ابن رشيد أن رضى الدين الطبرى <٧> تدور عليه الفتيا أيام الموسم . <٨> وقد أيد الفاسي ابن رشيد في ذلك . <٩>

---

١ ـ السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ، ج٥ ، ص ١٥٣ ، ١٥٦ ، ١٥٨ .

٢ ـ ابن رشيد : ملء العيبة ، ج٥ ، ص ١٦٩ .

٣ ـ ابن جابر الوادي آشي : البرنامج ، طبعة ١٤٠١هـ/١٩٨١م ، ص ١٤ .

٤ ـ ابن خلدون : العبر ، ج١ ، ص ٣٦١ ؛ أحمد شلبي : التربية الإسلامية ، ج٥ ، ص ٣٣٠ .

٥ ـ ابن الأثير : أسد الغابة ، ج٣ ، ص ١٨٧ .

٦ ـ ابن سعد : الطبقات الكبرى ، ج٢ ، ص ٣٦٨ ـ ٣٦٩ .

٧ ـ أنظر ترجمته في ص ٢٧٥ .

٨ ـ ابن رشيد : ملء العيبه ، ج٥ ، ص ١٣١ .

٩ ـ الفاسي : العقد الثمين ، ج٣ ، ص ٢٤٠ ـ ٢٤٧ .

وأشار الرحالة المغاربة والأندلسيون إلى تنوع حلقات العلم من سماع الأحاديث الشريفة <١> والشعر <٢> والتفسير والسيَر والمغازي وعلوم الحديث ونماذج من خطب الجمعة وعلم القراءات والفقه وغيرهما من العلوم <٣> وساعد على بروز المسجد الحرام كمركز علمي توفر الكتب اللازمة للتعليم فقد شاهد كل من ابن جبير والتجيبي وابن بطوطة والبلوي خزائن للكتب فيه.<٤> وهي ولا ريب كتب وقفت على المسجد الحرام . إضافة إلى الكتب الخاصة بكل عالم يتولّى التدريس منها وذكر التجيبي أن لنجم الدين الطبري <٥> خزانة كتب كبيرة <٦> .إلى جانب الكتب الموقوفة من قِبَل علماء مكة المكرمة .<٧>

واسهم علماء كل مذهب بتأمين الكتب للدارسين وإيقافها عليهم داخل المسجد الحرام فقد شاهد ابن جبير خزانة للكتب تتبع الإمام المالكي موقوفة على أهل مذهبه <٨> . ويلاحظ أيضاً مجيء طلبة العلم ببعض الكتب لمقابلتها على ما لدى علماء مكة المكرمة وإضافة الشروحات عليها وخير مثال على وفرة الكتب بمكة المكرمة ما حوته كتب الرحالة من أسمائها .

---

١ ـ ابن رشيد : ملء العيبة ، ج٥ ، ص ١٢١ ؛ التجيبي : مستفاد الرحلة ، ص ٣٦٢ .

٢ ـ ابن رشيد : ملء العيبة ، ج٥ ، ص ٢٦٣ .

٣ ـ التجيبي : مستفاد الرحلة ، ص ٣٨٢ ، ٤٠٤ وما بعدها ، ص ٣٧٦ ، ٣٨٥ ، ٤٣٤ ، ٤٤١ .

٤ ـ ابن جبير : الرحلة ، ص ٨٠ ؛ التجيبي : مستفاد الرحلة ، ص ٣٠٦ ؛ ابن بطوطة : الرحلة ، ص ١٣٨ ؛ البلوي : تاج المفرق ، ج١ ، ص ٣٠٦ .

٥ ـ أنظر ترجمته في ص ٢٨١ .

٦ ـ التجيبي : مستفاد الرحلة ، ص ٣٧٦ .

٧ ـ الفاسي : العقد الثمين ، ج٥ ، ص ١٠٢ .

٨ ـ ابن جبير : الرحلة ، ص ٨٣ .

المدينة المنورة :

يأتي المسجد النبوي مركزاً ثانياً من المراكز العلمية بالحجاز وإن لم يصل في وضعه العلمي إلى مرتبه المسجد الحرام خاصةً فهذا عائدٌ إلى اضطهاد السنه حتى قيل إنه لم يكن بالمستطاع الجهر بقراءة كتب السّنة ٠ ‹١› وأثار الأمر انتباه ابن جبير فأشار إلى تصدر الشيعه في الإمامة والخطابة ‹٢› ٠ بالمسجد النبوي ووصفهم بأنهم " **على مذهب غير مرضي** " ‹٣› ٠ وهذا مخالف لأوضاع المسجد الحرام واستيعابه لكافة المذاهب دون التحيز لأحدها ضد الآخر بإشارة ابن جبير والتجيبي والبلوي ٠ ‹٤›

ويفسر اضطهاد أهل السنة بالمدينة المنورة ضعف دور علمائها العلمي في تلك الفترة ولكن لم تلبث أن تغيرت تلك الأوضاع فنجد في كتب الرحالة عقب ابن جبير برز دور علماء السنة في المدينة ٠ ‹٥›

فحافظت على مركزها العلمي وظلت مقصداً لطلبة العلم يعودون منها إلى وطنهم لنشر ما تلقوه من علمائها ٠ وكان العلماء المجاورون يحتفظون بكتبهم داخل المسجد النبوي في أماكن خاصة بهم مثل السمهودي وغيره ‹٦›

---

١ ـ السمهودي : وفاء الوفا ، ج٢، ص ٦٠٠ ؛ جميل حرب : الحجاز واليمن في العصر الأيوبي ، ص٢٣٩ ٠

٢ ـ ظلت الخطابه والإمامه بأيدي الشيعة إلى أن خرجت منهم إلى عمر بن أحمد بن ظافر بن طراد ولكنه لم يسلم من أذاهم خاصة بعد أن أضيف القضاء له وقد كان أهل السنة قبله مستضعفين يؤذون فارتحلوا بأولادهم تاركين أملاكهم فبعث إليهم أهل المدينة أن الأشراف أمنوهم وعليهم الرجوع إلى المدينة المنورة فلم يفعلوا فصودرت أملاكهم ٠ أنظر السخاوي : التحفة اللطيفة ، ج٣ ، ص ٣١٣ ؛ حمد الجاسر : رسائل من تاريخ المدينة ، ص ١٤٢ ٠وتعقيباً حول ما قيل تظهر لنا قوة وهيمنة الدولة المملوكية على المدينة المنورة بما لها من سلطة في إقصاء الشيعة وتقديم السنة وهو أمرٌ لم تستطع الدولة الأيوبية فعله ٠

٣ ـ ابن جبير : الرحلة ، ص ١٧٩ ٠

٤ ـ ابن جبير : الرحلة ، ص ٧٨ ؛ التجيبي : مستفاد الرحلة ، ص ٢٩٦ ـ ٢٩٧ ؛ البلوي : تاج المفرق ، ج١ ، ص ٣٠٦ ٠

٥ ـ ابن رشيد : ملء العيبة ، ج٥ ، ص ٦٩ ٠

٦ ـ السخاوي : التحفة اللطيفة ، ج٣ ، ص ٢٣١ ٠

وللدلالة على وفرة الكتب بالمدينة وتنوعها ما قيل إنه " **ما من عالم صنف كتاباً بالمشرق أو بالسند أو بالهند أو العراق أو غيرها من الأقاليم إلا يصرف نسخة للمدينة المشرفة تبركاً ورجاء الإقبال على كتبه** " إضافة إلى وجود عدد كبير منها للأعارة ‹١› ٠ كما احتوت على بعض كتب للذهبي شاهد ابن جابر الوادي آشي منها اختصاراً لتاريخ الذهبي والمؤلف من أحدى وعشرين مجلداً بالمدينة المنورة فنقل منه ٠ ‹٢›

كما ضم المسجد النبوي مكتبة كبيرة احتوت على خزانتين كبيرتين من الكتب وبعض المصاحف الموقوفه على المسجد ٠ ‹٣› وأغلب الظن أن الكثير من هذه الكتب قد تلف وضاع خاصة وأن المسجد النبوي تعرّض لحريقين تسببا في إتلاف العديد من الأشياء القيمة ٠ ‹٤›

ونستطيع القول إن المسجدين المكي والمدني حظيا بأهمية علمية كبيرة لكثرة العلماء والمؤلفات فيهما وهما الأساسان في صبغهما بتلك الأهمية وجعلهما مقصداً لطلبة العلم ٠

ويجدر بنا أيضاً الإشارة إلى ما للحجاج من دور في نشر العلم أثناء سيرهم إلى الحجاز فركب الحجيج يضم آلاف المسلمين فهم في أثناء سيرهم يتدارسون ويتلقون العلم كما أشار ابن رشيد إلى ذلك ٠ ‹٥›

---

١ ـ محمد المنوني : الجزيرة العربية في الجغرافيات والرحلات المغربية وما إليها ، مصادر تاريخ الجزيرة العربية ، ج٢ ، ص ٣٠١ ٠

٢ ـ ابن جابر الوادي آشي : البرنامج ، طبعة ١٤٠١هـ/١٩٨١م ، ص ١٠٠ ـ ١٠١ ٠

٣ ـ ابن جبير : الرحلة ، ص ١٧١ ؛ البلوي : تاج المفرق ، ج١ ، ص ٢٨٧ ٠

٤ ـ احترق المسجد النبوي الشريف للمرة الأولى في رمضان عام ٦٥٤هـ / ١٢٥٦م ولم يسلم من هذا الحريق إلا بعض صناديق للكتب الموجودة في القبة الواقعة بوسط صحن المسجد والمصحف الشريف العثماني، واحترق في المرة الثانية في سنة ٨٨٦هـ / ١٤٨١م فاحترقت كتب أخرى موجودة في المسجد من ضمنها معظم كتب السمهودي ٠ أنظر السمهودي : وفاء الوفا ، ج٢ ، ص ٥٩٨ ـ ٦٠٠ ؛ السخاوي : التحفة اللطيفة ، ج٣ ، ص ٢٣١ ٠

٥ ـ ابن رشيد : ملء العيبة ، ج٥ ، ص ٥ ـ ٦ ، ١٠ ٠

المدارس الموجودة في الحجاز:

مكة المكرمة:

المدرسة المظفرية أو المنصورية :

سارت المدارس بمكة المكرمة جنباً إلى جنب مع المسجد الحرام في نشر العلم وإن كانت متأخرة الظهور إلا أنه خلال قدوم الرحالة المغاربة والأندلسيين إلى مكة المكرمة اقتصروا في الإشارة إلى مدرسة واحدة فقط وهي المدرسة التي بناها ملك اليمن المنصور المظفر نور الدين عمر بن رسول وتعرف بالمدرسة المظفرية وأوقفها على أتباع المذهب الشافعي <١> . وذكر الخزرجي وقف السلطان نور الدين للمدرسة ولكنه لم يشر إلى سنة الوقف <٢> . بينما ذكر الفاسي وابن فهد أنها بنيت بالجانب الغربي من المسجد الحرام سنة ٦٤١هـ / ١٢٤٣م . <٣>

وذكر التجيبي أن الملك المنصور عمر بن علي بن رسول بنى مدرسة وجعل لها باباً شارعاً داخل المسجد الحرام بين باب العمرة وباب إبراهيم <٤> . وحدد ابن بطوطة نفس المكان ولكنه قال إن مؤسسها هو السلطان يوسف بن رسول . <٥>

وهنا التبس الأمر على ابن بطوطة فباني المدرسة هو والد السلطان يوسف ولعل سبب اللبس عائداً إلى أن السلطان يوسف قد يكون أضاف إليها إضافات معمارية منسوبة إليه خاصة وأن له العديد من الآثار الطيبة في مكة المكرمة مما جعل ابن بطوطة يعتقد أنه المؤسس لها . <٦>

---

١ ـ التجيبي : مستفاد الرحلة ، ص ٢٤٦ .

٢ ـ الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص ٨٢ .

٣ ـ الفاسي : شفاء الغرام ، ج١ ، ص ٥٢٣ ؛ الفاسي : العقد الثمين ، ج١ ، ص ١١٧ ؛ ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٢ ، ص ٦٠ .

٤ ـ التجيبي : مستفاد الرحلة ، ص ٤٦٢ ، ٢٤٦ .

٥ ـ ابن بطوطة : الرحلة ، ص ١٣٩ .

٦ ـ الفاسي : العقد الثمين ، ج٧ ، ص ٤٨٩ .

أما العبدري فذكر نفس المدرسة بنفس مكانها ونسبها لأحد حفدة الفقيه محب الدين الطبري <١> ولعل سبب نسبتها إليه أنه القائم عليها فالتبس الأمر على العبدرى خاصة أن إقامته في مكة المكرمة محدودة ولم يتمكن فيها من تحرّي الأمر بدقة ٠ إضافة إلي أن المحب الطبري يعمل معلماً بها وكثير السفر إلى اليمن ولعل الحفيد المعني في قول العبدري نجم الدين الطبري والذي رافق جده إلى اليمن <٢> ٠ فربما نال حظوة القيام على المدرسة ٠ وذكر الفاسي قولاً يوافق التجيبي من قيام هذه المدرسة بتدريس الحديث والفقه على المذهب الشافعي ٠ <٣>

وقد كانت هذه المدرسة مثار انتباه الرحالة إذ اكتفوا بذكرها دون غيرها وربما يرجع ذلك إلى عظم هذه المدرسة وما هي عليه من علو الشأن دون باقي المدارس حتى قيل إنها " **كانت من العظم بحيث يغبط ملوك الأرض بانيها** "<٤> ويبدو أن تلك النظرة لها كانت من الناحية المعمارية والعلمية٠

وقد أغفلت كتب الرحالة المغاربة والأندلسيين ذكر بعض المدارس التي كانت معاصرة لرحلاتهم وجاءت الإشارة إليها في الكتب التاريخية المعاصرة ومن أهم هذه المدارس التي كانت تؤدي دورها :

مدرسة الزنجيلي :

ذكر الفاسي وابن فهد موقعها عند باب العمرة ويدرس بها الفقه الحنفي وأوقفت سنة ٥٧٩هـ / ١١٨٣م <٥> ٠ ولكن الراجح أنها أوقفت سنة ٥٨٠هـ / ١١٨٤م فابن جبير حجّ وجاور في تلك السنة ولم يذكر أنه رأى

---

١ ـ العبدري : الرحلة المغربية ، ص ١٧٤ ٠

٢ ـ الفاسي : العقد الثمين ، ج٣ ، ص ٦٥ ؛ ج٢ ، ص ٢٧٣ ٠

٣ ـ نفس المصدر السابق ، ج١ ، ص ١١٧ ؛ الفاسي : شفاء الغرام ، ج١ ، ص ٥٢٣ ٠

٤ ـ الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص ٨٢ ؛ ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣ ، ص ٦٠ ٠

٥ ـ الفاسي : العقد الثمين ، ج١ ، ص ١١٧ ؛ ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٢ ، ص ٥٤٩ ٠

مدرســة بمكة فلو تمّ وقفها في تلك السنة لبادر ابن جبير إلى الإشارة لذلك إذ أنــه من المعاصرين لبنائها فكل ما أورده عن الزنجيلي أنه ابتنى داراً بمكة المكرمة <١> . فربما كانت هذه الدار نواة للمدرسة أو الرباط الذي شيده ومن ثم جعلها مدرسة أو رباطاً . ولم يرد ذكر هذه المدرسة في كافة كتب الرحالة وربما لعدم شهرتها أو لتغيير اسمها خاصة وأن ابن فهد يذكر أنها أصبحت تعرف بدار السلسلة وأصبحت المدرسة بيد بعض أشراف مكة المكرمة <٢> . كما جاء ذكرها لدى أبي شامة والنعيمي . <٣>

مدرسة طاب الزمان الحبشية :

عتيقة الخليفة المستضيء أوقفتها سنة ٥٨٠هـ / ١١٨٤م على الشافعية . <٤>

مدرسة الأرسوفي :

لصاحبها أبي محمد عبدالله بن محمد بن عبدالله بن هبة الله الأرسوفي الأصل المصري الدار الشافعي العدل التاجر وتاريخ وقفها سنة ٥٩١هـ / ١١٩٤م . <٥>

مدرسة أبي علي ابن أبي زكرى :

تقع بقرب المدرسة المجاهدية وتاريخ وقفها سنة ٦٣٥هـ / ١٢٣٧م وتعرف ببيت ورثه الشيخ أسماعيل الزمزمي . <٦>

---

١ ـ ابن جبير : الرحلة ، ص ١٤٨ .

٢ ـ ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٢ ، ص ٥٤٩ .

٣ ـ ابوشامه : الروضتين ، ج١ ، ص ٢٦ ؛ النعيمي : الدارس في تاريخ المدارس ، ج١ ، ص ٥٢٦ .

٤ ـ الفاسي : العقد الثمين ، ج١ ، ص ١١٧ ؛ ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٢ ، ص ٥٥٣ .

٥ ـ المنذري : التكملة لوفيات النقله ، ج١ ، ص ٢٢٧ ؛ الفاسي : العقد الثمين ، ج١ ، ص ١١٢ ؛ الفاسي : شفاء الغرام ، ج١ ، ص ٥٢٦ .

٦ ـ الفاسي : العقد الثمين ، ج١ ، ص ١١٨ ؛ ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٢ ، ص ٥٤ .

مدرسة ابن الحداد المهدي :

أوقفها على المالكية بقرب باب الشبيكة وتعرف بمدرسة الادارسه وتاريخ وقفها سنة ٦٣٨هـ / ١٢٤٠م ٠ <١>

مدرسة النهاوندي :

قرب الدربيه بنيت زمن المدرسة السابقة ٠ <٢>

مدرسة الأمير أرغون :

الأمـير أرغـون هو نائب الخليفة الناصر وتم تشييدها للخليفة قبل سنة ٧٢٠هـ / ١٣٢٠م أو بعدها بقليل بدار العجلة على يسار الداخل إلى المسجد الحرام ٠ <٣>

مدرسة الملك المجاهد :

الملك المجاهد صاحب اليمن بناها بالجانب الجنوبي من المسجد الحرام وأوقفها على الشافعية سنة ٧٣٩هـ / ١٣٣٨م ٠ <٤>

ومما يلفت النظر أن الرحالة المغاربة والأندلسيين حرصوا على طلب العلم بالمسجد الحرام وليس بالمدارس المنتشرة بمكة <٥> ٠ إلى جانب أماكن أخرى مثل بيوت العلماء وغيرهما ٠ <٦>

---

١ ـ الفاسي : العقد الثمين ، ج١ ، ص ١١٨ ٠

٢ ـ المصدر السابق والجزء والصفحة ٠

٣ ـ المصدر السابق والجزء ، ص ١١٧ ٠

٤ ـ المصدر السابق والجزء ، ص ١١٨ ٠

٥ ـ ابن رشيد : ملء العيبة ، ج٥ ، ص ١٣٨ ، ١٤١ ، ١٦٥ ، ١٨٣ ـ ١٨٤ ، ١٩٣ وغيرها ؛ التجيبي : مستفاد الرحلة ، ص ٢٣٥ ، ٢٤٢ ، ٢٥٧ ، ٢٧٠ ، ٢٧٣ ، ٣١٠ وغيرها ، ابن جابر الوادي آشي : البرنامج ، طبعة ١٤٠١هـ/١٩٨١م ، ص ١٨٩ ، ١٩٢ ، ١٩٤ ، ١٩٥ ، ٢٠١ ، ٢٠٤ ، ٢٠٩ وغيرها ؛ ابن بطوطة : الرحلة ، ص ١٤٠ ٠

٦ ـ ابن رشيد : ملء العيبة ، ج٥ ، ص ١٢٩ ـ ١٣٠ ، ١٣٤ ، ١٤٧ ٠

المدارس بالمدينة المنورة :

لم يرد ذكر المدارس بالمدينة المنورة في كتب الرحالة إلا في برنامج ابن جابر الوادي آشي حيث ذكر المدرسة الشهابية ولم يشر إلى مكانها ولا سنة وقفها وكل ما وصلنا من معلومات عنها أن عمر بن أحمد بن الخضر بن ظافر بن طراد عمل مدرساً بها ٠ <١>

وقد ذكر السخاوي بأن هذه المدرسة للمظفر غازي <٢> وموقوفة على المذاهب الأربعة وتتوفر فيها أعداد كبيرة من الكتب التي فقدت فيما بعد ٠ <٣>

وأشار البلوي إلى مدرسة أخرى بالمدينة المنورة تقع مقابل باب الرحمة مع عدم الأشارة إلى اسمها <٤> ٠ كانت أماكن الدرس والتلقي بالمدينة تقام بالمسجد النبوي وقليل منها في منازل العلماء <٥> ٠ ولم يذكر أحدٌ من الرحالة أنه أخذ علماً بمدرسة سوى ابن جابر الوادي آشي ٠ <٦>

---

١ ـ ابن جابر الوادي آشي :البرنامج ، طبعة ١٤٠١هـ/١٩٨١م ، ص ٤٩؛ أنظر ترجمته في ص ٢٩٢ـ٢٩٣ ٠

٢ ـ لم يتضح من هو المقصود بالمظفر غازي حيث يوجد اثنان بهذا الإسم أولهما غازي المظفر بن أبي بكر العادل بن أيوب من ملوك الدولة الأيوبية المتوفي سنة ٦٤٥هـ / ١٢٤٧م أو ٦٤٦هـ / ١٢٤٨م ٠ وثانيهما غازي المظفر بن داود الناصر بن عيسى المعظم بن العادل الأيوبي المتوفي سنة ٧١٢هـ / ١٣١٢م ٠ أنظر الحنبلي : شفاء القلوب ، ص ٣٢٢ ـ ٣٢٤ ، ٤٢٣ ؛ الزركلي : الأعلام ، ج٥ ، ص ١١٢ وفي الترجمه للمظفر بن أبي بكر ذكر أن له آثاراً حسنة بالحجاز ولكن لم تشر المصادر التي تناولناها إلى إنشائه لمدرسة بالمدينة المنورة وربما يكون الأول هو المعني ٠

٣ ـ السخاوي : التحفة اللطيفة ، ج١ ، ص ٦٤ ٠

٤ ـ البلوي : تاج المفرق ، ج١ ، ص ٢٨٧ ٠

٥ ـ ابن رشيد : ملء العيبة ، ج٥ ، ص ٢١ ، ٢٣ ، ٢٩ ، ٣٧ ، ٤٢ ، ٦٠ ، ٦٦ وغيرها ؛ ابن جابر الوادي آشي : البرنامج ، طبعة ١٤٠١هـ /١٩٨١م ، ص١٩٢ ، ٢٠٦ ، ٢٢٨ ؛ البلوي : تاج المفرق ، ج١ ، ص ٢٩٢ ، ٢٩٤ ٠

٦ ـ ابن جابر الوادي آشي : البرنامج ، طبعة ١٤٠١هـ /١٩٨١م ، ص ٤٥ ٠

ومما سبق يتضح لنا ما كان عليه المسجد الحرام والمسجد النبوي من نشاط علمي بسبب وفرة الكتب العلمية ووجود العلماء القائمين على التدريس فشدت الرحال إلى هذين المركزين لا للحج والزيارة فقط بل وللتزود بالعلم الذي سرعان ما ينتشر في أوطان هؤلاء الرحالة الذين يبادرون إلى نشره هناك وكأنما كانت مكة المكرمة والمدينة المنورة مقر العلم المكين الذي لابد من الأخذ منه لتكتمل الدورة العلمية في سائر الأقطار الإسلامية ٠

ثالثاً : كبار العلماء :

مكة المكرمة :

ضمت مكة المكرمة جمعاً غفيراً من العلماء سواء كانوا مقيمين أو مجاورين وأورد الرحالة المغاربة والأندلسيون تراجم مفصلة لأشهر الموجودين فيها لتلك الفترة نظراً لصلتهم الواسعة بهم مما أتاح لهم الأطلاع على كثير من الأمور الهامة في حياتهم ومن هؤلاء العلماء على سبيل المثال :

عمر بن عبدالمجيد الميانشي :

عمر بن عبدالمجيد بن عمر بن حسين القرشي العبدري تقي الدين أبوحفص المعروف بالميانشي وأحياناً يدعى الميانجي تلقى العلم على كبار العلماء وسمع منهم الكثير جاور بمكة وتولى الخطبة فيها له عدة مؤلفات تميز بسعة العلم والورع والثقة توفي في جمادى الأولى سنة ٥٨١هـ / ١١٨٥م ٠ <١>

لقيه ابن جبير ونهل من علمه الشيء الكثير وأشار إلى أن له حماماً بمكة ينسب إليه ٠ <٢>

أحمد بن علي الفنكي :

أحمد بن علي بن عتيق بن إسماعيل القرطبي أبوجعفر المقرىء الفنكى قرأ القرآن الكريم وسمع الحديث بالمغرب والشام والموصل ودمشق التي قضى فيها فترة من الزمن تولى خلالها الإمامه وهو صاحب علم ودين وتميز بالصدق والأمانة توفي سنة ٥٩٦هـ / ١١٩٩م ٠ <٣>

---

١ ـ الفاسي : العقد الثمين ، ج٦ ، ص ٣٣٤ ـ ٣٣٥ ٠

٢ ـ ابن جبير : الرحلة ، ص ١٠٢ ٠

٣ ـ الصفدي : الوافي بالوفيات ، ج٧ ، ص ٢٠٥ ٠

وصفه ابن جبير بالفقيه المحدث والزاهد الورع وجمعت بينه وبين ابن جبير صداقة قوية على الرغم من عدم ترجمته له بدليل قوله " **صاحبنا الفقيه الورع** " كنايه عن صلته الوثيقة بـه ، فابن جبير لم يكن مهتماً بإيراد تراجم مفصلة لا شياخه ونلمح في رحلته أشارة لأحد مؤلفات أبي جعفر في وصف المسجد الحرام فقد ذكر ابن جبير أنه عقب قياسه لذرع المسجد الحرام وجده مطابقاً لما أورده أبوجعفر الفنكي ٠ ‹١›

ابن أبي الصيف الفقيه :

محمد بن إسماعيل بن علي اليمني تقي الدين أبوعبدالله المعروف بابن أبي الصيف الشافعي انتهت إليه رياسة الفقه بمكة المكرمة حيث حدث ودرس وأفتى بها توفي سنة ٦٠٩هـ / ١٢١٢م على الأصح ٠‹٢› ٠ ولم ترد في رحلة ابن جبير معلومات كافية عنه ولكن من الواضح أنه على درجة كبيرة من العلم بحيث يسمع ويناقش فيما يقول ومما يدل على ذلك سؤال ابن جبير عن أصل السرو اليمنيين وأجابته له ٠ ‹٣›

أبو اليمن عبدالصمد بن عساكر :

عبدالصمد بن عبدالوهاب بن الحسن بن محمد بن الحسن ابن هبة الله الدمشقي الشيخ أمين الدين أبواليمن المعروف بابن عساكر الشافعي سمع الكثير من العديد من العلماء وله الكثير من التلاميذ كان ناظماً للشعر ، حسن الخط ، حظي بثناء ومديح معارفيه فابو اليمن ثقه فاضلٌ عالمٌ ، عابدٌ زاهدٌ جاور بمكة نحو أربعين سنة كان خلالها شيخ الحجاز في وقته ولد يوم الأثنين تاسع عشر ربيع الأول سنة ٦١٤هـ / ١٢١٧م وتوفي في بداية جمادى الأولى أو وسطه سنة ٦٨٦هـ / ١٢٨٧م ودفن بالبقيع ٠ ‹٤›

---

١ ـ ابن جبير : الرحلة ، ص ٦٨ ، ٨١ ، ١٢٣٠

٢ ـ الفاسي : العقد الثمين ، ج١ ، ص ٤١٥ ـ ٤١٦ ٠

٣ ـ ابن جبير : الرحلة ، ص ١١٠٠

٤ ـ الفاسي : العقد الثمين ، ج٥ ، ص ٤٣٢ ـ ٤٣٣ ؛ السخاوي : التحفة اللطيفه ، ج٣ ، ص ١٨ ـ ٢٠ ٠

لقيه ابن رشيد ومدحه كثيراً ويبدو أن هناك أتفاقاً حول تفاصيل حياته لدى ابن رشيد والفاسي والسخاوي فهما فيما يبدو قد اعتمدوا على ما أورده ابن رشيد وهذا يؤكد أهمية كتب الرحالة كمصدر لتاريخ الحجاز حيث نجد أن مؤرخي الحجاز لم يتورعوا عن الأخذ من كتب الرحالة في بعض الأمور التي خفيت عليهم وهذا يقودنا إلى معرفة مدى انتشار كتب الرحالة بالحجاز واعتماد مؤرخيها عليها ٠

وأضاف ابن رشيد أن أباه رحل به إلى العراق سنة ٦٣٤هـ / ١٢٣٦م وسمع بها ثم حج في السنة التالية ورجع إلى الشام وبلغ بها وبمصر منزلة عالية شارك مع صديق له في جهاد الفرنسيين عند نزولهم بمصر في العام المعروف بعام دمياط <١> ٠ سنة ٦٤٧هـ / ١٢٤٩م واستشهد رفيقه ونجا هو فاتجه بعد نجاته إلى مكة المكرمة مجاوراً ومضى بقية عمره بين حج واعتمار وزيارة للمدينة المنورة ٠ <٢>

أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خليل العسقلاني :

أحمد بن أبي بكر عبدالله بن خليل بن إبراهيم بن يحي بن فارس بن أبي عبدالله العسقلاني يكنى بأبي الفضل ويلقب بالعلّم ويعرف بابن خليل المكي الشافعي من فضلاء مكة وفقهائها الثقاة ولد يوم السبت منتصف ربيع الأول سنة ٦٣٧هـ / ١٢٣٩م وتوفي عشية الثلاثاء الثاني والعشرين من شعبان سنة ٦٨٩هـ / ١٢٣٩م وصلى عليه أخوه الرضى ٠ <٣>

---

١ ـ وقعة دمياط سنة ٦٤٧هـ / ١٢٤٩م حيث سار ملك فرنسا بجيشه البالغ خمسين ألف مقاتل إلى دمياط وكان الملك صالح قد استعد فيها بالذخائر والآلات وجعل فيها بني كنانه ولكنهم تراجعوا أمام الأعداء فدخلها الفرنسيون وجرت بينهم وبين المسلمين معركة عظيمة سقط فيها العديد من القتلى ٠ أنظر أبوالفدا : تاريخ أبوالفدا ، ج٣ ، ص ١٧٨ ـ ١٨٠ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص ١٧٧ ؛ أحمد بن على الحريري : الإعلام والتبيين ، ص ٩٦ ٠

٢ ـ ابن رشيد : ملء العيبة ، ج٥ ، ص ١٤٥ ـ ١٤٦ ، ٢١٧ ـ ٢١٨ ٠

٣ ـ الفاسي : العقد الثمين ، ج٣ ، ص ٥٧ ـ ٦٠ ٠

لقيه ابن رشيد ولقبه بالعديد من الألقاب ومدحه بقوله " **فقيه الحرم الشريف ومفتيه ... الصالح المبارك** " . <١>

محب الدين : أبو العباس وأبومحمد أحمد بن عبدالله الطبري :

أحمد بن عبدالله بن محمد بن أبي بكر بن محمد بن إبراهيم محب الدين أبو العباس الطبري المكي ولد في جمادى الآخرة سنة ٦١٥هـ / ١٢١٨م . مفتي الحجاز وشيخ الشافعية ومحدثها صنف الكثير من المؤلفات عرف بالزهد وبقول الشعر ومن أشهر ما قاله قصيدة في المنازل بين مكة المكرمة والمدينة المنورة تزيد على ثلاثمائة بيت توفي بداية جمادى الآخره عام ٦٩٤هـ / ١٢٩٤م بمكة المكرمة وكان قد رحل إلى اليمن واتصل بالملك المظفر . <٢>

وذكر العبدري عدم التقائه به عند قدومه إلى مكة المكرمة لسفره تلك السنة إلى اليمن <٣> . وحظي المحب بمكانة كبيرة لدى الملك المظفر شمس الدين يوسف بن عمر بن رسول ورتب له في كل شهر خمسين ديناراً على تدريسه بمدرسة والده بمكة المكرمة المعروفة بالمنصوريه <٤> . ووفاته بمكة المكرمة سنة ٦٩٤هـ / ١٢٩٤م . <٥>

---

١ ـ ابن رشيد : ملء العيبة ، ج٥ ، ص ١٢٩ .

٢ ـ ابن كثير : البداية والنهاية ، ج١٤ ، ص ٣٤٠ ـ ٣٤١ ؛ الفاسي : العقد الثمين ، ج٣ ، ص ٦١ ـ ٦٨ ؛ ابن شبه : طبقات الشافعيه ، ج٢ ، ص ١٦٢ ـ ١٦٤ ؛ السيوطي : طبقات الحفاظ ، ص ٥١٤ ؛ ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب ، ج٣ ، ص ٤٢٥ ـ ٤٢٦ .

٣ ـ العبدري : الرحلة المغربية ، ص ٢٠٠ . ان ما بين رحلة العبدري ورحلة ابن رشيد ما يقرب من أربع سنوات فلا شك أن ما وجد من علماء بالحرم المكي هم أنفسهم في الرحلتين ونستغرب قول العبدري أنه لم يلق من يأخذ عنه بمكة . أنظر العبدري : الرحلة المغربية ، ص ٢٠٠ .

٤ ـ ابن رشيد : ملء العيبة ، ج٥ ، ص ٢٣٣ ـ ٢٣٥ ، ٢٣٧ ، ٢٤٨ ـ ٢٤٩ .

٥ ـ ابن رشيد : ملء العيبة ، ج٥ ، ص ٢٤٨ . وما ذكره ابن رشيد من تاريخ وفاته يدل على مراجعته لرحلته بعد عدة سنوات من عودته .

أبوعبدالله محمد بن أبي بكر بن خليل العسقلاني رضي الدين :

محمد بن أبي بكر عبدالله بن خليل بن إبراهيم بن يحي بن فارس بن أبي عبدالله العسقلاني المكي شيخ الحرم ومفتيه المعروف بابن خليل الشافعي سمع الكثير وحدث الكثير فهو عالمٌ جليلٌ حرص على القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وله مع أمير مكة أبي نمي محمد بن أبي سعد حكايات ونوادر انتهى به الأمر إلى سجنه ثم قام الشريف بإطلاقه عقب الأعتذار له . جلس للإفتاء في أيام الموسم له معرفة بالفقه الشافعي معتمد عليه بمكة المكرمة لا يخاف في الحق لومة لائم وتمتع بحب الناس واحترامهم والسعي لقضاء أمورهم .

حفظ التنبيه مسألة مسألة والمفصل ولد بمنى في الحادي عشر من ذي الحجة في آخر أيام التشريق سنة ٦٣٣هـ/١٢٣٥م وتوفي آخر شهر ذي الحجة سنة ٦٩٥هـ / ١٢٩٥م وهو الأصح لأنه منقول من خط جد الفاسي. ‹١›

لقيه ابن رشيد وترجم له ويبدو أن هناك تطابقاً مع ما أورده الفاسي رغم قصر ترجمته له . ‹٢›

أبوالحسن عبدالرحمن بن محمد بن علي بن الحسين بن علي العماد :

عبدالرحمن بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن عبدالملك بن أبي النضر الطبري المكي المكنى بأبي الحسن وأبي القاسم وأبي محمد ويلقب بالعماد الشافعي مفتي مكة المكرمة . وصف بسعة العلم والفقه وحظي بمحبة الناس وتميز بالصلاح والتقوى له إلمام بالحديث والعربية . ولد في ذي الحجة سنة ٦٣٢هـ / ١٢٣٤م بمكة المكرمة ووفاته سنة ٧٠١هـ / ١٣٠١م ودفن بالمعلاه . ‹٣›

---

١ ـ الفاسي : العقد الثمين ، ج٢ ، ص ٥٩ ـ ٦٣ . انظر ما هية كتاب التنبيه فيما بعد ، ص ٢٩٣ ، هامش رقم ٢ .

٢ ـ ابن رشيد : ملء العيبة ، ج ٥ ، ص ١٢٩ ، ١٣١ .

٣ ـ الفاسي : العقد الثمين ، ج٥ ، ص ٤٠٣ ـ ٤٠٤ .

ترجـم له التـجيبي بشكل مفصل موضحاً عدم انتسابه للطبريين المكيين ٠ كما أوضح أنه قرشـي النسب من نسل واحـدٍ مـن العشـره المبشريـن بالجنـه وقد أدى فريضـة الحـج أكثـر مـن ستين مرة وذكر سنة مولده تنقـص سنة عما أوردها الفاسي <١> ٠ بينما ابن جابـر الوادي آشي اتفق مـع الفاسي فـي سنة المولـد واتفـق مع التجيبي والفاسي حول فضله وعلمه ٠ <٢>

محمد بن غالب بن شعبه الجياني :

محمد بن غالب بن يونس بن محمد بن غالب الأنصاري الأندلسي الجياني شمـس الدين أبوعبدالله المعروف بابن شعبه ولـد سـنة ٦٢٧هـ / ١٢٢٩م أو ٦٣٥هـ / ١٢٣٧م وتوفـي سنـة ٧٠٢هـ / ١٣٠٢م فـي أول شـهـر محـرم ٠ <٣>

ترجم له التجيبي بالتفصيل وأثنى عليه بقوله الشيخ الفقيه الإمام الفاضل الصالح العابد الناسك الورع الزاهد ... أحد أولياء الله الصالحين مشهور بالفضل والدين كثير الصمت قليل الكلام إلا لحاجة ذو علمٍ وحلم أصيب بالصمم في آخر عمره وجزم أن مولده سنة ٦٣٥هـ / ١٢٣٧م <٤> ٠ على عكس الفاسي الذي لم تتضح له على وجه الدقة سنة مولده ٠

أما ابـن جابر الـوادي آشي فلـم يحدد سنة ولادتـه وخالف التـجيبي والفاسي في سنة الوفاة وحددها بـ ٧٠٣هـ / ١٣٠٣م واتفق معهما في علمه وفضله ٠ <٥>

---

١ ـ التجيبي : مستفاد الرحلة ، ص ٣٦٢ ـ ٣٧٥ ٠

٢ ـ ابن جابر الوادي آشي : البرنامج ، طبعة ١٤٠١هـ/١٩٨١م ، ص ١٤٨ ٠

٣ ـ الفاسي : العقد الثمين ، ج٢ ، ص ٢٤٩ ـ ٢٥٠ ٠

٤ ـ التجيبي : مستفاد الرحلة ، ص ٤٣٧ ـ ٤٣٨ ٠

٥ ـ ابن جابر الوادي آشي : البرنامج ، طبعة ١٤٠١هـ/١٩٨١م ، ص ١٣٧ ٠

حسين بن إبراهيم بن صدقه البصري :

الحسين بن صدقه بن بدران تقي الدين الموصلي رجل خير وصلاح فقير الحال له شعر حسن مات في أواخر جمادى الأولى سنة ٧٠٥هـ / ١٣٠٥م ٠ <١>

لقيه التجيبي بمكة المكرمة والمدينة المنورة وذكر بأنه كثير الترحال والأسفار مصاحب للزهاد والعُباد والصوفية والمشايخ ٠ <٢>

أبوعبدالله بن مطرف الأندلسي :

محمد بن مطرف الأندلسي جاور بمكة المكرمة نحواً من ستين سنة كان خلالها مواظباً على العبادة كثير الطواف مات في رمضان سنة ٧٠٦هـ / ١٣٠٦م وشارك في تشييع جنازته الأمير حميضة أمير مكة المكرمة <٣> في ذلك الوقت دلالة على علو شأنه لدى أميرها ٠

وقد لقيه التجيبي وأثنى عليه كثيراً واصفاً أياه بالعابد الفاضل من ساكني رباط الموفق حج عدة مرات نزيهاً فيما يتعلق بأمور الدنيا وأورد التجيبي حادثة تدل على ذلك قائلاً إن بعضاً من المجاورين المصريين من الأغنياء عرض عليه مالاً عدة مرات فرفضه ثم طلب منه توزيعه لمن يراه مستحقاً له فرفض ذلك قائلاً " **مال لم أتول جمعه فلا أحب أن أتولى تفريقه** " ٠ <٤>

يحيى بن محمد بن علي بن الحسين :

يحيى بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن عبدالملك بن أبي النصر الطبري أبو الفضل الصالح شرف الدين أبوالحسين وأبو محمد ويسمى محمد المكي سبط سليمان بن خليل العسقلاني ولد سنة ٦٣٧هـ / ١٢٣٩م

---

١ ـ ابن حجر : الدرر الكامنة ، ج٢ ، ص ٥٦ ـ ٥٧ ٠

٢ ـ التجيبي : مستفاد الرحلة ، ص ٤٥٧ ٠

٣ ـ ابن حجر : الدرر الكامنة ، ج٤ ، ص ٢٦٠ ٠

٤ ـ التجيبي : مستفاد الرحلة ، ص ٤٥٥ ـ ٤٥٦ ٠

ومات يوم الأحد السابع من شعبان سنة ٧٠٧هـ / ١٣٠٧م بمكة ودفن بالمعلاه . <١>

ونجد التجيبي يصفه بالشيخ الأجل أخي العماد الطبري وأضاف أن لديه حديقة في وادي نخلة يبقى بها أكثر أوقاته <٢> . حيث يقوم برعايتها بنفسه ولم يكن يأتي مكة المكرمة إلا في المواسم فقط وقد تحدث التجيبي عنه بتفاصيل أكثر من الفاسي مع توافقهما في بقية المعلومات .

عثمان بن محمد بن عثمان التوزري :

عثمان بن محمد بن عثمان بن أبي بكر بن محمد بن داود فخر الدين التوزري المالكي يكنى أبا عمرو نزيل مكة المكرمة ولد في رمضان سنة ٦٢٨هـ / ١٢٣٠م أو ٦٣٠هـ / ١٢٣٢م سمع وقرأ مالا يحصى من الكتب ويزيد شيوخه على الآف . قدم الحجاز سنة ٦٥٧هـ / ١٢٥٨م وظل يتردد عليها إلى أن استقر بمكة المكرمة سنة ٦٩٠هـ / ١٢٩١م ولم يزل بها إلى أن توفي سنة ٧١٣هـ / ١٣١٣م ودفن بالمعلاة . <٣>

وأضاف ابن العماد أنه تلا القرآن الكريم بالقراءات السبع وتوفي عن ثلاث وثمانين سنة . <٤>

وقد ترجم له التجيبي ترجمة واسعة لا تختلف عما أورده الفاسي بل ويزيد عليه بذكره أن التوزري شرع في تخريج معجم لشيوخه مرتب على حسب حروف المعجم يذكر فيه مروياته عن كل واحد منهم والكتب التي تحملها عنهم ذاكراً أسانيد تلك الكتب .وأضاف أنه موصوف بحسن القراءة لكتب الحديث مشهور بالدقة والإتقان في قراءته علاوة على أنه كان قارىء مصر .

---

١ ـ الفاسي : العقد الثمين ، ج٧ ، ص ٤٤٥ ـ ٤٥٠ .

٢ ـ التجيبي : مستفاد الرحلة ، ص ٣٧٥ ـ ٣٧٦ .

٣ ـ الفاسي : العقد الثمين ، ج٦ ، ص ٤١ ـ ٤٧ .

٤ ـ ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب ، ج٦ ، ص ٣٤ .

كما وصفه بالشيخ الفقيه الإمام الفاضل المحدث الضابط المتقن الصالح الزاهد العابد . <١>

ونجد أن ابن جابر الوادي آشي يشير إليه في برنامجه بالرغم من عدم تلقيه العلم عنه مباشرة حيث إن وفاته سابقة لوقت وجود ابن جابر الوادي آشي بمكة المكرمة . <٢>

أبو محمد عبدالله الدلاصي :

أبو محمد عبدالله بن عبدالحق بن عبدالله بن عبدالأحد بن على القرشي المخزومي الشافعي ولد أول رجب سنة ٦٣٠هـ / ١٢٣٢م بدلاص <٣> له كرمات أشتهرت عنه توفي يوم الجمعة رابع عشر محرم سنة ٧٢١هـ / ١٣٢١م بمكة المكرمة ودفن بالمعلاة . برع في الفقه الشافعي والمالكي . <٤>

ترجم له التجيبي ترجمة وافيه متتبعاً فيها حياته اليومية بكل دقائقها مثنياً عليه واصفاً أياه بالشيخ الفقيه الصالح الزاهد العابد الورع الناسك المنعوت بالعفيف المشهور بعلم القراءات تصدر لإقراء القرآن الكريم بالحرم الشريف طوال أوقاته حتى أن التجيبي أشار إلى اعتراض القراء له أثناء طوافه بالبيت الشريف حج عدة مرات واستوطن مكة المكرمة أكثر من أربعين سنة كان خلالها متصدراً للإقراء و أحد العلماء البارزين <٥> . وأشار إليه ابن كثير بترجمة قصيرة لا تختلف كثيراً عما سبق . <٦>

---

١ ــ التجيبي : مستفاد الرحلة ، ص ٤١٥ ــ ٤١٦ .

٢ ــ ابن جابر الوادي شي : البرنامج ، طبعة ١٤٠١هـ /١٩٨١م ، ص ١٥٥ .

٣ ــ (دلاص) بفتح أوله كورة بصعيد مصر على غربي النيل تشتمل على قرى وولايه واسعه ودلاص قصبتها وهي معدودة من كورة البهنسا . أنظر ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج٢ ، ص ٤٥٩ .

٤ ــ الفاسي : العقد الثمين ، ج٥ ، ص ١٩٦ ــ ١٩٩ . انظر ما سبق ص ٢٥٧

٥ ــ التجيبي : مستفاد الرحلة ، ص ٤٢٣ ــ ٤٢٤ .

٦ ــ ابن كثير : البداية والنهاية ، ج١٤ ، ص ١٠٠ .

ولقيه أيضاً ابن جابر الوادي آشي وترجم له بشكل مختصر متفقاً فيها مع السابق ذكره مضيفاً أنه كان يقرىء القرآن الكريم بغير أجرٍ ابتغاء ثواب الله ٠ ‹١›

أبو أسحاق إبراهيم بن محمد الطبري :

أبو أسحاق إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر من محمد بن إبراهيم الطبري المكي مفتي الشافعيه وإمامهم ومفتي الحجيج بمنى وعرفات ٠ حدث أكثر من خمسين سنة ٠ ولد بمكة المكرمة سنة ٦٣٦هـ / ١٢٣٨م وتوفي في الثامن من ربيع الأول سنة ٧٢٢هـ / ١٣٢٢م ودفن بالمعلاة ٠ تلقى تعليمه بالحجاز وله مؤلفات كثيرة كما تصدر لتدريس الحديث والفقه ٠ ‹٢›

وإبراهيم الطبري على جلالة قدره وعلمه لم يرحل خارج الحجاز في طلب العلم وإنما جل علمه أخذه بها فقط ٠ وهذا يقودنا إلى القول بأن الحجاز وخاصة مكة المكرمة كانت منارة أشعاع علمي أنجبت علماء أجلاء خُلدت أسمائهم بفضل سعة علمهم ٠

وتعد ترجمة التجيبي لأبي أسحاق الطبري من أوسع التراجم فهي لا تختلف في مفادها عن الفاسي والذهبي وابن حجر بل وتزيد عليها في إيراد دقائق تصرفاته التي يتضح من خلالها شخصية هذا العالم الفاضل الذي عرف بكثرة اجتهاده وصمته وشدة هيبته كان اذا وقارٍ في مجلسه نظيف الثياب محباً للحديث وأهله عكف على عقد مجالس الحديث للغرباء حتى في أشد الأوقات حرارة متحملاً في ذلك جفاء وجهل بعضهم مطيلاً الجلوس معهم ٠ كما أورد قائمة بمؤلفاته ونماذج من شعره ٠ ‹٣›

---

١ ـ ابن جابر الوادي آشي : البرنامج ، طبعة ١٤٠١هـ/١٩٨١م ، ص ٧٩ ـ ٨٠ ٠

٢ ـ الحسيني : ذيل تذكرة الحفاظ للذهبي ، ص ١٠٠ ؛ ابن حجر : الدرر الكامنة ، ج١ ، ص ٥٤ ـ ٥٥ ؛ الفاسي : العقد الثمين ، ج٣ ، ص ٢٤٠ ـ ٢٤٦ ٠

٣ ـ التجيبي : مستفاد الرحلة ، ص ٣٩٣ ـ ٣٩٤ ٠

كمـا ترجم له ابن جابر الوادي آشي وإن كانـت ترجمته قصـيرة لم تأتِ بجديد . <١>

نجم الدين محمد بن محيي الدين الطبري :

مـحمد بن محمد بن أحمد بن عبدالله بن مـحمد بن أبي بكر بن مـحمد بن إبراهيم الشافعي المكي مفتي مكة المكرمة وقاضيها . أبو حامد ولد في شـوال سنة ٦٥٨هـ / ١٢٥٩م وقيل ٦٥٩هـ / ١٢٦٠م تفقـه وافتـى وتولى القضاء بعد أبيه فترة تزيد على خمس وثلاثين سنة حتى مات يوم الجمعة ثاني جمادى الآخره سنة ٧٣٠هـ / ١٣٢٩م ودفن بالمعلاة .

كان شيخاً فاضلاً مشهوراً بعلمه في الفقه مقصوداً للفتوى من بلاد الحجاز وما حولها وإماماً للشافعية . <٢>

لقيه ابن بطوطة واثنى عليه بالرغم من قصر ترجمته إلا أنها أضفت الجديد على ما سبق من فضله وكثرة صدقاته ومواساته للمجاورين وحسن خلقه وكثرة عبادته وأطالة مكوثه فى المسجد الحرام وقيامه بإطعام الأشراف والأعيان والفقراء وخدم الحرم الشريف والمجاورين وخاصة في مولد رسول الله ﷺ وحظي بمكانة كبيرة لدى ملك مصر الناصر إذ يعتبر وكيلاً عنه في توزيع صدقاته وصدقات أمرائه على سكان مكة المكرمة . <٣>

جلال الدين محمد الإفشهري :

مـحمـد بن أحمد بن أمـين بن معاذ بن سعـادة الافشـهري يلقب بالجلال ويكنـى أبا عبدالله وأبا طيبة جاور بالحرمـين وسـمع بهما الكثـير له

---

١ ـ ابن جابر الوادي آشي : البرنامج ، طبعه ١٤٠١هـ /١٩٨١م ، ص ٨٥ ـ ٨٦ .

٢ ـ الفاسي : العقد الثمين ، ج٢ ، ص ٢٧١ ـ ٢٧٢ ؛ ابن شهبة الدمشقي : طبقات الشافعية ، ج٢ ، ص ٢٩٣ ـ ٢٩٤ ؛ ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب ، ج٦ ، ص ٩٤ ـ ٩٥ .

٣ ـ ابن بطوطة : الرحلة ، ص ١٤٩ .

عنايه كبيرة بالحديث إلا أنه وقع في أخطاء فاحشة في تخريجه ، له المام بالأدب . ولد سنة ٦٦٤هـ / ١٢٦٥م ومات بالمدينة سنة ٧٣٩هـ / ١٣٣٨م . <١>

بينما ذكر ابن حجر والسخاوي أنه ولد سنة ٦٦٥هـ / ١٢٦٦م وأضافا أنه رحل إلى مصر والمغرب والأندلس ودوّن رحلته في عدةأسفار وألف كتاباً فيه أسماء أموات البقيع سمّاه الروضة <٢> . وجاور آخر عمره بالمدينة إلى أن توفي بها وخالفا الفاسي في سنة وفاته أيضاً إذ ذكرا أنه توفي سنة ٧٣١هـ / ١٣٣٠م . <٣>

لقيه ابن بطوطة وأشار إلى جلوسه عند باب إبراهيم أحد أبواب المسجد الحرام . <٤>

محمد بن عثمان البغدادي :

محمد بن عثمان بن موسى بن عبدالله الآمدى المكي القاضي جلال الدين الحنبلي إمام الحنابله بالحرم الشريف بعد أبيه لمدة سبع وخمسين سنة ونصف ، سمع وحدث وناب في القضاء بمكة المكرمة عن القاضي نجم الدين الطبري وابنه القاضي شهاب الدين . تولى منصب الحسبة بمكة المكرمة وكانت فيه صرامة ، وهمة توفي في يوم الأحد العشرين من جمادي الآخره سنة ٧٣١هـ / ١٣٣٠م ودفن بالمعلاة . <٥>

---

١ ـ الفاسي : العقد الثمين ، ج١ ، ص ٢٨٦ ـ ٢٨٧ .

٢ ـ اسم الكتاب الروضة الفردوسيه والحضره القدسيه . أنظر حاجي خليفه : كشف الظنون ، ج١ ، ص ٩٢٨ .

٣ ـ ابن حجر : الدرر الكامنة ، ج٣ ، ص ٣٠٩ ؛ السخاوي : التحفة اللطيفة ، ج٣ ، ص ٤٦٠ ـ ٤٦٥ .

٤ ـ ابن بطوطة : الرحلة ، ص ١٤٠ .

٥ ـ الفاسي : العقد الثمين ، ج٢ ، ص ١٣٤ ـ ١٣٥ .

لقيه ابن بطوطه وترجم له بشكل واسع وهي موافقه لما ذكره الفاسي عنه وزاد عليه بأنه بغدادي الأصل مكي المولد ٠ ‹١›

محمد بن عبدالله بن أحمد الطبري :

محمد بن عبدالله بن أحمد بن عبدالله بن محمد بن أبي بكر بن محمد بن إبراهيم الطبري المكي الشافعي المعروف بالبهاء ، تولّى الخطابه في مكة المكرمة عقب أبيه منذ سنة ٧٠٤هـ / ١٣٠٤م ٠ واستمر فيها إلى أن توفي ، عرف بفضله ومرؤته وكرمه وحسن خلقه أضافة إلى كونه ناظماً للشعر والنثر والخطب ولد سنة ٦٧٨هـ / ١٢٧٩م بمكة المكرمة وتوفي سنة ٧٣٢هـ / ١٣٣١م ٠ ‹٢›

مدحه ابن بطوطه كثيراً وبالرغم من قلة معلوماته عنه إلا أنه يوافق ما ذكره الفاسي حول بلاغته وحسن بيانه وأضاف أنه يكتب لكل جمعة خطبة خاصة بها ٠ ‹٣›

عز الدين الحسن بن علي الواسطي :

الحسن بن على بن إسماعيل بن إبراهيم العز أبو على بن أبي الحسن العراقي البغدادي المولد الواسطي المنشأ الشافعي ، جاور بمكة سنوات جلس للفتوى خلالها وحج مراراً ٠ أحد المجاورين بالمدينة المنورة ، تولى الإمامه والخطابة بالمسجد النبوي الشريف عقب سفر الخطيب سراج الدين إلى مصر ٠ وهو حسن السيرة محبوب بين الناس عابد صالح مكثر لتلاوة القرآن الكريم حسن الهيئة ساع لقضاء حاجات الناس ووصف " **بالإمام الولي** " ولد سنة ٦٥٣هـ / ١٢٥٥م أو ٦٥٤هـ / ١٢٥٦م ٠ ومات في شعبان سنة ٧٤١هـ / ١٣٤٠م ٠ ‹٤›

---

١ ـ ابن بطوطة : الرحلة ، ص ١٥١ ٠

٢ ـ الفاسي : العقد الثمين ، ج٢ ، ص ٤٦ ـ ٤٩ ؛ ابن حجر : الدرر الكامنة ، ج٣ ، ص ٤٦٦ ٠

٣ ـ ابن بطوطة : الرحلة ، ص ١٤٩ ـ ١٥٠ ٠

٤ ـ السخاوي : التحفة اللطيفة ، ج١ ، ص ٤٨٢ ـ ٤٨٣ ٠

ذكـره ابن بطوطة من علمـاء مكة المكرمـة والمدينة المنورة ولكن يبـدو أن إقامته بمكة أكثر ، موضحاً بذلك سيرته من متابعته لها فمن ذلك قوله عنه " **من أصحـاب الأموال الطائلة يحمل إليـه من بلده المال الكثير في كل سنة فيبتاع الحبوب والتمر ويفرقها على الضعفاء والمساكين ويتولى حملها إلى بيوتهم بنفسه ولم يزل ذلك دأبه إلى أن توفي** " . <١>

وعندما ذكره بالمدينة المنورة لم يزد على قوله " **عزالدين الواسطي خطيب المسجد النبوي** " . <٢>

بينما ذكره ابن جابر الوادي آشي بأنه من علماء المدينة المنورة ونائب الصلاة بها . <٣>

أحمد بن محمد بن أحمد زين الدين :

أحمد بن محمد بن أحمد بن عبدالله بن محمد بن أبي بكر القاضي زين الدين أبوطاهر ابن القاضي جمال الدين بن محب الدين الطبري المكي رجل خير وصلاح ، جواد شفوق نزل مصر واشتغل بالعلم ولد سنة ٦٩٣هـ / ١٢٩٣م وتوفي بمكة المكرمة سنة ٧٤٢هـ / ١٣٤١م . <٤>

اقـتـصـر ابن بطوطة في ذكـره بقـوله " **الفقيه الصالح زين الدين الطـبـري شـقـيق نجـم الدين مـن أهل الفضل والإحسان للمجاورين** " . <٥>

---

١ ـ ابن بطوطة : الرحلة ، ص ١٥٣ .

٢ ـ المصدر السابق ، ص ١٢٠ .

٣ ـ ابن جابر الوادي آشي : البرنامج ، طبعة ١٤٠١هـ/١٩٨١م ، ص ٢٧٧ .

٤ ـ ابن حجر : الدرر الكامنة ، ج١ ، ص ٢٤٣ ـ ٢٤٤ ؛ الفاسي : العقد الثمين ، ج٢ ، ص ١١٩ .

٥ ـ ابن بطوطة : الرحلة ، ص ١٥٢ .

أبوالعباس أحمد بن إبراهيم الشافعي :

أحمد بن إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن محمد بن إبراهيم الإمام شهاب الدين أبوالعباسى ويقال أبو المكارم ابن الإمام رضي الدين الطبري المكي الشافعي ، خلف والده في الإمامه وتلقّى العلم عن علماء مكة المكرمة والقادمين إليها وناب في القضاء عن ابن أخته القاضي شهاب الدين الطبري ودرس بالمدرسة المجاهديه بمكة المكرمة واستمر أمام المقام إلى وفاته ٠

ولد في محرم سنة ٦٨٦هـ / ١٢٨٧م وتوفي سادس محرم سنة ٧٥٠هـ/١٣٤٩م وقيل سنة ٧٤٧هـ / ١٣٤٦م أو سنة ٧٤٩هـ / ١٣٤٨م ودفن بالمعلاه ٠ <١>

ترجم له البلوي واصفاً أياه برجاحة العقل ، كان واضح الأسلوب ذا علم وذكاء وحلم شديد ، عابداً متفقهاً فاضلاً وقد أثنى عليه تلاميذه وألف معجماً لشيوخه ٠ <٢>

دانيال العجمي :

دانيال بن علي بن سليمان بن محمود اللرستاني <٣> الكردي من كبار مشايخ العجم المجاورين بمكة له سعى مشكور لإجراء عين بازان <٤> ٠

---

١ ـ الفاسي : العقد الثمين ، ج٣ ، ص ٩ ـ ١٠ ٠

٢ ـ البلوي : تاج المفرق ، ج١ ، ص ٣١٤ ٠

٣ ـ بلد بين خورستان وأصفهان يسكنها الاكراد يقال لهم اللر ٠ أنظر ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج٥ ، ص ١٦ ٠

٤ ـ تعرف الآن بعين زبيدة عمّرها جوبان سنة ٧٢٦هـ / ١٣٢٥م وعم نفعها الناس بمكة المكرمة بعد أن كانوا في عناء عظيم لقلة الماء بمكة المكرمة وكان الساعي في إنجاز عمارتها والحاث على ذلك دانيال العجمي وقد صرف على عمارتها مائة وخمسون ألف درهم وعمّر العين قبل جوبان عدد من الخلفاء والملوك ٠ انظر ابن كثير : البداية والنهاية ، ج١٤ ، ص ١٢٣ ؛ الفاسي : شفاء الغرام ، ج١ ، ص ٥٥٤ ، حاشية ٣ ؛ الفاسي : العقد الثمين ، ج٣ ، ص ٤٤٧ ؛ ج٤ ، ص ٣٤٣ ٠

حيث قصد مصر ثم العراق وحثّ جوبان نائب العراقيين <١> على عمارتها فتم ذلك وجرت بها الماء سنة ٧٢٦هـ / ١٣٢٥م واستدان لعمارتها عدة مرات وقيل إن وفاته سنة ٧٥٠هـ / ١٣٤٩م ببلاد العجم ٠ <٢>

ذكره ابن بطوطة وأشار إلى حمله لصدقات العراق في عهد ابي سعيد إلى مكة المكرمة ٠ <٣>

أحمد بن قاسم بن عبدالرحمن الحرازي :

أحمد بن قاسم بن عبدالرحمن بن أبي بكر العمري شهاب الدين الحرازي الشافعي يكنى أبا العباس ، قدم مكة المكرمة وتصدر للتدريس والأفتاء ، درّس بالمدينة المنورة وله معرفة بالفقه مع إلمامه بعلوم شرعية آخرى ٠ ولد سنة ٦٧٥هـ / ١٢٧٦م وقيل ٦٧٦هـ / ١٢٧٧م وتوفي ثاني عشر شوال سنة ٧٥٥هـ / ١٣٥٤م بمكة المكرمة ودفن بالمعلاة ٠ <٤>

ولم يذكره ابن بطوطة باكثر من " **إمام الشافعية شهاب الدين ابن برهان** " ٠ <٥>

شهاب الدين ابن نجم الدين الطبري :

أحمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن عبدالله بن محمد بن أبي بكر بن محمد بن إبراهيم القاضي بمكة المكرمة شهاب الدين أبوالفضل ابن القاضي نجم الدين ابن القاضي جمال الدين ابن الشيخ محب الدين الطبري المكي

---

١ ـ جوبان بن توران نائب السلطنه بالعراقيين عن السلطان أبي سعيد بن خزنبدا دبر المملكة مدة طويلة على السداد وتغير عليه أبوسعيد فقتل ابنه وقتله وحمل إلى المدينة المنورة ودفن بالبقيع له مآثر بمكة المكرمة منها عمارته لعين بازان في سنة ٧٢٦هـ / ١٣٢٥م ٠ أنظر الفاسي : العقد الثمين ، ج٣ ، ص ٤٤٦ ـ ٤٤٧ ٠

٢ ـ المصدر السابق ، ج٤ ، ص ٣٤٣ ٠

٣ ـ ابن بطوطة : الرحلة ، ص ١٤٠ ٠

٤ ـ ابن حجر : الدرر الكامنة ، ج١ ، ص ٢٣٥ ـ ٢٣٦ ؛ الفاسي : العقد الثمين ، ج٣ ، ص ١١٦ ـ ١١٨ ٠

٥ ـ ابن بطوطة : الرحلة ، ص ١٥١ ٠

الشافعي ولد سنة ٧٠٣هـ / ١٣٠٣م . تلقى تعليمه على يد كبار علماء مكة المكرمة والقادمين إليها ، تصدّر للتعليم بها وتولى القضاء بعد وفاة أبيه بأمر من الشريف عطيفة أمير مكة المكرمة في سنة ٧٣٠هـ / ١٣٢٩م ثم جاؤوه بتفويض ثان بولاية القضاء من المجاهد ملك اليمن وتلاه في سنة ٧٣٢هـ / ١٣٣١م تفويضاً من الملك الناصر ملك مصر بولاية القضاء أيضاً . وبجانب عمله في القضاء كان أمام وخطيب المسجد الحرام بتفويضٍ من الملك الناصر تولاها في أول شهر رمضان سنة ٧٥٦هـ / ١٣٥٥م ولم يلبث أن منع من الخطابة بسبب دسائس بعض أعدائه الذين وشوا به لدى السلطان حسن ملك مصر (١) فصادف أن جاء عسكر إلى مكة المكرمة من مصر سنة ٧٦٠هـ / ١٣٥٨م فخاف عليه أهل مكة المكرمة من أن يلحقوا الأذى به ولكنه سلم منهم لمرضه ووفاته بعد ذلك سنة ٧٦٠هـ / ١٣٥٨م بمكة المكرمة ودفن بالمعلاة وقد عمل في قضاء مكة المكرمة ثلاثين سنة وستة أشهر إلا أياماً تحلّى بالشهامة وقوة النفس .

ومن مآثره تجديد بئر رمّة ونزحها سنة ٧٤٨هـ / ١٣٤٧م وقيل ٧٥٠هـ / ١٣٤٩م . وكانت له معاملات تجارية واسعة من رهن وبيع مع الناس الذين يقترضون منه وخاصة موظفي المسجد الحرام وقد يصل ما يدفعونه إليه أحياناً وفاءً لدينهم إعطاؤه جميع مستحقاتهم المالية من القاهرة .

---

١ ـ الملك الناصر حسن بن محمد بن قلاوون أبو المحاسن تولى عرش مصر صغيراً بعد قتل أخيه حاجي المظفر سنة ٧٤٨هـ / ١٣٤٧م وكان اسمه قماري فلما ولى تسمى حسناً واستمر إلى سنة ٧٥٢هـ / ١٣٥١م فثار عليه بعض أمراء الخبر وخلعوه وسجنوه بالقلعة وولوا أخاه صالحاً ثم خلعوه سنة ٧٥٥هـ / ١٣٥٤م وأعيد الناصر حسن وقبض على زمام الأمور بحزم وخافه الناس وكمن له مملوكه يلبغا محاولاً قتله ولكنه فشل وأراد السفر إلى الشام متنكراً فقبض عليه في المطريه وهو آخر العهد به ومدة حكمه ست سنين وتسعه أشهر وأياماً وكان شجاعاً مهيباً عالي الهمة محباً للرعية غير أنه عمل على عزل ومصادرة أموال كبار رجال الدولة وعرف عنه ميله إلى اللهو والطرب ولد سنة ٧٣٦هـ / ١٣٣٥م وتوفي سنة ٧٦٢هـ / ١٣٦٠م . انظر ابن دقماق : الجوهر الثمين ، ج٢ ، ص ١٩٥ ـ ١٩٨ ، ٢٠٧ ـ ٢١٥ ؛ الزركلي : الاعلام ، ج٢ ، ص ٢١٦ .

وقيل إنه عقب موته ترك أموالاً طائلة منها : مائة وخمسون داراً بمكة ولم يبارك في تركته حيث أُثر عنه التعامل بالربا ٠ <١>

ولم يذكره ابن بطوطة إلا بقوله " **هو الآن قاضي مكة المكرمة** " ٠ <٢>

أبوعبدالله محمد بن عبدالرحمن المشهور بخليل :

خليل بن عبدالرحمن بن محمد بن عمر بن محمد بن عمر بن الحسن بن عبدالله القسطلاني المكي المالكي إمام المالكية بالحرم الشريف يكنى أبا الفضل ويلقب بالضياء ويسمى محمداً واشتهر بخليل ٠

تفقه أولاً على المذهب الشافعي على يد خاله قاضي مكة المكرمة نجم الدين الطبري ثم تحوّل إلى المذهب المالكي <٣> تلقى العلم عنه عدد كبير من التلاميذ مع قيامه بالإفتاء اتصف بالفضل والصلاح والورع وهابته الخاصة والعامة كأهل المغرب وبلاد التكرور والسودان وحرصوا على لقائه وعرف بكثرة الإحسان وحملت إليه الأموال لتفريقها ٠

ومما يروى عنه ابتلاؤه بالوسواس في الطهاره والصلاه حتى قيل إنه " **يعيد الصلاة بعد أن يصلي بالناس وربما قام يصلي من بعد صلاة الظهر إلى آذان العصر** " وقد أوصى بكفارات كثيرة بعد موته خوفاً من تقصيره واستمرت إمامته بالمسجد الحرام سبعاً وأربعين سنة حيث تولاها بعد أبيه سنة ٧١٣هـ / ١٣١٣م ٠

ولد في شوال سنة ٦٨٨هـ / ١٢٨٩م وتوفي ليلة الأثنين لعشر بقين من شوال سنة ٧٦٠هـ / ١٣٥٨م بمكة المكرمة ودفن بالمعلاة ٠ <٤>

---

١ ـ ابن حجر : الدرر الكامنة ، ج١ ، ص ٢٩٧ ـ ٢٩٨ ؛ الفاسي : العقد الثمين ، ج٣ ، ص ١٦١ ـ ١٦٦ ؛ السخاوي : التحفة اللطيفة ، ج١ ، ص ٢٤٤ ـ ٢٤٥ ٠

٢ ـ ابن بطوطة : الرحلة ، ص ١٤٩ ٠

٣ ـ انظر ما سبق ، ص ٢٥٧ ٠

٤ ـ الفاسي : العقد الثمين ، ج٤ ، ص ٣٢٧ ؛ السخاوي : التحفة اللطيفة ، ج٢ ، ص ٢٢ ٠

لقيه ابن بطوطة والبلوي ونعتاه بالعديد من الألقاب والصفات الحسنة وهي في مضمونها متفقه مع ما أورده الفاسي من علمه وفضله وعظم مكانته وزهده وسعيه في قضاء حوائج الناس ولم يؤثر عنه أن رد قاصديه أبداً • وأضاف ابن بطوطة أن عائلته من كبار أهالي بلاد الجريد <١> إفريقية ويعرفون ببني حيون وتمت ولادته بمكة المكرمة • <٢>

أحمد بن علي بن يوسف شهاب الدين الحنفي :

أحمد بن علي بن يوسف بن أبي بكر بن أبي الفتح السجزي يكنى أبا العباس ويلقب بالشهاب الحنفي المكي إمام مقام الحنفية بالحرم الشريف تلقى العلم على يد علماء مكة وغيرهم وتولى إمامة مقام الحنفية بعد أخيه كما قام بالتدريس في المدرسة الزنجيلية وأُثر عنه إحسانه وكثرة عطائه ولد بمكة سنة ٦٧٣هـ / ١٢٧٤م وتوفي بها سنة ٧٦٣هـ / ١٢٧٤م • <٣>

قال عنه ابن بطوطة إنه من كبار أئمة مكة المكرمة وفضلائها وكرمائها قام في كل عام باستدانة أربعين أو خمسين ألف درهم لإطعام المجاورين وأبناء السبيل ويبدو أن أمراء الأتراك قد قاموا بتسديد تلك المبالغ عنه لمكانته الكبيرة لديهم • <٤>

المدينة المنورة :

كبار العلماء :

حفلت المدينة المنورة بالعديد من العلماء القائمين على التعليم إضافة إلى العلماء القادمين إليها أثناء فترة الحج لزيارة قبر الرسول ﷺ وربما جاور بعضهم واستقر بها • ومما يلاحظ في المدينة المنورة قوة التأثير الشيعي

---

١ ـ (الجريد) تقع الآن بتونس وهي عبارة عن أرض سبخه •

٢ ـ ابن بطوطة : الرحلة ، ص ١٤٠ ، ١٥٠ ؛ البلوي : تاج المفرق ، ج١ ، ص ٣١٢ •

٣ ـ الفاسي : العقد الثمين ، ج٣ ، ص ١١١ ـ ١١٣ •

٤ ـ ابن بطوطة : الرحلة ، ص ١٥١ •

الأمر الذي انعكس على تقليص دور علماء السنة في تصديهم للعلم والتعليم وأصبح ذلك مقصوراً على فترة الزيارة في أثناء موسم الحج حيث أنها مناسبة طيبة للطلبة في تلقي العلم على يد كبار العلماء الوافدين مثل :

صدر الدين الخجندي :

عبداللطيف بن محمد بن عبداللطيف بن ثابت بن حسن الخجندي أبوالقاسم صدر الدين كبير العلماء بأصبهان معظماً لدى السلاطين والملوك والعامة كان فقيهاً فاضلاً وأديباً شاعراً متصفاً بالهيبة حسن الأخلاق متواضعاً سمع على علماء أجلاء توفي بهمذان ودفن بأصبهان سنة ٥٨٠هـ / ١١٨٤م ٠‹١›

تلقى العلم عنه ابن جبير ووصفه برئيس الشافعية بأصبهان ونعته في مكان آخر برئيس العلماء وأشار إلى إجادته الحديث باللسان العربي والأعجمي كما وصف حاله التي يغلب عليها الطابع الملوكي من حيث العُدة والعتاد وكثرة الأتباع والعبيد والخدم ٠ عرف بالسماحة وطلاقة الوجه والبشر عند لقاء زائريه كريماً مهيباً عالماً ‹٢› ٠ وما أورده ابن جبير موافقاً لما ذكره ابن شاكر في عظم مكانته وعلمه ٠

عبدالسلام بن محمد بن مزروع :

عبدالسلام بن محمد بن مزروع بن أحمد بن عرفة العفيف أبو محمد المصري البصري المكي نزيل المدينة المنورة ومحدثها سمع بالمدينة المنورة والبصرة وغيرها ، أثنى عليه كل معارفه له إلمامٌ بأنواع العلوم ظاهر العبادة والصلاح ناظم للشعر ، حج أربعين حجة متوالية واستقر بالمدينة المنورة مجاوراً مدة خمسين سنة وله بها ذرية ، ولد بالبصرة شوال سنة ٦٢٥هـ / ١٢٢٧م وتوفي بالمدينة المنورة في ثالث عشر من صفر سنة ٦٩٦هـ / ١٢٩٦م وقيل ٦٩٩هـ / ١٢٩٩م ودفن بالبقيع ٠ ‹٣›

---

١ ـ ابن شاكر : فوات الوفيات ، ج٢ ، ص ٣٨٣ ـ ٣٨٤ ٠

٢ ـ ابن جبير : الرحلة ، ص ١٧٧ ـ ١٧٩ ٠

٣ ـ الفاسي : العقد الثمين ، ج٥ ، ص ٤٢٩ ـ ٤٣٠ ؛ السخاوي : التحفة اللطيفة ، ج٣ ، ص ١٧ ـ ١٨ ٠

لقيه ابن رشيد والعبدري بالمدينة المنورة واثنيا عليه وما أورداه حوله كان موافقاً لما ذكره الفاسي والسخاوي ٠ <١>

عماد الدين أبو نصر الشقاري :

أمير الحاج يوسف بن أبي نصر بن أبي الفرج الدمشقي ٠ روى عن جماعة من العلماء وحدّث ، قدِم للحج عدة مرات توفي سنة ٦٩٩هـ / ١٢٩٩م وعمره تسعون سنه ٠ <٢>

والشقارى من العلماء الوافدين أثناء المواسم إلى المدينة المنورة وقد أثنى عليه ابن رشيد ووصفه بالشيخ الجليل الفاضل ٠ <٣>

أبوالقاسم خلف القبتوري :

أبو القاسم خلف بن عبدالعزيز بن محمد بن خلف الغافقي القبتوري الأشبيلي المولد والنشأة ، ولد في شوال سنة ٦٢٥هـ / ١٢٢٧م ٠ كان كاتباً لأمير سبتة ، جلس للتدريس بتونس وجاور مدة ، وتوفي بالمدينة المنورة سنة ٧٠٤هـ / ١٣٠٤م وحج مرتين ٠ <٤>

لقيه التجيبي بمكة المكرمة وفي المدينة المنورة في ذي القعده سنة ٦٩٦هـ / ١٢٩٦م مدحه بالكثير من الصفات الطيبة التي تدل على مدى صلته به مثل " **شيخنا وسيدنا وعمدتنا وذخيرتنا وبركتنا ورفيقنا إمام الكتاب ...** " ٠ <٥>

---

١ ـ ابن رشيد : ملء العيبة ، ج٥ ، ص ٤١ ؛ العبدري : الرحلة المغربية ، ص ٢٠٧ ٠

٢ ـ الذهبي : العبر في خبر من غبر ، ج٣ ، ص ٤٠٥ ؛ ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب ، ج٣ ، ص ٤٥٥ ٠

٣ ـ ابن رشيد : ملء العيبة ، ج٥ ، ص ٦٥ ٠

٤ ـ ابن جابر : البرنامج ، طبعة ١٤٠١هـ/١٩٨١م ، ص ٦٧ ـ ٦٨ ؛ ابن حجر : الدرر الكامنة ، ج٢ ، ص ٨٥ ـ ٨٦ ؛ المقري : نفح الطيب ، ج٢ ، ص ٥٩٥ ٠

٥ ـ التجيبي : مستفاد الرحلة ، ص ٤٥٠ ـ ٤٥١ ؛ التجيبي : البرنامج ، ص ٣٥ ، ١٤٩ ، ٢٤٨ ، وغيرها ٠

غير أن التجيبي لم يشر إلى سنة مولده بينما ذكر ابن جابر الوادي آشي سنة مولده ووفاته في ترجمته له حيث تلقى العلم عنه في تونس <١> ٠ وهي تتفق مع ما ذكر سابقاً ٠

أم الخير فاطمة البطائحي :

فاطمة بنت إبراهيم بن محمود بن جوهر البطائحي ولدت سنة ٦٢٥هـ / ١٢٢٧م سمعت وحدثت قديماً ٠ ماتت ليلة خمس وعشرين من صفر سنة ٧١١هـ / ١٣١١م وقد نعتها الذهبي بالمسنده ، وتوفيت وعمرها ست وثمانون سنة ٠ <٢>

لقيها ابن رشيد بالمدينة المنورة ووصفها بالشيخة الصالحة الكاتبة أم الخير وأم محمد ٠ <٣>

فيلاحظ أن وفود العلماء على المدينة المنورة لم يكن قاصراً على الرجال بل شمل النساء اللواتي حرصن على أداء الفريضة وزيارة المدينة المنورة ٠

سراج الدين عمر بن أبي العباسي الأنصاري :

عمر بن أحمد بن الخضر بن ظافر بن طراد بن أبي الفتوح القاضي سراج الدين الأنصاري الخزرجي الدمنهوري السويداوي الشافعي ولد سنة ٦٣٥هـ / ١٢٣٧م أو ٦٣٦هـ / ١٢٣٨م ٠

خطيب وقاضي المدينة المنورة قام الناصر محمد بن قلاوون سلطان مصر بتقليده القضاء ، وبعث إليه بخلعه وألف درهم ، كان فقيهاً فاضلاً صالحاً خطب بالمدينة المنورة مدة أربعين سنة وناله الأذى من الشيعه بسبب تعيينه كأول خطيب سنّي فيها سنة ٦٨٢هـ/١٢٨٣م <٤>٠رحل إلى مصر للعلاج

---

١ ـ ابن جابر الوادي آشي : البرنامج ، طبعة ١٤٠١هـ /١٩٨١م ، ص ٦٧ ـ ٦٨ ٠

٢ ـ الذهبي : تذكرة الحفاظ ، ج٤ ، ص ٤٩٥ ؛ ابن حجر : الدرر الكامنة ، ج٣ ، ص ٢٢٠ ـ ٢٢١ ٠

٣ ـ ابن رشيد : ملء العيبة ، ج٥ ، ص ٢١ ٠

٤ ـ السخاوي : التحفة اللطيفة ، ج٣ ، ص ٣١٢ ـ ٣١٧ ٠

عقب إصابته بمرض وأدركته الوفاة قبل دخوله مصر بنحو يومين بالسويس سنة ٧٢٦هـ / ١٣٢٥م ٠

ذكره ابن رشيد دون الإشارة إلى التقائه به قائلاً " **إمام مسجد الرسول ﷺ وخطيبه** " ٠ <١>

والتقى به ابن جابر الوادي آشي بالمدينة المنورة وترجم له وذكر حضوره لمجلسه بالمدرسة الشهابيه وقرأ عليه المنتخب والتنبيه <٢> وبعض كتب التفاسير كما روى عنه بعض الأحاديث وعاب عليه في قوله الشعر عدم قدرته على وزنه لاستعماله بحرين مختلفين في القصيدة الواحدة ، ولم يقم بلفت نظره إلى ذلك لحدة طبعه٠ولا تختلف سنة وفاته ومكانها عما ذكره السخاوي٠ <٣>

وأشار إليه ابن بطوطة بقوله : قاضي وخطيب المدينة المنورة ظل قاضي وخطيب المدينة المنورة نحو أربعين سنة ٠ <٤>

جمال الدين أبوعبدالله محمد بن أحمد العبادي :

محمد بن أحمد بن خلف بن عيسى بن عباس بن يوسف بن علي بن عثمان جمال الدين أبوعبدالله الأنصاري الخزرجي العبادي السعدي الشافعي ٠ رئيس المؤذنين بالحرم النبوي الشريف ونائب القاضي والخطيب والإمام في المدينة ٠ كان عالماً فذاً أخذ على جمع غفير من العلماء ومنهم أبو اليمُن بن عساكر ، وجلس للتدريس في الحرمين الشريفين ، له باع في العلوم الشرعية عالم بالأنساب وكان شاعراً ذا خلقٍ حسن وزهد وعبادة ٠ ألف تاريخاً للمدينة المنورة سماه " **التعريف بما أنست الهجرة من معالم دار الهجرة** "٠

---

١ ـ ابن رشيد : ملء العيبة ، ج٥ ، ص ١٨٧ ٠

٢ ـ كتاب في الفقه على المذهب الشافعي للشيخ ابي إسحاق إبراهيم بن على الشيرازي المتوفي سنة ٤٧٦هـ / ١٠٨٣م وهو أحد الكتب الخمسه المشهورة المتداولة بين الشافعيه ٠ أنظر حاجي خليفه : كشف الظنون ، ج١ ، ص ٤٨٩ ٠

٣ ـ ابن جابر الوادي آشي : البرنامج ، طبعه ١٤٠١هـ/١٩٨١م ، ص ٤٥ ٠

٤ ـ ابن بطوطة : الرحلة ، ص ١٢٠ ٠

ولد سنة ٦٧١هـ / ١٢٧٢م أو ٦٧٣هـ / ١٢٧٣م وتوفي في السابع من ربيع الثاني سنة ٧٤١هـ / ١٢٤٣م ٠ <١>

أشار البلوي إلى عظم قدره مادحاً إياه بالشيخ العالم الرئيس الصالح القائم بتدريس الحديث <٢> ، ولعل نعته إياه بالرئيس إشارة إلي شغله منصب رئيس المؤذنين ٠

لقيه ابن بطوطة أيضاً ولم يذكره إلا بقوله " **جمال الدين المطري رئيس المؤذنين بالحرم النبوي الإمام المحدث الفاضل** " ٠ <٣>

محمد بن محمد بن أحمد كمال الدين الأميوطي :

محمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم بن يحيى بن أبي المجد عبدالله اللخمي الشافعي شرف الدين أبوالفتح ابن عزالدين بن كمال الدين الأميوطي ٠ نبغ في الفقه وسمع الحديث تولّى قضاء نابلس ثم القضاء والخطابة والإمامة بالمدينة المنورة ، عرف عنه شدته على الشيعة حيث قام بتوبيخ فقهاء الإماميه على المنبر وفي المجالس وأبطل صلاة النصف من شعبان والمغالاة في كثرة الإيقاد بالمسجد فحدّ من الفساد والهياج فيه ولكنه لم يستطع إلغاء وجود الإمامية بالمدينة المنورة بالرغم من كثرة خطبه فيهم ٠

كان شهماً مهاباً مدافعاً عن السنة حاضاً إياهم على الجدّ في العبادة ومما يحكى عنه صلاته عند الجهة اليسرى من المحراب وعدم دخوله فيه إجلالاً للمقام الشريف ٠

ولد بالقاهرة في ذي القعدة سنة ٦٧٤هـ / ١٢٧٥م وتوفي بالمدينة المنورة في صفر سنة ٧٤٥هـ / ١٣٤٤م ٠ <٤>

---

١ ـ الحسيني : ذيل تذكرة الحفاظ للذهبي ، ص ١١٠ ؛ السخاوي : التحفة اللطيفة ، ج٣ ، ص ٤٦٦ ٠

٢ ـ البلوي : تاج المفرق ، ج١ ، ص ٢٩٣ ـ ٢٩٤ ٠

٣ ـ ابن بطوطة : الرحلة ، ص ١٢١ ٠

٤ ـ ابن حجر : الدرر الكامنة ، ج٤ ، ص ١٥٩ ـ ١٦٠ ٠

لقيه ابن بطوطة قائلاً إنه من مصر وأشار إلى توّليه الخطابة والقضاء بالمدينة المنورة ويبدو أن هناك تصحيفاً في اسمه لدى ابن بطوطة فذكره بجمال الدين الأسيوطي . <١>

أبوعبدالله محمد بن محمد الغرناطي :

أبو عبدالله محمد بن محمد بن محمد الغرناطي جاور بالمدينة المنورة وأخذ الحديث واتقن الفرائض والحساب واشتغل بصناعة الدهان وأتقنها . اتصل بخدم المسجد النبوي الشريف وأصبح مؤذناً به وأميناً على مخازنه اشتهر بالعفه والمعرفة واكتسب مالاً كثيراً برًّ به أقاربه .

ومما يروى عنه أنه في بداية حياته قد جب <٢> نفسه ثم ندم على ذلك فلما توفي خلّف أموالاً طائلة وأوقف كتبه وأعتق مماليكه قبل وفاته سنة ٧٥٤هـ / ١٣٥٣م وعمره إحدى وثمانون سنه . <٣>

لقيه ابن بطوطة وأورد له ترجمه مفصلّة حيث أثنى عليه ونعته بالشيخ المجاور المعروف بالتراس وكان قد جّب نفسه خوفاً من الفتنة حيث كان يعمل عند شيخ يدعى عبدالحميد العجمي الذي أحسن الظن به وأوكل إليه القيام بشؤون أهله وماله خلال فترة سفره وسبب قيامه بذلك هو محاولة إقدام زوجة الشيخ العجمي وقت غياب زوجها على استدراجه للفاحشة فخاف على نفسه فأقدم على جّب نفسه وقد أصبح فيما بعد أحد القائمين على خدمة المسجد النبوي الشريف ومؤذناً به ... <٤> ونلحظ على غير عادة ابن بطوطة إسهابه في الحديث عن هذا الشيخ والتركيز في ترجمته على هذه الحادثة الغريبة ويعود ذلك إلى تعلّق ابن بطوطة بكل ما هو غريب وخارج عن المألوف .

---

١ ـ ابن بطوطة : الرحلة ، ص ١٢١ .

٢ ـ المجبوب هو الخصي الذي استؤصل ذكره وخصيتاه والجب القطع . أنظو ابن منظور : لسان العرب ، ج١ ، ص ٢٤٩ .

٣ ـ ابن حجر : الدرر الكامنة ، ج٤ ، ص ٣٣٦ .

٤ ـ ابن بطوطة : الرحلة ، ص ١٢١ ـ ١٢٢ .

محمد بن فرحون بن محمد بن فرحون :

محمد بن فرحون بن محمد بن فرحون الشمس أبوعبدالله الجياني التونسي المولد والمنشأ ، المدني المالكي ، يعرف بابن فرحون أنجب أبناءاً علماء منهم البدر عبدالله المؤرخ . <١>

عكف على طلب العلم وتلقاه على شيوخ بلده وبرع في الفقه وأصوله والعربية ملماً بعلوم عديدة ، سمع الحديث وعُرف بحسن الخط والضبط .

جاور بالمدينة المنورة وسكن المدرسة الشهابية التي اشترطت على ساكنيها المواظبة على حضور دروسها فظهر علمه وفضله وإتقانه في مختلف العلوم فعلت مكانته في أعين الناس وذاع صيته وأصبح له تلاميذ يلازمونه يلقي عليهم دروسه في الفقه والعربية والنحو وغيرها .

برع في علم الميقات وفاق جميع المشتغلين به ووصف بالشيخ العالم الصالح الورع . مات يوم الخميس رابع عشر ربيع ... سنه ٧٢١هـ / ١٣٢١م .<٢>

أشار ابن بطوطه إلى عمله نائباً للقاضي سراج الدين وله العديد من الأبناء بالمدينة المنورة ومنهم أبوعبدالله . <٣>

عفيف الدين الخزرجي السعدي العبادي :

عبدالله بن محمد بن أحمد بن خلف <٤> بن عيسى بن عساس بن يوسف بن بدر بن على بن عثمان الخزرجي العبادي من نسل سعد بن عبادة الأنصاري . المؤذن عفيف الدين أبوجعفر وأبو محمد ابن جمال الدين المطري أبوالسيادة رئيس المؤذنين بالحرم النبوي الشريف .

---

١ ـ أنظر ترجمته فيما بعد ص ٢٩٨ ـ ٢٩٩ .

٢ ـ السخاوي : التحفة اللطيفة ، ج٣ ، ص ٧٠٦ ـ ٧١٠ . ويلاحظ أنه لم يوضح أي الربيعين .

٣ ـ ابن بطوطة : الرحلة ، ص ١٢٠ ـ ١٢١ .

٤ ـ ذكره السخاوي " خليفه " أنظر السخاوي : التحفة اللطيفة ، ج٢ ، ص ٣٨٤ .

رحل وجاب البلاد طلباً لسماع الحديث واعتنى بالتاريخ وألف كتاباً سماه " **الأعلام فيمن دخل المدينة من الأعلام** " عرف بالصلاح والتقوى وكرم النفس والإحسان والإيثار ٠

امتحن في سنة ٧٤٢هـ / ١٣٤١م ونُهبت داره وأُخذ منها ما قيمته مائة ألف درهم ثم حُبس وأطلق ٠ ولد سنة ٦٩٨هـ / ١٢٩٨م ٠ وتوفي بالمدينة المنورة في شهر ربيع الأول سنة ٧٦٥هـ / ١٣٦٣م ٠ <١>

ولم يذكره ابن بطوطه إلا بعفيف الدين عبدالله عند اشارته إلى والده ٠ <٢>

أبو محمد بن أسعد اليافعي :

عفيف الدين أبومحمد عبدالله بن أسعد بن على بن سليمان بن فلاح اليافعي اليمني شيخ الحجاز نشأ محباً للعلم فبعثه أبوه إلى عدن فأخذ عن علمائها وحفظ القرآن الكريم وحج صغيراً وعاد إلى بلده وآثر الخلوة وساح في الأرض متنقلاً بين الشام والقدس والخليل ومصر والصعيد مواظباً على الحج وجاور بالمدينة المنورة ثم استوطن مكة وتزوج بها ٠

له كرامات اشتهرت عنه وله شعر كثير ومنها قصيدة مشتملة على عشرين علماً ٠ شاع ذكره وتصدر للتدريس والتأليف إلا أن معظم مؤلفاته امتازت بقصر مواضيعها مع عِظَم فائدتها وعرف بتواضعه وترفّعه عن أرباب الدنيا كثير الصدقه مع قلة ذات يده ٠ ولد سنة ٦٩٨هـ / ١٢٩٨م وتوفي في جمادى الثانيه سنة ٧٦٨هـ / ١٣٦٦م بمكة المكرمة ٠ <٣>

---

١ ـ الحسيني : الذيل على تذكره الحفاظ للذهبي ، ص ١٤٣ ؛ ابن حجر : الدرر الكامنة ، ج٢ ، ص ٢٨٤ ـ ٢٨٥ ؛ السخاوي : التحفة اللطيفة ، ج٢ ، ص ٢٨٤ ـ ٢٩٠ ٠

٢ ـ ابن بطوطة : الرحلة ، ص ١٢١ ٠

٣ ـ الحسيني : الذيل على تذكرة الحفاظ للذهبي ، ص ١٥٢ ؛ الفاسي : العقد الثمين ، ج٥ ، ص ١٠٤ ـ ١١٠ ؛ السخاوي : التحفة اللطيفة ، ج٢ ، ص ٢٩٤ ـ ٢٩٧ ؛ ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب ، ج٦ ، ص ٢١٠ ـ ٢١٢ ٠

لقيه البلوي بالمدينة المنورة وأضفى عليه الصفات الجليلة فقال إن له ما ينيف على الخمسين حجّة وما ذكره البلوي يتفق مع ما جاء في المصادر الأخرى ٠ <١>

عبدالله بن محمد بن فرحون :

عبدالله بن محمد بن أبي القاسم فرحون بن محمد بن فرحون البدر أبومحمد بن أبي عبدالله بن أبي الفضل اليعمري الأيدي الجياني التونسي قاضي المالكية ومؤرخ المدينة المنورة ٠ ولد يوم الثلاثاء سادس جمادى الآخره سنة ٦٩٣هـ / ١٢٩٣م وهو بكر أبويه أخذ العلم على يد علماء عصره ٠

استوطن المدينة المنورة ولم يخرج منها إلا للحج حيث حج أكثر من خمسين حجة عمل نائباً للقاضي مدة أربع وعشرين سنة ثم انفرد بقضاء المالكية ودرس بالمدرسة الشهابية ٠

كان عالماً بالحديث ومعانيه والقرآن الكريم وتفسيره والعربيه وأصول الدين وله العديد من المؤلفات التى تدل على سعة علمه وفهمه ٠ لازم المسجد النبوي الشريف يعلم الحديث أكثر من خمسين سنة وانفرد بآخر عمره بعلو الإسناد فلم يكن بالمدينة المنورة أعلى إسناداً منه ٠ تصدّى للدفاع عن أهل السنة مما أدى إلى قيام محاولة فاشلة لأغتياله ٠

عمل نائباً للقاضي سنة ٧٤٦هـ / ١٣٤٥م وسعى لعزل قضاة الشيعة فنادى بإبطال أحكامهم والإعراض عنها فأسفرت محاولاته عن أزدياد قوة أهل السنه وعلو شأنهم ، قام بإمامة الناس في الصلاة وعُرِض عليه العمل نائباً للإمام والخطيب فرفض ذلك ٠

---

١ ـ البلوي : تاج المفرق ، ج١ ، ص ١٩١ ـ ١٩٣ ٠ أنظر الهامش السابق ٠

يتميز بحسن الخلق وإحسانه إلى الفقراء والصدقة عليهم لكثرة ماله وعقاره كان ذا كلمه مسموعة لدى الناس حسن العشرة بشوشاً صبوراً على الأذى توفي في رجب سنة ٧٦٩هـ / ١٣٦٧م ٠ <١>

ذكره ابن بطوطة بقوله " **أبومحمد عبدالله مدرس المالكيه ونائب الحكم** " <٢> ٠ ويبدو أنها عبارة تطلق على منصب نائب القاضي ٠

البهاء بن سلامة :

لم نعرف اسمه كاملاً وكل ما ذكر عنه أنه البهاء بن سلامة المصري قام بالخطبة والإمامة بالمدينة المنورة مدة سنتين ولم يلبث أن طلب الأعفاء منها ٠ <٣>

أشار ابن بطوطة إلى إمامته للمسجد النبوي وقت قدومه إلى المدينة المنورة قائلاً من أكابر المصريين ٠ <٤>

شرف الدين قاسم بن سنان :

قاسم بن سنان بن عبدالوهاب أحد قضاة الشيعة ٠ <٥>

أشار إليه ابن بطوطة بقوله قاضي الزيديه وقد صحبه في أحد أسفاره <٦> ٠ ولم يزد على ذلك ٠

---

١ ـ ابن حجر : الدرر الكامنة ، ج٢ ، ص ٣٠٠ ؛ السخاوي : التحفة اللطيفة ، ج٢ ، ص ٤٠١ ـ ٤٠٩ ٠

٢ ـ ابن بطوطة : الرحلة ، ص ١٢٠ ـ ١٢١ ٠

٣ ـ السخاوي : التحفة اللطيفة ، ص ج١ ، ص ٥٤ ٠

٤ ـ ابن بطوطة : الرحلة ، ص ١٢٠ ٠

٥ ـ السخاوي : التحفة اللطيفة ، ج٣ ، ص ٤٠٠ ٠

٦ ـ ابن بطوطة : الرحلة ، ص ١٢٧ ٠

ومما سبق يتضح لنا بجلاء أن المدينتين المقدستين **مكة المكرمة والمدينة المنورة** قد حفلتا بالعديد من العلماء الأجلاء الذين اسهموا بدور كبير في الحركة العلمية فيهما . بالإضافة إلى القادمين إليهما والمجاورين بهما مما كان له الأثر الكبير في النشاط العلمي ، واستطاع الرحالة المغاربة والأندلسيون الألتقاء بعدد كبير منهم والأستفادة من علمهم وحضور حلقات دروسهم المعقودة في المسجدين الشريفين .

ومما لاشك فيه أن تمتع مكة المكرمة والمدينة المنورة بمكانة عظيمة في نفوس المسلمين جميعاً وتقاطر العلماء والمتعلمين إليهما بصفة مستمرة بوّأهما لأن يكونا من أهم المراكز التي تشد إليها الرحال وتضرب إليها أكباد الإبل في سبيل العلم والعبادة . وقد تبين لنا أن الكثير من العلماء آثر المكوث فيهما على العودة إلى ديارهم متخذين منهما مكاناً للمجاورة مع قيامهم إلى جانب علمائها بدور كبير في الحركة العلمية على الرغم مما مرّتا به من ظروف سياسية وإقتصادية صعبة .

ولاريب أن ترجمة الرحالة المغاربة والأندلسيين لهؤلاء العلماء أوضحت نمط حياتهم وهذا الجانب كان خافياً على كتّاب التراجم لبعد الفترة الزمنية ، فالرحالة وثيقو الصلة بهم وعلى علم بالكثير من تفاصيل حياتهم وشؤنهم اليومية فاستطاعت كتاباتهم أن تحمل لنا الكثير من التفاصيل والتي انفردوا بها عن غيرهم من المؤرخين .

وعلى الرغم من تقارب الفترة الزمنية بين الرحالة العبدري وابن رشيد والتجيبي ثم فيما بعد ابن جابر الوادي آشي وابن بطوطة والبلوي يلاحظ من ذلك اتفاقهم على أسماء شيوخهم حيناً واختلافهم حيناً آخر ومنهم من أنكر وجود علماء أثبتت كتابات غيره وجودهم مثل العبدري مما يحملنا على عدم قبول أقواله في ذلك . فالمدينتان المقدستان جمعتا العديد من العلماء الأفذاذ في تلك الفترة وقمنا بإيراد المعلومات الوافيه عنهم من خلال تراجم الرحالة لهم وبعض المصادر القريبة العهد بهم .

رابعاً: أشهر العلوم وأهم الكتب :

لاريب أن أكبر جامعتين إسلاميتين بالحجاز إن لم يكن بالعالم الإسلامي كله هما المسجد الحرام والمسجد النبوي شهدت ساحاتهما إلقاء دروس في جميع فنون العلوم الإسلامية الشرعية والعربية . وقد أسهمت معهما في أداء دورهما العلمي المدارس المقامة بالمدينتين المقدستين إلى جانب الكتاتيب القائمة على تعليم القراءة والكتابة للصغار .

ولم يكن دور المدارس والكتاتيب واضحاً في كتب الرحالة المغاربة والأندلسيين بقدر وضوح دور المسجدين المكي والمدني إذ أبرزت كتاباتهم مكانتهما العلمية وما عقد بهما من حلقات علمية وأماكنها وأنواع العلوم الملقاة فيها ومن هذه العلوم التي ذكرها الرحالة :

أ ـ علم القراءات :

حرص الرحالة المغاربة والأندلسيون على تلقي هذا العلم من منبعه وداره ومن أشهر علمائه أبو محمد عبدالله الدلاصي الذي تصدر للأقراء وأشار إليه التجيبي وابن جابر الوادي آشي . (١)

ب ـ علم الحديث :

تكاد لا تخلو رحلة من الرحلات المغربية والأندلسية من ذكر علماء الحديث حيث لقيهم الرحالة وسمعوا منهم وقاموا برواية ما سمعوه باسانيده

---

١ ـ التجيبي : مستفاد الرحلة ، ص ٤٣٣ ـ ٤٣٤ ؛ ابن جابر الوادي آشي : البرنامج ، طبعة ١٤٠١هـ/١٩٨١م ، ص ٧٩ ـ ٨٠ .

دلالـة على مـدى تعلقهـم بهذا العلـم وحبهـم له بالإضـافـة إلـى قيامـهم بالتنبيـه لحالة بعض رواة الحديث وإظهارهـم لأوهام البعض الآخر ٠ (١)

وحظي علم الحديث بالمكانة الأولى في كثير من الحلقات العلمية وقام بتدريسه بالمسجد الحرام علماء أجلاء إذ كانت النظرة إلى عالم الحديث نظرة احترام وإجلال (٢) ٠ ومن أشهر هؤلاء العلماء محب الدين الطبرى ، وقد اعتنت كتب الرحالة بتدوين أسماء أشهر الكتب ومنها على سبيل المثال :

١ ـ صحيح البخاري ٠ (٣)

٢ ـ صحيح مسلم ٠ (٤)

٣ ـ سنن أبي داود ٠ (٥)

٤ ـ جامع الترمذي ٠

٥ ـ كتاب السنن للنسائي ٠ (٦)

٦ ـ مسند الإمام ابي عبدالله الشافعي ٠ (٧)

---

١ ـ ابن رشيد : ملء العيبة ، ج٥ ، ص ٥٠ ، ص ١٦٠ ٠

٢ ـ آدم متز : الحضارة الإسلامية ، ص ٣٥٥ ٠

٣ ـ ابن رشيد : ملء العيبة ، ج٥ ، ص ١٦٢ ؛ التجيبي : مستفاد الرحلة ، ص ٣٨١ ؛ ابن جابر الوادي آشي : البرنامج ، طبعة ١٤٠١هـ/١٩٨١م ، ص ١٨٨ ٠

٤ ـ ابن رشيد : ملء العيبة ، ج٥ ، ص ١٧٣ ؛ التجيبي : مستفاد الرحلة ، ص ٣٨٣ ؛ ابن جابر الوادي آشي : البرنامج ، طبعة ١٤٠١هـ/١٩٨١م ، ص ١٩٢ ٠

٥ ـ ابن رشيد : ملء العيبة ، ج٥ ، ص ٢٣٧ ؛ التجيبي : مستفاد الرحلة ، ص ٣٨٣ ، ٣٧٦ ـ ٣٦٦ ، ٣٦٣ ٠

٦ ـ التجيبي : مستفاد الرحلة ، ص ٣٦٤ ـ ٣٨٤ ـ ٣٨٨ ٠

٧ ـ التجيبي : مستفاد الرحلة ، ص ٣٦٥ ، ٣٨٤ ؛ الإمام أبوعبدالله محمد بن أدريس الشافعي المتوفي سنة ٢٠٤هـ / ٨١٩م ٠ أنظر حاجي خليفه : كشف الظنون ، ج٢ ، ص ١٦٨٣ ٠

٧ ـ ثلاثيات جامع الإمام أبي عبدالله البخاري ٠ <١>

٨ ـ شرح السنة لأبي محمد الحسين بن سعود البغوي ٠ <٢>

٩ ـ كتاب الجُنة المختصر في شرح السنة لرضي الدين الطبري ٠ <٣>

١٠ـ كتاب الصحيح المسمى التقاسيم والأنواع لأبي حاتم بن حيان السبتي ٠ <٤>

١١ـ كتاب الأربعين في قواعد الدين لأبي سعيد إسماعيل بن أبي صالح أحمد بن عبدالملك بن علي بن عبدالرحمن النيسابوري ٠ <٥>

١٢ـ كتاب الطبقات لأبن الجوزي ٠ <٦>

١٣ـ الأربعين المختارة في فضل الحج والزيارة لأبي بكر محمد بن يوسف بن مسدي ٠ <٧>

١٤ـ كتاب الأربعين من رواية المحمدين المستخرج من صحيح البخاري تخريج أبي بكر من بن على بن ياسر الأنصاري الجياني قسّمه أربعة فصول في كل فصل عشرة أحاديث وحكاية ٠ <٨>

---

١ ـ ابن رشيد : ملء العيبة ، ج٥ ، ص ٣٧ ، ٦٩ ، ١٦٢ ٠

٢ ـ المصدر السابق والجزء ، ص ١٧٠ ؛ التجيبي : مستفاد الرحلة ، ص ٣٨٦ ؛ ابن جابر الوادي آشي : البرنامج ، طبعة ١٤٠١هـ/١٩٨١م ، ص ٢٠٧ توفي البغوي سنة ٥١٠هـ / ١١١٦م ٠ أنظر اسماعيل البغدادي : هدية العارفين ، ج٥ ، ص ٣١٢ ٠

٣ ـ التجيبي : مستفاد الرحلة ، ص ٣٩٣ ؛ وهو مجلدين ٠ أنظر اسماعيل البغدادي : هدية العارفين ، ج٥ ، ص ١٣ ٠

٤ ـ ابن رشيد : ملء العيبة ، ج٥ ، ص ١٩١ ؛ التجيبي : مستفاد الرحلة ، ص ٣٨٥ ؛ ابن جابر الوادي آشي : البرنامج ، طبعة ١٤٠١هـ/١٩٨١م ، ص ٢٠٤ ؛ اسماعيل البغدادي : هدية العارفين ، ج٦ ، ص ٤٤ ـ ٤٥ ٠

٥ ـ ابن رشيد : ملء العيبة ، ج٥ ، ص ١٢٤ ؛ عمر رضا كحاله : معجم المؤلفين ، ج٢ ، ص ٢٧٦ ٠

٦ ـ ابن رشيد : ملء العيبة ، ج٥ ، ص ١٥٧ ؛ عبدالرحمن بن على بن محمد بن على بن عبدالله بن حمادي بن أحمد بن محمد بن جعفر القرشي التميمي البكري البغدادي المعروف بابن الجوزي وذكر اسم الكتاب بجامع المسانيد ٠ أنظر عمر رضا : معجم المؤلفين ، ج٥ ، ص ١٥٧ ٠

٧ ـ ابن رشيد : ملء العيبة ، ج٥ ، ص ١٣٣ ؛ التجيبي : مستفاد الرحلة ، ص ٣٩٢ ؛ حاجي خليفه : كشف الظنون ، ج١ ، ص ٥٨ ؛ عمر رضا كحاله : معجم المؤلفين ، ج ١٢ ، ص ١٤٠ ٠

٨ ـ ابن رشيد : ملء العيبة ، ج٥ ، ص ١٤٠ ؛ كحاله : معجم المؤلفين ، ج١١ ، ص ٢٤ ٠

١٥ـ الفوائد المسلسلات الأسانيد تخريج ابن مسدى ٠ <١>

١٦ـ جزء فيه مسلسل يوم العيد تخريج ناصر السنة أبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبدالله الشافعي الدمشقي ٠ <٢>

١٧ـ كتاب معرفة أنواع علم الحديث لأبي عمرو عثمان بن عبدالرحمن بن عثمان بن أبي نصر المعروف بابن الصلاح <٣> ٠ وقد فصل ابن جابر الوادي آشي أكثر في وصف الكتاب فقال " **كتاب معرفة أنواع الحديث وبيان أصوله وقواعده وإيضاح فروعه وأحكامه وكشف أسراره وشرح مشكلاته وإبراز نكته وفوائده وإبانة مصطلحات أهل الحديث ورسومهم** " ٠ <٤>

١٨ـ كتاب الملخص في معرفة علوم الحديث وبيان أصوله وقواعده لأبي إسحاق الطبري ٠

١٩ـ كتاب المنتخب انتخب من كتاب الملخص في معرفة الحديث لأبي إسحاق الطبري ٠ <٥>

٢٠ـ كتاب معالم السنن لأبي سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي السبتي ٠ <٦>

---

١ ـ ابن رشيد : ملء العيبة ، ج٥ ، ص ١٤٤ ، ٢٣١ ؛ كحالة : معجم المؤلفين ، ج١٢ ، ص ٢٤ ٠

٢ ـ ابن رشيد : ملء العيبه ، ج٥ ، ص ١٥٨ ٠

٣ ـ المصدر السابق ، ج٥ ، ص ١٧٠ ٠

٤ ـ ابن جابر الوادي آشي : البرنامج ، طبعه ١٤٠١هـ/١٩٨١م ، ص٢٦٩ ؛ حاجي خليفه : كشف الظنون ، ج٢ ، ص ١١٦١ ـ ١١٦٢ ٠

٥ ـ التجيبي : مستفاد الرحلة ، ص ٣٩٢ ٠

٦ ـ المصدر السابق ، ص ٣٦٨ ؛ ابن جابر الوادي آشي : البرنامج ، طبعه ١٤٠١هـ/١٩٨١م ، ص ٢٢٠ ؛ الإمام أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن خطاب المتوفي سنة ٣٣٨هـ / ٩٤٩م وكتابه شرح لطيف فيه نكت لطيفة ولطائف شريفة ٠ أنظر حاجي خليفه : كشف الظنون ، ج١ ، ص ٥٤٥ ٠

٢١ـ كتاب عوارف المعارف لأبي حفص وأبي عبدالله عمر بن محمد السهروردي ٠ <١>

٢٢ـ الأربعين حديثاً التي خرجها الإمام الحافظ علم الدين البرزالي الدمشقي من كتاب الزيارة لأبي اليمن بن عساكر ٠ <٢>

٢٣ـ أربعينات في المناسك مختصرة الإسناد لمحب الدين الطبري ٠ <٣>

٢٤ـ جزء أبي طاهر المخلص والمعروف بإنتقال البقال ٠ <٤>

٢٥ـ مجلس السجلات برواية أبي القاسم حمزة بن علي الكناني ٠ <٥>

٢٦ـ فهرسة رضي الدين أبي إسحاق الطبري ٠ <٦>

٢٧ـ كتاب الإرشاد والتطريز في فضل ذكر الله وتلاوة كتابه العزيز وفضل الأولياء والناسكين والفقراء والمساكين لإبي محمد بن أسعد بن على اليافعي اليمني الشافعي ٠ <٧>

---

١ ـ التجيبي : مستفاد الرحلة ، ص ٣٨٧ ؛ ابن جابر الوادي آشي : البرنامج ، طبعة ١٤٠١هـ/١٩٨١م ، ص ٢٣٢ ؛ إسماعيل البغدادي : هدية العارفين ، ج٥ ، ص ٧٨٦ ٠

٢ ـ البلوي : تاج المفرق ، ج١ ، ص ٢٩٤ ٠

٣ ـ ابن رشيد : ملء العيبة ، ج٥ ، ص ٢٤٩ ؛ الفاسي : العقد الثمين ، ج٣ ، ص ٦٤ ؛ حاجي خليفه : كشف الظنون ، ج١ ، ص ٥٥ ٠

٤ ـ ابن جابر الوادي آشي : البرنامج ، طبعة ١٤٠١هـ/١٩٨١م ، ص ٢٤٦ ؛ ابى طاهر حسن بن أحمد بن إبراهيم الأسدي البالسي ٠ أنظر حاجي خليفه : كشف الظنون ، ج١ ، ص ٥٨٥ ٠

٥ ـ ابن جابر الوادي آشي : البرنامج ، طبعة ١٤٠١هـ/١٩٨١م ، ص ٢٤٤ ـ ٢٤٥ ؛ سمى الكتاب مجلس البطاقه ٠ أنظر كحالة : معجم المؤلفين ، ج٤ ، ص ٨١ ٠

٦ ـ ابن جابر الوادي آشي : البرنامج ، طبعه ١٤٠١هـ/١٩٨١م ، ص ٣٢١ ٠

٧ ـ البلوي : تاج المفرق ، ج١ ، ص ٣٩٢ ؛ حاجي خليفه : كشف الظنون ، ج١ ، ص ٦٨ ٠

٢٨ـ كتاب الملخص للإمام أبي الحسن علي بن أبي بكر محمد بن خلف المعافري المعروف بالقابس ٠ <١>

٢٩ـ كتاب السنن للإمام أبي عبدالله الشافعي ٠ <٢>

٣٠ـ كتاب اختلاف الحديث للشافعي ٠ <٣>

٣١ـ إتحاف الزائر وإطراء المقيم والسائر لأبي اليمن بن عساكر ٠ <٤>

٣٢ـ جزء أبي الحسين أحمد بن أبي بكر بن العالي ٠ <٥>

٣٣ـ الأجزاء العشرة العوالي المعروفة بالثقفيات للرئيس أبي عبدالله القاسم بن الفضل الثقفي ٠ <٦>

٣٤ـ سنن أبي محمد الدارمي ٠ <٧>

٣٥ـ كتاب الجمع بين صحيحي البخاري ومسلم تصنيف الإمام أبي عبدالله محمد بن أبي نصر فتوح بن عبدالله بن فتوح بن حميد الحميدي الأندلسي الظاهري ٠ <٨>

---

١ ـ ابن جابر الوادي آشي : البرنامج ، طبعة ١٤٠١هـ/١٩٨١م ، ص ٢٠٩ ـ ٢١٠ ؛ وهذا الكتاب ٥٢٠ حديثاً ٠ أنظر حاجي خليفه : كشف الظنون ، ج٢ ، ص ١٨١٨ ٠

٢ ـ التجيبي : مستفاد الرحلة ، ص ٣٦٦ ٠

٣ ـ المصدر السابق والصفحة ، ص ٢٨٥ ، ٣٩٠ ؛ الإمام محمد بن أدريس الشافعي ٠ أنظر حاجي خليفه : كشف الظنون ، ج١ ، ص ٣٢ ٠

٤ ـ ابن رشيد : ملء العيبة ، ج٥ ، ص ٢٢٣ ؛ ورد اسم الكتاب اتحاف الزائر فقط ٠ أنظر حاجي خليفه : كشف الظنون ، ج١ ، ص ٦ ٠

٥ ـ ابن رشيد : ملء العيبة ، ص ج٥ ، ص ٢٩ ٠

٦ ـ التجيبي : مستفاد الرحلة ،٣٦٧ ، ٣٩٠ ؛ ابن جابر الوادي آشي : البرنامج ، طبعه ١٤٠١هـ/١٩٨١م ، ص ٢٤٩ ؛ حاجي خليفه : كشف الظنون ، ج١ ، ص ٥٨٦ ٠

٧ ـ التجيبي : مستفاد الرحلة ، ص ٣٦٦ ، ٣٨٦ ٠

٨ ـ المصدر السابق ، ص ٣٦٧ ؛ توفي سنة ٤٨٨هـ / ١٠٩٥م رتب أحاديث الكتاب على حسب فضل الصحابي الراوي فقدم أحاديث أبي بكر وباقي الخلفاء الأربعة ثم تمام العشره ٠ أنظر حاجي خليفه : كشف الظنون ، ج١ ، ص ٥٩٩ ٠

٣٦ـ كتاب المعلم بفوائد مسلم للشيخ الفقيه الإمام أبي عبدالله المازري ٠ <١>

٣٧ـ الغيلانيات ٠ <٢>

٣٨ـ كتاب الاعتبار في ناسخ الحديث ومنسوخه للإمام أبي بكر الحازمي محمد بن موسى بن الحازمي الهمذاني ٠ <٣>

٣٩ـ كتاب تنبيه أهل الرسوخ في علم الناسخ والمنسوخ مختصر من كتاب الاعتبار اختصار أبي إسحاق الطبري ٠

٤٠ـ كتاب المجالس المكية في الأحاديث النبوية لأبي حفص عمر بن عبدالمجيد بن عمر الميانشي ٠

٤١ـ جزء الجواهر المنظمة في فضل الشهور المعظمة لمحب الدين الطبري ٠

٤٢ـ كتاب المصابيح تصنيف أبي محمد الحسين بن سعود البغوي الفراء الملقب بمحي السنة ٠ <٤>

٤٣ـ جزء أبي الجهم العلاء بن موسى الباهلي ٠ <٥>

---

١ ـ التجيبي : مستفاد الرحلة ، ص ٣٦٧ ؛ محمد بن على بن عمر بن محمد التميمي المازري المالكي أبوعبدالله ٠ أنظر كحالة : معجم المؤلفين ، ج١١ ، ص ٣٢ ٠

٢ ـ التجيبي : مستفاد الرحلة ، ص ٣٨١ ؛ أجزاء الغيلانيات من حديث أبي بكر عبدالله بن محمد بن إبراهيم الشافعي ورواية أبي طالب محمد بن محمد بن إبراهيم ابن غيلان المتوفي سنة ٤٤٠هـ / ١٤٠٨م ٠ أنظر حاجي خليفه : كشف الظنون ، ج١ ، ص ٥٨٨ ٠

٣ ـ التجيبي : مستفاد الرحلة ، ص ٣٨٧ ؛ الاعتبار في بيان ناسخ الحديث ومنسوخه من الحديث ٠ أنظر كحالة : معجم المؤلفين ، ج ١٢ ، ص ٦٤ ٠

٤ ـ التجيبي : مستفاد الرحلة ، ص ٣٩٢ ـ ٣٩٣ ، ٣٦٨ ؛ مصابيح السنة في ٤٧١٩ حديثاً ٠ أنظر حاجي خليفه : كشف الظنون ، ج٥ ، ص ٣١٢ ٠

٥ ـ ابن رشيد : ملء العيبة ، ج٥ ، ص ٢٣ ؛ العلاء بن موسى بن عطية الباهلي المتوفي سنة ٢٢٨هـ / ٨٤٢م ٠ أنظر حاجي خليفة : كشف الظنون ، ج١ ، ص ٥٨٤ ٠

٤٤ـ كتاب تحفة عيد الأضحى تأليف أبي القاسم زاهر أبي طاهر بن محمد الشحامي . <١>

٤٥ـ جزء البانياسي أبي إسحاق إبراهيم بن عبدالصمد بن موسى الهاشمي . <٢>

٤٦ـ جزء محمد بن هشام بن ملاس ، أبوالعباس محمد بن جعفر بن محمد بن هشام بن قسم بن ملاس النميري الدمشقي . <٣>

٤٧ـ عُمدة الثقات في معرفة الأوقات لمحب الدين الطبري . <٤>

فهذه بعض الكتب التي كانت متداولة سواء بمكة المكرمة أو المدينة المنورة ولا ريب أنه كانت هناك كتب أخرى ربما لم يستطع الرحالة ذكرها لضيق المجال أو لعدم وجودها لديهم واطلاعهم عليها .

الفقه :

والفقه من العلوم التي حرص الرحالة على اتقانها وإجادتها وخير مثال على انتشار علم الفقه بالحجاز ما جاء في رحلتي ابن رشيد والتجيبي من مسائل فقهية . ومن أشهر القائمين بتعليمه محب الدين الطبري المحدث والفقيه له فيه عدّة مؤلفات . <٥>

---

١ ـ ابن رشيد : ملء العيبة ، ج٥ ، ص ١٤٧ ؛ ذكر اسم الكتاب تحفه عيد الأضحى . أنظر إسماعيل البغدادي : هدية العارفين ، ج٥ ، ص ٣٧٢ .

٢ ـ ابن رشيد : ملء العيبة ، ج٥ ، ص ٢٣٠ ؛ حاجي خليفه : كشف الظنون ، ج١ ، ص ٨٦ .

٣ ـ ابن رشيد : ملء العيبة ، ج٥ ، ص ٢٢٦ ؛ جزء محمد بن هشام بن ملاش النميري . أنظر حاجي خليفه : كشف الظنون ، ج١ ، ص ٥٨٩ .

٤ ـ التجيبي : مستفاد الرحلة ، ص ٣٩٤ ؛ الفاسي : العقد الثمين ، ج٣ ، ص ٦٣ . اسم الكتاب العُمدة وهو مختصر جمع فيه أحكام الصحيحين .

٥ ـ التجيبي : مستفاد الرحلة ، ص ٣٩٣ ـ ٣٩٤ ، ٤١٥ ؛ الفاسي : العقد الثمين ، ج٣ ، ص ٢٤٠ ـ ٢٤٧ .

وقد تضمنت بعض كتب الرحالة أسماء لكتب فقهية مشهورة منها :

١ ـ كتاب رسالة القشيري إلى الصوفية <١> أو رسالة التصوف ٠ <٢>

٢ ـ كتاب التنبيه تصنيف الشيخ أبي إسحاق إبراهيم بن علي الشيرازي ٠ <٣>

٣ ـ مختصر كتاب التنبيه والمهذب للشيرازي اختصار محب الدين الطبري ٠ <٤>

٤ ـ كتاب قمع الحرص بالقناعة والصبر تحت حكمها بالطاعة تأليف أبي بكر محمد بن جعفر بن محمد بن سهل الخرائطي ٠ <٥>

٥ ـ جزء مسألة الإجارة للمجهول والمعدوم وهو جزء لطيف تصنيف أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي ٠ <٦>

٦ ـ كتاب الدر النضيد فيما ورد في العيد لمحب الدين الطبري ٠ <٧>

ونلاحظ قلة كتب الفقه بالنسبة لكتب الحديث مما قد يعني أن الحديث حظي بالاهتمام أكثر من العلوم الأخرى ٠

---

١ ـ ابن رشيد : ملء العيبة ، ج٥ ، ص ١٧٢ ٠

٢ ـ ابن جابر الوادي آشي : البرنامج ، طبعة ١٤٠١هـ/١٩٨١م ، ص ٢٣١ ؛ كحالة : معجم المؤلفين ، ج٦ ، ص ٦ ٠

٣ ـ التجيبي : مستفاد الرحلة ، ص ٣٦٩ ، ٣٨٧ ؛ حاجي خليفة : كشف الظنون ، ج١ ، ص ٤٨٩ وهو من الكتب الخمسة المشهورة المتداولة بين الشافعية ؛ كحاله : معجم المؤلفين ، ج٥ ، ص ٦ ٠

٤ ـ ابن رشيد : ملء العيبة ، ج٥ ، ص ٢٤٩ ؛ الفاسي : العقد الثمين ، ج٣ ، ص ٦٣ ٠

٥ ـ ابن رشيد : ملء العيبة ، ج٥ ، ٣٦٩ ؛ إسماعيل البغدادي : هدية العارفين ، ج٩ ، ص ١٥٤ ؛ كحالة : معجم المؤلفين ، ج٦ ، ص ٢٤ ٠

٦ ـ التجيبي : مستفاد الرحلة ، ص ٣٩١ ؛ ولم يرد هذا الكتاب ضمن مؤلفاته ٠ أنظر الزركلي : الإعلام ، ج١ ، ص ١٧٢ ٠

٧ ـ التجيبي : مستفاد الرحلة ، ص ٣٩٢ ؛ ولم يرد هذا الكتاب ضمن مؤلفاته ٠ أنظر الفاسي : العقد الثمين ، ج٣ ، ص ٦٤ ٠

علم التفسير :

نشطت دراسة التفسير بالحجاز وسارت جنباً إلى جنب مع العلوم الأخرى لارتباطه بالقرآن الكريم والحديث ومن أشهر مؤلفاته التي أشار إليها الرحالة المغاربة والأندلسيون هي :

١ ـ كتاب عين المعالي في التفسير للسجاوندي . (١)

٢ ـ الوسيط في التفسير للواحدي . (٢)

علم التاريخ :

لم تخل كتب الرحالة المغاربة والأندلسيين من الإشارة إلى كتب السير والتاريخ خاصة فيما يتعلق بتاريخ مكة المكرمة وتكثر الإشارة إلى مؤلف أبي الوليد الأزرقي (٣) المتوفي حوالى سنة ٢٥٠هـ / ٨٦٥م ومن أشهر الكتب التي كانت متداولة في هذا المجال وأشارت إليها كتب الرحالة هي :

١ ـ كتاب الشمائل للترمذي . (٤)

٢ ـ كتاب سيرة الرسول ﷺ لمحمد بن إسحاق رواية عبدالملك بن هشام واختصاره . (٥)

---

١ ـ محمد بن طيفور الغزنوى السجاوندى ابوعبدالله المفسر اسم كتابه عين المعاني في تفسير السبع المثاني . أنظر التجيبي : مستفاد الرحلة ، ص ٣٨٢ ؛ كحاله : معجم المؤلفين ، ج١٠ ، ص ١١٢ .

٢ ـ على بن احمد بن محمد بن على الواحدى النيسابوري أبوالحسن . لم يرد لهذا الكتاب ذكر . أنظر كحاله : معجم المؤلفين ، ج٧ ، ص ٢٦ .

٣ ـ التجيبي : مستفاد الرحلة ، ص ٣٨٥ ، ٣٩٢ ـ ٣٧٦ ، ٣٦٨ .

٤ ـ ابن رشيد : ملء العيبه ، ج٥ ، ص ١٧١ ؛ التجيبي : مستفاد الرحلة ، ص ٣٦٤ ـ ٣٧٦ ـ ٣٨٤ ؛ ابن جابر الوادي آشي : البرنامج ، طبعه ١٤٠١هـ/١٩٨١م ، ص ٢١٠ ؛ اسماعيل البغدادي : هديه العارفين ، ج٦ ، ص ١٩ .

٥ ـ ابن رشيد : ملء العيبة ، ج٥ ، ص ١٧٢ ؛ التجيبي : مستفاد الرحلة ، ص ٣٨٥ .

٣ ـ كتاب خلاصة سير سيد البشر لمحب الدين أبي العباس أحمد بن عبدالله الطبري المكي . <١>

٤ ـ كتاب أبي الوليد الأزرقي في أخبار مكة . <٢>

٥ ـ السيرة الشاميةسُبيل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد " لمحمد بن يوسف الدمشقي الصالحي الشامي . <٣>

٦ ـ مختصر مولد الرسول ﷺ لأمين الدين أبي اليمن بن عساكر . <٤>

الشعر والأدب :

لم تخل رحلة من الرحلات المغربية والأندلسية من الشعر فقد كان للشعر نصيب وافر فيها وخاصة المدائح النبوية ويظهر أن الذي أدى إلى ازدهارها هو الشوق لزيارة المسجد النبوي الشريف فنرى أن بعض مؤلفي كتب الرحلات أوردوا قصيدة أو أكثر في مدح الرسول ﷺ منها ما هو من تأليفهم ومنها ما هو منسوب لغيرهم وتحمل تلك القصائد مشاعر الشوق واللهفة لزيارة المصطفى ﷺ وقد حصل العديد من الرحالة على إجازات في رواية تلك القصائد من العلماء الحافظين لها .

فالعبدري مثلاً نظم قصيدة في مدح النبيﷺ . كما وجدت أشعار مكتوبة على أستار الروضة الشريفة <٥> إضافة إلى أشعار مرتجلة قيلت في ذلك الموقف <٦> أو عند قرب الوصول للمدينة المنورة ومكة المكرمة . <٧>

---

١ ـ التجيبي : مستفاد الرحلة ، ص ٢٩٢ ؛ ابن جابر الوادي آشي : البرنامج ، طبعة ١٤٠١هـ /١٩٨١م ، ص ٢٢٣ ؛ الفاسي : العقد الثمين ، ج٣ ، ص ٦٤ ولم يورد له هذا المؤلف .

٢ ـ التجيبي : مستفاد الرحلة ، ص ٣٦٨ .

٣ ـ المصدر السابق ، ص ٢٨٥ ؛ كحالة : معجم المؤلفين ، ج١٢ ، ص ١٣١ .

٤ ـ ابن جابر الوادي آشي : البرنامج ، طبعة ١٤٠١هـ /١٩٨١م ، ص ٢٢٨ . ولم يرد ذكر هذا المؤلف ضمن مؤلفاته.

٥ ـ العبدري : الرحلة المغربية ، ص ٢٠٨ ـ ٢١٣ ، ٢٠٥ .

٦ ـ المصدر السابق ، ص ٢٠٥ ؛ البلوي : تاج المفرق ، ج١ ، ص ٢٨٣ ـ ٢٨٤ .

٧ ـ العبدري : الرحلة المغربية ، ص ٢٠٢ ـ ٢٠٣ ، ١٩٦ ـ ١٧٠ .

وقد أخذ ابن رشيد إجازات في إنشاد المدائح النبوية وغيرها من الأشعار المنشودة في المناسبات عَقِب كل مجلس وقام ابن رشيد بنظم أبيات من الشعر في وصف عرفات وجبلها وعَقِب انتهائه من أداء فريضة الحج ، ومن العلماء الذين نال إجازاتهم في الشعر أبواليمن بن عساكر . إلي جانب أن بعض الإجازات العلمية كتبت شعراً <١> مثل إجازة أبي اليمن بن عساكر للوزير أبي عبدالله :

أحمد الله وهو للحمد أهل ... وأثني أُثني عليه شكري

وأصلّى على الذي خُصّ حقا ... بالمقام المحمود يوم الحشرِ

أحمد المصطفى وعترته الغُرْ ... ور أصحابهِ النجوم الزهرِ

وسلام على الألى شيّدوا العلْمُ ... وشادوا بناه من كل حَبر

العدول الأيقاظ من كل جّيل ... الثقات الحفّاظ في كلّ عصرِ

أثّروه وآثروه وأدّوْه ... كما حمّلوه جوزوا بخير

نضرت منهم الوجوه وحازوا ... قصب السبق من وجوه البرِّ

بلغوه كما دعوه وقرّت ... بالعمرى عيونهم بالنشر

حّبذا فعلهم ، وشكراً لمسعا ... هُمْ ونبلا بهم ، ورفعة قدرِ

قد أجزت اللخمي محمّداً الخيرَ ... ربيب الحِجى ، رفيع الذكر

ما اقتضاه استدعاؤه من سماع ... ومُجاز وكّلُ نظم ونثرِ

دأب أهل الاداء بالشرط في التصحيح ... حيح والضبط وابتغاء التحّريِ

لأفظاً الذي أجزت عُلاه ... زاده الله من علاء وفخرِ

---

١ ـ ابن رشيد : ملء العيبة ، ج٥ ، ص ٢٨ ، ٣٣ ، ٨٨ ، ١٠٤ ـ ١٠٥ ، ١٦٥ ـ ١٦٨ ، ١٨٥ ـ ١٨٧ .

ومبيحاً له الرواية عنيّ _ حسبما قد رويت غير مُوَرّى
غير راوٍ من غير أصل ولا نوع لأصل بغير علم وخُبر
شكر الله سعيه وتولْـ اهُ ووقّاه كُلَّ سوء وضرّ
وعليه _ إذا روى ذاك عنّى طاب ذكراه _ أن يُطَيب ذكري
لستُ أعني الثناء لكنى عساه أن يوالى يغفر ذنب وسترِ
هذه نفثةُ لُمضْنىَ وأنّى ليَ بالشعر بعد وخْط الَشعْر ؟
زبرتهايد أبي اليمن جار الـ لـه ما بين زمزمٍ والحِجر
نجل عبد الوهاب، والحسن الجدُ وُسقى الله تربهم صوب قطر
عام سبعين قد تقضّت مئيا ثم يا أربع مضينا وعشر
حامداً ربّه منيبا إليه مستعينا بالله في كل أمرٍ (١)

ونال التجيبي إجازة على قصيدة قيلت في مدح الرسول ﷺ عند السلام عليه ومنها ما يروى عن رضى الدين أبي إسحاق الطبرى في مدح الرسول ﷺ وفي الشوق للبيت الحرام ٠ وهناك أشعار التوسل لله تعالى وأناشيد مكية ٠ (٢)

فنرى أن للشعر مكانة بارزة في بلاد الحجاز خاصة ٠ ومن بين العلماء هناك القائل له والراوي وحفلت بعض كتب الرحلات بالعديد من القصائد الشعرية إذ أن من بين مؤلفيها الشعراء والأدباء ٠

وقد نال الرحالة إجازات في بعض كتب الأدب المتداولة في ذلك الوقت ومنها :

١ _ مقامات الحريري ٠ (٣)

---

١ _ ابن رشيد : ملء العيبة ، ج٥ ، ص ١٨٥ _ ١٨٦ ٠ كما أورد غيرهما ، ص ١٨٦ _ ١٨٨ ٠

٢ _ التجيبي : مستفاد الرحلة ، ص ٤٠٦ ، ٤١٢ _ ٤١٥ ، ٤٤٨ ، ٤٥٣ _ ٤٥٤ ٠

٣ _ ابن رشيد : ملء العيبه ، ج٥ ، ص ١٨٤ ٠

٢ ـ كتاب القُبَل والمعانقة والمصافحة للشيخ أبي سعيد أحمد بن محمد بن سعيد بن زياد بن بشر بن الأعرابي ٠ <١>

٣ ـ قصيدة العقد الثمين في مدح سير المرسلين لمحب الدين الطبري ٠ <٢>

وأورد ابن رشيد نص إجازة كتبها أبواليمن وهي :

" بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله وصلواته على سيّدنا محمّد رسوله الكريم وعلى آل محمّد وصحبه وسلمّ تسلمياً٠

المملوك المستحق بالفضائل التي يعجز عن شكرها لسانهُ ، ولو أربى على الغايه بيانه ، محمد بن عبدالرحمان بن إبراهيم بن يحيى اللخمي ابن الحكيم ـ وفقه الله تعالى إلى العمل بطاعته ـ يرغب من شيخه وإمامه ومفيده جار الله أبي اليمن رعى الله جواره ، ورفع في أعلى منازل أوليائه المتقين مقداره ، وجزاه خير ما به جزى أهل الإحسان وتغمّده في الآخره والأولى بالرحمة والرضوان ، وبلغ به وبلغه ، وأضفى عليه لبوس اعتنائه وأسبغه ، أن ينعم عليه ويسدي الجميلة إليه بان يخطّ فيما تيسر من هذه الأوراق بيده الكريمة مكتوباً يتضمن إطلاق الإذن للمملوك في الرواية العامة عنه لجميع ما يرويه وينقله ويدريه ، ويحمله من العلوم الدينية التي خصّ بها ووصل أسباب الأعمال الصالحة بسببها ، وأن يسمي من أمكن من مشاهير أعلام شيوخه الذين بهم يقتدي ، وبأنوار معارفهم في ظلمات الجهل يهتدي ، وأن يعيّن وقت مولده ، وأن يكون ذلك كله بخط الكريمة المباركة يده ،

---

١ ـ التجيبي : مستفاد الرحلة ، ص ٣٩٠ ؛ ولم يرد ذكر هذا الكتاب ضمن مؤلفاته ٠ أنظر الفاسي : العقد الثمين ، ج٣ ، ص ١٣٧ ؛ الزركلي : الإعلام ، ج١ ، ص ٢٠٨ ٠

٢ ـ التجيبي : مستفاد الرحلة ، ص ٣٩٤ ؛ أورد الفاسي أسمها الدرر الثمينه ٠ أنظر الفاسي : العقد الثمين ، ج٣ ، ص ٦٤ ٠

ليجد المملوك إن شاء الله تعالى بركة ذلك في الحال والمآل ، والحلّ والترحال . والله يبقى إنعام مولاي على من قصده ، ولجأ إليه في طلب العلم واعتمده ، بمنه وكرمه ، والسلام الكريم يخص مقامه الكريم كثيراً ورحمة الله تعالى وبركاته ، كُتب في الرابع لذي الحجة ـ عرفنا الله بركته ـ من سنة أربع وثمانين وستمائة " . <١>

المجالس العلمية :

حفلت بلاد الحجاز بوجود المجالس العلمية وعلى الرغم من قلّة المادة العلمية المتوفرة لدينا في هذا الصدد فنستطيع القول بإسهامها بدور كبير في حركة التعليم في تلك الفترة كما نستطيع أن نلاحظ من خلال ذلك تنوع تلك المجالس ومنها على سبيل المثال مجالس علمية تقوم بتدريس الحديث كمجلس أبي إسحاق إبراهيم بن محمد الطبري الذي عكف فيه على تعليم وتدريس الحديث . <٢>

وخلاصة القول يلاحظ ازدهار الحركة العلمية في بلاد الحجاز بفضل جهود هؤلاء العلماء الذين أسهموا في أزدهار هذه الحركة العلمية لا سيما وان مؤلفاتهم تناولت مختلف الفنون والعلوم . ولكن يبدو أن الكثير من هذه الكتب قد فُقِد .

ولاريب أن مكة المكرمة والمدينة المنورة كانتا تنافس كبرى العواصم الإسلامية في العلم بما ضمّت من علماء وأدباء ومكتبات وإن صغرت ومدارس كان يدرس فيها فقه جميع المذاهب دون تعصّب مما حدا بالرحالة والعلماء إلى الرحلة لمكة المكرمة والمدينة المنورة بجانب الحج والزيارة .

---

١ ـ ابن رشيد : ملء العيبة ، ج٥ ، ص ١٨٤ ـ ١٨٥ .

٢ ـ التجيبي : مستفاد الرحلة ، ص ٣٩٣ ـ ٣٩٤ .

والملاحظ فيما سبق وجود العلوم الدينية بجميع أنواعها في بلاد الحجاز من خلال ما أورده الرحالة حيث لم نلحظ أية إشارة إلى العلوم الأخرى وهذا ربما يرجع إلى عدم اهتمام الرحالة أنفسهم بها إضافة إلى قلة المعلومات وعدم اكتمالها عن وجود العلوم العلمية الأخرى . حيث أن بلاد الحجاز عامة لابد من احتياجها إلى العلوم الأخرى فربما كانت موجودة ولكن اقتصر اهتمام الرحالة على العلوم الدينية دون سواها .

الفصل السادس

المشاهدات الجغرافية والعمرانية من خلال كتب الرحالة المغاربة والأندلسيون

١ ـ المشاهدات الجغرافية .
٢ ـ العمارة الدينية .
٣ ـ العمارة المدنية .
٤ ـ العمارة الحربية .
٥ ـ الزخارف والنقوش .
٦ ـ مشاريع المياه .

اولاً : المشاهدات الجغرافية : ـ

نال الوصف الجغرافي إهتمام الرحالة المغاربه والأندلسيين خاصة الرحالة الوصفيين منهم فرحلاتهم إلى الحجاز اتاحت لهم إبراز نبوغهم وتفوقهم فيما كتبوه فخلفوا لنا تراثاً تناول جميع الموضوعات التى استاثرت ميولهم واهتماماتهم مما جعلهم يركزون على موضوع دون آخر ويغلب على جميع الرحالة الوصفيين اتباع منهج واحد تقريباً وهو البدء بالوصف الجغرافي عند بداية دخولهم أو خروجهم من المدن والقرى التي هبطوا فيها سواء اقاموا بها أو كانت محطات لرحلاتهم اثناء سيرهم ، ووصفهم هذا مبني على المشاهدة المباشرة وعلى بعض ما سمعوه من روايات أو أساطير مع حرصهم على التفريق بين ما شاهدوه وما سمعوه دون أن يؤثر في سردهم ووصفهم بقدر ما هو معبرٌ عن افكار ومعتقدات الناس في تلك البقعة والفترة .

وهذا بلا شك من أهم الخصائص التي قامت عليها الرحلات المغربية والأندلسية والتي أكسبتها قيمتها كمصدر مهم من مصادر تاريخ الحجاز .

فالرحالة المغاربة والأندلسيون سجلوا ما رأوه وما سمعوه بدقة فهم شديدو الملاحظة حريصين على التعرف والتعريف بما مروا به من بلاد وعباد ، إضافة إلى كتابة ذلك بأسلوب رفيع رقيق العبارة مع دقة في الوصف والتعبير جعلهم في جملة الأدباء بسبب ما زخرت به كتب رحلاتهم بجميع المقومات الأساسية التي اشتمل عليها الوصف الجغرافي وسار عليها معظم الرحالة فمنهم من تعرض لهذا الوصـــف تـارة وأهمله بعضهم تارة أخرى أو تناوله لماماً بحسب ميله وتركيزه .

المشاهدات الجغرافية :

وصف المدن :

مكة المكرمة :

اختص الرحالة المغاربـــة والأندلسيون بالوصف الكلي ومن ثم الجزئى للمدن التي نزلوا بها وعلـــى رأسهـــا مكة المكرمة لمكانتها الدينية والعلمية في نفـوس المسلمين .

فنجد أن أغلب الرحالة المغاربة والأندلسيون يصدرون الآية القرآنية الكريمة (رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ) ‹١› في بداية حديثهم عنها اشارة إلى جغرافيتها ، ثم يتناولون وصفها الجغرافي بأنه وادٍ مجدب ليس فيه زرع ولا ماء تحيط بها الجبال بحيث لا يراها قاصدها إلا عند اقترابه منها ، وعلى الرغـــم من تكوينهـــا الجغرافي إلا أنها عامرة بالسكان امتدادها آخذ في الاستطالة ‹٢› ، ووصفها التجيبي بأن شكلها أشبه بالمثلث ‹٣› ، ومع كل ما سبق فقد استجاب الله لدعوة إبراهيم الخليل عليه السلام فأصبحت بلدة عامرة ومحط الرحالة المسلمين من كل مكان ويلاحظ أن معلومات الرحالة الجغرافية عنها مشابهة تماماً لأوصاف الجغرافيين ‹٤› .

---

١ ـ القرآن الكريم : سورة إبراهيم ، ٣٧/١٤ .

٢ ـ ابن جبير : الرحلة ، ص ٨٧ ؛ العبدرى : الرحلة المغربية ، ص ١٧٢ ـ ١٧٣ ؛ التجيبي : مستفاد الرحلة ؛ ص ٢٣٠ ؛ ابن بطوطه : الرحلة ، ص ١٣١ ؛ البلوى : تاج المفرق ؛ جـ ١ ، ص ٣٠٧ ؛ انظر الرسم رقم (١) .

٣ ـ التجيبي : مستفاد الرحلة ، ص ٢٣٠ .

٤ ـ ابن حوقل : صـــورة الأرض ، ص ٣٥ ـ ٣٧ ؛ عرام بن الاصبغ السلمى : اسماء جبال تهامة وسكانها ، ص ٤١٨ ـ ٤١٩ ؛ ياقوت الحموى : معجم البلدان ، جـ ٥ ، ص ١٨٧ ؛ ابن المجاور : تاريخ المستبصر ، ص ٥ ، ٩ ؛ البغدادى : مراصد الاطلاع ، جـ ٣ ، ص ١٣٠٣ ؛ الفاسى : شفاء الغرام ، جـ ١ ، ص ٢٣ ؛ القطبي : إعلام العلماء ، ص ٢٩ ـ ٣٠ .

أما حدود الحرم فقد ذكر التجيبي أنها تختلف في القرب والبعد عن مكة فقال : « **إن حد الحرم من طريق اليمن من طرف إضاءة لبن في ثنيه لبن ‹١› على سبعة أميال من مكة ومن طريق جدة منقطع الأعشاش على عشرة أميال منها ومن طريق الطائف على طريق عرفه من بطن نمره على أحد عشرة ميلاً ومن طريق العراق على ثنيه الخل ‹٢› بالمقطع على سبعة أميال منها ومن طريق الجعرانه في شعب آل عبد الله بن خالد بن أسيد على تسعة أميال منها** » ‹٣› وما ذكره التجيبي في حدود الحرم موافقٌ لما ورد في الأزرقي وابن خرداذبه وابن رسته ‹٤› .

وقد وصف الرحالة المغاربة والأندلسيون الجبال المحيطة بمكة وتاريخها واسماءها المشهورة ومنها :

جبل أبي قبيس :

وهو أقرب الجبال للمسجد الحرام يحيط به من الجنوب والشرق يشرف على الحجر الأسود .

وتقع الصفا في أصله ويرقي إليه من ثلاثة مواضع من شعب عمر وشعب علي وشعب اجياد الصغير ، وقد رأى التجيبي فيه كهفاً صغيراً يقصده الناس قيل أنه الموضع الذي حفظ فيه الحجر الأسود من الطوفان حيث ظل به إلى حين بناء إبراهيم عليه السلام الكعبة ، ويقال أن به قبر آدم عليه السلام وعلى هذا الجبل

---

١ ـ وهي حد من حدود الحرم على طريق اليمن ويبدو أنها ما يسمى اليوم بلبين فعنده حد الحرم اليماني ؛ انظر البلادي : معجم معالم الحجاز ، جـ ٣ ، ص ١٤٢ .

٢ ـ منتهى حد الحرم من طريق العراق وهو ما يعرف اليوم بخل الصفاح . انظر البلادي : معجم معالم الحجاز ، جـ ٣ ، ص ١٤٢ .

٣ ـ التجيبي : مستفاد الرحلة ، ص ٢٣٣ .

٤ ـ الأزرقي : أخبار مكة ، جـ ٢ ، ص ١٣٠ ـ ١٣١ ؛ ابن خرداذبه : المسالك والممالك ، ص ١٣٢ ؛ ابن رسته : الاعلاق النفيسه ، جـ ٧ ، ص ٥٧ .

كان إنشطار القمر للنبي ﷺ وهو أحـــد الأخشبين <١> ، وما ذكره الرحالة موافق لما جاء في الأزرقي <٢> .

جبل قعيقعان <٣> :

يسمى الأحمر ويسمى هو وأبو قبيس الأخشبان والحبحبان ويقع قعيقعان شمال مكة <٤> ، وأضاف العبدرى أنه متصلٌ بالحجون بجزء يشرف منه على المقبرة .

---

١ ـ ابن جبير : الرحلة ، ص ٩٠ ؛ العبـــدرى : الرحلة المغربية ، ص ١٧٣ ؛ التجيبي : مستفاد الرحلة ، ص ٣٥١ ؛ ابن بطوطه : الرحلة ، ص ١٣١ ـ ١٤٤ ؛ البلوى : تاج المفرق ، جـ ١ ، ص ٣١٢ .

٢ ـ الأزرقي : اخبار مكة ، جـ ٢ ، ص ٢٦٦ ـ ٢٦٧ .

٣ ـ الجبل الضخم المشرف على المسجد الحرام من الشمال والشمال الغربي ممتداً بين ثنيتى كَدَاء وكُدىً مشرقاً على وادى ذى طُوى غرباً ولا يعرف اليوم بهذا الاسم ولكنه يسمى بأسماء كثيرة فطرفه الشمالى الغربي يسمى جبل العبادى والشرقى المشرف على ثنيه كداء ومقبرة المعلاه يسمى جبل السليمانية والجزء الأكبر في الجنوب يسمى جبل هندى وشرقه يسمى جبل الفلق ويسمى طرفه المشرف على حارة الباب جبل المطابخ وطرفه المشرف على ثنيه كُدى بربع الرسام ويعرف اليوم بقرن وطرفه الغربي مما يلي بئرطوى يسمى جبل السودان . انظـر البلادى : معجم معالـــم الحجـــاز ، جـ ٧ ، ص ١٤٦ . ويسمى جبل قعيقعان الآن عند اهل مكة جبل هندى .

٤ ـ العبدرى : الرحـــلة المغربية ، ص ١٧٣ ؛ التجيبي : مستفـــاد الرحلة ، ص ٣٥٠ ؛ ابن بطوطه : الرحلة ص ١٤٤ ؛ البلوى : تاج المفرق ، جـ ١ ، ص ٣١٢ .

جبل الخندمة ‹١› :

وهو المشرف على شعبي اجياد الأكبر واجياد الأصغر ‹٢› .

جبل ثور ‹٣› :

على بعد فرسخ من مكة على طريق اليمن وهو الجبل المشهور الذي التجأ إليه النبي ﷺ وأبو بكر عند هجرتهما إلى المدينة وسماه ابن جبير والبلوي بأبي ثور‹٤› ، وقد اسهب التجيبي في الحديث عنه ووصفه بالعلو الشديد إذ يشاهد منه بحر جدة وتميز بكثرة حجارته وصعوبة الصعود عليه وسماه الأطحل ‹٥› ، واضاف العبدرى في وصف الغار الموجود به قائلاً بأن له بابان احدهما ضيق ويقع الجبل على مسافة يوم أو نحوه من مكة ‹٦› ، فالعبدرى بالغ في ذكر بعده عن مكة فهو لم يقم برؤيته لقصر اقامته بمكة وإنشغاله بأداء فريضة الحج فربما هو في هذه الحالة ناقلاً لمعلوماته مع عدم اشارته لمصدرها .

ولم يرد وصفٌ لجبل ثور لدى بعض الجغرافيين ولكن ما قيل في وصفه لديهم يوافق ما ذكره الرحالة ‹٧› .

---

١ ـ الخندمه جبال مكة الشرقية التي تبدأ من أبي قبيس متجهة شرقاً إلى المفجر الذى يفصل بين جبال منى وجبال مكة وتمتد جنوباً حتى تشرف على المفجر الغربي الذى يفصلها عن جبل ثور . انظر البلادى : معجم معالم الحجاز ، جـ ٣ ، ص ١٦٠ . وهو الآن نهاية شعب عامر وفيه انفاق العزيزية واجياد .

٢ ـ العبدرى : الرحلة المغربية ، ص ١٧٣ ؛ ابن بطوطه : الرحلة ، ص ١٤٤ .

٣ ـ وهو الآن يقع داخل عمران مكة ويشرف على حى الهجرة .

٤ ـ ابن جبير : الرحلة ، ص ٩٣ ؛ ابن بطوطة : الرحلة ، ص ١٤٥ ؛ البلوى : تاج المفرق ، جـ ١ ، ص ٣١٢ ؛ إن هذا من الأمور التي تطابق فيها قول ابن جبير مع البلوى والتي تشير إلى نقله عنه في بعض الأمور .

٥ ـ التجيبي : مستفاد الرحلة ، ص ٣٥٥ .

٦ ـ العبدرى : الرحلة المغربية ، ص ١٨٦ .

٧ ـ ياقوت الحموى : معجم البلدان ، جـ ٢ ، ص ٨٦ ـ ٨٧ .

جبل حراء ‹١› :

جبل عالٍ في الجهة الشرقية من مكة مشرفٌ على منى وهو على مسافة فرسخ تقريباً من مكة ، وحدد التجيبي وصفه أكثر من حيث تميزه بحمرة اللون كما حدد المسافة بينه وبين مكة بثلاثة أميال ‹٢› . وهو المكان الذي قصده النبي ﷺ للعبادة فيه ، أما غاره فسهل المدخل وجوفه يشبه الحوض ‹٣› . وأكد التجيبي المسافة التي ذكرها ياقوت ‹٤› .

ويعرف الآن أيضاً بجبل النور ولعل ذلك تيمناً بنزول أول آيات الذكر الحكيم على النبي ﷺ في قوله تعالى : (**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ**) ‹٥› وهو الذي اهتدت بنوره البشرية جمعاء وقد أصبح داخل عمران مكة المكرمة وأطلق على الحي الذي حوله بحي جبل النور .

جبال التنعيم :

سماها الرحالة جبال الطير وهي أربعة تقع على طريق التنعيم اثنان من الجهة اليمنى واثنان من الجهة اليسرى وعليها أربعة أعلام من الحجارة يقال أنها الجبال التي وضع عليها إبراهيم عليه السلام اجزاء الطير ‹٦› .

---

١ ـ يقع على يسار الذاهب إلى الطائف الآن .

٢ ـ يقدر الميل بألف باع ويساوى ٦١٥ متر . انظر أحمد رمضان أحمد : الرحلة والرحالـه المسلمـون ، ص ٦٠ ـ ٦١ هامش ١ .

٣ ـ ابن جبير : الرحلة ، ص ٩٠ ؛ التجيبي : مستفاد الرحلة ، ص ٣٥٧ .

٤ ـ ياقوت الحموى : معجم البلدان ، جـ ٢ ، ص ٢٣٣ .

٥ ـ القرآن الكريم : سورة العلق ، ٩٦/١ .

٦ ـ ابن جبير : الرحلـة ، ص ٨٩ ؛ التجيبي : مستفـاد الرحلة ، ص ٣٦١ ؛ ابن بطوطـه : الرحلة ، ص ١٤٤ ـ ١٤٥ ؛ البلوى : تاج المفرق ، جـ ١ ، ص ٣٠٩ ؛ انظر ما سبق ، ص ٢١٤ ـ ٢١٥ .

وانفرد التجيبي بذكر الجبل الواقع يمين المتجه من مكة إلى التنعيم سماه بالبكاء لزعم العوام أن الحجارة تنحدر منه يوم عرفه في كل سنة دون سائر الأيام لذا سمى البكاء <١> .

منى والمزدلفة وعرفات <٢> :

منى :

تميزت منى بطولها الممتد نحو ميلين وضيق عرضها ، محاطة بالجبال المقبل منها من منى والمدبر ليس منها <٣> ، ووصفها التجيبي بشبه قرية مقامة على جانبي الوادي بين عرفات ومكة وفيها القليل من نبات الادر <٤> ، بينما شبهها ابن جبير بالمدينة لما حوته من اثار قديمة لم يبق من معالمها سوى القليل من الدور المستخدمة في سكن الحجيج على جانبي الطريق <٥> .

وما ذكره الرحالة في وصف منى مشابه لما ورد في كتب ياقوت والمحب الطبرى والفاسى إلا أن وصف ابن جبير لها بالمدينة الكبيرة قد يعود إلى ازدحامها في أيام الموسم <٦> .

وذكـــر ابن جبير والبلوى أن ما بين جمرة العقبة والجمرة الوسطى قدر غلوة <٧> عليها علم منصوب <٨> .

---

١ ـ التجيبي : مستفاد الرحلة ، ص ١٦١ .
٢ ـ انظر الرسم لمنى والمزدلفة وعرفات رقم ٢ ، ٣ .
٣ ـ ابن رشيد : ملء العيبه ، جـ ٥ ، ص ١٠٥ .
٤ ـ التجيبي : مستفاد الرحلة ، ص ٣٤٢ .
٥ ـ ابن جبير : الرحلة ، ص ١٣٥ ـ ١٣٦ ؛ البلوى : تاج المفرق ، جـ ١ ، ص ٣١٥ .
٦ ـ ياقوت الحموى : معجـــم البلدان ، جـ ٥ ، ص ١٩٨ ؛ المحـــب الطبرى : القـــرى لقاصد أم القرى ، ص ٥٤٣ ؛ الفاسى : شفاء الغرام ، جـ ١ ، ص ٥١٠ .
٧ ـ الغلوة قدر مسافة رميه السهم . انظر ابن منظور : لسان العرب ، جـ ١٥ ، ص ١٣٢ .
٨ ـ ابن جبير : الرحلة ، ص ١٣٦ ؛ البلوى : تاج المفرق ، جـ ١ ، ص ٣١٦ .

وحدد التجيبي المسافة بنحو أربعمائة ذراع <١> ، وذكر ابن جبير والبلوى أن ما بين الجمرة الوسطي والأولى قدر غلوة أيضاً <٢> ، وحدد التجيبي المسافة هنا أيضاً بثلاثمائة وخمسين ذراعاً وهاتان الجمرتان تقعان في وسط منى تقريباً <٣> .

ونجد اختلافاً بسيطاً في المسافة فيما أورده الرحالة وما ذكره الأزرقي حيث قال أن المسافة ما بين جمرة العقبة والوسطى أربعمائة وسبعة وثمانون ذراعاً واثنتا عشرة أصبع ومن الجمرة الوسطى إلى الأولى ثلاثمائة وخمسة أذرع <٤> ، ولعل سبب الاختلاف عائد إلى عدم تمكن الرحالة من القياس بدقة بسبب شدة الازدحام في أيام الموسم .

المزدلفة :

وصفها ابن جبير وابن بطوطة والبلوى بأرض منبسطة فسيحة تقع بين جبلين ، وقدروا المسافة بين منى وعرفات بمثل المسافة بين منى ومكة <٥> ، وأشار ابن رشيد إلى ندرة الماء بها ومحاولته معرفة طريق مسير النبي ﷺ فيها ، وحدد موقع جبل قزح بأنه أخر المزدلفة وعاب على الناس واستنكر منهم استبدالهم

---

١ ـ التجيبي : مستفاد الرحلة ، ص ٢٤٣ . والذراع يساوى أربعة وعشرون اصبعاً . انظر أحمد رمضان أحمد : الرحلة والرحالة المسلمون ، ص ٦٠ ـ ٦١ ، هامش ١ .

٢ ـ ابن جبير : الرحلة ، ص ١٣٦ ؛ البلوى : تاج المفرق ، جـ ١ ، ص ٣١٦ .

٣ ـ التجيبي : مستفاد الرحلة ، ص ٢٤٢ ـ ٢٤٣ .

٤ ـ الأزرقي : أخبار مكة ، جـ ٢ ، ص ١٨٥ ؛ وذكر الحربي أن ما بين العقبه والوسطى أربعمائه وثمان وخمسون ذراعاً وما بين الجمرة الوسطى والدنيا مائتي وستون ذراعاً . انظر الحربي : المناسك واماكن طرق الحج ، ص ٥٠٤ .

٥ ـ ابن جبير : الرحلة ، ص ١٥٠ ؛ ١٥٥ ؛ ١٥٦ ؛ ابن بطوطه : الرحله ، ص ١٦٩ ؛ البلوى : تاج المفرق ، جـ ١ ، ص ٣١٦ .

الوقوف عليه اتباعاً لسنة الرسول ﷺ ببناء مستحدث بوسط المزدلفة وأضاف أن المأزمين ووادى محسر ليسا من المزدلفة فمحسر واد بين منى والمزدلفة <١> ، وأشار العبدرى إلى أن المزدلفة أكثر اتساعاً من منى وأن المسافة بين مسجد المزدلفة ومسجد عرفه أربعة أميال <٢> .

واختلف الرحالة في اهتمامهم بوصف المزدلفة فمنهم المهتم بوصفها ومنهم المتتبع لطريق النبي ﷺ فيها أثناء تأديته فريضة الحج كأبن رشيد مثلاً الذي اتفق مع المحب الطبرى في استنكاره البدع الموجوده بها <٣> .

وقام الأزرقي والحربي والفاسى بتحديد مسافة المزدلفة وحدودها التي اتفقت مع اقوال الرحالة <٤> .

عرفات :

تميزت عرفات بإنبساط أرضها وإحاطة الجبال بها حيث يقع جبل الرحمة في طرفها بعيداً عن الجبال الأخرى فهو عبارة عن حجارة منقطعة بعضها عن بعض يصعب الصعود عليه فشيدت له درج بأمر الوزير الجواد في جهاته الأربعه فأصبح الصعود إليه بالدواب أمراً سهلاً .

وأسفل الجبل وعلى مكان غير بعيدٍ منه مكان وقوف الرسول ﷺ وهو عبارة عن جبل قليل الإرتفاع .

---

١ ـ ابن رشيد : ملء العيبه ، جـ ٥ ، ص ١٠٠ ـ ١٠٤ .

٢ ـ العبدرى : الرحلة المغربية ، ص ١٨٣ ـ ١٨٤ .

٣ ـ المحب الطبرى : القرى لقاصد أم القرى ، ص ٤٢٠ .

٤ ـ الأزرقي : أخبار مكة ، جـ ٢ ، ص ١٨٦ ـ ١٨٧ ؛ الحربي : المناسك وأماكن طرق الحج ، ص ٥٠٦ ـ ٥٠٨ ؛ الفاسي : شفاء الغرام ، جـ ١ ، ص ٤٩١ ؛ ٤٩٢ ـ ٤٩٨ ـ ٤٩٩ ؛ ٥٠٤ ـ ٥٠٦ .

وحول جبل الرحمة جبابٌ وصهاريج للماء ، وعلى يسار العلمين اللذين وضعا حداً لعرفه لمستقبل القبلة يمتد وادى الاراك <١> .

أما ابن رشيد فنعته بأسمه القديم حيث أشار إليه بجبل الأل والذي يقع في وسط عرفات والمعروف بذلك منذ القدم فهو جبل مرتفع ، وقد اتفق مع ابن جبير من وجود درج فيه ، كما شاهد موقف الرسول ﷺ خلف مصلى الامام وأوضح ان هناك صخرات عند الجبل يحرص الحجاج في الصعود عليها واضاف ان عرفه هي الأرض التي تحيط بها الجبال وان جبل عرفه يسمى أيضاً جبل الرحمة وجبل الدعاء والإل ، واتفق في وصفه مع ابن جبير <٢> .

واشار العبدرى إلى وجود غار اسفل جبل عرفه يسمى نمره يقال أن النبي ﷺ نزل به ، وقد ارشد العبدرى شيخٌ حجازى عالم بالأماكن إلى اعلام حد عرفه والتي قام الأمراء بوضعها في داخلها احتياطاً لخروج الحجيج منها قبل غروب الشمس لإيهامهم أن العلمين نهاية عرفة وهما في الحقيقة في وسطها ، كما شاهد موقف النبي ﷺ في آخر عرفه عند جبالها الشرقية <٣> ، وقد وافق المحب الطبرى ابن رشيد فيما ذهب إليه من اسماء جبل عرفه <٤> أما الفاسى فقد وافق الرحالة فيما ذكروه من وصف عرفه <٥> .

---

١ ـ ابن جبير : الرحلة ، ص ١٥٠ ـ ١٥٢ ؛ ابن بطوطه : الرحلة ، ص ١٩٦ ـ ١٧٠ ؛ البلوى : تاج المفرق ، جـ ١ ، ص ٣١٦ ـ ٣١٧ .

٢ ـ ابن رشيد : ملء العيبة ، جـ ٥ ، ص ٨٧ ؛ ٨٩ ؛ ٩٢ .

٣ ـ العبدرى : الرحلة المغربية ، ص ١٨٤ ـ ١٨٥ .

٤ ـ المحب الطبرى : القرى لقاصد أم القرى ، ص ٣٨٣ ـ ٣٨٧ .

٥ ـ الفاسى : شفاء الغرام ، جـ ١ ، ص ٤٨٢ ـ ٤٨٨ .

المدينة المنورة :

مدينة مشرقة جميلة أرضها سبخه مشرفة على وادٍ مليء بالنخل ويظاهرها حرة سوداء وعرة <١> ، ويظهر أنها أكثر تنظيماً وترتيباً من مكة فشوارعها المحيطة بالمسجد مفروشة ومبلطة بالحجر المنحوت <٢> . ولم يتطرق ابن بطوطه لوصفها العام بينما اتفقت معلومات البلوى وابن جبير بشأنها <٣> . ولعل البلوى اعتمد على ابن جبير في وصفها .

جبل أحد :

اشار ابن جبير إلى جبل أحد والواقع على بعد ثلاثة أميال من المدينة وبجوار الجبل من الناحية القبلية قبر حمزة رضى الله عنه الذي بنى عليه مسجد بحيث أصبح القبر بداخله وقبور الشهداء بجواره ، وقد ذكر ابن جبير وجود غار اسفل جبل أحد بجانب قبور الشهداء قيل أن الرسول ﷺ اعتصم به ، وحول قبور الشهداء تربة حمراء منسوبة لحمزه رضى الله عنه يتبرك الناس بها <٤> ، وهى من البدع الشائعة والتي اشار بعض الرحالة إليها والدالة على معتقداتهم وحالتهم الدينية في تلك الفترة .

وما وصفه ابن جبير من أثارٍ موافق لما ذكره السمهودى مؤرخ المدينة ، أما ما ذكره حول الغار فقد نفى ابن النجار والسمهودى ذلك فالرسول ﷺ لم يذهب لغار بإحد وليس لدينا تفاصيل مؤكدة في هذا الصدد <٥> .

---

١ ـ العبدرى : الرحلة المغربية ، ص ٢٠٣ .

٢ ـ ابن جبير : الرحلة ، ص ١٧٦ .

٣ ـ البلوى : تاج المفرق ، جـ ١ ، ص ٢٩٠ .

٤ ـ ابن جبير : الرحلة ، ص ١٧٣ .

٥ ـ ابن النجار : أخبار مدينة الرسول ، ص ٥٨ ؛ السمهودى : وفاء الوفا ، جـ ٣ ، ص ٩٢٧ ؛ ٩٢٨ ، ٩٣٠ .

البقيع :

يقع بقيع الغرقد شرقي المدينة والمخرج إليه من باب البقيع <١> ، أحد أبواب المدينة الأربعة فالبقيع خارج حدود عمران المدينة في ذلك الوقت .

قباء :

تقع في الجهة القبلية من المدينة المنورة على مسافة نحو ميلين منها وهى كبيرة ومتصلة بالمدينة المنورة واكمل ابن جبير وصفها مشيراً إلى وجود النخيل على طول الطريق منها إلى المدينة . وإلى جانب إحاطة أشجار النخيل بالمدينة وخاصة الجهة القبلية والشرقية مع قلتها في الجهة الغربية <٢> .

وقد أشار ابن جبير أنه في أخر قباء يوجد تل يسمى عرفات يفضى إلى دار الصفة أما سبب تسميته بعرفات فقيل أنه موقف النبي ﷺ به يوم عرفه في السنة ٩هـ/٦٣٠م فزويت له الأرض حتى رأى الناس بعرفات <٣> ، غير أن ما قاله ابن جبير حول هذا التل يفتقر إلى نص صريح يؤكد أنه موقف النبي ﷺ <٤> ، وأما قوله أن التل يفضى إلى دار الصفة فهذا غير صحيح إذ أن مكان أهل الصفة في مؤخرة المسجد النبوى وليس في ذلك المكان .

وقد أشار ابن جبير إلى وجود الخندق من الجهة الغربية من المدينة على مسافة غلوة منها <٥> .

---

١ ـ ابن جبير : الرحلة ، ص ١٧٣ .

٢ ـ المصدر السابق ، ص ١٧٤ .

٣ ـ المصدر السابق ، ص ١٧٤ ـ ١٧٥ .

٤ ـ الفيروز ابادى : المغانم المطابه في معالم طابه ، هامش ص ٣٢٥ .

٥ ـ ابن جبير : الرحلة ، ص ١٧٥ .

أما العبدرى فحدد مكان البقيع في شرق المدينة على بعد ثلاثة أميال منها وجبل أحد شمالها وأشار إلى ارتفاعه وميل لونه إلى الحمره <١> .

وما جاء به البلوى من وصف المدينة نقله حرفياً عن ابن جبير لذا لن نفصل القول فيه فهو قد اعاد وصف شيء قد مضى عليه أكثر من قرنٍ ونصف من الزمان حيث أنه لم يظل الوضع كما كان سابقاً إذ رأينا بعض التغييرات في وصف العبدرى لها وعليه فالبلوى لم يقدم شيئاً جديداً يفيد البحث .

جُدَّة :

ورد ذكرها في رحلة ابن جبير والتجيبي وابن بطوطة وكانت في زمن رحلة ابن جبير ضئيلة الشأن فهى عبارة عن قرية على ساحل البحر ، وخارج حدودها مصانع وصهاريج قديمة دالة على قدم انشائها إذ قيل أنها من آثار الفرس كما أشار إلى وجود الجباب المحفورة في الحجر متصلة ببعضها كثيرة العدد وهى داخل جُدَّة وخارجها ووصل عددها إلى ما يزيد على ثلاثمائة وستين جُباً داخلها ومثلها خارجها <٢> .

وتميزت جدة بقلة وضآلة اقتصادها وعمرانها على الرغم أنها كانت محطة استقبال الحجيج ومركزاً لجباية المكوس والضرائب التي لم تصرف على تحسين أوضاعها .

---

١ ـ العبدرى : الرحله المغربيه ، ص ٢٠٣ ؛ ذكر عبد القدوس الأنصارى أن سبب هذا اللون يدل على احتوائه على نفيس الجواهر وكريم المعادن وأورد عدة روايات مفادها العثور على بعض هذه الأحجار الثمينة . انظر عبد القدوس الأنصارى : آثار المدينة ، ص ١٩٥ .

٢ ـ ابن جبير : الرحلة ، ص ٥٤ .

وخلال رحلة التجيبي لم يطرأ تحسن على احوال جُدَّة إلا أنه قام بضبط اسمها وجزم بأنه بالضم لا غير <١> .

وحدد المسافة بينها وبين مكة المكرمة بأربعين ميلاً وأكد أنها من بناء الفرس وأن مُلوكها امتهنوا التجارة فهى محطة للسفن القادمة من الهند وعدن وعيذاب والقلزم وغيرهـــا ، ولم يشـــر التجيبي إلـــى مصدر معلوماته عنها ، وكل ما أورده حولها يتفق مع ما أورده ابن جبير وخاصة في تعليله لكثرة الآثار التي تدل على علو شأنها قديماً .

وبالرغم من ضئآلة شأنها الاقتصادي والعمراني إلا أنها كما أشار التجيبي محطة مهمة لإقلاع ورسو السفن المتجهة من وإلى اليمن وسواكن وعيذاب <٢> .

ولا تختلف حالة مدينة جُدة زمن رحلة ابن بطوطه عما رأيناه سابقاً <٣> .

---

١ ـ اجمعت المصادر على أنها بالضم لا غير وتلي ذلك بحث قدمه الاستاذ عبد القدوس الأنصارى يحتم فيه ضمهـا أيضاً . انظر البكرى : معجم ما استعجم ، جـ ٢ ، ص ٣٧١ ؛ ياقوت الحموى : معجم البلدان ، جـ ٢ ، ص ١١٤ ؛ ابن منظور : لسان العرب ، جـ ٣ ، ص ١٠٨ ؛ عبد القدوس الأنصارى : موسوعة تاريخ جدة ، جـ ١ ، ص ٤٥ ـ ٥٣ ؛ عبد القدوس الأنصارى وعبد الفتاح أبو مدين وأبو تراب الظاهرى : التحقيقات المُعدة بحتمية ضم جيم جدة ، ص ١٥ ـ ١٦ وما تلاها ؛ نوال ششه : جدة في مطلع القرن العاشر الهجرى ، ص ٢١ ـ ٢٢ .

٢ ـ التجيبي : مستفاد الرحلة ، ص ٢١٨ ـ ٢١٩ .

٣ ـ ابن بطوطه : الرحلة ، ص ٢٤٢ ـ ٢٤٣ .

القرى وبعض منازل الحجيج :

مر الرحالة المغاربة والأندلسيون القادمـــون بطريق البر إلـــى مكة المكرمة أو المدينة المنورة بعدد من القرى التي كانت تقع على الطريقين التي سلكها الرحالة وهما <١> :

الطريق الأول : يمر قرب ساحل البحر الأحمر ويسلكه من قدم رأساً من مصر إلى مكة المكرمة أو المدينة المنورة ويبدأ هذا الطريق من العقبة ومن الرحالة الذين سلكوه قدوماً وقفولاً العبدرى .

أما الطريق الثاني : فإلى الداخل قليلاً ويسلكه القادمون من الشام ويبدأ من تبوك ومن الرحالة الذين سلكوه ابن رشيد وابن بطوطه والبلوى ، ويلتقى طريق الساحل وطريق الداخل في بدر حيث يجتمع به ركب حجيج الشام ومصر ويسيران مجتمعين إلى أن يصلا إلى مكة المكرمة <٢> .

الطريق الأول :

عدد العبدرى منازل الحجيج منزلاً منزلاً ومسافاته على هذا الطريق فبدأ بمكان سماه المنهله <٣> :

---

١ ـ انظر رسم للطرق التي سلكها الرحالة رقم ٤ .

٢ ـ البلوى : تاج المفرق ، جـ ١ ، ص ٢٩٥ .

٣ ـ أغلب الظـــن أنها حقل الآن فقد ذكر القثامـــــي أن حقل تبعد عن العقبة ٢٧ كم وتقع على الساحل وهو ما ينطبق على ما ذكره العبدرى . أنظر القثامي : معجم المواضع والقبائل والحكومات ، جـ ٢ ، ص ٥٧ ـ ٥٩ .

المنهلة :

على نصف يوم من عقبـــة أيله <١> تقع على ساحل البحر وبوابة وادى القر <٢> مياهها احساء <٣> تميزت بعذوبتها وغزارتها <٤> ، وقد ذكرها الورثيلاني ولكنه لم يسمها وحدد المسافة بينها وبين العقبة بإثنتي عشرة ساعة ووصفها بأنها واد على شاطىء البحر وبجانبه مغائر عذبة المياه وآبار يتزود منها الناس بالماء<٥>.

وادى القر :

آخذٌ بالاستطاله نادر المياه متصل بمغارة شعيب <٦> تميز بشدة برده وبه قبرُ رجلٌ من العرب امتهن قطع الطريق على الحجاج لا يكاد يسلم منه أحد لترصده اياهم واستمر على طريقته إلى أن مرض مرضه الذي توفي به وفي أثناء

---

١ ـ (ايله) مدينة على ساحل بحر القلزم مما يلي الشام هى آخر الحجاز وأول الشام وهى مدينة صغيرة بها زرع قليل . انظر ياقوت الحموى : معجم البلدان ، جـ ١ ، ص ٢٩٢ . (وهى الآن ميناء بحرى واسمها إيلات) .

٢ ـ (وادى القرى) وليس القر وتدعى العُلا الآن وهى أوديه وليست وادياً واحداً . انظر الحربي : المناسك وطرق واماكن الحج ، ص ٤١٣ وربما يكون العبدرى قد اطلق هذا الاسم عليه نسبة إلى برودته الشديدة . وهذا يقودنا إلى القول أن الرحالة ربما يقومون باطلاق أسماء على بعض الأماكن نسبة إلى ما أحسوه أو شاهدوه بها .

٣ ـ (الاحساء) نبت التراب لخروج الماء هى المياه المتجمعه بعد هطول الأمطار تحت طبقات الرمل واحتباسها على طبقة الحجر الصلد ويمنع الرمل جفاف الماء ويحفر في هذه الأماكن لإستخراجه . أنظر ابن منظور : لسان العرب ، جـ ١٤ ، ص ١٧٧ .

٤ ـ العبدرى : الرحلة المغربية ، ص ١٦٠ .

٥ ـ الورثيلاني : الرحلة الورثيلانيه ، ص ٣٣٧ ـ ٣٣٨ .

٦ ـ (مغارة شعيب) وهو ما يعرف اليوم بالبدع وهو من أشد المناطق برودة حتى يقال أن الثلج يشاهد على قمم الجبال لإرتفاعها ؛ شديد الهواء . انظر القشامي : معجم المواضع ، جـ ٢ ، ص ٢١ ؛ حمد الجاسر : في شمال غرب الجزيرة ، ص ٤٥٢ . وهو موافق لما ذكره العبدرى .

مرضه وصل إلى مسامعه مجيء بعض الحجاج فأستدعى أولاده الذين ظنوا أنه سيأمرهم بعدم التعرض للحجاج والسماح لهم بالمرور واكرامهم فأشار إليهم بالنفى فمازالوا يماطلونه ويذكرونه بما حل به حتى ضجر منهم ورفع يده بإشارة إليهم أن سفوهم سفاً فسمى الرجل بالسفاف وقبره بقبر السفاف ولما توفي رجم قبره من ذلك الحين إلى وقت قدوم العبدرى حيث شاهد كوماً عظيماً من الحجارة عليه <١> .

وأوضح الورثيلاني أن هذا الموضع يسمى أم العظام أو شرفات بنى عطيه أو عش الغراب وجاء على ذكر السفاف ونسب حكايته للعبدرى ولكنه سماه بقبر الشفاف <٢> ، ويعرف هذا المكان اليوم بلفظ قبور شفاف <٣> .

مغارة شعيب :

حدد العبدرى المسافة بينها وبين المنهله بيومين وبعض يوم وصفها بالكبر والارتفاع متسع مدخلها مع ارتفاع بسيط مضيء داخلها بسبب اتساعها واتساع مدخلها تكونت هذه المغارة من الحجر الصلد وتميزت بغزارة الماء بها الذي يظهر من بابها ولكنه ماءٌ راكد متميز بعذوبته ينبع من أصل المغارة وقدر العبدرى المسافة بين باب المغارة وقعرها بستين أو سبعين ذراعاً وأضاف أنها أخر وادى القرى كما ذكر أن الماء بها يشوبه عفن بسبب الماء المتبقي من احواض السقى والذي يعود إلى المغارة مرة أخرى <٤> .

---

١ ـ العبدرى : الرحلة المغربية ، ص ١٦٠ .

٢ ـ الورثيلاني : الرحلة الورثيلانية ، ص ٢٢٨ ـ ٢٢٩ .

٣ ـ حمد الجاسر : في شمال غرب الجزيرة ، ص ١٨٥ .

٤ ـ العبدرى : الرحلة المغربية ، ص ١٦٠ ؛ وهذه المغارة قريبة من عينونا ووادى القرى ويطلق عليه اليوم العلا . انظر حمد الجاسر : في شمال غرب الجزيرة ، ص ٦٠٢ ؛ محمد عبد الحميد مرداد : مدائن صالح تلك الاعجوبة ، ص ٦١ .

وقد وصفها ابن رشيد الذى سلك هذا الطريق ومر بمغارة شعيب قبل العبدرى بأربع سنوات واتفق في وصفه لها مع العبدرى وزاد عليه بإشارته لوجود درج بها وتشبيهه لها بالصهاريج ‹١› .

عيون القصب ‹٢› :

حدد العبدرى المسافة بينها وبين مغارة شعيب بيومين واشار إلى وجود الماء العذب الجارى فيها رغم قلته وهو ينبع من شعب بين جبلين يقع على يسار الذاهب إلى الشرق تميزت مياهه بسهولة استخراجه دون مشقة ‹٣› ، وقد مر ابن رشيد بها أيضاً واشار إلى طيب مياهها ووجود نبات القصب بها ‹٤› ، وربما اخذت اسمها مما ينبت بها من قصب .

الكفافة ‹٥› :

وحدد العبدرى المسافة بينها وبين عيون القصب بيومين وبعض يوم واشار أن الكفافة اسم جبل على يسار الطريق برز منه نتوءات شبهها بالاضراس لقربها من بعضها وذكر أن أسفل الجبل مياه متجمعه اسفل الرمال يحفرون لاستخراجها ويسمى هذا الموضع وادى سلمي ووصف الماء المستخرج بعذوبته وغزارته وصفائه حتى أنه قطع بعدم وجود ما يماثله عنوبة في الطريق ويقال أن الكفافة منتصف الطريق من مصر إلى مكة ‹٦› .

---

١ ـ ابن رشيد : ملء العيبة ، جـ ٥ ، ص ٢٧٧ ـ ٢٨٠ .

٢ ـ (عيون القصب) يطلق عليها الآن اسم عينونا بالقرب من مغاير شعيب [البدع الآن] فيها عين ونخل على مرحلتين من البدع كان في السابق ينبت بها القصب الفارسى وغيره ويرتفع فيها الماء حتى يتجاوز قامة الرجـل . انظـر الحربـي : المناسك ، هامـش ص ٦٥١ ؛ الجزيرى : الدرر الفرائد ، جـ ٢ ، ص ١٣٧٠ ، البلادى : معجم معالم الحجاز ، جـ ٦ ، ص ٢٠٩ .

٣ ـ العبدرى : الرحلة المغربية ، ص ١٦١ .

٤ ـ ابن رشيد : ملء العيبة ، جـ ٥ ، ص ٢٧٩ .

٥ ـ جبل على يسار الطريق يقصد بعد المويلح إلى المدينة يقال أنها منتصف الطريق من مصر إلى مكة . انظر البلادى : معجم معالم الحجاز ، جـ ٧ ، ص ٢٢٢ .

٦ ـ العبدرى : الرحلة المغربية ، ص ١٦١ .

أما ابن رشيد فقد سمى الموضع سلمى ولم يتحدث عنه <١> ، ويجدر التنبيه إلى أن هذا الموضع غير جبل سلمى الموجود في بلاد طيء فهذا وادى من منازل الحجاج القادمين من مصر وذلك جبل وربما يعود امتزاج التسميتين إلى أن الكفافة مورد لتزويد أهل الركب وسلمي داخل الوادى بها ابار عذبه وهى ابعد من الكفافة بنصف مرحلة تقريباً <٢> ، ولعل الركب ينزل بها سنه هنا وسنه هناك بحسب وفرة المياه في أحد المكانين .

الوجه :

تبعد عن الكفافة مدة ثلاثة أيام يوجد ماؤها أسفل جبلٍ هناك وامتاز بعنوبته وعدم غزارته وعلى جهة اليسار من طريق الحجاج يوجد موضع ماء كثير يعرف بالشعبين ويوجد قبل الوجه وتميز أيضاً بوجوده تحت الرمال صعب الاستخراج وربما جف في بعض الأوقات .

اكرا <٣> :

بعد الوجه بمدة ثلاثة أيام وصفها العبدرى بأنها وادٍ كبير وماؤها احساءٌ ولكنه غزير وعذب لا يُنال إلا بعد الحفر في الرمال قدر قامه <٤> ، وقد ابدى ابن عبد السلام استغرابه من مدح العبدرى لماء اكرا وقال ربما يكون نزل بها بعد هطول المطر <٥> .

---

١ ــ ابن رشيد : ملء العيبة ، جـ ٥ ، ص ٢٧٩ .

٢ ــ الجزيرى : الدرر الفرائد ، جـ ٢ ، ص ١٣٨٥ ؛ المرحلة المنزلة يرتحل منها وما بين المنزلين مرحلة . انظر ابن منظور : لسان العرب ، جـ ١١ ، ص ٢٨٠ .

٣ ــ فضاء واسع ومرعى ماؤها حفائر غير سائغه منها ما هو مالح جداً ومنها ما دونه وإذا لم تمطر تزداد الملوحه والعكس واكرا أرض مدورة الشكل فلعل اسمها مشتق من شكلها وأرضها سبخه وهى محطة قديمة ذكرها العديد من الرحالة شمال الحنك وقد اوشك اسمها أن ينسى واطلق على موضعها بئر القصير وهى في مفيض وادى الحمص . انظر الجزيرى : الدرر الفرائد ، جـ ٢ ، ص ١٤٠٠ ــ ١٤٠١ ؛ سيد بكر : الملامح الجغرافية ، ص ١٣٧ .

٤ ــ العبدرى : الرحلة المغربية ، ص ١٦١ .

٥ ــ الدرعي : ملخص رحلتي ابن عبد السلام ، ص ٨١ .

وأضاف العبدرى أن على يمين ماء اكرا من جهة البحر على مسافة ليست بالكبيرة احساء غزير في واد يسمى اليعبوب وقيل له أن اليعبوب يطلق على وادى اكرا من اسفله <١> .

ونرجح قول ابن عبد السلام في أن العبدرى كان قدومه إثر هطول المطر مما يعلل كثرة المياه العذبة في طريقه وفي اماكن أخرى اشتهرت بملوحة مياهها .

الحوراء :

بينها وبين اكرا ثلاثة أيام تقع على ساحل البحر مياهها عبارة عن احساء غزيرة مالحة ذات رائحه منكرة <٢> ، واكد ابن رشيد رداءة مائها أيضاً <٣> .

وأشار العبدرى إلى وجود جزيرة أمام الحوراء يقطنها بعض العرب يعتمدون على السمك في غذائهم وبمجرد مرور الركب بمحاذاتهم يبادرون بإحضاره لبيعه لهم كما أشار العبدرى إلى أن أهل ينبع يتقدمون إلى الحوراء حاملين التمر لبيعه هناك .

المغيرة <٤> :

تأتي بعد الحوراء على مسافة يومين والمغيرة تصغير لفظ المغارة اخذت شكل وادٍ لوقوعها بين جبلين ، تميز مدخلها بضيقه ولوجود المغيره في بطن الوادى استعمل الدرج للوصول إليها والأخذ من مائهـا الذي أشار العبدرى إلى قلته كما

---

١ ـ الدرعى : ملخص رحلتى ابن عبد السلام ، ص ٨١ .

٢ ـ العبدرى : الرحلة المغربية ، ص ١٦٢ .

٣ ـ ابن رشيد : ملء العيبه ، جـ ٥ ، ص ٢٧٩ .

٤ ـ (المغيره) : هى نبط منهل مشهور قديماً فيها مغارة تسمى نبط وهى حد جهينة من بنى الحسن يصل إليها عبر مضايق وإنحدارات بها شجر كثير من الاثل والنبط واد بين الحمض وينبع على ٩٠ كم شمال ينبع . انظر الدرعى : ملخص رحلتى ابن عبد السلام ، ص ٨٥ ؛ البلادى : معجم معالم الحجاز ، جـ ٩ ، ص ٢٠ ؛ سيد عبد المجيد بكر : المشاهدات الجغرافية ، ص ١٣٨ ـ ١٤٠ .

أوضح أن الحجاج يتزاحمون عليه لرى عطشهم حتى هداهم الله للحفر في الوادى نحو القامتين وبذلك تمكنوا من الوصول إلى الماء فأحدث هذا العمل القضاء على التزاحم والمشقة التي كان الحجاج يلاقونها في سبيل الحصول عليه <١> .

ينبع :

بلدة صغيرة على بعد يومين من المغيرة تميزت بقلة سكانها وهى محطة هامة لنزول الحجاج بها ويوجد في الغرب منها أرض واسعة عبارة عن سبخة لا نبات فيها فأستخدم هذا الموضع لنزول الركب واشتهرت ينبع بسوقها الكبير وبه يتم بيع التمر الذي اشتهرت به المنطقة للركب وبها يتم تزويد الركب بجميع ما ينقصه لإكمال مسيرتهم إلى مكة المكرمة كما اشتهرت بعذوبة وطيب مائها <٢> .

وقد أكد ابن رشيد والبلوى قول العبدرى بوجود السوق بها واعتبارها محطة مهمة يترك بها الحجاج فائض ازوادهم امانة لحين عودتهم كما أشار إلى جمالها وكثرة الماء والبساتين والخضرة فيها <٣> .

الدهناء :

يصل إليها الركب بعد مسير نصف يوم من ينبع ويبدو أنها تتبعها فالعبدرى أشار إلى ذلك وقد لفت انتباهه فيها ماؤها العذب ونخلها الكثير وسبخة أرضها <٤> .

---

١ ـ العبدرى : الرحلة المغربية ، ص ١٦٢ .

٢ ـ المصدر السابق ، ص ١٦٣ .

٣ ـ ابن رشيد : ملء العيبه ، جـ ٥ ، ص ٢٧٨ ؛ البلوى : تاج المفرق ، جـ ٢ ، ص ١٢ ـ ١٣ .

٤ ـ العبدرى : الرحلة المغربية ، ص ١٦٣ .

بدر :

تبعد عن الدهناء مسافة يومين ولشهرة بدر التاريخية دقق الرحالة في وصفها وأوسع من امدنا بوصف دقيق مسهب لها ابن جبير ثم العبدرى فهى عبارة عن وادٍ مقامة به قرية عامرة محوطة بحدائق وبساتين النخيل الكثيرة والماء الفياض وعبر ابن جبير عن كثرة مياهها بقوله عين فواره ، كما أشار ابن جبير إلى أن موضع القليب الذي طُرح فيه المشركون بعد المعركة مليء بالنخيل وحدد موضع الشهداء خلفه ، أما العبدرى فذكر أن قبور الشهداء تقع غربي مسجدٍ ببدر وخالف ابن جبير في موضع عريش النبي ﷺ عندما حدد مكانه في سفح جبل يسمى الطبول الذي يشرف على موضع المعركة <١> ، فقد انفرد ابن جبير وابن بطوطه بذكر هذا الجبل وشبهه كلاً منهما بكثيب رمل ممتد كما انفردا بذكر جبل يسمى الرحمة يقال أن الملائكة نزلت عليه يوم بدر ويقع على يسار مدخل بدر <٢> .

ووجد ببدر سوق كبير يتحين أهلها وأهل المناطق المجاورة وصول الركب مستعدين لبيعهم التمر والعلف للجمال كما ذكر العبدرى ، وقد عاب العبدرى على أهل بدر إنتشار بدع وخرافات لا يوجد ما يدعمها مثل وجود هضبة غربي المقبرة قيل حولها أشياء لا أصل لها وبالقرب من هذه الهضبة يوجد غار قيل أن الرسول ﷺ أختبأ فيه مع صاحبه أبي بكر رضى الله عنه حينما هاجرا من مكة <٣> .

---

١ ـ ابن جبير : الرحلة ، ص ١٦٥ ـ ١٦٦ ؛ العبدرى : الرحلة المغربية ، ص ١٦٣ ـ ١٦٤ .

٢ ـ ابن جبير : الرحلة ، ص ١٦٥ ـ ١٦٦ ؛ ابن بطوطه : الرحلة ، ص ١٢٨ ـ ١٢٩ .

٣ ـ العبدرى : الرحلة المغربية ، ص ١٦٣ ـ ١٦٤ .

الطريق الثاني :

تبوك :

طريق الحاج الشامي يبدأ من تبوك ووصفها ابن رشيد بأرض خصبه تزخر جناناً ويكثر بها النخيل وذلك لتوفر الماء فيها حيث توجد فيها عينٌ غزيرة بنيت على هيئة صهريــــج كبير طويت جوانبها بالحجارة ليجتمع بها الماء الذي يخرج إلى جفر ‹١› كبيره ، وقد وصف ابن رشيد ماء هذه العين بالعذوبه ‹٢› وما ذكر عن تبوك يدل على استقرارها الذي انعكس على انتشار جنان النخيل واستيطان بعض العرب وامتهانهم للزراعة خاصة لتوفر الماء .

ثم وافاها ابن بطوطه بعد ما يربوا على الأربعين عاماً فزاد في وصفها وجود سقائين حول العين اقيمت لهم حولها أحواض كبيره مصنوعة من جلود الجواميس يسقون منها الجمال ويملأون القرب حيث اختص كل منهم بسد حاجة امراء الركب بمن يتبعهم ، واختــص غيرهــم بسقى الحجيج لقاء أجرٍ معلوم ‹٣› ولا نتبين حالة تبوك من وصف ابن بطوطه وإن كنا نميل إلى استقرار أوضاعها غير أن البلوى اشار إلى خرابها وعبر عن ذلك بقوله « **هى اليوم خراب** » بالرغم من وجود الماء وبعض النخيل ‹٤› ، ولا نعلم سبب خرابها لا سيما وان ما بين ابن بطوطه والبلوى فترة قصيرة .

---

١ ـ (الجفر) : الحفره الواسعة المستديره . انظر ابن منظور : لسان العرب ، جـ ٤ ، ص ١٤٣ .

٢ ـ ابن رشيد : ملء العيبة ، جـ ٥ ، ص ٧ .

٣ ـ ابن بطوطه : الرحلة ، ص ١١٢ .

٤ ـ البلوى : تاج المفرق ، جـ ١ ، ص ٢٧٨ .

العُلا :

بينها وبين تبوك ثمانية أيام والطريق إليها شاق موحش عديم الماء إلا من بئر بوادى الأخيضر لا يسد رمق الركب المار بها حتى أن ابن بطوطه وصف وادى الاخيضر بوادى جهنم ونقل نقشاً على أحد صخور الوادى يفيد « **أنه اصاب الحجاج به في بعض السنين مشقة بسبب ريح السموم التي تهب فانتشفت المياه وانتهت شربة الماء إلى ألف دينار ومات مشتريها وبائعها** » ، وأشار أيضاً إلى وجود بركة المعظم ووصفها بالضخامة ونسب بناءها للملك المعظم <١> أحد أولاد أيوب وبها يتجمع ماء المطر ولكنه يجف عند اشتداد الحر .

كما شاهد ابن رشيد بعض أراضٍ منبسطة مليئه بالحصى الأبيض الشبيه بالبلور وحصىً أحمر وأسود .

وبالعلا ماء احساء كثير يجرى بين الرمال فأتاح لأهلها زراعة النخيل وبعض المزروعات الأخرى فأصبحت قرية كبيرة جميلة المنظر انتشرت فيها العديد من الدور وقد أقيم بها حصن واشتهر أهلها بفضلهم وامانتهم مما دفع الكثير من الحجاج إلى ترك الفائض عن حاجتهم من الازواد بها إلى حين قفولهم من الحج وهى أيضاً سوق كبير حيث يقصده تجار الشام النصارى للبيع والشراء مع الحجاج <٢> .

---

١ ـ أمر ببنائها الملك المعظم عيسى بن العادل الذى ولد بالقاهرة سنة ٥٧٦هـ/١١٨٠م وتوفي سنة ٦٢٤هـ/١٢٢٦م وله مآثر عظيمه . انظر الحنبلى : شفاء القلوب ، ص ٢٧٦ ـ ٢٨٤ ؛ الجزيرى : الدرر الفرائد ، جـ ٢ ، ص ١٢٦٢ .

٢ ـ ابن رشيد : ملء العيبة ، جـ ٥ ، ص ١١ ـ ١٢ ، ١٥ ـ ١٦ ؛ ابن بطوطه : الرحلة ، ص ١٢ ـ ١٣ ؛ البلوى : تاج المفرق ، جـ ١ ، ص ٢٧٨ .

حِجر ثمود <١> :

تعرف اليوم بمدائن صالح تبعد عن العلا مسافة نصف يوم تقريباً وبينها وبين تبوك خمسة أيام تحدث عنها ابن رشيد وابن بطوطه والبلوى وكلاً منهم تناول جانباً اسهب في وصفه فمما عجبا له ابن رشيد والبلوى دورها المنحوته في الجبال بإتقان شديد <٢> تبدو اغلبها وكأنها نحتت حديثاً وبعضها أصابها الضرر بسبب نفوذ ماء المطر إليها .

أما أرض الحِجر فهى رمليه واسعه تحيط بها الجبال ينفذ إليها بواسطة مدخل ضيق يشكل جانباه مصرعا باب عالٍ لها وفي وسط أرض الحِجر جبال صغيرة يميل لونها إلى الاحمرار وهي التي قاموا بنحتها ونقشها وحفر الغرف بداخلها وعمل أبوابها وقد شاهد ابن رشيد في بعض دورها عظاماً قال عنها « **إن ظاهر أحوالهم أن خلقهم كانت كخلقتنا إذ أبواب بيوتهم وزواياها على مقادير أبوابنا المعتادة في الارتفاع** » ، فنرى ابن رشيد هنا ينقل الوصف ويدلى برأيه خارجاً من تفحصه وتحليله بنتيجة أحوالهم .

---

١ ـ وقد امتد نفوذ قوم ثمود وسلطانهم الأول على معظم البلاد العربية وبالنسبة لحدودهم الجغرافية قبل نزول العذاب وهلاكهم كانت تمتد من ساحل ايلات بفلسطين حتى ساحل البحر الأحمر المقابل لموانىء الحبشة وتربوا مدنهم على الثلاثين مدينة منها مدينة الحِجر . انظر محمـــد عبـــد الحميد مرداد : مدائن صالح ، ص ٤٠ ـ ١٠٠ ؛ القتامي : الاثار في شمال الحجاز ، جـ ١ ، ص ١٤٥ ـ ١٥٠ .

٢ ـ انظر الرسم رقم ٥ .

وقد سمـــى ابن بطوطه ديار ثمود ببئر الحِجر أو حِجر ثمود وأشار إلى كثرة الماء بـــها ولكـــن يمتنع أفراد الركب عن تناوله مع شدة عطشهم اقتداءاً بالرسول ﷺ ‹١› ، وحدد مكان مبرك ناقة صالح عليه السلام بأنه بين جبلين بجانبه أثر مسجد يصلى الناس فيه ، بينما شاهد البلوى بئر الناقة وسمى موضعه مبرك الناقة ‹٢› .

وادى العطاس ‹٣› :

شديد الحر تهب عليه رياح السموم .

هدية :

أخـــر وادى العطاس ماءها احساء وصف بمرارته يستخرج بواسطة الحفر ، وينتشر قطاع الطرق حولها مما يضطر الحجيج لقتالهم هناك وبعدها تظهر اعلام المدينة المنورة ‹٤› .

---

١ ـ أمر الرسول ﷺ بعدم الشرب والوضوء من مائهــا وإطعام الإبل العجين الذى استخدم ماءها في عجنه . انظر ابن هشام : السيرة النبوية ، جـ ٤ ، ص ٥٢١ .

٢ ـ ابن رشيد : ملء العيبه ، جـ ٥ ، ص ١٤ ـ ١٥ ؛ ابن بطوطه : الرحلة ، ص ١١٢ ـ ١١٣ ؛ البلوى : تاج المفرق ، جـ ١ ، ص ٢٧٨ .

٣ ـ لم نجد له ذكر في المصادر التي تناولناها وربما يكون وادى القرى خاصة وأن ابن رشيد ذكره ضمن الطريق وقال أكثره خراب . انظر ابن رشيد : ملء العيبه ، جـ ٥ ، ص ١٦ .

٤ ـ ابن بطوطه : الرحلة ، ص ١١٣ ؛ البلوى : تاج المفرق ، جـ ١ ، ص ٢٧٩ .

الطريق من المدينة المنورة إلى مكة المكرمة :

ذو الحليفه :

تبعد عن المدينة مسافة ستة أميال أو سبعة فيها مسجد لم يتطرق الرحاله لوصفه واضاف ابن رشيد أن ذو الحليفه تعرف ببئر على وأرض ذى الحليفه بطحاء سهله تشرف على وادى العقيق <١> .

الروحاء <٢> :

بها بئر تعرف بذات العلم قيل أن على بن أبى طالب رضى الله عنه قاتل الجن عندها ولعل الرحالة عند نقلهم لهذا الخبر لـم يتحققوا منه فالذي قاتل الجن عند البئر هو عمار بن ياسر فقد روى عن « **الاحنف بن قيس قال : قال على بن أبي طالب والله لقد قاتل عمار بن ياسر الجن والإنس على عهد رسول الله ﷺ فقلنا هذا الإنس قد قاتل فكيف الجن فقال كنا مع رسول الله ﷺ في سفر فقال لعمار انطلق فاستق لنا من الماء فانطلق فعرض له الشيطان من صورة عبد أسود فحال بينه وبين الماء فأخذه فصرعه عمار فقال له دعنى وأخلي بينك وبين الماء ففعل ثم أتى فاخذه عمار الثانية فصرعه فقال دعنى واخلي بينك وبين الماء فتركة فأتى فصرعه فقال له مثل ذلك فوفي له فقال رسول الله ﷺ إن الشيطان قد حال بين**

---

١ ـ ابن جبير : الرحلة ، ص ١٦٧ ؛ العبدرى : الرحلة المغربيـة ، ص ٢٠١ ؛ ابن رشيـد : ملء العيبه ، جـ ٥ ، ص ٧١ ؛ ابن بطوطة : الرحلة ، ص ١٢٨ ؛ البلوى : تاج المفرق ، جـ ١ ، ص ٢٩٥ .

٢ ـ (الروحاء) قرية صغيرة علـى بعد ٧٣ كم من المدينة على طريق مكة سميت الروحاء لانفتاحها ورواحها . انظر ياقوت الحموى : معجم البلدان ، جـ ٣ ، ص ٧٦ ؛ السمهودى : وفاء الوفا ، جـ ٤ ، ص ١٢٢٢ ؛ البلادى : معجم معالم الحجاز ، جـ ٤ ، ص ٨٥ .

عمار وبين الماء في صورة عبدٍ اسود وإن الله اظفر عماراً به قال على فلقينا عماراً فقلت ظفرت يداك يأبا اليقظان فإن رسول الله ﷺ قال كذا وكذا [فقال عمار] <١> أما والله لو شعرت أنه شيطان لقتلته ولكن هممت أن اعض بأنفه لولا نتن ريحه » <٢> .

واخبر السمهودى عن بئر ذات العلم بأنه تجاه الروحاء يقال أن على بن أبي طالب رضى الله عنه قاتل الجن بها وهى بئر عميقة واضاف في موضعٍ أخر أن البئر المذكورة تقع بذى الحليفة يسميها العوام بئر على ونسبتها إليه غير معروفه عند أهل العلم <٣> .

وادى الصفراء :

على بعد ثلاثة أيام من المدينة وهو عبارة عن قرى كثيرة متصل بعضها ببعض لمسافة يوم نحو المدينة وبه العيون الكثيرة وحدائق النخيل والبساتين التي يزرع بها البطيخ والدباء والقطاني <٤> وغيرها .

بدر :

تبعد عن وادى الصفراء قدر بريد <٥> والطريق إليها يمتد في وادٍ تشرف عليه الجبال فبدر قرية تناثرت بها حدائق النخيل بشكل متصل <٦> .

---

١ ـ إضافة لإستقامة المعنى .

٢ ـ بدر الدين الحنفي : غرائب وعجائب الجن كما يصورها القرآن والسنة ، ص ١٤٧ .

٣ ـ السمهودى : وفاء الوفا ، جـ ٤ ، ص ١١٣٩ ؛ ١١٩٥ .

٤ ـ (القطاني) هى الحبوب التي تدخر كالحمص والعدس والباقلي والترمس والدخن والأرز والجلبان والقطنيه الحبوب التي تخرج من الأرض والقطاني الخِلفَ وخضر الصيف والقطنيه اسم جامع لهذه الحبوب التي تطبخ وسميت الحبوب قطنيه لأن مخارجها من الأرض مثل مخارج الثياب القطنية ويقال لأنها تزرع كلها في الصيف وتدرك في آخر وقت الحر . انظر ابن منظور : لسان العرب ، جـ ١٣ ، ص ٣٤٤ ـ ٣٤٥ .

٥ ـ (البريد) يساوى ٤ فراسخ ويساوى ٧٣٧٥م والفرسخ يساوى ٣ أميال والميل يساوى ١٨٤٠م . انظر احمد رمضان احمد : الرحله والرحاله المسلمون ، ص ٦١ .

٦ ـ ابن جبير : الرحلة ، ص ١٦٥ ـ ١٦٦ ؛ ابن رشيد : ملء العيبه ، جـ ٥ ، ص ٧٤ ؛ العبدرى : الرحلة المغربية ، ص ٢٠١ .

صحراء البزواء :

صحراء واسعة مسيرتها ثلاثة أيام مجهولة المسالك عديمة المعالم <١> ، وهذا ولا شك يدل على عدم اهتمام امراء الحجاز بتحسين الطرق وإنصرافهم لأمور اخرى لا تمت بصله لراحة الحجيج وخدمتهم .

وادي رابغ :

آخر البزواء بداخله وادٍ آخر يسمى وادى السمك <٢> وهو اسم على غير مسمى كما ذكر ابن جبير ، كما يوجد الكثير من مستنقعات الماء الجارية تحت الرمال يحفر الحجاج لاستخراج الماء النقي منها وفي بعض الطريق عقبه محجرة وتتكون غدران الماء فيها فترة طويلة خاصة بعد هطول المطر <٣> .

---

١ ـ ابن جبير : الرحله ، ص ١٦٥ ـ ١٦٦ ؛ العبدرى : الرحلة المغربية ، ص ١٦٣ ـ ١٦٤ ؛ ابن بطوطه : الرحلة ، ص ١٢٨ ـ ١٢٩ .

٢ ـ (وادى السمك) من ناحية وادى الصفراء يسلكه الحاج أحياناً . انظر ياقوت الحموى :معجم البلدان ، جـ ٣ ، ص ٢٥١ .

٣ ـ ابن جبير : الرحله ، ص ١٦٥ ؛ العبدرى : الرحلة المغربية ، ص ١٦٤ ـ ١٦٥ ؛ ابن بطوطه : الرحلة ، ص ١٢٩ .

عقبة السويق <١> :

على مسافة نصف يوم من خليص كثيره الرمل يقصدها الحجاج لشرب السويق بها ، ويذكر أن رسول الله ﷺ مر بها ولم يكن مع اصحابه طعاماً فأخذ من رملها فأعطاهم اياه فشربوه سويقاً <٢> ، ونحن لا ننكر أن للرسول ﷺ معجزات تفوق الحصر ولكننا لم نقع على هذا الخبر ضمن المصادر التي تناولناها وربما تكون هذه ضمن معجزاته عليه الصلاة والسلام .

عُسفان :

منزل آخر في أرضٍ منبسطة تحــف بها الجبال متوفر بها أبار عذبه تنسب إلى عثمان بن عفان رضى الله عنـــه وبهـــا الكثير مـــن اشجار المقل وحصن خرب <٣> .

---

١ ـ لم نجد لها ذكر في أى من المصادر التي تناولناها . أما ما أورده العبدرى وابن بطوطة من مرور الرسول ﷺ بها فلم نعثر له على خبر ضمن المصادر التي تناولناها إلا ما ذكره ابن عبد السلام . والثابت عن رسول الله ﷺ قيامه بغزوة سميت غزوة السويق وهى تخالف ما ذكره العبدرى وابن بطوطة وابن عبد السلام حيث أن سبب التسمية أن قريشاً بعد هزيمتهم ببدر اعادوا الكرة على المدينة فحرقوا بعضاً من نخيلها واسرعوا بالعودة فلحق بهم رسول الله ﷺ وأصحابه فطرح القوم ازوادهم وكان أغلبها سويقاً فأخذه المسلمون ولذا سميت غزوة السويق وهناك سويقه مشهورة هى منازل الطالبيين وتعرضت للتخريب مرات عديدة بسبب ثورات أهلها . انظر ابن هشام : السيرة النبوية ، جـ ٣ ، ص ٤٤ ـ ٤٥ ؛ الدرعى : ملخص رحلتى ابن عبد السلام ، ص ١١٣ ؛ حمد الجاسر : بلاد ينبع ، ص ١٥ ـ ١٦ .

٢ ـ العبدرى : الرحلة المغربية ، ص ١٦٦ ؛ ابن بطوطه : الرحلة ، ص ١٢٩ .

٣ ـ ابن جبير : الرحله ، ص ١٦٢ ؛ ابن بطوطه : الرحلة ، ص ١٢٩ .

خليص :

تقع بين جبلين يكثر بها النخل وبها عين دائمة الجريان احدثت في الأرض اخاديد تبدو على هيئة الأبار يتناول منها افراد الركب الماء بسبب قلته إلى المدينة بفعل القحط . واضاف ابن بطوطة انه يوجد بها بئر تنسب لعلى بن أبي طالب رضي الله عنه <١> .

بطن مر أو مر الظهران :

آخر منزلٍ قبل الوصول إلى مكة المكرمة وهى عبارة عن وادٍ خصب يضم قرى كثيرة يزرع بها النخيل والفواكه التي تجلب إلى مكة المكرمة وبها عين ماءٍ كبيرة تكفى احتياج تلك المنطقة من الماء وعيون أخرى صغيرة <٢> .

الطريق من جدة إلى مكة المكرمة :

القرين :

به نزول الحجيج واحرامهم وجد به بئر واحده عذبه <٣> .

البرابر :

يسبقه منزل لا ماء فيه وبالبرابر حصن بناه الشريف ابو نمي وسماه الجديد وبنى حوله دوراً جميله محفوفةً بالنخيل والماء الجارى مزروع فيها كثير من الخضر والبرابر أرض واسعة كثيرة النخل بها ماء جار على هيئة نهر تأتيه الابل والأنعام وبجانب الماء بستان كبير يدعى حائط قريش يجرى في وسطه الماء مزروع به النخيل <٤> .

---

١ ـ ابن جبير : الرحله ، ص ١٦٣ ؛ ابن بطوطه : الرحلة ، ص ١٢٩ ـ ١٣٠ .

٢ ـ ابن جبير : الرحله ، ص ١٦١ ؛ ابن بطوطه : الرحلة ، ص ١٣٠ .

٣ ـ ابن جبير : الرحلة ، ص ٥٧ ـ ٥٨ .

٤ ـ التجيبي : مستفاد الرحلة : ص ٢٢٢ ـ ٢٢٣ .

حَدة <١> :

نصف الطريق بين مكة وجدة <٢> :

ونلاحظ مما سبق أن الرحالة اعتنوا عناية فائقة بوصف ما يصادفهم ومنهم من كان وصفه مختصراً ومنهم من اسهب ومنهم من ذكر قرى اغفلها غيره من الرحالة ، وهذا لاشك عائد إلى تقصي الرحالة نفسه عن كل موضع يحط رحاله فيه محاولاً معرفة اسم الموضع مجتهداً في وصفه ومنهم من لم يعن بمعرفة الأسماء لذلك جاء وصفه مجملاً .

كما نلحظ الاختلاف بين الرحالة في اماكن وجود الماء وصفتها ولعل ذلك يرجع إلى توقيت الرحلة نفسها فمنها ما صـــادف موسم الامطار وفصل الشتاء أو فصل الصيف وقلة المطر وبالتالى تتغير أوصاف أماكن الماء فالرحالة الذي يصادف قدومه عقب سقوط الأمطار لا شك أنه يرى كثرة المياة وعذوبتها ومن يأتي في موسم قلة الأمطار وفصل الصيف يشير إلى ندرة الماء ومرارته .

---

١ ـ حَدا عين جارية بمر الظهران عندها طريق مكة إلى جدة على ٢٩ كم بين الحديبية وبحره وهى حداء وليست حده . انظر البلادى : معجم معالم الحجاز ، جـ ٢ ، ص ٢٤١ .

٢ ـ ابن بطوطه : الرحلة ، ص ٢٤٢ .

ثانياً : العمارة الدينية :

المساجد :

لابد لنا قبل أن نتطرق للحديث عن المساجد التي تناولها الرحالة المغاربة والأندلسيون في مكة المكرمة أن نبدأ الحديث عن المسجد الحرام فالملاحظ في كتب الرحلات أن وصف المسجد الحرام أخذ حيزاً كبيراً يناسب مكانته ومنزلته في نفوس المسلمين فقد اعتنوا بوصفه عناية فائقة تجعل كتبهم من المصادر المهمة في تاريخه خلال القرنين السابع والثامن الهجريين فمن الرحالة المقل في وصفه ومنهم المفصل الذي لم يترك صغيره ولا كبيرة إلا وتناولها بالوصف مثل ابن جبير ومنهم الناقل عن الأزرقي لقصر الوقت الذي امضاه في مكة المكرمة كالعبدرى ومنهم من لم يتطرق لوصفه امثال اصحاب البرامج كالوادى آشي والرعيني .

المسجد الحرام :

وهو عبارة عن ساحة كبيرة تحيط بكل جانب منه ثلاث بلاطات مسقوفه وتحملها ثلاث سوارى عالية من الرخام بدت كأنها بلاط واحد ‹١› . أما طوله فقد ذكر ابن جبير أنه اربعمائة ذراع وعرضه ثلاثمائة ذراع ‹٢› ، ونجد أن التجيبي قد أورد ايضاحاً أكثر عن ساحة المسجد الحرام معتمداً في ذلك على شيخه عماد الدين المكى نقلاً عن الأزرقي مشيراً إلى أن طوله من باب بنى شيبه إلى باب بنى هاشم عند العلم الأخضر مقابل دار العباس بن عبد المطلب أربعمائة وأربعة اذرع وعرضه من باب دار الندوه إلى باب الصفا ثلاثمائة وأربعة أذرع وعرضه من منارة

---

١ ـ ابن جبير : الرحله ، ص ٦٧ ؛ العبدرى : الرحلة المغربية ، ص ٦٨ ؛ التجيبي : مستفاد الرحلة ، ص ٢٤٢ ؛ ابن بطوطه : الرحلة ، ص ١٣٢ ؛ البلوى : تاج المفرق ، جـ ١ ، ص ٣٠٦ .

٢ ـ ابن جبير : الرحله ، ص ٦٧ . انظر الرسم للمسجد الحرام رقم ٦ .

المسعى إلى منارة باب بنى شيبة مائتا وثمان وسبعون ذراعاً ، وعرضه من منارة باب اجياد إلى منارة باب بنى سهم مائتا وثمان وسبعون ذراعاً <١> . وهذا الذرع مشابه لما ورد لدى الأزرقي وابن رسته والفاسى <٢> . بينما نجد صاحب الاستبصار يتفق في ذرع طوله معهم ويختلف عنهم في عرضه الذى حدده بمائتي وثمانين ذراعاً <٣> . ويبلغ طول جدار المسجد الحرام عشرون ذراعاً <٤> .

أما سوارى المسجد الحرام فمن الرحالة من لم يشغل نفسه بعدها واكتفى بنقل عددها من الأزرقي أو غيره من الرحالة السابقين له كالتجيبي ومنهم من تفرغ لعدها وايد ما وصل إليه في عددها بما ذكره الأزرقي وغيره من العلماء الذين الفوا في تاريخ المسجد الحرام مثل ابن جبير ومنهم من اغفل ذكرها كابن رشيد والعبدرى واحصى الأزرقي وابن رسته عدد السوارى بأنه أربعمائة وأربع وثمانون <٥> بينما ذكر ابن جبير أن للمسجد الحرام سوارى رخامية عددها أربعمائة وإحدى وسبعون سارية وأخرى جصيه عددها أربعمائه وثمانون ساريه نقل عددها من ابي جعفر الفنكى لأنه لم يحصها <٦> . بينما التجيبي لم يقم بإحصائها واثبت عددها من الارزقي وابن جبير <٧> .

---

١ ـ التجيبي : مستفاد الرحلة ، ص ٢٤٢ .

٢ ـ الأزرقي : أخبار مكة ، جـ ١ ، ص ٨١ ـ ٨٢ ؛ ابن رسته : الاعلاق النفيسه ، ص ٤٤ ؛ العبدرى : الرحلة المغربية ، ص ٦٨ ؛ ابن بطوطه : الرحلة ، ص ١٣٢ ؛ البلوى : تاج المفرق ، جـ ١ ، ص ٣٠٦ ؛ الفاسى : شفاء الغرام ، جـ ١ ، ص ٣٦٩ .

٣ ـ مؤلف مجهول : الاستبصار ، ص ٢٤ .

٤ ـ الأزرقي : أخبار مكة ، جـ ١ ، ص ٩٤ ـ ٩٥ ؛ العبدرى : الرحلة المغربية ، ص ١٧٦ ؛ ابن بطوطة : الرحلة ، ص ١٣٢ .

٥ ـ الأزرقي : أخبار مكة ، جـ ٢ ، ص ٨٢ ؛ ابن رسته : الاعلاق النفيسه ، ص ٤٤ .

٦ ـ ابن جبير : الرحلة ، ص ٦٧ ـ ٦٨ .

٧ ـ الأزرقي : أخبار مكة ، جـ ٢ ، ص ٨٢ ؛ ابن جبير : الرحلة ، ص ٦٧ ؛ التجيبي : مستفاد الرحلة ، ص ٢٤٣ .

ولم يكتف التجيبي بما نقله عن الأزرقي وابن جبير بل اضاف قائلاً إن ابن جبير لم يقم بإحصائها جميعاً ونقل عددها بالكامل من شخص نعته بالشيخ الأديب الفاضل أبي العباس بن عبد الرؤف <١> .

فأحصى عدد سواريه الجصية وغير الجصية قائلاً وجميع ما في المسجد الحرام أربعمائة وسبعون سارية في البلاط وفي أبواب المسجد ستة وعشرون وفي دار الندوة ودار الحنطة مائة وتسع وعشرون فكمل عددها ستمائة وخمسة وعشرين .

واضاف التجيبي أن أمام البلاط الثالث جهة دار الندوة سارية حمراء رآها بنفسه وذكر أنها كانت ليهودية فسأل ﷺ ابتياعها فأبت واشترطت بيعها بوزنها ذهباً فأشتراها الرسول ﷺ بهذا الشرط ووضعت السارية في كفة ميزان ووضع رسول الله ﷺ مثقالاً من الذهب في الكفة الأخرى فرجح المثقال وعزا هذه القصة إلى الأديب الفاضل أبي العباس بن عبد الرؤوف والذي لم نجد لها ذكراً في المصادر التي تناولناها سوى في كتاب الاستبصار <٢> .

مما يشير إلى نقل التجيبي عنه وهذا يشير أيضاً إلى ضعف الروايه وبطلانها إذ لم نجد أي روايه تؤيدها .

---

١ ـ لم نجد فيما بين ايدينا من مصادر تعريفاً لهذه الشخصية والتي يرجح أن تكون لاحد الكتاب في المغرب أو الأندلس الذين قاموا برحلة إلى المشرق وألف كتاباً عن رحلته ولكن من الملفت للنظر أن ما أورده التجيبي من وصف لهذه الناحية في المسجد الحرام وغيرها من الأماكن التي أشار إليها أو لم يشر نجده مطابقاً لفظاً ومعنى مع ما جاء في كتاب الاستبصار في عجائب الامصار لمؤلف مجهول من القرن السادس فلعل صاحب الاستبصار كان يكنى بأبي العباس بن عبد الرؤوف .

٢ ـ مؤلف مجهول : الاستبصار ، ص ٢٧ ـ ٢٨ ؛ التجيبي : مستفاد الرحلة ، ص ٢٤٣ .

وذكر الرحالة المغاربة والأندلسيون أن أرض المسجد الحرام مفروشة برمل أبيض <١> ، ماعدا موضع الطواف والذي كان مفروشاً في زمن ابن جبير بحجارة تشبه الرخام بيضاء وسوداء وسمراء ملتصق بعضها ببعض ممتدة ناحية المقام بمقدار تسع خطوات حتى احاطت به <٢> ، وفي عهد ابن بطوطه كانت ارض الطواف مفروشة بحجارة سوداء <٣> .

ولعل الإشارة هنا إلى تغير لون حجارة أرض المطاف دلالة على الاصلاحات والتجديدات بالرغم من أن البلوى أهمل الاشارة إلى ذلك .

مآذن المسجد الحرام :

اتفق ابن جبير والتجيبي في عدد المآذن بالمسجد الحرام والتي بلغ عددها سبعة مآذن منها أربعة في جوانب المسجد الأربع والخامسة في دار الندوة والسادسة على باب الصفا لكنها صغيرة ويبدو أنها علماً له وتميزت بالضيق وبصعوبة الصعود عليها والسابعة على باب إبراهيم <٤> .

أما العبدرى وابن بطوطه فأشارا إلى وجود خمسة مآذن منها واحدة على باب الصفا والثانية على ركن باب بنى شيبه والثالثة على باب دار الندوة والرابعة على ركن باب السدة وهو باب بنى جمح والخامسة على ركن اجياد <٥> ، ولعل تجاهلهما للأثنتين الباقيتين والموجودتين على باب إبراهيم وعلى باب الصفا عائد لصغرهما ولكون الأخيرة علماً على الباب .

---

١ ـ ابن جبير : الرحلة ، ص ٦٣ ؛ العبدرى : الرحلة المغربية ، ص ١٧٦ ؛ ابن بطوطه : الرحلة ، ص ١٣٧ ؛ البلوى : تاج المفرق ، جـ ١ ، ص ٣٠٤ .

٢ ـ ابن جبير : الرحلة ، ص ٦٣ .

٣ ـ ابن بطوطه : الرحلة ، ص ١٣٧ .

٤ ـ ابن جبير : الرحلة ، ص ٦٨ ؛ التجيبي : مستفاد الرحلة ، ص ٢٤٣ .

٥ ـ العبدرى : الرحلة المغربية ، ص ١٧٦ ؛ ابن بطوطه : الرحلة ، ص ١٣٩ .

وما ذكره الرحاله حول مآذن المسجد الحرام مختلف في العدد عما أورده الأزرقي والذي أشار إلى أربعة فقط <١> ، بينما اتفق صاحب الاستبصار مع العبدرى وابن بطوطه في عدد المآذن واماكنها <٢> .

أما الفاسى فذكر أنها خمسة أربعة على كل ركن من أركان المسجد الحرام والخامسة على دار الندوة واضاف أن أول مأذنه يعود تاريخها إلى عهد أبي جعفر المنصور على باب العمره وشيد ابنه المهدى الثلاثة الأخرى وهى الموجودة على باب بنى شيبة وباب على وباب الحزوره ، كما أشار إلى مآذن اقيمت على رؤوس الجبـال ضماناً لسماع الاذان في كافة انحاء مكة <٣> الأمر الذي اغفل ذكره الرحاله .

أبواب المسجد الحرام :

ذكر ابن جبير وابن بطوطه أن للمسجد الحرام تسعة عشر باباً أكثرها يفتح على أبواب كثيرة <٤> .

بينما يذكر العبدرى أن للمسجد الحرام تسعة وثلاثين باباً <٥> . أما البلوى فيذكر أنها تزيد على الأربعين باباً <٦> . ولعل سبب الاختلاف في عدد الأبواب بين الرحالة عائد إلى احتمال وجود دورٍ حول المسجد لها أبواب مفتوحة عليه فلما هدمت تلك الدور نقص العدد تبعاً لذلك فقد أشار ابن جبير وابـن بطوطه إلى وجود

---

١ ـ الأزرقي : أخبار مكة ، جـ ٢ ، ص ٩٧ .

٢ ـ مؤلف مجهول : الاستبصار ، ص ٢٤ .

٣ ـ الفاسي : شفاء الغرام ، جـ ١ ، ص ٣٨٥ ـ ٣٨٧ .

٤ ـ ابن جبير : الرحلة ، ص ٨٢ ؛ ابن بطوطه : الرحلة ، ص ١٣٨ ؛ الفاسـي : شفاء الغرام ، جـ ١ ، ص ٣٨١ ؛ ابن ظهيرة : الجامع اللطيف ، ص ١٣٥ . انظر : الرسم رقم ٦ ، ١٣ .

٥ ـ العبدرى : الرحلة المغربية ، ص ١٧٦ .

٦ ـ البلوى : تاج المفرق ، جـ ١ ، ص ٣٠٦ .

مثل تلك الدور التي كانت أبوابها مفتوحة على المسجد الحرام <١> ، ويضيف الفاسي مؤكداً هذا الأمر بقوله أنه وجد اختلافاً حول اسماء الأبواب واعدادها منذ عهد الأزرقي إلى عهده <٢> .

ولعل الاختلاف في عدد الأبواب بين الرحالة عائد إلى اكتفاء بعضهم بعدد الأبواب الرئيسية بينما اهملوا الأبواب الصغيرة الأخرى التي تشرع إليها .

ونجد أن صاحب الاستبصار يختلف مع الرحالة وبعض المصادر الأخرى في عدد الأبواب حيث حدد عددها بسبعة عشر باباً <٣> ، بينما حدد الأزرقي عددها بثلاثة وعشرين باباً بها ثلاثة وأربعون نافذه <٤> .

ويشير التجيبي إلى وجود عشرين باباً للمسجد الحرام محتوية على نوافذ كثيرة <٥> .

أبواب المسجد الحرام الموجودة بالجهة الجنوبية :

١ ـ باب الصفا : أكبر أبواب المسجد الحرام مبنى بأربعة اعمدة تعلوها خمسة عقود وهذا الباب ينفذ منه إلى خمسة أبواب ومنه كان خروج النبي ﷺ للمسعى <٦> .

٢ ـ باب الخُلقتين ويسمى باب جياد الأصغر وهو حديث ويفتح على بابين .

---

١ ـ ابن جبير : الرحلة ، ص ٨١ ؛ ابن بطوطه : الرحلة ، ص ١٤٠ .

٢ ـ الفاسي : شفاء الغرام ، جـ ١ ، ص ٣٨٤ .

٣ ـ مؤلف مجهول : الاستبصار ، ص ٢٤ ـ ٢٧ .

٤ ـ الازرقي : اخبار مكة ، جـ ٢ ، ص ٨٦ ، وهذا امر طبيعى اذا اخذنا في الاعتبار الفارق الزمني بين هؤلاء الرحاله ومؤرخى مكه .

٥ ـ التجيبي : مستفاد الرحله ، ص ٢٤٤ .

٦ ـ انظر : الرسم رقم ٧ .

٣ ـ باب اجياد الأكبر ويفتح على بابين يقال لأحدهما باب بنى حكيم والثاني الحناطين .

٤ ـ باب ينسب لإجياد يشرع على بابين آخرين وتنسب هذه الأبواب الأربعة الأخيرة إلى الدقاقين <١> .

أبواب المسجد الحرام الموجودة في الجهة الشمالية :

١ ـ باب دار الندوة يفتح على ثلاثة أبواب اثنان في الدار والثالث في الركن الغربي منها ويعرف أحد أبواب باب الندوة بباب الطبرى كما أشار لذلك التجيبي .

٢ ـ باب الرباط لأن منه الدخول إلى رباط الصوفيه كما أشار لذلك ابن جبير بينما سماه ابن بطوطه السدة .

٣ ـ باب صغير لدار العجلة حيث فتح لدخول الأساطين التي كانت تجلب على العجل من جُدَّة في عهد المهدى <٢> .

٤ ـ باب السدة ، والسدة هى الظلال والسقائف الموجودة حول المسجد <٣> .

٥ ـ باب صغير يسمى سويقه وكان قديماً يدعى بباب القوارير .

---

١ ـ ابن جبير : الرحله ، ص ٨٢ ـ ٨٣ ؛ العبـدري : الرحله المغربيه ، ص ١٧٤ ؛ التجيبي : مستفاد الرحله ، ص ٢٤٨ ؛ ابن بطويطه : الرحله ، ص ١٣٨ ؛ البلوى : تاج المفرق ، جـ ١ ، ص ٣٠٧ .

٢ ـ ابن جبير : الرحـلة ، ص ٨٢ ـ ٨٣ ؛ العبدرى : الرحلة المغربية ، ص ١٧٦ ؛ التجيبي : مستفاد الرحلة ، ص ٢٤٤ ـ ٢٤٦ ؛ ابن بطوطة : الرحلة ، ص ١٣٨ ـ ١٣٩ ؛ البلوى : تاج المفرق ، جـ ١ ، ص ٣٠٧ .

٣ ـ وهذه اشارة إلى وجود مظلات وسقائف تقى النـاس حرارة الشمس في المسجد اثناء صلاتهم خلافاً لما اعتقد انها لم تعرف الا حديثاً . انظـر : فوزيه مطـر : تاريـخ عمارة الحرم المكى الشريف ، ص ١٢٦ ـ ١٢٧ .

أبواب المسجد الحرام الموجودة في الجهة الشرقية :

١ ـ باب العباس يفتح على ثلاثة أبواب وفي حده الميل الأخضر وهو عمود مبني بالآجر ومطلى باللون الأخضر .

٢ ـ باب على يفتح على ثلاثة أبواب على عامودين .

٣ ـ باب النبي ﷺ يفتح على بابين وفيه اسطوانه عليها نافذتان تطل على حجرة أم المؤمنين خديجة رضى الله عنها ومنه كان خروج ودخول النبي ﷺ.

٤ ـ باب بنى شيبه يفتح على ثلاثة أبواب ويقال له باب السيل (١) لدخول السيول منه قبل قيام عمر بن الخطاب بردم الردم الأعلى الواقع في ركن الحائط الشرقي من جهة الشام (٢) .

٥ ـ باب صغير بإزاء باب بني شيبه غير معروف اسمه (٣) .

أبواب المسجد الحرام الموجودة في الجهة الغربية :

١ ـ باب العمره وله قوس بلا ساريه وإلى جواره المدرسة المنصورية والمفتوح بابها إلى داخل المسجد الحرام وقد وصفه ابن بطوطه بأنه من أجمل الأبواب .

٢ ـ باب الحزوره ويفتح على بابين .

٣ ـ باب ينسب إلى الحزوره أيضاً يليه بابين عليه اسطوانه واحدة بها نافذتان .

---

١ ـ الازرقي : تاريخ مكة ، جـ ٢ ، ص ٨٧ .

٢ ـ وهو موافقاً لما ذكره الازرقي : اخبار مكة ، جـ ٢ ، ص ٣٣ .

٣ ـ ابن جبير : الرحله ، ص ٨٢ ـ ٨٣ ؛ العبدرى : الرحلة المغربية ، ص ١٧٦ ؛ التجيبي: مستفاد الرحلة ، ص ٢٤٤ ـ ٢٤٦ ؛ ابن بطوطه : الرحلة ، ص ١٣٨ ـ ١٣٩ ؛ البلوي : تاج المفرق ، جـ ١ ، ص ٣٠٧ .

٤ ـ باب إبراهيم في زاوية كبيرة عليه قبه جميله البناء متقنه الصنع وينفذ منه إلى الموضع المعروف قديماً بدار الحنطه وهى دار مربعه طول ضلعها ستة وخمسون ذراعاً بها اعمدة يعلوها سقف تفضي إلى صحن المسجد الحرام ومنه إلى المسفله وسمى ابن بطوطه والتجيبي باب إبراهيم بباب القائد أو باب الخياطين وأشار إلى وجود ساريه فيه عليها نافذتان ‹١› .

الصفا والمروة :

الصفا :

ذكر ابن جبير أن للصفا أربع عشرة درجة عليها ثلاثة أقواس وتشبه الدرجة العلويه المصطبه . وقد احدقت بها الدور ‹٢› والمسافة بين الصفا والميل الأخضر ثلاث وتسعون خطوة وتقع السارية في ركن المئذنه الموجودة في الركن الشرقي من الحرم على جانب المسيل إلى المروة وإلى يسار الساعى إليها ، كما يوجد الميلان الأخضران وهما عبارة عن سارتين بلون اخضر أحدهما بجانب باب على في جدار الحرم وإلى يسار الخارج من الباب . أما الميل الثاني ففى الجهة المقابلة في جدار دار متصله بدار الأمير مكثر وعلى كل منهما لوح وضع أعلى السارية على شكل تاج منقوش بالذهب كتب عليه [**إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ اللَّهِ**] ‹٣› ثم أمر بعمارة هذا الميل عبد الله وخليفته أبو محمد المستضيء بأمر الله أمير المؤمنين أعز الله نصره في سنة ثلاث وسبعون وخمسمائة .

---

١ ـ نفس المصادر السابقه بأرقام صفحاتها .

٢ ـ انظر : الرسم رقم ٨ .

٣ ـ القرآن الكريم : سورة البقرة ، ٢ / ١٥٨ .

وبين هذين الميلين والميل الأول الذي يلي الصفا خمس وسبعون خطوة وهى المسافة التي يرمل فيها الساعى وقت السعى .

واضاف ابن جبير أن ما بين الصفا والمروة سوق كبير في المسيل مليىء بالباعة .

كما رأى نقشاً مكتوباً في سارية خارج باب الصفا يقابل إحدى الساريتين التي جعلتا علماً على طريق النبي ﷺ إلى الصفا داخـل الحـرم نصه « **أمر عبد الله محمد المهدى أمير المؤمنين اصلحه الله تعالى بتوسعة المسجد الحرام مما يلي باب الصفا لتكون الكعبة في وسط المسجد في سنة سبع وستين ومئه** » وقد اكد ابن جبير أن الكعبة فعلاً في وسط المسجد عقب ما قيل أن بها انحرافاً إلى جهة باب الصفا ‹١› .

كما شاهد أيضاً تحت النقش السابق نقشاً أخر هو « **أمر عبد الله محمد المهدى أمير المؤمنين اصلحه الله بتوسعة الباب الأوسط الذي بين هاتين الأسطوانتين وهو طريق رسول الله ﷺ إلى الصفا** » ، كما اشار إلى نقش ثالث في أعلى السارية التي تليها نصه « **أمر عبد الله المهدى محمد أمير المؤمنين اصلحه الله بصرف الوادى إلى مجراه على عهد ابيه إبراهيم ﷺ وتوسعته بالرحاب التي حول المسجد الحرام لحاج بيت الله وعماره** » ، وتحته نقش أخر مذكور فيه توسعة الباب الأوسط إلا أنه اغفل نقل النقش .

---

١ ـ القطبي : إعلام العلماء ، ص ٧٨ ـ ٧٩ ، وهو موافق لما ذكره ابن جبير .

وقد أوضح ابن جبير ماهية الوادى بأنه الوادى المنسوب لإبراهيم عليه السلام ومجراه على باب الصفا حيث كان السيل قد خالف المجرى وأتى على المسيل بين الصفا والمروة داخلاً المسجد الحرام وفي حالة غزارة المطر يكون الطواف حول الكعبة سباحة فأمر عند ذلك المهدى رحمه الله بردم موضعٍ بأعلى مكة يسمى رأس الردم فأصبح السيل يتجه إلى مجراه ثم على باب إبراهيم حتى يصل المسفلة جنوباً ويخرج عن البلد ولا يجرى فيه الماء إلا عند هطول الأمطار الغزيره ‹١› .

واضاف التجيبي أن باب الصفا مفتوح على خمسة أبواب وتظهر الكعبة عند الصعود على الصفا من باب الصفا المقابل لباب المسجد الحرام في حين لا تظهر من فوق جدار المسجد .

وقد وصف التجيبي الصفا بأنه حجر ازرق عظيم بنى عليه درج وعقب النزول من الصفا قليلاً يوجد الميل الأخضر في ركن المسجد وقد نحى عن مكانه بمقدار ستة اذرع من وقت بعيد ‹٢› ، ويقابل هذا الميل ميل أخر لونه اخضر من حائط دار العباس .

---

١ ـ ابن جبير : الرحلة ، ص ٨٤ ـ ٨٥ .

٢ ـ ايد الفاسى ما ذهـــب اليه التجيبي في أنه نحى عن مكانه ، انظر : الفاسى : العقد الثمين ، جـ ١ ، ص ١١٥ .

المروة :

وقال التجيبي عن المروة أنها حجر عظيم يبدو وكأنه انقسم نصفين بينهما فرجة مقدارها اثنتا عشرة ذراعاً وبنى فيها درجات <١> ، وقد حدد المسافة بين الصفا والمروة بمقدار سبعمائة وثمانين ذراعاً قسمها من الصفا إلى الميل الأخضر الأول في ركن المسجد بمائة وثمانين ومن الميل إلى الميل الثاني نحو مائة وخمسة وعشرين ومن الميل الثاني إلى المروة باقي المسافة <٢> .

ومما يلفت النظر التشابه بين وصف التجيبي للصفا والمروة ووصف صاحب الاستبصار مما يشير إلى نقله عنه <٣> .

بئر زمزم :

ذكر ابن جبير أن قبه بئر زمزم تقابل ركن الحجر الأسود وبينها أربع وعشرون خطوة وداخلها مفروش بالرخام الأبيض الناصع البياض . أما تنور البئر فيميل قليلاً عن الوسط إلى جهة الجدار المقابل للكعبة المشرفة وعمقها إحدى عشرة قامه كما ذرعها وعمق الماء سبع قامات كما ذكر له .

ويقع باب القبة جهة الشرق وباب قبة العباس وقبة اليهودية <٤> جهة الشمال :

وتقع قبة الشراب المنسوبة للعباس خلف قبة زمزم ، أما قبة اليهودية فتقع وراء قبة العباس بإنحراف قليل وهاتان القبتان هما مخزنان لما أوقف على المسجد الحرام من مصاحف وكتب وشموع <٥> .

---

١ ـ انظر : الرسم رقم ٩ .

٢ ـ التجيبي : مستفاد الرحلة ، ص ٢٢٧ ـ ٢٢٨ .

٣ ـ مؤلف مجهول : الاستبصار ، ص ٢٩ ـ ٣٠ .

٤ ـ لا توجد روايه تؤيد نسبة هذه القبه إلى اى يهوديه ممايشير إلى بطلانها ولا يعرف على وجه الدقه سبب نسبتها .

٥ ـ انظر الرسم رقم ٣٣ .

وسبب تسمية قبة العباس بالشراب لأنها كانت مكان سقاية الحجاج حيث يبرد فيها ماء زمزم .

أما تنور بئر زمزم فمبني من رخام مصبوب بين الرخام رصاص من خارج التنور وداخله وحول التنور اعمدة مبنية من الرصاص عددها اثنان وثلاثون عموداً لإكسابه قوة ولهذه الأعمدة رؤوس ملصقة بحافة البئر كله . ووسع دائرة البئر اربعون شبراً وارتفاعه اربعة اشبار ونصف وسمكه شبر ونصف .

وقد بنيت داخل القبة سقاية سعتها شبر وعمقها نحو شبرين وارتفاعها عن الأرض خمسة أشبار تملأ ماءً للوضوء وحفت بها مصطبه يقف الناس عليها للوضوء <١> .

واتفق التجيبي مع ابن جبير في معظم ما ذكره واختلف معه في قياس عمق بئر زمزم حيث زاد عليه بذراع واحد واضاف أن قبة زمزم كبيرة مبنية على أعمدة عظيمة ، وربما يكون هذا عائدً إلى تعميرها في خلال الفترة التي تفصل بين الرحلتين .

كما أضاف التجيبي أن السقاية الواقعة داخل القبة لها مجارى مغطاه بالحجارة يكشف عنها عند الاحتياج إلى اصلاحها حيث شاهد ذلك بنفسه وقت الكشف عنها للقيام ببعض الاصلاحات بها وهذه المجارى تنتهى إلى باب الصفا وقد أكد ذلك العبدرى أيضاً <٢> .

---

١ ـ ابن جبير : الرحلة ، ص ٦٥ ـ ٦٦ .

٢ ـ العبدرى : الرحلة المغربية ، ص ١٧٧ ؛ التجيبي : مستفاد الرحلة ، ص ٢٠٣ ـ ٢٠٤ .

ويبدو أن القائم بعمارتها على الهيئة التي وصفها ابن جبير أحد الاعاجم حيث ذكر ان من عادة أمراء مكة عدم السماح لأغنياء المسلمين بتجديد أى بناءٍ فيها وعلى الراغب في ذلك أخذ الأذن من الخليفة فإذا كان به نقش أو رسم يصدر الأمر بذكر اسم الخليفة وإغفال ذكر اسم المتولى لذلك كما وانه يلزم المتولى للعمارة بذل المال لأمير مكة للسماح له بذلك بحيث يكون المال مساوياً للمبلغ المدفوع في عمارة المسجد .

وذكر ابن جبير حادثة تدل على ذلك فقال أنه من أغرب ما اتفق لأحد دهاة الأعاجم نوى الملك والثراء في مكة أثناء حكم جد الأمير مكثر أنه رأى تنور بئر زمزم وقبتها على صفة لم تعجبه فاجتمع بالأمير طالباً السماح له بتجديدها وتجديد القبة والتكفل بنفقاتها من صميم ماله مقابل دفعه للأمير ما يوازى نفقات ذلك البناء فطمع الأمير في المال ووافق على اتمام الامر وبدأ البناء مع تزايد النفقات وعقب انتهاء الإصلاح المطلوب سعى الأمير لقبض المال المتفق عليه من الرجل الأعجمي فلم يجده حيث فر هارباً ولم يستطع الأمير حيلة لما حدث (١) .

وقد أوضح التجيبي أن لقبه زمزم درج مصنوعة من الخشب تفضى إلى أعلاها تقابل باب الصفا يصعد منها المؤذنون السنيون إلى سطحها للآذان (٢) .

وأشار التجيبي في رحلته إلى وجود قبة منسوبة إلى زبيده زوجة هارون الرشيد تكون فيها لشرب ماء زمزم والاغتسال ، وأغلب الظن أنها احدثت بعد عهد ابن جبير حيث أغفل ذكرها واكتفى بالإشارة إلى دارها بجوار المسجد كما لم يرد لها ذكر لدى الأزرقي .

---

١ ـ ابن جبير : الرحلة ، ص ١٠٤ ـ ١٠٥ .

٢ ـ كان رئيس المؤذنين يبدأ بالآذان من فوق قبه زمزم الى بدايه العهد السعودي ، انظر : الرسم رقم ١٠ .

كما أشار التجيبي إلى بيت صغير محدث بجانب قبة زبيده يلازمه شيخه عماد الدين أبو محمد المكى ، وأضاف التجيبي أنه يمكن الإنتقال من سطح قبة الشراب إلى سطح قبة اليهودية ‹١› وهذا يعنى قربهما وأغلب الظن أيضاً أن القبة المنسوبة لليهودية محدثة بعد عهد الأزرقي لأنه أغفل ذكرها .

ولم يضف ابن بطوطه والبلوى شيئاً على ما سبق إلا أن البلـوى أشـار إلى أن المصاطب الموجودة في داخل قبة زمزم جرى تعميرها سنة ٧٢٨هـ/١٣٢٧م ‹٢› ، وقد أورد ابن فهد في حوادث سنة ٧٢٨هـ/١٣٢٧م تجديدات قامت بالحرم الشريف منها المطهره عند باب بنى شيبـه وأغفل تجديد هذه المصاطب ‹٣› ، ولعلها جددت ضمن التجديد بالحرم الشريف .

المقام الكريم :

ذكر ابن جبير والتجيبي أن موضع المقام يقابل ما بين باب الكعبة والركن العراقي ولكنه مائل إلى ناحية الباب ، وتوضع عليه قبه خشب بطول قامة الإنسان أو ازيد عليها قفل مفتاحه بيد الشيبيين وهذه القبة على هيئة أركان منقوشة ، والمسافة بين كل ركنين أربعة اشبار وقد بلطت قاعة القبة بالحجارة وهي على شكل حوض مستطيل إرتفاعه نحو شبر وطوله خمس خطاً وعرضه ثلاث خطاً وبين موضع المقام ووجه الكعبة المقابل للمقام سبع عشرة خطوة والخطوة ثلاثة أشبار .

أما المقام فهو حجر مغطى بالفضه إرتفاعه ثلاثة أشبار وسعته مقدار شبرين واعلاه أوسع من أسفله فبدى على هيئة كانون فخار كبير يتسع اعلاه ويضيق أسفله من الوسط .

---

١ ـ ابن جبير : الرحلة ، ص ٨١ ؛ التجيبي : مستفاد الرحلة ، ص ٢٢٣ .

٢ ـ ابن بطوطة ، الرحلة ، ص ١٣٧ ـ ١٣٨ ؛ البلوى : تاج المفرق ، جـ ١ ، ص ٣٠٥ ـ ٣٠٦ .

٣ ـ ابن فهد : اتحاف الورى ، جـ ١ ، ص١٨٧ .

ومما يلفت النظر في وصف ابن جبير شكل المقام قوله أن أثر القدمين والأصابع واضح في حين أن الرحالة الآخرين لم يذكروا أثر الأصابع ولعل ذلك راجع إلى كثرة التمسح وشرب الماء فيه حتى زوال أثر الأصابع .

وقد أوضح ابن جبير أن موضع المقام قديماً قبل أن يصرفه النبي ﷺ إلى موضعه الحالي حيث يقع بين باب الكعبة المشرفة والركن العراقي ، كما وصفه بقوله عباره عن حوض طوله إثنا عشر شبراً وعرضه خمسة أشبار ونصف وإرتفاعه نحو شبر ، والآن هو مصلى وظل الحوض مصباً لماء البيت إذا غَسل والحوض مفروش برمل أبيض <١> .

وقد ناقش الخطاط محمد طاهر كردى أصل هذه الحفره ومجمل ما ذكره يؤكد أنه مكان موضع المقام الكريم سابقاً موضع مصلى النبي ﷺ وأضاف أن هذا المكان عُلم بعدم تبليطه بالحجارة وفرش برمل أبيض ليتمكن المسلمون من الصلاة فيه <٢> .

ونلاحظ من وصف ابن جبير لموضع المقام أنه لم يكن مستمراً في مكانه خوفاً عليه فكان يوضع داخل الكعبة في قبو على يمين الداخل إلى الكعبة والقبو مكسو بغطاء حريرى ملون ويخرج في بعض الأحيان وتوضع عليه القبة الخشبية أما في أوقات الحج فيخرج المقام وتوضع عليه قبة حديدية لتكون أقدر على تحمل الإزدحام <٣> .

---

١ ـ ابن جبير : الرحلة ، ص ٦٢ ـ ٦٣ ؛ التجيبي : مستفاد الرحلة ، ص ٢٩٢ .

٢ ـ محمد طاهر الكردى : التاريخ القويم ، جـ ٤ ، ص ١٢١ ـ ١٢٦ ، اما الان فموضع المقام السابق ومصلي النبي ﷺ غير معروف ولا توجد علامة تدل عليه .

٣ ـ ابن جبير : الرحله ص ٦١ ـ ٦٣ ؛ مؤلف مجهول : الاستبصار ، ص ١٩ ـ ٢٠ ، التجيبي : مستفاد الرحلة ، ص ٢٩٢ .

وأمدنا التجيبي بوصف مخالف وأغلب الظن أنه نقله عن صاحب الإستبصار حيث وصفه بقوله « **حجر لونه بين الدكنه والحمره منقط بنقط سود وله رأسان واعلاه أوسع قليلاً من أسفله ووسطه مخروم جداً يضيق عن أسفله وهو مكسو بغاشية من فضه مذهبه منقوشة وفي الشق الواحد من الغاشية مكتوب سبحان الله وفي الثاني والحمد لله وفي الثالث لا إله إلا الله وفي الرابع والله أكبر وقد محى أثر القدمين واخلولق ولم يبق للأصابع أثر وإنما فيه الآن حفرتان** » ، وهو ما عليه الوضع الآن من هيئة المقام .

واستمر التجيبي في إفادتنا بباقي وصف المقام فمنه ما هو موافق لما ذكره ابن جبير ومنه ماهو مشابه لوصف صاحب الاستبصار لإحتمال وجود نسخة لديه فقد أشار التجيبي إليه في ثلاثة مواضع من رحلته موضعان عندما كان بمصر والموضع الثالث عندما كان بمكة المكرمة ‹١› .

فقد كان التجيبي منشغلاً في فترة وجوده بمكة المكرمة بالنواحي العلمية أكثر من تسجيل ملاحظاته حيث أشار لذلك عندما تحدث عن عدد سوارى المسجد الحرام وذكر أنه نقل عددها عن الأزرقي وابن جبير وعن شخص يدعى أبي العباس بن عبد الرؤوف ‹٢› .

ولم يضف ابن بطوطه الكثير من المعلومات على وصف المقام وموضعه السابق ولكنه أشار إلى أن المقام أقيمت عليه قبه أسفلها شباك حديد بعيد عن المقام بالقدر الذي يتيح للأصابع الدخول من ذلك الشباك وهذا الشباك مقفل ووراء موضع المقام موضع محاط جُعل مكاناً لصلاة ركعتى الطواف ‹٣› .

---

١ ــ التجيبي : مستفاد الرحلة ، ص ١٢ ــ ١٣ ، ٢٤٣ .

٢ ــ المصدر السابق ، ص ٢٤٣ .

٣ ــ ابن بطوطــة : الرحلة ، ص ١٣٦ ، وقد بقى ذلــك حتى العهـد السعودى ، انظر : الرسم رقم ١١ .

واعتقد التجيبي أن مكان المقام سابقاً معمول ليصب فيه ماء الكعبة عند غسلها منعاً لإنتشار الماء في مكان الطواف فهو قد شاهد نزول الماء فيه وقت غسيل الكعبة . وأورد قولان عن موضع مصلى النبي ﷺ الأول عند الركن العراقي حيث توجد علامة سوداء طويله ولم يحدد مصدر هذه المعلومه حيث قال أنه سمع ذلك . أما القول الثاني فمنسوب إلى شيخه رضى الدين وهو مشابه لما أورده الرحالة ‹١› ، كما أشار ابن ظهيرة إلى موضع مصلى النبي ﷺ وحدده بنفس موضع المقام سابقاً ‹٢› .

ويبدو أن المقام قد أصبح ثابتاً في مكانه ويبدو أن ذلك من عمل الملك المسعود صاحب اليمن ومكة الذي بنى عليه ذلك البناء ‹٣› .

الحِجر :

ذكر ابن جبير أن ما بين الركن العراقي وأول جدار الحِجر مدخل سعته أربع خُطاً وهى ست أذرع قام بقياسها وهو الموضع الذي تركته قريش من الكعبة ويقابله عند الركن الشامي مدخل آخر بنفس السعة وما بين المدخلين ست عشرة خطوة وهى ثمانية وأربعون شبراً ‹٤› .

أما الأزرقي وابن رسته فذكرا أن مدخل الحِجر العراقي خمسة أذرع وثلاث أصابع ومدخله الغربي سبع أذرع ، بينما المسافة بين المدخلين حددها الأزرقي بعشرين ذراعاً ، أمـا ابـن رسته فحددهـا بإحدى وعشرين ذراعاً ‹٥› ،

---

١ ـ التجيبي : مستفاد الرحلة ، ص ٢٧٩ .

٢ ـ ابن ظهيره : الجامع اللطيف ، ص ٨٧ .

٣ ـ الفاسي : شفاء الغرام ، جـ ١ ، ص ٣٢٠ ـ ٣٢١ .

٤ ـ ابن جبير : الرحلة ، ص ٦٣ ـ ٦٤ .

٥ ـ الازرقي : اخبار مكة ، جـ ١ ، ص ٣٢٠ ـ ٣٢١ ؛ ابن رسته : الاعلاق النفسيه ، ص ٣٧ ـ ٣٨ .

وربما يعود الإختلاف في الذرع إلى عدم الإعتماد على مقاس محدد وهو مفروش بالرخام وهناك رخامتان متصلتان بجدار الحِجر مقابله للميزاب جميلتا الشكل منقوش فيهما « **أمر بصنعها أمام المشرق أبو العباس أحمد الناصر بن المستضيء بالله أبي محمد الحسن بن المستنجد بالله أبي المظفر يوسف العباسي** » ويقابل الميزاب أيضاً في وسط الحِجر على منتصف جداره رخامة منقوش فيها « **مما أمر بعمله عبـد الله وخليفته أبو العباس أحمد الناصر لدين اللـه أمير المؤمنين وذلك في سنة ست وسبعين وخمسمائة** » .

الميزاب :

يقع ما بين الركن العراقي والشامي مطلاً على الحِجر مصنوع من الصفر المذهب خارجاً على الحِجر بمقدار أربعة أذرع أما سعته فشبر ، وفي الأزرقي وابن رسته ورد بنفس الطول أما سعته فشبر <١> .

ويقع تحت الميزاب في الحِجر قريب من جدار الكعبة قبر إسماعيل ومُعلم برخامة خضراء مستطيلة الشكل على هيئة محراب وتتصل بها رخامة أخرى مستديرة ذات لون أخضر وإلى جانبه مما يلي الركن العراقي قبر أمه هاجر وعلامته رخامة خضراء سعتها شبر ونصف والمسافة بين القبرين سبعة أشبار .

وتجدر الإشارة هنا إلى خطأ ابن جبير فيما يتعلق بقبرى إسماعيل عليه السلام وأمه هاجر فالصحيح والثابت أن قريشاً قد قصرت نفقتها عن إتمام بناء الكعبة المشرفة على قواعد إبراهيم عليه السلام فقاموا بتقصير سته أو سبعه أذرع

---

١ ـ الازرقي : اخبار مكة ، جـ ١ ، ص ٢٩١ ؛ ابن رسته : الاعلاق النفسيه ، ص ٣١ .

منها على اختلاف الروايات وعندما بناها عبد الله ابن الزبير رضى الله عنه ردها إلى ما كانت عليه أيام إبراهيم عليه السلام وبعدها قام الحجاج بهدم الجزء الذي اضافه عبد الله بن الزبير ظناً منه أن ما قام به ابن الزبير بدعه لم تكن موجودة فقام بهدم الجزء المضاف وهو بمقدار سته أو سبعه أذرع مع ملاحظة أن هذه المسافة داخلة في الكعبة المشرفة ، وعليه فإن ما أورده ابن جبير وغيره من الرحالة والمؤرخين حول أن يكون هذا الموضع خاصة هو مكان دفن إسماعيل وأمه هاجر عليهما السلام هو وهم وغير صحيح إذ لم يرد أن أحداً من البشر دفن داخل الكعبة ولكن يبدو أن مكان دفنهما بعد حدود الكعبة وأن القبرين موضعهما في نصف الحجر مما يلي جداره المستدير فالحِجر كان اصغر مما هو عليه الآن أيام إسماعيل عليه السلام إلى أن قامت قريش ببناء البيت <١> .

وقد حفظ لنا ابن جبير نقشاً في جدار الحِجر يشير إلى تاريخ عمارته وتجديده زمن الناصر ونصه « **أمر بصنعهما على هذه الصفة أمام المشرق أبو العباس أحمد الناصر بن المستضيء بالله أبي محمد الحسن بن المستنجد بالله أبي المظفر يوسف العباسي رضى الله عنه** » <٢> .

وقد أيد الفاسى قول ابن جبير حيث ذكر الناصر من ضمن القائمين بتجديد الحِجر <٣> .

أما التجيبي وابن بطوطه والبلوى فلم يضيفوا شيئاً إلى ما ذكره ابن جبير حول وصف الحِجر والميزاب غير أن التجيبي شاهد شبه خط من رخام أحمر يمتد من الركن العراقـي إلى الركن الشامي بينه وبين جـدار الكعبة سبعه أذرع ذكر له

---

١ ـ محمد طاهر الكردى : التاريخ القويم ، جـ ٣ ، ص ١١٥ ـ ١١٩ .

٢ ـ ابن جبير : الرحلة ، ص ٦٤ ـ ٦٥ .

٣ ـ القاسى : شفاء الغرام ، جـ ١ ، ص ٣٤٦ .

بعض المجاورين أنه علامة على حد البيت ، بينما أشار البلوى إلى وجود نقش يدل على عمارة المطاف ونصه « بسم الله الرحمن الرحيم أمر بعمارة المطاف الشريف سيدنا ومولانا الإمام الأعظم المفروض الطاعة على سائر الأمم أبو جعفر المنصور المستنصر بالله أمير المؤمنين ‹١› بلغه الله آماله وزين بالصالحات أعماله وذلك في شهر ‹٢› وسنة إحدى وثلاثين وستمائة وصلى الله على سيدنا محمد واله » ‹٣› .

وقد أيد الفاسى ما ذكره البلوى حول تجديد المستنصر للحِجر ‹٤› .

المنبر :

لقد أغفل الرحاله الإشارة إلى منبر الخطيب بالمسجد الحرام غير أن ابن جبير افرد له وصفاً تفصيلياً فذكر أنه منبر واحد غير ثابت في اسفله أربع بكرات مغلفه بالحديد لتسهيل حركته وللمنبر أربع درجات وبه حلقتان توضع فيهما الرايتان أثناء الخطبه . أما موضع المنبر فبجانب المقام ويجر إلى موضع بقرب جدار الكعبة مقابل المقام بين الركن الأسود والعراقي فيسند إليه أثناء الخطبة ‹٥› ، ثم أشار البلوى فيما بعد إلى وجود منبرين كبيرين جميلين احدهما جديد صنع سنة ٧٣٣هـ/١٣٣٢م منقوش من جميع جهاته له تاج مذهب منقوش مثبت بمسامير من الفضة المذهبة ومطعم بصفائح الفضة ‹٦› .

---

١ ـ ابو جعفر عبد الله بن الظاهر محمد بن الامام الناصر بويع بالخلافة يوم وفاة والده في رابع عشر رجب سنة ٦٢٣هـ / ١٣٢٣م ، ومات في ثاني وعشرين جمادى الآخرة سنة ٦٣٩هـ / ١٢٤١م ، وقيل ٦٣٨هـ / ١٢٤٠م ؛ انظر : ابن دقماق : الجوهر الثمين ، جـ ١ ، ص ٢١٨ ـ ٢١٩ .

٢ ـ اغفل ذكر الشهر وربما يكون شهور وليس شهر وحدث تصحيفاً في الكلمه ؛ انظر الشيبي : إعلام الانام ، ص ٧٤ ، تكملة هامش الصفحه السابقه .

٣ ـ التجيبي : مستفاد الرحلة ، ص ٢٨٠ ؛ ابن بطوطه : الرحلة ، ص ١٣٥ ـ ١٣٧ ، البلوى : تاج المفرق ، جـ ١ ، ص ٣٠٤ .

٤ ـ الفاسى : شفاء الغرام ، جـ ١ ، ص ٣٤٦ .

٥ ـ ابن جبير : الرحلة ، ص ٧٠ ـ ٧٤ .

٦ ـ البلوى : تاج المفرق ، جـ ١ ، ص ٣٠٥ .

درج الكعبة :

وصف كل من ابن جبير والتجيبي وابن بطوطه درج الكعبة وشبهوه بكرسي كبير يشبه المنبر مصنوع من الخشب له تسع أدراج مستطيلة تسع أربعة أشخاص للصعود عليه في صف واحد وبه قوائم من خشب بها أربع بكرات كبار مغلفه بالحديد لتسهيل حركته وجره من مكانه بقرب المقام إلى باب الكعبة حيث تلامس أعلى درجة منه أرض عتبة الكعبة المشرفة <١> .

الكعبة المشرفة :

هى قريبة من التربيع ويضيف العبدرى أن بها نتوء بسيط للمتأمل ، بناؤها متقن من الحجارة المنحوته يميل لونها إلى الحمرة مع دكنه بسيطة واضاف ابن جبير أن الحجارة صم سُمر وقد تصدعت قطعة من الركن اليماني فثبتت بمسامير فضيه فأعيدت إلى حالها <٢> .

إرتفاعها :

اختلف الرحالة في مقدار إرتفاعها فإبن جبير ذكر أن إرتفاع الجهة التي بها الحجر الأسود والركن اليماني تسع وعشرين ذراعاً وسائر جوانبها ثمان وعشرون بسبب ميلان السطح نحو الميزاب وعزا هذا الخبر إلى زعيم آل الشيبي محمد بن إسماعيل <٣> .

---

١ ـ ابن جبير : الرحلة ، ص ٧٠ ؛ التجيبي : مستفاد الرحلة ، ص ٢٦٢ ؛ ابن بطوطة : الرحلة ، ص ١٣٤ ؛ انظر : الرسم رقم ١٢ .

٢ ـ ابن جبير : الرحلة ، ص ٧٠ ـ ٧٥ ؛ العبدرى : الرحلة المغربية ، ص ١٧٨ .

٣ ـ ابن جبير : الرحله ، ص ٥٩ .

بينما العبدرى ذكر أن إرتفاعها ثلاثون ذراعاً كما قيل له ، أما التجيبي فيحدد إرتفاعها بسبع وعشرين ذراعاً من الجهتين الواقعتين بين الركنين الشاميين ، أما جهة الركنين اليمانيين فبلغ إرتفاعهما ثمانية وعشرون ذراعاً بسبب ميل السطح إلى جهة الميزاب ، ويبدو أن ما ذكره دون تحقيق منه كما أشار لذلك <١> .

أما الأزرقي فحدد إرتفاعها بسبعة وعشرين ذراعاً وذكر الفاسى أن طول جدارها الشرقي ثلاثة وعشرون ذراعاً وثمن وطول جدارها الشامي ثلاثة وعشرون ذراعاً إلا ثمن ذراع وطول جدارها الغربي ثلاثة وعشرون ذراعاً وطول جدارها اليماني ثلاثة وعشرون ذراعاً وثمن ذراع <٢> ، بينما ذكر ابن رسته أن ارتفاعها سبعة وعشرين ذراعاً وإرتفاع الجهة التي بين الركن الأسود والشامي خمسة وعشرون ذراعاً وإرتفاعها من الركن اليماني والغربي خمسة وعشرون ذراعاً <٣> .

وذكر ابن جبير أن باب الكعبة المشرفة في الجهة الواقعة بين الركن العراقي وركن الحجر الأسود وهو اقرب إلى الحجر الأسود وبينهما عشرة أشبار ويسمى هذا الموضع الملتزم والباب مرتفع عن الأرض بمقدار إحدى عشر شبراً ونصف وباب الكعبة وعضادتاه مصنوعتان بإتقان من الفضة المذهبة .

قد لبست عتبة باب الكعبة بلوح من الذهب سعته شبرين وركب على الباب حلقتان كبيرتان يعلق عليهما قفل الباب ، ويقع الباب في جهة الشرق وسعته ثمانية أشبار وطوله ثلاثة عشر شبراً وسمك جدار الباب خمسة أشبار .

---

١ ـ العبدرى : الرحله المغربية ، ص ١٧٨ ؛ التجيبي : مستفاد الرحلة ، ص ٢٥٥ ـ ٢٥٦ .
٢ ـ الازرقي : اخبار مكة ، جـ ١ ، ص ٢٠٩ ؛ الفاسى : شفاء الغرام ، جـ ١ ، ص ١٨١ ـ ١٨٢ .
٣ ـ ابن رسته : الاعلاق النفسيه ، ص ٣٠ .

وشاهد التجيبي نقشاً بالذهب جميل الخط في باب الكعبة نصه « مما أمر بعمله عبد الله وخليفته الإمام أبو عبد الله محمد المقتفي <١> لأمر الله أمير المؤمنين صلى الله عليه وعلى الائمة ابائه الطاهرين وخلد ميراث النبوه لديه وجعلها كلمة باقية في عقبه إلى يوم الدين في سنة خمسين وخمسمائة » .

وأضاف ابن جبير أن حـــول دفتى الباب دعامتين غليظتين من الفضة المذهبه الجميلة النقش تبـدأ من عتبة الكعبة المشرفة إلى أعلى الباب وتحيط بجانبيه كما توجـــد دعامة أخرى بين دفتيه من الفضة المذهبة بطولهما متصلة بالدفة اليسرى <٢> .

ويبدو أن هذا الباب من عمل الوزير الجواد فقد أكد الفاسى أن صانع باب الكعبة المشرفة هو الجواد وليس المقتفي وأورد أن ابن الأثير ذكر في حوادث سنة ٥٥٢هـ/١١٥٧م أن الخليفة المقتفي أمر بخلع باب الكعبة وصنع أخر بدلاً عنه مصفحاً بالذهب واستفاد من الباب المخلوع في عمل تابوت يدفن فيه عقب موته وأضاف أن ما ذكره ابن الأثير من نسبة الباب للمقتفي لا يتعارض مع نسبته للجواد لأن الجواد إنما صنعه بأمرٍ من المقتفي واضاف إليه اسم المقتفي وقال إنما نبهنا على ذلك لئلا يفهم أن كلاً منهما صنع باباً للكعبة إذ يستبعد أن يقوم كل منهما بعمل بابين للكعبة في وقت واحد ولنفس السبب . أما الباب القديم فقد استفيد منه في عمل تابوت للجواد دفن فيه <٣> .

---

١ ـ ابو عبد الله محمد بن المستظهر بالله احمد بن المتقي عبد الله بن ذخيرة الدين محمـــد بن القائـم عبد الله بن القـادر احـــمد بن المتقـــي بويع بالخلافة سنه ٥٣٠هـ / ١١٣٥م ، ولقب المقتفي ومات سنه ٥٥٥هـ / ١١٦٠م ، ومدة خلافته اربع وعشرون سنة وثلاثه اشهر وواحد وعشرون يوماً ؛ انظر : ابن دقماق : الجوهر الثمين ، جـ ١ ، ص ٢٠٩ .

٢ ـ ابن جبير : الرحلة ، ص ٦٩ ؛ التجيبي : مستفاد الرحلة ، ص ٢٥٩ .

٣ ـ ابن الأثير : الكامل ، جـ ٩ ، ص ٥٧ ؛ الفاسى : العقد الثمين ، جـ ١ ، ص ٥١ ؛ الفاسى : شفاء الغرام ، جـ ١ ، ص ١٦٨ .

أما داخل الكعبة المشرفة فمفروش بالرخام المجزع وجدرانها بالرخام ، كما يوجد بداخلها ثلاثة أعمدة من خشب الساج طويلة والمسافة بين كل عامود والأخر أربع خُطاً والأعمدة على طول البيت متوسطة به وأول الأعمدة يقابل الجهة التي بها الركنان اليمانيان وبينه وبين الجدار مسافة ثلاث خطوات ، أما العمود الثالث فيقابل الجهة التي بها الركنان العراقي والشامي ومحيط الكعبة كلها من النصف الأعلى مطلى بالفضة المذهبة ، وسقف الكعبة المشرفة مكسو بالحرير الملون . أما خارج الكعبة فمكسو بالحرير الأخضر المبطن بالقطن ‹١› ، كتب في اعلاها رسم بالحرير الأحمر كتب فيه « **إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ** » ‹٢› ، واسم الامام الناصر لدين الله . وسعته ثلاثة أذرع يحيط بها ، وجميع كسوتها الخارجية بديعه النقش متنوعة الأشكال من محاريب وكتابات مليئة بذكر الله تعالى وبالدعاء للناصر العباسي الآمر بإقامتها وجميع ما بها من رسوم وكتابات اتخذت لون الكسوة ذاتها .

أما عدد ستائرها من الجوانب الأربعة أربع وثلاثون ستارة منها في الجانبين الكبيرين من الكعبة ثمانى عشرة ومن الجهتين الصغيرتين ست عشرة .

ويوجد بداخل الكعبة خمسة أماكن للإضاءة عليها زجاج عراقي ‹٣› جميل النقش أحدها في وسط السقف والأربعة الأخرى في الجوانب الأربعة منها وواحدة منها لا تظهر بسبب وقوعها تحت القبو الموضوع فيه المقام . وبين الأعمدة كاسات من الفضة يبلغ عددها ثلاث عشرة منها واحدة من الذهب .

---

١ ـ ذكر الفاسى ان الخليفة الناصر قد كسا الكعبه في سنه من السنين الحرير الأخضر ، انظر : الفاسى : العقد الثمين ، جـ ١ ، ص ٥٨ .

٢ ـ القرآن الكريم : سورة آل عمران ، ٣ / ٩٦ .

٣ ـ ليس زجاجاً وإنما مرمر يشبه الزجاج ات به عبد الله بن الزبير من اليمن ليدخل منه الضوء دون الماء الى الكعبه المشرفه ؛ انظر : الازرقي : اخبار مكة ، جـ ١ ، ص ٢٠٩ ، ٢٩٢ ؛ ابن رسته : الاعلاق النفسيه ، ص ٣٠ ـ ٣٢ ؛ مؤلف مجهول : الاستبصار ، ص ١٥ ـ ١٦ .

ويوجد في يسار الداخل إلى الكعبة صندوقان يحفظ بهما المصاحف ويليها بابان صغيران كأنهما نافذتان الصقتا بزاوية الركن مرتفعة عن الأرض بأكثر من القامه ، أما الركنان الشامي والعراقي فموجودان وفي الركن اليماني مثلهما ولكن لا وجود لهما زمن رحلة ابن جبير .

وفي يمين الركن العراقي باب يسمى باب الرحمة ‹١› يصعد منه إلى سطح الكعبة وقد بنى له قبو فيه درج متصل بسطح الكعبة وبسبب وجود هذا القبو بدأو كأن الكعبة لها خمسة أركان .

وفـــي هذا القبو يوضع مقام إبراهيم قبل استقراره في مكانه وبناء القبة عليه ، وهذا القبو مكسو بالحرير الملون .

وفي عهد التجيبي أصبحت الكعبة تكسى بالسواد حيث صادفت السنة التي حج فيها ابن جبير كسوتها بالون الأخضر ويوضع على باب الكعبة ستارة من الحرير متقنة النسج والصنع مشغولة بالحرير الأبيض والأســود وتحت هـــذا الستر ستر أخر من الحرير الأخضر ‹٢› ، وهذه أول اشارة عن ستارة باب الكعبة المشرفة ‹٣› .

---

١ ـ سماه الشيبي باب التوبه ، كما انه يطلق عليه في الوقت الحالى باب التوبه . انظر : الشيبي : اعلام الانام ، ص ٧٢ ، حاشيه الصفحة السابقه ؛ اسماعيل حافظ : باب الكعبه المعظمة على مر العصور ، مجله الداره ، الرياض ، العدد ٣ ، السنه ٧ ربيع الثاني ، ١٤٠٢هـ / فبراير ١٩٨٢م ، ص ٢٠ .

٢ ـ ابن جبير : الرحلة ، ص ٥٩ ـ ٦٢ ، ٦٩ ؛ العبدرى : الرحلة المغربية ، ص ١٧٨ ، التجيبي : مستفاد الرحلة ، ص ٢٢٥ ، ٢٥٦ ـ ٢٥٩ .

٣ ـ الفاسى : شفاء الغــرام ، ١ ص ٢٠٠ ؛ السيــد محمد الدقن : كسوة الكعبة المعظمة عبر التاريخ ، ص ١٦٢ ـ ١٦٦ .

ونلاحظ أن ابن جبير وصف داخل الكعبة بدقة شديدة فهو قد امضى فترة طويلة نسبياً بمكة أتاحت له دخول الكعبة عدة مرات والتدقيق فيها لذا كان اعتمادنا عليه أكثر من غيره فالرحلات الأخـــرى أغفلت الحديـــث عن هـــذا الجانـــب إما لعدم دخول الرحّالة للكعبة المشرّفة أو لعدم تمكّنهم من وصفها بدقّة لقصَر بقائهم بداخلها .

والملاحظ أن وصف الرحّالة لداخل الكعبة في تلك الفترة وما وجد فيها من أشكال رخامية وغيرها نجده مخالفاً لما ورد عند الأزرقي وابن رستة وصاحب الاستبصار والفاسي ‹١› ، وربما يعود هذا إلى قيام بعضهم بتجديدات داخل الكعبة المشرفة .

كما نجد أن الكعبة المشرفة لازالت إلى الوقت الحاضر تكسى من الداخل بالحرير الأخضر . أما وضع داخل الكعبة المشرّفة في الوقت الحاضر فمختلف بعض الشيء عما سبق فأرض الكعبة المشرفة مفروشة بالرخام الأبيض وهو نفس الرخام المفروش به صحن الطواف . أما السلّم الموصل لسطح الكعبة فأصبح الآن عبارة عن درجات من الألمنيوم أو النيكل فقط موضوع عليه ستارة وهذه الدرُج تفضي إلى سطح الكعبة عن طريق فتحة مشابهة لغطاء الخزانات يفتح إلى الأعلى ولا توجد بها فتحات للإنارة كما كان على عهد الرحالة فبمجّرد قفل الباب يسود الظلام الدامسِ داخل الكعبة ، وتعتمد الإضاءة داخلها على الشموع المحمولة على الشمعدانات الفضية ـ كما يربط بين الأعمدة الثلاثة بداخل الكعبة والتي لا تزال موجودة إلى الآن قضيب من الحديد لتعليق القناديل الفضية وبعض التحف الفضية والذهبية .

---

١ ـ الأزرقي : أخبار مكة ، جـ١ ، ص٢٩٠ ـ ٣٠١ ؛ ابن رستة : الأعلاق النفيسة ، ص٣٠ ـ ٣٧ ؛ مؤلف مجهول : الاستبصار ، ص١٣ ـ ١٦ ؛ الفاسي:شفاء الغرام ، جـ١ ، ص١٦٢ ـ ١٦٧ ، ١٧٣ ـ ١٧٤ .

ويوجد بين العامود الثاني والثالث صندوق من الخشب لوضع الأباريق والأدوات المستعملة في غسل الكعبة المشرفة ويلاحظ أن مقتنيات الكعبة وهداياها الثمينة قد سرقت منذ عهود سابقه ولم يبق إلا بعض المباخر والقناديل .

ويغطّي الجدار الأعلى من الكعبة قماش أخضر أما النصف الأسفل فهو من الرخام الأبيض .

أما الأعمدة الموجودة في داخل الكعبة فأعلاها مغطى بقماش أخضر مزّين بالآيات القرآنية والجزء الظاهر من الأعمدة أشبه ما يكون بالخشب ولونه بلون خشب العود وهذا راجع إلى كثرة دهنه بالطيب .

ولازالت الكعبة إلى الآن تحتوي على سقفين وربما كانت الأعمدة الثلاثة موضوعة لدعم السقف الأول من جهة أرض الكعبة ويعتبر أعلى السقف الأول مخزناً للكعبة الآن بعد أن كان فجوة بداخلها ‹١› .

المقامات بالحرم المكي الشريف :

أشار ابن جبير إلى وجود أربع مقامات بالمسجد الحرام منها مقام للإمام المالكي ويقع أمام الركن اليماني وهو على شكل محراب مبني بالحجارة .

أما مقام الإمام الحنفي فيقع أمام الميزاب . بينما الإمام الحنبلي يصلي ما بين الحجر الأسود والركن اليماني إذ ليس له مقام كبقية الأئمة إذ أن حطيمه ‹٢› هدمه مرجان الخادم خادم الخليفة المقتفي تعصباً منه ضد المذهب الحنبلي فقد حكى عنه قوله : قصدي أن أقلع مذهب الحنابلة فلما حجّ أمر بهدمه ومنع إمامهم من الصلاة ‹٣› ونسب ابن جبير هذا المقام لرامشت .

---

١ ـ حصلنا على جميع هذه المعلومات الخاصة بحالة داخل الكعبة المشرفةالآن من ابنين من أبناء سادن الكعبة المشرفة السابق وهما الأستاذ عبد القادر طه الشيبي والأستاذ حسين طه الشيبي بواسطه الهاتف.

٢ ـ الحطيم : الجدار . انظر ابن منظور : لسان العرب ، جـ ١٢ ، ص ١٤٠ .

٣ ـ ابن الجوزي : المنتظم ، جـ ١٠ ، ص ٢١٣ ؛ الفاسي : شفاء الغرام ، جـ١ ، ص ٣٩٥ ـ ٣٩٦ .

أما الإمام الشافعي فمقامه خلف مقام إبراهيم وهو مقام عظيم البناء وقد وصف ابن جبير هذه المقامات فقال خشبتان موصول بينهما بأذرع تشبه السلم تقابلهما خشبتان على تلك الصفة قد عقدت هذه الخشب على عامودين صغيرين من الجص قليلة الإرتفاع وفي أعلى الخشب خشبة عارضة مثبتة فيها علق بها خطافات حديد علقت بها قناديل من الزجاج وأحياناً يوصل بالخشبة المعترضه العليا شباك بطول الخشبة وأضاف أن الحطيم الحنفي محراب بين القائمتين الجصيتين المنعقدتين على الخشب <١> .

المساجد الموجودة بمكة المكرمة :

اكتفى الرحالة المغاربة والأندلسيون بذكر عدد من المساجد حددوا مواضعها والإشارة إلى سبب نسبتها بينما لم يقوموا بإمدادنا بمعلومات مفصّلة عن الوصف المعماري لهذه المساجد ويبدو من إشارات الرحالة أن أغلب هذه المساجد ارتبطت بحوادث تاريخية معينة في صدر الإسلام أقيم المسجد بعد ذلك بفترة من الوقت للدلالة عليها وللتذكير بها .

مسجد فوق جبل أبي قبيس :

أشار إليه كلّ من ابن جبير وابن بطوطة والبلوي ولم يقوموا بوصفه وذكروا أن سطحه مشرف على مكة وزاد ابن جبير أن موضعه هو موضع موقف النبي ﷺ عند انشقاق القمر وأضاف ابن بطوطة أن الملك الظاهر <٢> أراد

---

١ ـ ابن جبير : الرحلة ، ص ٧٨ ـ ٧٩ . انظر الرسم لموقع المقامات رقم ٦ ، ١٣ .

٢ ـ الملك الظاهر بيبرس البندقداري العلائي بويع بالسلطنه وتلقب بالظاهر القصير وذلك يوم السبت خامس عشر ذي القعدة سنة ٦٥٨هـ / ١٢٥٩م توفي بدمشق في الثامن والعشرين من المحرم سنة ٦٧٦هـ / ١٢٧٧م وعمره نحو سبع وخمسين سنة ومدة حكمه سبع عشرة سنة وشهرين وكان رحمه الله ملكاً جليلاً كريماً مشهوراً بالفروسيه والإقدام له مآثر كثيرة منها تعميره للمسجد النبوي وله فتوحات كثيرة وقد قدم الحجاز لأداء فريضه الحج انظر ابن دقماق : الجوهر الثمين ، جـ ٢ ، ص ٦٦ ـ ٨٤ .

عمارته ‹١› ، وربما يكون هذا المسجد هو المعروف بمسجد بلال وأغلب الظن أن نسبته إليه غير صحيحة ‹٢› ، وقد نسبه الأزرقي لرجل يسمى إبراهيم القبيسي ‹٣› ، مما يؤكد عدم نسبته لبلال .

مسجد الجن :

يقع على يمين المستقبل لمقبرة المعلاه في واد بين جبلين ‹٤› . وقد أشار إليه الأزرقي بقوله « **مسجد بأعلى مكة يقال له مسجد الجن لأنهم بايعوا رسول الله ﷺ في ذلك الموضع** » ‹٥› ، وحدد القرطبي الموقع الذي بايعت فيه الجن الرسول ﷺ بأنه في الحجون ‹٦› . ويبدو أن المسجد كان مهدماً في زمن رحلة ابن بطوطة لإشارته إلى خرابه ‹٧› .

مسجد على طريق التنعيم :

يبعد عن مكة المكرمة بنحو ميل بجانبه حجر على الطريق كالمصطبة فوقه حجر آخر مسند عليه فيه أثر نقش ويقال إن موضع المسجد هو موضع جلوس النبي ﷺ عند عودته من العمرة مستريحاً فأتخذه الناس مزاراً يفدون إليه ويتمسّحون به لذلك ، ونجد أن التجيبي أطلق عليه المتكأ ‹٨› وهو غير معروف الآن .

---

١ ــ ابن جبير : الرحلة ، ص ٨٥ ؛ ابن بطوطة : الرحلة ، ص ١٤٤ ؛ البلوي :تاج المفرق ، ج١ ، ص ٣١٢

٢ ــ البلادي : معالم مكه التاريخية والأثرية ، ص ١١ . وقد ازيل هذا المسجد الآن ؛ انظر تفاصيل بناؤه . سيد بكر : اشهر المساجد في الاسلام ، ص ١٢١ ــ ١٢٣ .

٣ ــ الأزرقي : أخبار مكه ، جـ ٢ ، ص ٢٠٢ ــ ٢٠٣ . انظر الرسم رقم ١٤ ــ ١٥ .

٤ ــ ابن جبير:الرحلة ، ص ٨٨ ؛ ابن بطوطة : الرحلة ، ص ١٤٢ ؛ البلوي:تاج المفرق ، جـ ١ ، ص ٣٠٨ .

٥ ــ الأزرقي : أخبار مكة ، جـ ٢ ، ص ٢٠٠ ــ ٢٠١ .

٦ ــ القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، جـ ١٩ ، ص ٤ .

٧ ــ ابن بطوطة : الرحلة ، ص ١٤٢ . وهو الآن معروف بالقرب من مبنى البريد المركزي ومجاوراً لباب المقبره ؛ انظر تفاصيل عمارته في سيد بكر : اشهر المساجد في الاسلام ، ص ١٠٢ ــ ١٠٤ .

٨ ــ ابن جبير : الرحلة ، ص ٨٨ ؛ التجيبي : مستفاد الرحله ، ص ٢٤٩ ؛ ابن بطوطة : الرحله ، ص ١٤٣ ؛ البلوي : تاج المفرق ، جـ١ ، ص ٣٠٩ .

مسجد إبراهيم :

يقع قرب آبار الشبيكه بوادي طوى <١> ذكر الأزرقي أن زبيدة زوجة الخليفة هارون الرشيد بنته لأن الرسـول ﷺ نزل بذي طوى معتمر فبات فيه وصلّى الصبح وأضاف أن مصلى الرسـول ﷺ أسفل منه <٢> ، والظاهر أن المسجد لم يشيد في مكان مصلى النبـي ﷺ بل قريباً منه وهذا المسجد غير معروف الآن <٣> ولكن جدد مسجد بالقرب من بئر طوى فربما يكون هو .

مساجد التنعيم وهي :

عدّة مساجد مبنيّة بالحجـارة منهــا مسجــد يقـال لـه مسجد عائشـة زوج النبي ﷺ خارج حدود الحرم ، كما يوجد مسجد أمام مسجد عائشة يُنسب لعلى بن أبي طالب <٤> . ولم يتعرّض الأزرقي لذكره وذكره الفاسي ولكنه لم يظهر حقيقه نسبته . أما ابن ظهيرة فقال « **لم أقف على شيء من خبره** » <٥> فهذه الأقوال إنما توضح لنا حقيقة هامة وهي أن أغلب المساجد التي تنسب لأشخاص بعينهم شيدت عقب عهودهم بفترة طويلة أو لعل بناء هذه المساجد في الموقع الذي اعتمرت فيه السيدة عائشة رضي الله عنها ولعل تعدد هذه المساجد في هذا المكان هو اعتناء المقتدرين من أهل الخير مـــن أبناء المسلمين بتتبع أثر الصحابة طمعاً في الأجر والثواب من جــراء بنـــاء مثل هذه المساجد في الأماكن التي يرجّح نزولهم بها .

---

١ ـ التجيبي : مستفاد الرحله ، ص ٢٤٩ .

٢ ـ الأزرقي : أخبار مكة ، جـ ٢ ، ص ٢٠٣ .

٣ ـ البلادي : معالم مكة التاريخية والأثرية ، ص ٢٧٢ .

٤ ـ ابن جبير : الرحلة ، ص ٩٠ ؛ التجيبي : مستفاد الرحلة ، ص ١٤٣ ؛ البلوي : تاج المفرق ، جـ ١ ، ص ٣١٠ .

٥ ـ الفاسي : شفاء الغرام ، جـ ١ ، ص ٤٢٩ ؛ ابن ظهيرة : الجامع اللطيف ، ص ٢١٠ .

وهناك العديد من المساجد الأخرى منتشرة حول الأعلام ذكر ابن بطوطة إنها ثلاثة وجميعها تنسب لعائشة رضـــى الله عنها ونجد أن ابن رشيـــد لم يذكر إلا مسجد عائشة <١> .

ولم يعد لهذه المساجد في الوقت الحاضر أثر سوى مسجد عائشة رضـي الله عنها والذي يطلق عليه مسجد التنعيم فهو باقٍ إلى اليوم وقد بني بناية حديثة وجميلة . والأصل في وجود هذا المسجد كما أورده الأزرقي أن الرســول ﷺ أمر عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنهما أن يذهب مع السيده عائشة لتعتمر من التنعيم <٢> .

مسجدٌ أقيم في الدار التي ولد بها النبي ﷺ :

ذكر ابن جبير والبلوي أنهما لم يريا أعظم بناءً منه وأضاف التجيبي أنه شارع في الزقاق الذي يقال له زقاق المولد <٣> وذكره الفاسي وحدد مكانه بموضعٍ في سوق الليل وأسهب في وصفه <٤> . وهو غير موجود الآن .

مسجد منسوب لأبي بكر الصديق رضي الله عنه :

يقع في أسفل مكة فيما يعرف الآن بحي المسفلة وبجانبه تقع دارٌ صغيرة اتُّخذ بها محراب قيل إنها كانت مخبأ أبي بكر الصديق رضـي الله عنه <٥> . غير أنه من الملاحظ أن مؤرخ مكة الأزرقي أغفل ذكره ولعـل ذلك إشـــارة إلـى احتمال

---

١ ـ ابن رشيد : ملء العيبة ، جـ ٥ ، ص ٨٣ ؛ ابن بطوطة : الرحلة ، ص ١٤٣ .

٢ ـ الأزرقي : أخبار مكة ، جـ ٢ ، ص ٢٠٨ .

٣ ـ ابن جبير : الرحلة ، ص ٩٢ ؛ التجيبي : مستفاد الرحلة ، ص ٣٣٣ ؛ البلوي : تاج المفرق ، جـ ١ ، ص ٣١١ .

٤ ـ الفاسي : شفاء الغرام ، جـ ١ ، ص ٤٣١ .

٥ ـ ابن جبير : الرحلة ، ص ٩٣ ؛ وروى عن عائشة رضي الله عنها أن ابا بكر ابتنى مسجداً بفناء داره كان يصلي فيه ويقرأ القرآن بعد أن أصبح في جوار ابن الدغنه ، انظر البخارى : صحيح البخارى ، جـ ٢ ، ص ٣٣١ .

عدم وجوده على عهده وإنما استحدث فيما بعد . بينما أشار إليه كلٌ من الفاسي وابن ظهيرة ونجد أن إشارة الفاسي إليه اعتمدت على ابن جبير مما يؤكد أهمية كتب الرحالة كمصدر من مصادر تاريخ الحجاز حتى بالنسبة لمؤرخي مكة القدماء ، بينما ابن ظهيرة أشار إليه بقوله « **مسجد بأسفل مكة منسوب لأبي بكر الصديق رضي الله عنه يقال إنه من داره** » (١) وفي هذا دلالة على احتمال اعتماده على الطريقة الشفوية المتواترة مما يضعف الدليل على وجوده فضلاً عن نسبته لأبي بكر الصديق ، وعلى كل حال فقد تعارف أهل مكة على وجود هذا المسجد بالموضع المشار إليه إلا أنه هدم لصالح مشروع توسعة الحرم الشريف .

مسجد منسوب لعلي بن أبي طالب :

وقد ذكره كلٌ من ابن جبير والتجيبي والبلوي ويقع في دارٍ بمقربة من جبل أبي قبيس وبه نقش مكتوب عليه « **هذا المسجد هو مولد علي بن أبي طالب رضوان الله عليه وفيه تربّى رسول الله ﷺ وكان داراً لأبي طالب عمّ النبي ﷺ وكافله** » (٢) وحدد الفاسي مكانه بالقرب من مكان مولد النبي ﷺ من أعلاه مما يلي الجبل (٣) . وربما يقصد جبل أبي قبيس فالبلوي أشار إلى أنه بسفح جبل أبي قبيس . وأكّد التجيبي ذلك بقوله إنه في شعب بنى هاشم (٤) ، ويعرف الآن بشعب علي وقد ازيل اكثره بسبب مشاريع الانفاق .

---

١ ـ الفاسي : شفاء الغرام ، جـ ١ ، ص ٤١٩ ؛ ابن ظهيرة : الجامع اللطيف ، ص ٢٠٦ ؛ انظر تفاصيل عمارته في سيد بكر : اشهر المساجد في الاسلام ، ص ١١٦ ـ ١١٧ .

٢ ـ ابن جبير : الرحلة ، ص ١٤١ .

٣ ـ الفاسي : شفاء الغرام ، جـ ١ ، ص ٤٣٤ .

٤ ـ التجيبي : مستفاد الرحلة ، ص ٣٣٦ ؛ البلوي : تاج المفرق ، جـ ١ ، ص ٣١٢ .

وعلى كل حال فالدار هذه مشهورة لدى أهل مكه على أنها مكان مولد على بن أبي طالب ولكن الأزرقي أغفل ذكره مما يوضح أنه لم يشيد ولم يعرف في هذا الوضع إلا بعد عهد الأزرقي ، وهذا المسجد قد هدم ضمن التوسعة التي تجرى حول الحرم الشريف .

مسجد بقرب باب المعلاه :

انفرد بذكره التجيبي ووصفه بأنه محاط بحجارة يبلغ ارتفاعها نحو شبر عمل في قبلته محراب للصلاة فيه <١> . إلا أنه لم يشر إلى الشخص المنسوب إليه وربما يكون هذا المسجد هو مسجد الشجرة وبحذائه مسجد الجن إذ ذكر الأزرقي أن النبي ﷺ كان بمسجد الجن فدعا شجرة كانت في موضع هذا المسجد وكلمها فأقبلت تخطُّ بأصلها وعروقها الأرض حتى وقفت بين يديه فسألها عما يريد ثم أمرها فعادت حتى انتهت إلى موضعها الأول <٢> .

وأورد ابن ظـهيرة خبر هـــذا المسجد ضمــن المساجــد الدراسة في ذلك الوقت <٣> .

مسجد دار الندوة :

وقد وصفه العبدري بأنه شارع في المسجد الحرام ومضاف إليه من جهة الحِجر والميزاب وقـــد دخله فوجده مليئاً بالأوساخ والقانورات وبه الكثير من الصناع <٤> ، وأغفل ذكره باقي الرحالة .

---

١ ـ التجيبي : مستفاد الرحلة ، ص ٣٣٦ .

٢ ـ الأزرقي : أخبار مكة ، جـ ٢ ، ص ٢٠١ .

٣ ـ ابن ظهيرة : الجامع اللطيف ص ٢٠٩ ـ ٢١٠ ، وهذا يفسر وجود المسجد بالقرب من مسجد الجن .

٤ ـ العبدري : الرحلة المغربية ، ص ١٧٤ ـ ١٧٦ .

المساجد بالمشاعر المقدسة :

مسجد البيعة أو العقبة :

يقع على يسار الذاهب لمنى <١> ، ونقل التجيبي نقشاً في المسجد مكتوباً على حجر « **هنا كانت أول بيعة كانت في الإسلام** » وأضاف إن علم جمرة العقبة ملصق به <٢> .

وهذا المسجد يفضي إلى جمرة العقبة وهي علم منصوب مماثل لأعلام الحرم <٣> ، وأضاف التجيبي قائلاً قيام زوجة هارون الرشيد بتبليط موقع جمرة العقبة <٤> ، ويلاحظ أن المسجد صغير المساحة فلم يحظ بمعلومات مفصلة عن عمارته في حين تشابهة أقوال الرحالة في تحديد موقعة مع المؤرخين الدارسين لتاريخ مكة المكرمة <٥> .

مسجد منحر الذبيح :

بنى عليه مسجد وموقعه بالقرب من جبل ثبير بعد الجمرة الأولى بعيداً عن الطريق قليلاً وقد وصف موضع المنحر بأنه حجر لاصق بجدار المسجد وهذا الحجر فيه أثر قدم صغيره يقال إنها أثر قدم الذبيح عندما تحرك فألانه الله تعالى بقدرته ، وسمى التجيبي هذا المسجـــد بمسجد الكبـــش ، ولعل التسمية عائدة إلى ما نقله

---

١ ـ ابن جبير : الرحلة ، ص ١٣٦ ؛ ابن رشيد : ملء العيبة ، جـ ٥ ، ص ٨٦ .

٢ ـ التجيبي : مستفاد الرحلة ، ص ٣٤٨ والعلم هنا علامة توضع على حدود المشاعر المقدسة لمعرفة أماكنها .

٣ ـ ابن جبير : الرحلة ، ص ١٣٦ ؛ البلوي : تاج المفرق ، جـ ١ ، ص ٣١٥ .

٤ ـ التجيبي : مستفاد الرحلة ، ص ٣٤٨ .

٥ ـ الحربي : المناسك ، ص ٥٠٢ ، حاشية رقم ٢ ؛ المحب الطبري : القرى لقاصد أم القرى ، ص ٥٤٣ ؛ القطبي : إعلام العلماء ، ص ١٥٥ ؛ ولمزيد من التفاصيل عن مكانة وبداية بنائه وكيفيته ، انظر ناصر البركاتي ومحمد نيسان : دراسة تاريخية لمساجد المشاعر ، ص ٢٢٦ ـ ٢٤٦ ، انظر رسم رقم ١٦ .

التجيبي من نزول الكبش الذي فدى الله به الذبيح ويبدو أن موضع الحجر الموجود به الأثر قد تغيّر مكانه ، فقد ذكر التجيبي أنه حجر غامق اللون قائم في حائط صحن المسجد ، وأضاف أنه بجانب هذا الموضع رأى إبراهيم الخليل عليه السلام الرؤيا <١> .

والواقع إننا لا نؤيّد ذلك نظراً للفارق الزمني بين وقت الذبح وبناء المسجد ، فالمسجد بنته لبابة بنت علي بن عباس <٢> ، وقد اغفل الرحالة وصف المسجد واتفق الفاسي مع الرحالة في ذكر موقعه ثم قيامه بوصفه وإشارته إلى الأثر وبيان خرابه <٣> وقد اتفق الحربي والقطبي في تحديدهما لموقع المسجد <٤> .

مسجد الخيف :

حدد ابن جبير والبلوي موقعه في آخر منى ثم تليه آثار قديمة ممتده لمسافة طويلة <٥> ، وقد نال المسجد عناية الرحالة من حيث وصفه فقال ابن جبير باتساعه ووقوع المئذنـــه في وسط الصحن ، كما له أربع بلاطات مسقوفه في قبلته <٦> ، وأشار ابن رشيد إلى قربه من مكة ، ويبدو أن المسجد قد أصابه التلف فإبن رشيد أكّد على كبر مساحته وعدم وجود أبواب له وأشار إلى أن الباقي من سقفه جزء يسير في آخر القبلة إلى جانب وجود الأحجار بالقرب من وسطه ذكر أنها علامة على مكان مصلى النبـي ﷺ ، ويظهر أن الناس تركت الصلاة فيه فيقول « **أقمنا به سُنة بَعُد العهد بإقامتها** » <٧> .

---

١ ـ ابن جبير : الرحلة ، ص ١٣٦ ؛ التجيبي : مستفاد الرحلة ، ص ٣٤٨ ؛ البلوي : تاج المفرق ، جـ ١ ، ص ٣١٦ .

٢ ـ الأزرقي : أخبار مكة ، جـ ٢ ، ص ١٧٥ .

٣ ـ الفاسي : شفاء الغرام ، جـ ١ ، ص ٤٢٣ .

٤ ـ الحربي : المناسك ، ص ٥٠٣ ؛ القطبي : إعلام العلماء ، ص ١٥٣ .

٥ ـ ابن جبير : الرحلة ، ص ١٣٧ ؛ البلوي : تاج المفرق ، جـ ١ ، ص ٣١٦ .

٦ ـ ابن جبير : الرحلة ، ص ١٣٧ .

٧ ـ ابن رشيد : ملء العيبة ، جـ ٥ ، ص ١٠٥ ، ١٣٦ .

وأكّد العبدري على تردّي حالة المسجد بأكثر مما ذكر ابن رشيد حيث أصبح مطرحاً للأقذار وبقايا الجزارة التي نتج عنها روائح كريهة به وكان الناس يوقدون فيه النار فأسودّ جدارة وصار كالمطبخة على حدّ قوله <١> .

ولكن يبدو أن الأيدي امتدت إليه بالتعمير والتجديد بعد ذلك ففي موقعه يقول التجيبي على يمين الذاهب إلى المزدلفة مستطيل الشكل طوله مائتان وخمس وسبعون ذراعاً واشتملت قبلته على وجود أربع بلاطات مسقوفة بالإضافة إلى وجود سقائف أخرى في جوانبه الباقية محمولة على أقواس من الآجر ، كما احتوى على العديد من الأبواب .

أما موضع مصلى النبـــي ﷺ فأمام المنارة في وسط الصحن <٢> ، ونلاحظ أن وصف التجيبي لمسجد الخيف مشابه تماماً لما ذكره صاحب الاستبصار عن المسجد نفسه مما يشير إلى نقله عنه في بعض المعلومات <٣> ، كما وأن وصف صاحب الاستبصار يقارب من وصف ابن جبير لاقتراب الفترة الزمنية بينهما ، بينما نجد أن البلوي من حيث وصفه للمسجد مطابق لوصف ابن جبير إشارة إلى نقله عنه في تحديد موقعه وصفته لذا لم يأت بجديد فيه <٤> .

أما الأزرقي فلم يشر إلى وجود أربع بلاطات في قبلته وإنما أشار إلى وجود السقائف في جهاته الأربع وأفاض في وصفه الشيء الكثير <٥> ، ويبدو أن نمط بنائه قد طرأ عليه التغيير عند قدوم ابن جبير عما كان عليه في زمن الأزرقي .

---

١ ـ العبدري : الرحلة المغربية ، ص ١٧٧ .

٢ ـ التجيبي : مستفاد الرحلة ، ص ٢٤٣ .

٣ ـ مؤلف مجهول : الاستبصار ، ص ٣٣ .

٤ ـ البلوي : تاج المفرق ، جـ ١ ، ص ٣١٦ .

٥ ـ الأزرقي : أخبار مكة ، جـ ٢ ، ص ١٧٤ ، ١٨١ ، ١٨٥ .

أما مكان مصلى النبي ﷺ فالأزرقي والطبري والفاسي ذكروا قربه من مواجهة المنارة ووضعت الأحجار للدلالة على موضع المصلّى ، وقد أفاض الفاسي في وصف المسجد ‹١› .

ومما ذكره الفاسي حول عمارة مسجد الخيف قوله بعدم توفر المعلومات الوافية عن المسجد عقب فترة الأزرقي إما لفقدها أو لعدم التدوين مع التأكيد على قيام الوزير الجواد بعمارته وأن أم الخليفة الناصر لدين الله العباسي قد اسهمت في عمارته أيضاً حيث وجد اسمها مكتوباً على بابه الكبير ، كما أسهم في عمارته المظفر الرسولي ملك اليمن سنة ٦٧٤هـ/١٢٧٥م ‹٢› .

وبيّن الفاسي مدى اهتمام الوزير الجواد بعمارته مما أدى إلى حسن حالته زمن رحلة ابن جبير والسؤال المتبادر إلى الذهن عن عمارة المظفر له في السنة المذكورة إذ نلاحظ أنها معلومة غير مؤكدة ولو كان كذلك لظهر في وصف ابن رشيد والعبدري والأرجح أنها تمت عقب سنة ٦٨٨هـ/١٢٨٩م وقبل وفاة المظفر الذي توفي سنة ٦٩٤هـ/١٢٩٤م ‹٣› .

ونخلص مما سبق إلى أن المسجد قد أصابه التلف والخراب في عهد ابن رشيد والعبدري بينما نجده في حالة جيدة في زمن رحلة التجيبي ، وقد سبقت الإشارة إلى توافق وصف التجيبي وصاحب الاستبصار وهناك احتمال بإعادة المظفر لبنائه وفق حالته زمن صاحب الاستبصار وأن التجيبي اعتمد عليه في معلوماته عن المسجد وكان هذا حال المسجـد إلى وقت قريب وقد تغير الآن بسبب

---

١ ـ الأزرقي : أخبار مكة ، جـ ٢ ، ص ١٧٤ ؛ المحب الطبري : القرى لقاصد أم القرى ، ص ٥٣٩ ؛ الفاسي : شفاء الغرام ، جـ ١ ، ص ٤٢٥ ـ ٤٢٩ .

٢ ـ الفاسي : شفاء الغرام ، جـ ١ ، ص ٤٢٨ ؛ ولمزيد من التفصيلات حول مسجد الخيف انظر ناصر البركاتي ومحمد نيسان . دراسة تاريخية لمساجد المشاعر المقدسة ، ص ٥٤ ـ ١٩٩ .

٣ ـ الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، جـ ١ ، ص ٢٣٢ . انظر الرسم رقم ١٧ .

التوسعة الجديدة وهذا يقودنا إلى نتيجة هامة وهى أن معظم المباني المعمارية بقيت على حالها زمن انشائها لم تتغير من حيث المساحة وطراز البناء إلا حديثاً وما كان يقوم به الأمراء والملوك المسلمين من تعمير بها إنما كان ترميماً وتجديداً فقط .

غار المرسلات :

يقع قرب مسجد الخيف على يمين الذاهب إلى عرفات ذكر ابن جبير وجود حجر كبير مرتفع عن الأرض يظل أسفلة قيل إن النبي ﷺ جلس ناحيته للإحتماء من الشمس فمّس رأسه الحجر فأصابته ليونه تاركة فيه أثر يشبه الرأس <١> ، في حين أشار التجيبي إلى أن الأثر المذكور في غار بجبل قرب مسجد الخيف يعرف بغار المرسلات بسبب نزول سورة المرسلات على النبي ﷺ به وقد عاين الأثر بالغار ، وقيل إن ذلك الأثر من أثر عمامه النبي ﷺ عقب جلوسه تحته <٢> ، وأشار المحب الطبري إلى الغار ولم يعلّق عليه وحدد موقعه خلف مسجد الخيف ناحية الجبل <٣> ، ويبدو أن هذا المكان أصبح مسجداً بعد ذلك إذ يشير الفاسي إلى وجود مسجد المرسلات يمين مسجد الخيف ولكن مع عدم الإشارة إلى الأثر في حين نقل خبر الأثر من ابن جبير <٤> وورد ذكره أيضاً لدى القطبي الذي أوضح خبر الأثر وأكّد على عدم توفّر المعلومات الدقيقة لديه عن ذلك مع تحديده لنفس موقع الغار <٥> .

---

١ ـ ابن جبير : الرحلة ، ص ١٣٧ ـ ١٣٨ .

٢ ـ التجيبي : مستفاد الرحلة ، ص ٣٤٥ ، ٣٤٧ .

٣ ـ المحب الطبري : القرى لقاصد أم القرى ، ص ٥٣٩ ـ ٥٤٠ .

٤ ـ الفاسي : شفاء الغرام ، جـ ١ ، ص ٤٢٥ ؛ مما يعني اعتماد مؤرخي مكة على ما جاء في كتب الرحلات عند كتابتهم لتاريخ مكة مما يبرز أهمية كتب الرحلات كمصدر مهم من مصادر تاريخ الحجاز في تلك الفترة .

٥ ـ القطبي : اعلام العلماء ، ص ١٥٣ ـ ١٥٤ .

مسجد المزدلفة :

يقع بوسط المزدلفة وعليه قبة وتظهر أنواره ليلاً من بُعد ، ويبدو وأن المسجد مرتفع عن الأرض فابن جبير أشار إلى صعـــود الحجيج إليـــه من جهتين بها درج ‹١› وقد أغفل ابن رشيد ذكر هذا المسجد في رحلته .

مسجد بأعلى جبل الرحمة :

في أعلى جبل الرحمة قبة تنسب لأم سلمة رضي الله عنها ولا يعرف مدى صحة ذلك وقد جعل جزء من القبة مسجداً اشتملت قبلته على عدة محاريب يصلى الناس فيها وباقي القبة عبارة عن سطح يشرف على عرفات وقد ذكر الفاسي هذه الدار نقلاً عن ابن جبير ويبدو ان نسبتها إلى أم سلمه وهم لا شك فيه فمؤرخو مكه قد اغفلوا ذكرها عندما وصفوا جبل الرحمه ولم يذكروا أن عليه مسجد أو قبه وأغلب الظن أن الذى بنى هذا المسجد الحسين بن سلامه في أواخر القرن الثالث الهجري وقد حرف الاسم إلى أن أصبح أم سلمه ‹٢› .

مسجد بالقرب من جبل الرحمة :

وصف بالصغر ويقع على يسار مستقبل القبلة بالقرب من جبل الرحمة .

مسجد إبراهيم عليه السلام :

يقع بمقربة من العلمين حدّ عرفة عن يسار المستقبل للقبلة مسجدان الأول صغير والثاني قديم وكبير لم يبق من بنائه إلا جدار قبلته وينسب هذا المسجد إلى إبراهيم عليه السلام وفيه يخطب الخطيب يوم الوقفة ويصلى جامعاً بين الظهر والعصر ‹٣› .

---

١ ـ ابن جبير : الرحلة ، ص ١٥٠ ـ ١٥١ ؛ العبدري : الرحلة المغربية ، ص ١٨٣ ـ ١٨٤ ؛ ابن بطوطة : الرحلة ، ص ١٦٩ ؛ البلوي : تاج المفرق ، جـ ١ ، ص ٣١٦ .

٢ ـ الفاسي : شفاء الغرام ، ج ١ ، ص ٤٨٨ ؛ احمد عمر الزيلعي : مكه وعلاقاتها الخارجيه ، ص ١٣٣ .

٣ ـ ابن جبير : الرحلة ، ص ١٥٠ ـ ١٥٢ ؛ ابن بطوطـة : الرحلة ، ص ١٦٩ـ١٧٠ ؛ البلوي : تاج المفرق ، جـ ١ ، ص ٣١٦ ـ ٣١٧ . انظر الرسم رقم ١٨ .

والملاحظ تغير حال مسجد إبراهيم عليه السلام زمن رحلة ابن رشيد فالمسجد كما يبدو يقع آخر عرفات من جهة مكة المكرمة وقيل إن حائط قبلته مقام على بطن عُرنة ولو وقع لا يقع إلا فيه وقيل أيضاً إن مقدمة المسجد تقع في عُرنة ومؤخرته بعرفة أي أن قسماً منه بعرفة وجزءاً ليس بعرفة . وأضاف ابن رشيد أنه ربما زيد فيه لهذا القول ، وقد تسلّق ابن رشيد جدارة حيث أنه بدون سقف وشاهد جميع أرجائه إلى جانب حِجارة كبيرة وضعت إلى جانب المسجد تقرب من حائط القبلة كعلامة دخول هذا الجزء من المسجد في عرفة لما اشتهر من أن جزءاً من المسجد يقع خارج حدود عرفة وقدر المسافـة بين المسجد وموقف الرسول ﷺ بنحو ميل .

ونستخلص مما ذكره ابن رشيد أن مسجد إبراهيم عليه السلام قد أصبح خرباً ولا تقام الصلاة فيه بدليل عدم استطاعته الدخول إليه خوفاً من السلب والقتل فقام بتسلق حائطه أثناء مرور جيش أبي نمي إضافة إلى أسفه على ترك سنة الجمع فـي وقتها وموضعهـا وأصبح الإمام يقيم الصلاة بغير معرفة بالسنة فهو لا يصلي مكان مصلّى النبي ﷺ بل يتقدم عليه إضافة إلى تأخيره الظهر إلى قرب العصر فينتظره كثير من الجهلـة ويصلي أهل العلم فرادى أو مجتمعين في رحالهم (١) .

أما العبدري فوصف المسجد بأنه مستطيل الشكل من الشرق إلى الغرب ويُعرف بمسجد إبراهيم ويقع أول عرفه مع قلة معرفة الحجاج لمكانه لبعده عن موقف الرسول ﷺ والمقدر بنحو ميل واتفق العبدري مع ابن رشيد في موقع حائطه القبلي على حد عُرنة (٢) .

---

١ ـ ابن رشيد : ملء العيبة ، جـ ٥ ، ص ٨٧ ، ٨٩ ، ٩٢ ، ٩٥ ـ ٩٦ .

٢ ـ العبدري : الرحلة المغربية ، ص ١٨٤ ـ ١٨٥ .

ومما سبق يتضح أنه بالرغم من قدم وتهدّم مسجد إبراهيم زمن رحلة ابن جبير إلا أن الصلاة تقام فيه وما ذكره ابن جبير موافق تماماً لما أورده ابن بطوطة والبلوي ولعل ذلك عائد إلى نقلهما عن ابن جبير إذ أنه من غير المعقول ثبات أحواله مدة تزيد على قرن ونصف من الزمان ، إضافة إلى الاختلاف الذي أورده ابن رشيد والعبدري والذي وضح منه اختلال عمارة المسجد إضافة إلى ابتعاد الناس عن اتباع السنة .

المدينة المنورة :

المسجد النبوي :

أرخ ابن جبير لحالة المسجد النبوي قبل حريقه سنة ٦٥٤هـ/١٢٥٦م ، لذا يعتبر وصفه مهماً في تلك الفترة وقد وصفه بأنه مسجد مستطيل الشكل يحيط به من جوانبه الأربعة بلاطات أما وسطه فصحن مفروش بالرمل والحصى ، وفي الجهة الشمالية منه قبة حديثة تعرف بقبة الزيت تستخدم كمخزن لاحتياجات المسجد وبجانبها خمس عشرة نخلة .

وفي جهة القبلة خمس بلاطات مستطيلة من الغرب إلى الشرق ، والجهة الشمالية بها خمس بلاطات والجهة الشرقية بها ثلاث بلاطات والجهة الغربية بها أربع بلاطات (١) .

وتقع الروضة (٢) في آخر جهة القبلة ناحية الشرق بنيت حولها خمسة جدران بخمسة أركان منها أربعة جدر محرفة عن القبلة بحيث يستحيل استقبالها في الصلاة وذكر أن بناءها بهذه الطريقة من عمل عمر بن عبد العزيز الخليفة

---

١ ـ انظر الرسم رقم ١٩ .

٢ ـ يطلق على مكان قبر الرسول ﷺ لفظ روضة . انظر السمهودى : وفاء الوفا ، جـ ٢ ، ص ٥٦٩ ؛ وورد على لسان النبي ﷺ قوله (ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة) انظر البخاري : صحيح البخاري ، جـ ١ ، ص ٢٠٧ .

الأموي عندما كان والياً على المدينة بأمر من الخليفة الوليد بن عبد الملك مخافة أن تتخذ مصلى . أما اطوال جهاتها فقد حدد ابن جبير منها الجهة القبلية بأربعة وعشرين شبراً والجهة الشرقية ثلاثين شبراً وما بين الركن الشرقي إلى الركن الشمالي مسافة خمسة وثلاثين شبراً ، ومن الركن الشمالي إلى الركن الغربي مسافة تسعة وثلاثين شبراً ومن الركن الغربي إلى الركن القبلي مسافة أربعة وعشرين شبراً ، وفي هذه الجهة صندوق أبنوس <١> مختوم بالصندل ومطعّم بالفضة موضوع قبالة رأس النبي ﷺ طوله خمسة أشبار وعرضه ثلاثة أشبار وارتفاعه أربعة أشبار .

وفي الجهة الواقعة بين الركن الشمالي والركن الغربي موضع عليه ستر يقال إنه كان مهبط جبريل عليه السلام وأضاف ابن جبير أن مجموع مسافات الروضة من جميع جهاتها مئتان واثنان وسبعون شبراً <٢> .

وقد زينت الروضة بالرخام الجميل المنظر بإرتفاع الثلث أو أقل قليلاً أما الثلث الثاني فمنه مقدار شبر قد علاه المسك والطيب المتراكم على طول الأزمنة ويليه شبابيك من الخشب متصلة بسقف المسجد حيث أن الروضة لا سقف لها ولكنها متصلة بسقف المسجد ، ومن سقف المسجد إلى بداية الرخام الموجود بالروضة تنتهي الستائر الموضوعة عليها وهي لازوردية اللون جميلة النقش محاكة على هيئة مثمنات ومربعات .

كما يوجد في الجهة القبلية أمام وجهة النبي ﷺ مسمار من الفضة <٣> يقف الناس أمامه .

---

١ ـ ذكر السمهودي أنه لا يعلم متى بدأ أمره . انظر السمهودي : وفاء الوفا ، جـ٢ ، ص ٥٧٤ .

٢ ـ انظر الرسم رقم ٢٠ .

٣ ـ لا يعرف ابتداء امره . انظر السمهودي : وفاء الوفا ، جـ٢ ، ص ٥٧٦ .

وحدد ابن جبير رأس أبي بكر بأنه عند قـدم النبي ﷺ ورأس عمـر بعد كتفي أبي بكر <١> .

وأمام هذه الجهة نحو عشرين قنديلاً من الفضة المعلقة اثنان منها من الذهب ، وفي شمال الروضة حوض صغير من الرخام في قبلته شكل محراب قيل إنه كان بيت فاطمة الزهراء وقيل هو قبرها <٢> ، وطوله أربع عشرة خطوة وعرضه ست خطاً وإرتفاعه شبر ونصف وبينه وبين الروضة الواقعة بين القبر الكريم والمنبر ثمان خطوات .

ويقع المنبر على يمين الروضة بينهما اثنان وأربعون خطوة ومن جهة القبلة عمود يقال أن به بقية الجذع الذي حنّ للنبي ﷺ وشاهد ابن جبير قطعة منه في وسط العمود ظاهـرة <٣> ، يقوم النـاس بتقبيلها والتبرك بلمسها ومسح خدودهم بها <٤> .

المنبر :

ارتفاعة قدر قامة أو أكثر وسعته خمسة أشبار وطوله خمس خطوات وعدد درجة ثمانية وله باب على شكل الشباك مقفل يفتح يوم الجمعة وطوله أربعة أشبار ونصف . والمنبر مغطى بخشب الأبنوس ومكان جلوس النبي ﷺ ظاهر في أعلاه ولكنه غطي بلوح من الأبنوس صيانة له من الجلوس عليه <٥> ، واعتاد الناس إدخال أيديهم إليه للتبرك به .

---

١ ـ تعددت الروايات في كيفية ترتيب القبور الثلاثة.انظر ابن النجار:أخبار مدينة الرسول،ص ١٣٥ـ ١٣٨ .

٢ ـ انظر فيما سبق ، ص ٢٢١ وما يأتي ص ٤٢٧ .

٣ ـ انظر فيما سبق ، ص ٢١٩ ـ ٢٢٠ .

٤ ـ ابن جبير : الرحلة ، ص ١٦٩ ـ ١٧٠ ؛ العبدري:الرحلة المغربية ، ص ٢٠٥ ؛ابن بطوطة : الرحلة ، ص ١١٤ وهذه من الأمور التي لا يجوز فعلها وكانت منتشرة في تلك الفترة بشكل بدت وكأنها من القربات إلى الله .

٥ ـ وجدت اختلافات في وصف منبر الرسول ﷺ مما يؤكد امتداد الأيدى إليه بالتعمير والتجديد . انظر السمهودي : وفاء الوفا ، جـ٢ ، ص ٢٩٩ ـ ٣٠٧ .

ويوجد في رأس قائم المنبر الأيمن حلقة من فضة مجوفة مكان وضع الخطيب يده وقت الخطبة قيل إنها لعبة الحسن والحسين رضي الله عنهما حين خطبة جدهما ﷺ <١> .

أما طول المسجد النبوي فمائة وست وتسعون خطوة وعرضه مائة وست وعشرون خطوة وفيه من السواري مئتان وتسعون سارية وهي أعمدة متصلة بسقف المسجد دون أقواس فكأنها دعائم له وهي من حجر منحوت قطع بشكل مستدير مركبة بعضها فوق بعض وصب بين كل قطعة وأخرى الرصاص المذاب فأصبحت عاموداً قائماً مغطى بالجيار <٢> اللين التي اتقن دلكاً وصقلاً حتى بدت كأنه رخام أبيض <٣> أما البلاط المتصل بالقبلة ففيه المقصورة والمحراب ويقيم الإمام الصلاة في الروضة الصغيرة إلى جانب الصندوق وبينها وبين الروضة والقبر محمل كبير مدهون عليه مصحف كبير في غشاء مقفل يقال إنه أحد المصاحف الأربعة التي بعث بها عثمان بن عفان رضي الله عنه إلى البلدان ، ويبدو أن هذا المصحف ليس أحد المصاحف التي أرسلها عثمان بن عفان إلى الامصار وإنما هو مصحف بعث به الحجاج بن يوسف إلى المدينه ضمن المصاحف التي بعث بها إلى امهات الامصار <٤> وبجانب هذه المقصورة من جهة الشرق خزانتان كبيرتان تحتويان على الكتب والمصاحف الموقوفة على المسجد ، كما يوجد أمام الروضة شباك من الحديد مفتوح على

---

١ ـ وهذا أمر غير صحيح وإنما كان من جملة ما انتشر بين الناس في ذلك الوقت . انظر : ابن جبير : الرحلة ، ص ١٧٠ .

٢ ـ الجيار : النورة . انظر ابن منظور : لسان العرب ، جـ٤ ، ص ١٥٧ .

٣ ـ إن وصف ابن جبير لحالة المسجد النبوي المعمارية يوضح لنا مدى مهارة البنائين وإتقانهم لعملهم في ذلك الوقت .

٤ ـ انظر ابن النجار : أخبار مدينة الرسول ، ص ١٠٦ ؛ السمهودي : وفاء الوفا ، جـ ٢ ، ص ٦٧٠ .

الروضة وفي البلاط الثاني من جهة الشرق توجد فتحة مغطاة تؤدي إلى سرداب ينفذ إليها بواسطة درج تحت الأرض تفضى إلى خارج المسجد هي موضع الخوخة المفضية لدار أبي بكر التي أمر النبي ﷺ بإبقائها ‹١› .

ويوجد أمام الروضة صندوق كبير لوضع الشمع المستخدم للإنارة أمام الروضة كل ليلة ، وفي أعلى المحراب الموجود في جدار القبلة بداخل المقصورة حجر مربع أصفر سعته شبر في شبر ذو بريق قيل إنه مرآة كسرى وفي أعلاه داخل المحراب مسمار مثبت في الجدار به شبه علبة صغيرة غير معروفة قيل إنها كأس كسرى ‹٢› .

وغطى جدار القبلة السفلي برخام مجزع متعدد الألوان والنصف الأعلى منه مغطى بالفسيفساء اتخذت هيئة أشجار مختلفة الأشكال ذات أغصان مائلة محملة بالثمار وشمل ذلك جميع المسجد في حين حظي جدار القبلة والجدار المواجه للصحن من جهة القبلة والجهة الشمالية بالنصيب الأكبر . أما الجهة الغربية والشرقية فهما ابيضان مزينان بأنواع كثيره من الأصباغ .

وفي الجهة الشرقية من المسجد بيت مصنوع من أعواد خاص ببعض السدنة القائمين على حراسة المسجد وقد جعل مكاناً لنومهم .

---

١ ـ انظر فيما سبق ، ص ٢٢١ .

٢ ـ انظر فيما سبق ، ص ٢٢١ .

أبواب المسجد النبوي :

وللمسجد تسعة عشر باباً لم يبق منها مفتوحاً سوى أربعة <١> ، في الغرب اثنان يعرف احدهما بباب الرحمة والآخر باب الخشية ، وفي الشرق اثنان يسمى أحدهما بباب جبريل والثاني بباب الرجاء <٢> ، ويقابل باب جبريل دار عثمان بن عفان رضي الله عنه التي استشهد فيها ، كما يوجد باب صغير واحد من جهة القبلة مغلق وفي الجهة الشمالية أربعة أبواب مغلقة وفي الغرب خمسة أخرى مغلقة وفي الشـــرق خمســـة مغلقة أيضاً <٣> ، فكمل عددها بالأربعة المفتوحة تسعة عشر باباً <٤> .

مآذن المسجد النبوي :

للمسجد النبوي ثلاث مآذن أحدها في الركن الشرقي المتصل بالقبلة والاثنان الباقيتان في الجهة الشمالية وهما صغيرتان على هيئة برجين <٥> .

---

١ ـ ربما سدت هذه الأبواب عقب المحاولات الرامية للتعدي على قبر الرسول ﷺ والتي كانت إحداها زمن نور الدين زنكي والأخرى زمن صلاح الدين الأيوبي والأرجح أن تكون سدّت عقب المحاولة الأولى ، انظر أبو شامـة : الروضتين ، جـ٢ ، ص ٣٥ ـ ٣٧ ؛ السمهـــودي : وفـــاء الوفـــا ، جـ ٢ ، ص ٦٤٨ ـ ٦٥٤ .

٢ ـ ربما وقع تصحيف في اسم هذا الباب فالأرجح أن يكون باب النساء وليس الرجاء خاصة وأن العبدري يذكره بباب النساء وجميع ما ذكره ابن جبير عن هذه الأبواب يوافق تماماً ما ذكره السمهودي واختلف في بعضها وذكرها بأسمائها القديمة ابن النجار . انظر ابن النجار : اخبار مدينة الرسول ، ص ١٠٩ ؛ العبدري : الرحلة المغربية،ص ٢٠٤ ؛ السمهودي : وفاء الوفا ، جـ ٢ ، ص ٦٨٦ ـ ٧٠٦ .

٣ ـ سدت الأبواب جميعها ماعدا الأربعة الرئيسية في عهد العبدري . انظر العبدري : الرحلة المغربية ، ص ٢٠٤ ـ ٢٠٥ .

٤ ـ ابن جبير : الرحلة ، ص ١٧٢ ـ ١٧٣ .

٥ ـ اختلفت الحـــال بعد الحريق والأرجح أنها بنيت مرة أخرى لتماثل المئذنة الأولى . انظر ابن جبير : الرحلة ، ص ١٧٣ ؛ العبدري : الرحـــلة المغربية ، ص ٢١٧ ؛ السمـــهودي : وفاء الوفا ، جـ ٢ ، ص ٥٢٦ ـ ٥٢٧ .

كان هذا حال المسجد النبوي المعماري قبل الحريق ويأتي وصف المسجد النبوي عقب التعمير والتجديد القائم بعد الحريق مباشرة فيمدنا العبدري بوصفٍ للحال التي اصبح المسجد النبوي عليها بعد إجراء التجديدات والترميمات ويتبين لنا من خلال وصفه مدى التغييرات التي حدثت للمسجد وسد ما كان مغلقاً من الأبواب وقت رحلة ابن جبير .

وما ذكره العبدري لا يختلف في هيئته العامة عن وصف ابن جبير وإن اختلف معه في بعض الأمور منها إرتفاع سقف المسجد والذي صبغ باللون الأبيض وصحن المسجد محاط بسقائف جميلة المنظر كما حلّ الرمل الأحمر بدل الحصى والذي كان مفروشاً بصحن المسجد على عهد ابن جبير ، وحلول الفضة بدل الجيار على الأساطين العالية المسكة بسقف المسجد ، واستبدلت القبة الموجودة في صحن المسجد والخاصة بتخزين أدوات المسجد ببيت صغير مربع جميل استخدم كمخزن لأدوات المسجد وبجواره بعض اشجار النخيل الصغيره ‹١› .

وقد سدت جميع أبواب المسجد النبوي وأشار العبدري إلى وجود باب بقرب الروضة عبارة عن نفق في الأرض يصل إليه بواسطة درج ويفضي إلى حُجر في قبلة المسجد قيل انها حجر ازواج النبي ﷺ ونبه على بطلان ذلك ‹٢› .

---

١ ـ يبدو أن النخلات التي أشار إلى وجودها ابن جبير قد حرقت فزرع بدلاً عنها هذه النخلات الصغار ، وذكر السمهودي أن غرسها هناك بدعة . انظر السمهودي : وفاء الوفا ، جـ ٢ ، ص ٦٨٢ . انظر الرسم رقم ٢١ .

٢ ـ نجد أن العبدري نبه في حينه على بطلان ذلك ونلاحظ مدى اختلاق العامة أموراً قد يصدقها الحجاج فمعروف أن حجرات النبي ﷺ قد دخلت في المسجد في الزيادة التي قام بها الوليد بن عبد الملك كما وأن اختلاق مثل هذه الأمور كانت متفشية بسبب استجلاب الأموال من الحجاج .

ويبدو أن مآذن المسجد قد جددت حيث ذكر العبدري وجود ثلاث مآذن بشكل واحد الأولى في مؤخرة المسجد واثنان في الركنين الجنوبيين .

وأشار العبدري أيضاً إلى عدد سواري المسجد النبوي بأنها مائتان وست وسبعون بدون تحقيق منه فهو لم يقم بإحصائها لإنشغاله بالنواحي العلمية وقصر مدة إقامته بالمدينة ‹١› .

وأوضح العبدري أن هناك ممراً ضيقاً بين الروضة والجدار الشرقي محلّى بالرخام الأبيض من أسفله إلى أعلاه بإتقان ، وأشار أيضاً إلى وجود صندوق مبني في جدار الروضة أمام رأس النبي ﷺ . كما يوجد علم أمام رأس أبي بكر وآخر أمام رأس عمر رضى الله عنهما ‹٢› . كما لفت انتباهه جمال كسوة الروضة المجددة في كل عام مثل كسوة الكعبة المشرفة ‹٣› .

المنبر :

أوضح العبدري أن الحريق أصاب المنبر ضمن النفائس المحترقة في المسجد النبوي ولم يبق منه إلا قطعة صغيرة فاستبدل بمنبر آخر شاهده وجعلت القطعة المتبقية في داخل المنبر الجديد الذي أحدث به ثقب يدخل الناس أيديهم فيه للمس القطعة المتبقية والتبرك بها ‹٤› .

---

١ ـ العبدري : الرحلة المغربية ، ص ٢٠٤ ـ ٢٠٥ .

٢ ـ لا شك أن الصندوق جدد فقد تلف أثناء الحريق . كما نلاحظ وجود علم عند رأس كل من أبي بكر وعمر رضي الله عنهما وهو ما لم يذكره ابن جبير مما يعنى وجود إضافات بالمسجد النبوي حدثت أثناء تجديده . انظر السمهودي : وفاء الرفا ، جـ ٢ ، ص ٥٧٤ ـ ٥٧٥ .

٣ ـ العبدري : الرحلة المغربية ، ص ٢٠٥ .

٤ ـ هذه من الأمور المبتدعة التي لا يقرها الشرع حتى لو سلمنا أن هذه القطعة من المنبر ، خاصة وأن جميع أخشاب المسجد ومنه المنبر قد احترقت فكيف عرف أن هذه القطعة هي من المنبر فيكون تحايلهم للمسة في غير محله .

أما ابن بطوطة والبلوي فلم يضيفا شيئاً جديداً لما سبق بل ولعلهما اعتمدا في وصفهما على ابن جبير . إلا أن البلوي أورد نصاً منقوشاً يشير إلى أن الملك الظاهر قدم المدينة سنة ٦٦٨هـ/١٢٦٩م وقام بالخدمة في الروضة ونص النقش « **بسم الله الرحمن الرحيم خدم بهذه الدار بزينة للحرم الشريف مولانا السلطان الملك الظاهر ركن الدنيا والدين أبي الفتح بيبر الصالحي قسيم أمير المؤمنين في سنة ثمان وستين وستمائة** » <١> ، وذكر ابن كثير وابن دقماق قدوم الملك الظاهر إلى الحجاز في سنة ٦٦٧هـ/١٢٦٨م وزيارته للمدينة المنورة وخروجه منها حاجاً إلى مكة المكرمة ويضيف ابن كثير أنه عاد مرة أخرى إلى المدينة بعد أدائه فريضة الحج <٢> .

ونلاحظ إن تاريخ النقش يزيد سنة عن السنة التي حج فيها الملك الظاهر ولعل هذا يرجع إلى أن القيام بالنقش إنما تم في سنة ٦٦٨هـ/١٢٦٩م خاصة وأن الملك الظاهر قد أرسل من مصر في رجب سنة ٦٦٨هـ/١٢٦٩م درابزينات للحجرة النبوية وأمر أن تقام حول القبر صيانة له وعمل أبواباً لها تفتح وتقفل فركب ذلك عليها <٣> .

---

١ ـ ابن بطوطة : الرحلة ، ص ١١٤ ـ ١١٩ ؛ البلوي : تاج المفرق ، جـ ١ ، ص ٢٨٥ ـ ٢٨٧ .

٢ ـ ابن كثير : البداية والنهاية ، جـ ١٣ ، ص ٢٥٤ ـ ٢٥٥ ؛ ابن دقماق : الجوهر الثمين ، جـ ٢ ، ص ٧٥ .

٣ ـ ابن كثير : البداية والنهاية ، جـ ١٣ ، ص ٢٥٦ ـ ٢٥٧ .

المساجد بالمدينة المنورة :

مسجد حمزة رضي الله عنه :

أشار إليه ابن جبير وحدد موقعه في قبلي جبل أحد وأغفل وصفه <١> ، ووصفه ابن النجار بأنه قريب من مشهد حمزة بأحد وأشار بإتفاق أهل المدينة في أن موضعه مكان استشهاد حمزة رضي الله عنه <٢> ، بينما ذكر السمهودي أن تاريخ بنائه عائد إلى المائة الثانية من الهجرة وسماه مسجد العسكر <٣> .

مسجد قباء :

وصفه ابن جبير وابن بطوطة بأنه مسجد مربع الشكل له مئذنة طويلة بيضاء تظهر من بعد وهو حديث البناء وفي وسطه روضة صغيرة هي مكان مبرك الناقة بالنبي ﷺ ويحرص الناس على الصلاة فيها . كما يوجد في صحنه من ناحية القبلة شبه محراب على مصطبة هو أول موضع ركع فيه النبي ﷺ واحتوت القبلة على عدة محاريب وله باب واحد في الجهة الغربية والمسجد به سبع بلاطات في الطول ومثلها في العرض <٤> .

وقد أشار ابن النجار أن الوزير الجواد قام بتجديده بعد تجديد وتوسيع عمر بن عبد العزيز له بعدة قرون <٥> ، لذا فعندما شاهده ابن جبير ذكر بأنه مجدد لقرب العهد بين تجديده ورحلته .

---

١ ـ ابن جبير : الرحلة ، ص ١٧٣ .

٢ ـ ابن النجار : أخبار مدينة الرسول ، ص ٥٨ .

٣ ـ السمهودي : وفاء الوفا ، جـ ٣ ، ص ٨٤٩ ، ٨٢٢ .

٤ ـ ابن جبير : الرحله ، ص ١٧٤ ؛ ابن بطوطه : الرحله ، ص ١٢٥ .

٥ ـ ابن جبير : الرحلة ، ص ١٧٤ ؛ ابن النجار : أخبار مدينة الرسول ، ص ١١٣ ؛ ابن بطوطة : الرحلة ، ص ١٢٥ .

وأضـــاف البلوي أن بأعلى المحــراب نقش به [« **بسم الله الرحمن الرحيم لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ** » <١> **هذا مقام النبي ﷺ جدد هذا المسجد في تاريخ سنة إحدى وسبعين وستمائة**] وأكد البلوي أن للمسجد مئذنة مرتفعة بحيث يراها الناس من بعد <٢> .

ويظهر من كلام السـمهودي أن المسـجد قد جـدد مـرتين إحداها سنة ٥٥٥هـ/١١٦٠م والأخـرى سنة ٦٧١هـ/١٢٧٢م ، وهي المرة التي أشـار إليـهـا البلوي ، إلى جانب ذكره لوجود المحاريب في قبلته ، أما مكان مبرك الناقة بالرسول ﷺ فلم يفصّل السمهودي فيه برأي قاطع <٣> .

ولكننا نلاحظ اختـلافـاً واضـحـاً بين وصـفـه هنا وبين وصف صـاحب الاستبصار حيث يقول إنه مسجد مربع به ثلاث بلاطات وله ثلاث أبواب <٤> .

---

١ ــ القرآن الكريم : سورة التوبه ، ٩ / ١٠٨ .

٢ ــ البلوي : تاج المفرق ، جـ ١ ص ٢٨٧ ــ ٢٨٨ . انظر الرسم رقم ٢٢ .

٣ ــ السمهودي : وفاء الوفا ، جـ ٣ ، ص ٨٠٧ ــ ٨١٠ .

٤ ــ مؤلف مجهول : الاستبصار ، ص ٤٢ ــ ٤٣ ، وربما يكون وصفه قبل تجديده للمرة الأولى أي قبل سنة ٥٥٥هـ/١١٦٠م وعليه فيكون قدومه للحجاز قبل هذا التاريخ .

مسجد علي بن أبي طالب رضي الله عنه :

يقع في طريق أُحد أشار إليه ابن جبير وابن بطوطة دون وصفه <١> ، وذكره ابن النجار دون نسبته لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه حيث عده ضمن ثلاثة مساجد أشار إلى خرابها أمام مسجد الفتح <٢> .

وأكد السمهودي إصابته بالتلف على عهده وتجديده فيما بعد وأضاف إنه منسوب لعلي ابن أبي طالب لانتشار ذلك بين الناس ، كما أشار إلى صلاة الرسول ﷺ به <٣> .

وأوضح علي حافظ أن سبب نسبته لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه أمّ الناس فيه وقت صلاة العيد عندما كان عثمان بن عفان رضي الله عنه محصوراً بمنزله <٤> .

مسجد سلمان الفارسي رضي الله عنه :

اكتفى كل من الرحالة ابن جبير وابن بطوطة والبلوي بذكره دون وصفه <٥> ولعل السبب في ذلك أنه كان خراباً في ذلك الوقت إلا أن آثار بنائه مازالت باقية إضافة إلى ماتناقلته الشائعات على ألسنة الناس حول نسبته إلى سلمان الفارسي وذكره ابن النجّار ضمن الثلاثة مساجد الواقعة أمام مسجد

---

١ ـ ابن جبير : الرحلة ، ص ١٧٦ ؛ ابن بطوطة : الرحلة ، ص ١٢٥ ؛ البلوي : تاج المفرق ، جـ ١ ، ص ٢٨٨ .

٢ ـ ابن النجار : أخبار مدينة الرسول ، ص ١١٤ .

٣ ـ السمهودي : وفاء الوفا ، جـ ٣ ، ص ٨٣٦ ـ ٨٣٧ . انظر الرسم رقم ٢٣ .

٤ ـ على حافظ : فصول من تاريخ المدينة المنورة ، ص ١٤٧ ـ ١٤٨ .

٥ ـ ابن جبير : الرحلة ، ص ١٧٦ ؛ ابن بطوطة : الرحلة ، ص ١٢٥ ؛ البلوي : تاج المفرق ، جـ ١ ، ص ٢٨٨ .

الفتح ، واستمر على حالة في عهد السمهودي وفيما يبدو أنه قد امتدت إليه يد البناء والتعمير فيما بعد وأكد السمهودي على شهرة نسبته لسلمان الفارسي حسب معلومات الناس ‹١› ، وأضاف أن الرسول ﷺ قد أقام الصلاة فيه وفي المساجد الأخرى التي تنعت بمساجد الفتح ‹٢› .

مسجد الفتح :

أغفل وصفه ابن جبير وابن بطوطة والبلوي ولكنهم أكدوا نزول سورة الفتح فيه على النبي ﷺ ‹٣› ، وذكر ابن النجار أن الرسول ﷺ دعا فيه يوم الخندق على الأحزاب وأشار إلى تشييده مع إغفاله ذكر السنة التي تّم فيها ذلك ‹٤› ، وأضاف السمهودي أن الرسول ﷺ أقام الصلاة فيه وفي المساجد الموجودة حوله وهي المسجد المنسوب لعلي بن أبي طالب والمسجد المنسوب لسلمان الفارسي ومسجد منسوب لأبي بكر رضي الله عنهم والأخير لم يبق له أثر .

وقد جدد مسجد الفتح زمن عمر بن عبد العزيز عند بناء المسجد النبوي وجدد عقب ذلك سنة ٥٧٥هـ/١١٧٩م كما تم تجديد المسجدين المنسوبين لعلي ولسلمان سنة ٥٧٧هـ/١١٨١م . وذكر السمهودي في سبب تسميته بمسجد الفتح روايتين لم يرجح أي منهما الأولى قيل إن ذلك راجع لإجابة دعاء الرسول ﷺ على الأحزاب فيه فكانت فتحاً على الإسلام ، وقيل لنزول سورة الفتح به ‹٥› .

---

١ ـ ابن النجار : أخبار مدينة الرسول ، ص ١١٤ ؛ السمهودي : وفاء الوفا ، جـ ٣ ، ص ٨٣٦ ـ ٨٣٧ ؛ وقد حدد علي حافظ مكانه بأنه بعد مسجد الفتح من جهة الجنوب . انظر علي حافظ : فصول من تاريخ المدينة ، ص ١٤٣ .

٢ ـ انظر الرسم رقم ٢٣ .

٣ ـ ابن جبير : الرحلة ، ص ١٧٦ ؛ ابن بطوطة : الرحلة ، ص ١٢٥ ؛ البلوي : تاج المفرق ، جـ ١ ، ص ٢٨٨ .

٤ ـ ابن النجار : أخبار مدينة الرسول ، ص ١١٤ .

٥ ـ السمهودي : وفاء الوفا ، جـ ٣ ، ص ٨٣٥ ـ ٨٣٧ .

بينما ذكر القرطبي وابن كثير أن سورة الفتح نزلت في الحديبية <١> ، وعلى كل حال فقد اجمعت كتب التفاسير على أن سورة الفتح قد نزلت بالحديبية .

المساجد بجُدة :

لم يذكر ابن جبير بجُدة إلا مسجدين الأول نسبة إلى عمر بن الخطاب دون إيراد أوصافه المعمارية ، ونسب الآخر لهارون الرشيد إلى جانب تفاصيله المعمارية حيث أشار إلى وجود ساريتين كبيرتين من خشب الأبنوس فسمي مسجد الأبنوس .

وأكد التجيبي معلومات ابن جبير حول مسجد الأبنوس في سبب تسميته بذلك . وذكر روايتين الأولى حول نسبته إلى عمر بن الخطاب مع إشارته إلى ضعفها ، أما الرواية الثانية فتنسب إلى عمر بن عبد العزيز ولعلها الأرجح في ذلك <٢> .

وعلى ضوء ما سبق يمكن قبول ما ذهب إليه التجيبي باعتبار أن جُدة لم تصبح ذات شأن كبير وميناءاً لمكة المكرمة إلا في عهد عثمان بن عفان رضى الله عنه <٣> ، وذكر ابن فرج أن أول مسجد شيد في جُدة كان بأمر من عمر بن الخطاب ويماثله في القدم مسجد آخر يسمى مسجد الأبنوس <٤> ، ويحمل قول ابن فرج عدم تأكيد بناء عمر بن الخطاب لهذا المسجد ، ويحمل مسجد الأبنوس

---

١ ـ انظر مثلاً القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، جـ ١٦ ، ص ٢٦٠ ـ ٢٦١ ؛ ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، جـ ٤ ، ص ١٨٢ .

٢ ـ ابن جبير : الرحلة ، ص ٥٣ ؛ التجيبي : مستفاد الرحلة ، ص ٢١٨ ـ ٢١٩ .

٣ ـ الفاسي : شفاء الغرام ، جـ ١ ، ص ١٤١ .

٤ ـ ابن فرج : السلاح والعدة في تاريخ بندر جدة ، ص ٥١ .

الآن اسم مسجد عثمان بن عفان رضي الله عنه ‹١› ، وتبدو نسبته إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه أرجح على اعتبار أنه أول من جعلها ساحلاً ومرفأ لمكة المكرمة وبالتالي قيامه بإنشاء مسجد فيها ينسب إليه .

أما ما أورده التجيبي من نسبته إلى عمر بن عبد العزيز فربما يرجع ذلك إلى قيامه بإصلاحات فيه أدت إلى نسبة المسجد إليه ، وربما نسب لهارون الرشيد للسبب ذاته ، وقد ناقش عبد القدوس الأنصاري الأقوال في نسبة المسجد ‹٢› .

أما ابن بطوطة فأشار إلى وجود مسجد الأبنوس في جدة ‹٣› .

ومما يلفت النظر أن الرحالة لم يتعرضوا لذكر المساجد في طريق الحجاز إلا مسجداً بينبع ينسب لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه وهذا المسجد يقع خارجها وقد وصف بأنه ذو بناءٍ محكم جميل ‹٤› ، ومسجد آخر ببدر وصف بالصغر والجمال ويقال إنه أقيم على موضع مبرك ناقة الرسول ﷺ عند نخيل القليب ‹٥› ، كما يوجد مسجد متهدم بالقرب من مبرك ناقة صالح عليه السلام في حجر ثمود ‹٦› وبذي الخليفة مسجد آخر ‹٧› ، ويشير العبدري إلى المساجد الموجودة في الطريق ما بين مكة المكرمة والمدينة المنورة بأنها غير معمورة ‹٨› .

---

١ ـ المصدر السابق ، ص ١٠٩ ؛ عبد القدوس الأنصاري : موسوعة تاريخ جدة ، ص ٤٢٩ .

٢ ـ عبد القدوس الأنصاري : موسوعة تاريخ جدة ، ص ٤٢٩ ـ ٤٣٠ .

٣ ـ ابن بطوطة : الرحلة ، ص ٢٤٣ .

٤ ـ العبدري : الرحلة المغربية ، ص ١٦٣ .

٥ ـ ابن جبير : الرحلة ، ص ١٦٥ ـ ١٦٦ ؛ العبدري : الرحلة المغربية ، ص ١٦٣ ـ ١٦٤ .

٦ ـ ابن رشيد : ملء العيبة ، جـ ٥ ، ص ١٤ ـ ١٥ ؛ ابن بطوطة : الرحلة ، ص ١١٢ ـ ١١٣ ؛ البلوي : تاج المفرق ، جـ ١ ، ص ٢٧٨ .

٧ ـ ابن جبير : الرحلة ، ص ١٦٧ ؛ العبدري : الرحلة المغربية ، ص ٢٠١ ؛ ابن رشيد : ملء العيبة ، جـ ٥ ، ص ٧١ .

٨ ـ العبدري : الرحلة المغربية ، ص ١٩١ .

ثالثاً : العمارة المدنية :

المدارس :

سبق الإشارة لهذا الموضوع في الناحية العلمية وما يهمنا هنا هو إيراد التفاصيل المعمارية لتلك المدارس والواقع أن معلوماتنا في هذا الصدد شبه معدومة ولا نعرف سبباً واضحاً لإغفال الرحالة إيراد تلك الأوصاف ، وأما ما يتعلق بالمدرسة المظفرية في مكة المكرمة والمشيدة باسم الملك نور الدين عمر بن رسول ملك اليمن والواقعة عند باب العمرة <١> حيث استأثرت بإهتمام المؤرخين واسبغوا عليها عبارات العظمة وعلو الشأن في ذلك الوقت <٢> فنستطيع القول إن مردّ ذلك الاهتمام عائداً إلى دورها العلمي في خدمة القادمين إليها من مختلف بقاع الأرض والأرجح أن عظم شأنها يرجع كما نرى إلى دورها العلمي الكبير ولا ننسى أن بلاد الحجاز كانت محطاً للكثير من العلماء في مختلف بقاع الأرض أما في المدينة المنورة فتوجد مدرسة تقع مقابل باب الرحمة ولا يعرف اسمها في حين اطلق عليها ابن جابر اسم الشهابية <٣> وأيضاً ليست لدينا أية تفاصيل عن أوصافها المعمارية .

---

١ ـ العبدري : الرحلة المغربية ، ص ١٧٤ ؛ التجيبي : مستفاد الرحلة ، ص ٢٤٦ ، ٢٦٢ ؛ ابن بطوطة : الرحلة ، ص ١٣٩ .

٢ ـ الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، جـ ١ ، ص ٨٢ ؛ ابن فهد : اتحاف الورى ، جـ ٣ ، ص ٦٠ . انظر ما سبق ، ص ٢٦٦ .

٣ ـ ابن جابر الوادى آشي : البرنامج ، طبعة ١٤٠١هـ/١٩٨١م ، ص ٤٨ ـ ٤٩ ؛ البلوي : تاج المفرق ، جـ ١ ، ص ٢٨٧ .

الأربطة :

الأربطة في مكة المكرمة :

أورد الرحالة المغاربة والأندلسيون أسماء عددٍ من الأربطة بمكة المكرمة ولكن على اختصار شديد فمنها :

رباط الصوفية :

يقع بجوار باب بنى شيبة وله باب ينفذ منه إلى المسجد الحرام يسمى باب الرباط وهو باب صغير بجوار باب بنى شيبة ، وأشار إليه التجيبي بينما سماه ابن بطوطة رباط السدره وذكر أن بابه يفتح على المسجد الحرام بجانب باب بني شيبة وسماه باب الرباط أيضاً <١> .

وذكر الفاسي أن هذا الرباط واقع بالجانب الشرقي من المسجد الحرام على يسار الداخل إليه من باب بني شيبة وسماه رباط السدره وأرخ لسنة وقفه بسنة ٤٠٠هـ/١٠٠٩م دون ذكر القائم بذلك <٢> .

رباط بأعلى جبل أبي قبيس :

أغفل ذكره ابن جبير وذكره ابن بطوطة وأشار إلى عزم الملك الظاهر تعميره <٣> ويبدو أن ابن بطوطة انفرد بذكر هذا الرباط ، حيث لم نقع على خبر له ضمن المصادر التي تناولناها .

---

١ ـ ابن جبير :الرحلة ، ص ٨٢ ؛ التجيبي : مستفاد الرحلة ، ص ٢٤٥ ؛ ابن بطوطة :الرحلة ، ص ١٣٩ .

٢ ـ الفاسي : شفاء الغرام ، جـ ١ ، ص ٥٢٧ .

٣ ـ ابن جبير : الرحلة ، ص ٨٥ ؛ ابن بطوطة : الرحلة ، ص ١٤٤ .

رباط مراغة :

أشار إليه ابن رشيد دون وصفة وتحديد موقعه <١> في حين قام الفاسي بتحديد موقعه قائلاً :

إنه ملاصق لرباط السدرّه بالجانب الشرقي من المسجد الحرام على يسار الداخل إليه من باب بني شيبة ونسبة إلى قاضي القضاة أبي بكر محمد بن عبد الله بن عبد الرحيم المراغي <١> .

وأصل الرباطين دار القوارير وقد تداولت الأيدي هذه الدار حتى أصبحت رباطين متلاصقين أحدهما يعرف برباط المراغي والآخر برباط السدره <٣> .

رباط الموفق :

أشار إليه التجيبي دون وصفه أو تحديده بينما ذكر ابن بطوطة أنه بالقرب من باب إبراهيم وأنه من أفضل الأربطة <٤> ، أما الفاسي فذكر أنه بأسفل مكة وقد أوقف سنة ٦٠٤هـ/١٢٠٧م وذلك من نقشي على حجرٍ وجد به <٥> .

---

١ ـ ابن رشيد : ملء العيبة ، جـ ٥ ، ص ١٤٤ ، ٢٣١ .

٢ ـ الفاسي : شفاء الغرام ، جـ ١ ، ص ٥٢٧ .

٣ ـ المصدر السابق والجزء والصفحة .

٤ ـ التجيبي : مستفاد الرحلة ، ص ٤٥٦ ؛ ابن بطوطة : الرحلة ، ص ١٤٠ .

٥ ـ الفاسي : العقد الثمين ، جـ ١ ، ص ١٢٢ ؛ الفاسي : شفاء الغرام ، جـ ١ ، ص ٥٣٦ .

رباط العباسي :

انفرد بذكره ابن بطوطة الذي أوضح أنه خصص لسكنى المجاورين وقد شيده الملك الناصر بين الصفا والمروة سنة ٧٢٨هـ/١٣٢٧م <١> ، وأضاف الفاسي أن فيه العلم الأخضر وكـــان مطهـــرة عملها الملك المنصـــور ورباطاً ونقش اسمه عليه <٢> .

رباط الشرابي :

يقع عند باب بني شيبة ذكر ابن بطوطة أن رميثه أمير مكة قد جعله داراً له <٣> ، ونسب الفاسي عمله إلى إقبال الشرابي المستنصري العباسي الذي قام بتشييده إلى جانب منارة باب بني شيبة على يمين الداخل من باب السلام إلى المسجد الحرام وتاريخ عمارته سنة ٦٤١هـ/١٢٤٣م وقد وهبت له الكثير من الكتب إلى جانب تزويده بالمياه <٤> ، وأكد ابن فهد أن الكتب الموقوفة عليه ذات قيمة علمية كبيرة في مختلف أنواع العلوم <٥> ، وهذا يدلنا على ما للأربطة من دور في نشر العلم بسبب محتوياتها النفيسة من الكتب العلمية في تلك الفترة .

---

١ ـ ابن بطوطة : الرحلة ، ص ١٤١ .

٢ ـ الفاسي : العقد الثمين ، جـ ١ ، ص ١٢٠ ؛ الفاسي : شفاء الغرام ، جـ ١ ، ص ٥٣٢ .

٣ ـ ابن بطوطة : الرحلة ، ص ١٤٨ .

٤ ـ الفاسي : شفاء الغرام ، جـ ١ ، ص ٥٢٨ ؛ الفاسي : العقد الثمين ، جـ ١ ، ص ١١٨ .

٥ ـ ابن فهد : إتحاف الورى ، جـ ٢ ، ص ٦٠ .

رباط ربيع :

يقع باجياد <١> وهو من أحسن الأربطة بمكة وأشار ابن بطوطة إلى وجود بئر عذبة بداخله <٢> وحدد الفاسي سنة وقفه بسنة ٥٩٤هـ/١١٩٧م وأوقف على المسلمين الفقراء الغرباء وقام السلطان الأفضل نور الدين علي بن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب بوقفه <٣> .

رباط كلاله :

لم يفصّل ابن بطوطة في حديثه عن هذا الرباط <٤> بينما حدد الفاسي وابن فهد موقعة بالمسعى وذكرا سنة وقفه بسنة ٦٤٤هـ/١٢٤٦م وواقفه أبو القاسم ابن كلالة الطبيبي <٥> .

الأربطة بجُدَّة :

لم يرد ذكر الأربطة بجُدة في كتب الرحالة المغاربة والأندلسيين سوى رباط واحد ينسب لأبي هريرة <٦> أشار إليه التجيبي ومن العجيب أنه لم يقم بمشاهدته مع بقائه بجُدَّة عدة أيام ولعل نسبته لأبي هريرة على سبيل التقدير والذكرى <٧> ، كما لم يشر إلى هذا الرباط أحد من المؤرخين أو الجغرافيين المسلمين الذين اطلعنا على مؤلفاتهم سوى الحميري وذلك بقوله « **وبجُدَّة رباط لأبي هريرة معروف** » <٨> .

ولم يرد ذكر للأربطة بالمدينة المنورة .

---

١ ــ ابن فهد : إتحاف الورى ، جـ ٢ ، ص ٥٦٤ .

٢ ــ ابن بطوطة : الرحلة ، ص ١٥٤ .

٣ ــ الفاسي :شفاء الغرام ، جـ ١ ، ص ٥٣٤ ــ ٥٣٥ ؛ الفاسي :العقد الثمين ، جـ ١ ، ص ١٢١ ــ ١٢٢ ؛ فواز على الدهاس : بحث لم ينشر الأربطة ودورها العلمي والاجتماعي بمكة المكرمة ؛ المدارس في مكة المكرمة في العهدين الأيوبي والمملوكي ، بحث لم ينشر .

٤ ــ ابن بطوطة : الرحلة ، ص ١٥٤ .

٥ ــ الفاسي : شفاء الغرام ، جـ ١ ، ص ٥٣٢ ؛ الفاسي : العقد الثمين ، جـ ١ ، ص ١٢٠ ؛ ابن فهد : إتحاف الورى ، جـ ٣ ، ص ٦٤ .

٦ ــ التجيبي : مستفاد الرحلة ، ص ٢١٩ .

٧ ــ عبد القدوس الأنصاري : موسوعة تاريخ جدة ، ص ٤٣٦ .

٨ ــ الحميري : الروض المعطار ، ص ١٥٧ .

المباني :

المباني بمكة المكرمة :

انفرد ابن جبير وابن بطوطة بوصف مبانيها وخاصة القريبة من الحرم حيث تميزت بإرتفاعها واتصال سطوحها بسطح المسجد الحرام حيث كان أهلها يخرجون منها إلى المسجد الحرام ، كما يمكن الوصول إلى داخل المسجد الحرام عن طريق بعض أبوابها المفضية إليه (١) .

وقد حرص الرحالة المغاربة والأندلسيون على مشاهدة دور بمكة المكرمة وخاصة تلك المرتبطة ببداية الإسلام ولها علاقة بالرسول ﷺ والتي منها :

دار خديجة رضي الله عنها :

ذكر بداخلها أربعة مواضع هي :

١ ـ قبة الوحي .

٢ ـ مولد الحسن والحسين رضي الله عنهما .

٣ ـ مختبأ النبي ﷺ .

٤ ـ قبة مولد السيدة فاطمة الزهراء رضي الله عنها .

---

١ ـ ابن جبير : الرحلة ، ص ١٢٣ ، ٨١ ؛ ابن بطوطة : الرحلة ، ص ١٦٦ ، ١٤٠ ، وهذه إشارة إلى أن الحرم ليس له بوابات تغلق وإنما عبارة عن ممرات الحارات التي بين الدور .

سماها ابن جبير قبة الوحي وأطلق عليها التجيبي اسم دار خديجة وبداخلها قبة تسمى قبـــــة الوحي ، أما ابن بطوطة فسماها قبة الوحي ودار خديجة <١> ، وبهذه الدار كان زواج النبي ﷺ بالسيدة خديجة رضي الله عنها ، كما وجد بها قبة أخرى هي علامة على مكان مولد السيدة فاطمة الزهراء ، وبهذه الدار مولد الحسن والحسين ابني فاطمة الزهراء رضي الله عنهم ، وهذا ولا شك وهم من ابن جبير فالحسن رضي الله عنه ولد بالمدينة في السنة ٣هـ/٦٢٤م وقيل بعد غزوة أحُد بسنة أو سنتين وولد الحسين رضي الله عنه سنة ٦هـ/٦٢٧م بالمدينة أيضاً <٢> .

ويبدو أن هذه الدار قد طرأ عليها العديد من الإصلاحات وجُعلت مسجداً ولم يستخدم للصلاة إلافي أوقات معينة ويتم فتحه عادة يوم مولد النبي ﷺ من كل سنة <٣> . وأحياناً في أيام الموسم فالتجيبي دخلها في تلك ألايام . وبداخل الدار موضع صغير مشابه للصهريج مائل للطول وفي وسطه حجر أسود للدلالة على مكان مولد السيدة فاطمة رضي الله عنها .

وحدد ابن جبير مكان مولد الحسن والحسين رضى الله عنهما بأنهما موضعان متلاصقـــــان عليها حجران مائلان للسواد وضعا علامة على مكان ولادتهما <٤> . ومع إشارة ابن جبير لهذا فقد قـام التجيبي بنفيه <٥> . والواقع أننا

---

١ ـ ابن جبير:الرحلة ، ص ٩١ ؛ التجيبي : مستفاد الرحلة ، ص ٢٣٤ ؛ ابن بطوطة : الرحلة ، ص ١٤٠ .

٢ ـ ابن الأثير : أسد الغابة ، جـ ١ ، ص ٤٨٨ ، ٤٩٦ .

٣ ـ ابن جبير : الرحلة ، ص ٩٢ .

٤ ـ المصدر السابق ، ص ٩١ . انظر الصفحة السابقة .

٥ ـ التجيبي : مستفاد الرحلة ، ص ٢٣٤ .

لا نعرف شيئاً عن كيفية توصل أهل مكة المكرمة لتعيين مكان مولد السيدة فاطمة رضي الله عنها ولا الأساس الذي اعتمدوا عليه في ذلك فالأزرقي في وصفه للدار لم يشر إلى مكان مولد السيدة فاطمة ومالدينا من معلومات في هذا الصدد هو ولادة السيدة خديجة لجميع أولادها بها <١> .

وذكر ابن بطوطة أن مكان هذه الدار بمقربة من باب النبي ﷺ <٢> . ولم يضف البلوي شيئاً على ما سبق سوى نقش في قبة الوحي يدل على تاريخ عمارتها <٣> وقد أيد الفاسي قيام الملك المظفر ملك اليمن بتشييد القبة حسبما جاء في النقش <٤> .

وعلل التجيبي السبب في تسمية قبة الوحي بذلك لنزول الوحي فيها على النبي ﷺ <٥> ، وفي داخل البناء يوجد مكان يشبه القبة تحته فتحة داخل الجدار عليها حجر يقال إنه مقعد الرسول ﷺ والحجر المبسوط فوقها هو الحجر الذي غطى النبي ﷺ عند اختبائه من مرمى الأحجار المقذوفة عليه <٦> .

ويبدو أن الخبر قديم لإشارة عوام الناس إليه على حسب قول الأزرقي الذي استنتج من خلال حديثه مع كبار أهل العلم بمكة المكرمة عند سؤالهم عن هذا الخبر وإجابتهم بعدم علمهم بذلك ، وعلل الأزرقي وجود المكان قائلاً : إن أهل مكة اعتادوا اتخاذ صفائح من الحجارة في منازلهم تستخدم كأرفف يوضع عليها المتاع والآنية من الصيني وغيره وقلّ أن يخلو بيت من تلك الأرفف <٧> .

---

١ ـ الأزرقي : أخبار مكة ، جـ ٢ ، ص ١٩٩ .

٢ ـ ابن بطوطة : الرحلة ، ص ١٤٠ .

٣ ـ البلوي : تاج المفرق ، جـ ١ ، ص ٣١١ .

٤ ـ الفاسي : شفاء الغرام ، جـ ١ ، ص ٤٣٨ .

٥ ـ التجيبي : مستفاد الرحلة ٣٢٣ ـ ٣٢٤ .

٦ ـ ابن جبير : الرحلة ، ص ٩١ ؛ البلوي : تاج المفرق ، جـ ١ ، ص ٣١١ . وهذا غير صحيح لأنه لو كان هذا المكان معرض للحجارة لانتقل النبي ﷺ لمكان آخر يكون فيه بعيداً عن مرماها ولم يبق في مكانه معرضاً نفسه لقذف الحجارة ومختبئاً داخل الجدار .

٧ ـ الأزرقي : أخبار مكة ، جـ ٢ ، ص ٢٠٠ . انظر الرسم رقم ٢٤ ، ٢٥ .

وأضاف ابن جبير أن على كل موضع من مواضع الموالد الثلاثة قبة خشب متحركة يقوم الزائر بتنحيتها ولمس الموضع تبركاً <١> ، والجدير بالذكر عدم وجود معلومات مفصلة عن عمارة المسجد الموجود بالدار .

دار مولد النبي ﷺ :

تحدث كل من ابن جبير والبلوي عن التفاصيل المعمارية لموضع مولد النبي ﷺبقولهم إنه مكان مجوّف يبلغ اتساعه ثلاثة أشبار وتوجد في وسطه رخامة خضراء محاطة بالفضة سعتها شبر وسعة الرخامة ثلثا شبر ، وبجانب الموضع محراب محلى بالذهب وتقع هذه الدار شرقي الكعبة <٢> .

وأشار التجيبي إلى وجود أثر كوّة في حائط الدار يقال إنها أثر عمامة النبي ﷺ لاستناده إلى الحائط تاركاً أثرها بعد أن لان له .

---

١ ـ ابن جبير : الرحلة ، ص ١٤٢ . وهذا الأمر كان في فترة كثر فيها مثل هذه الأفعال . وتقع هذه الدار في الوقت الحاضر في الزقاق المعروف بزقاق الحجر أو زقاق العطارين بسوق الليل المعروف بسوق الصاغة . انظر فيصل عراقي : الأماكن المأثورة في مكة المكرمة ، مجلة المنهل ، العدد ٤٧٥ ، المجلد ٥١ ، الربيعان ١٤١٠هـ/اكتوبر ونوفمبر ١٩٨٩م ، ص ٥٦ .

٢ ـ ابن جبير : الرحلة ، ص ١٤١ ؛ البلوي : تاج المفرق ، جـ ١ ، ص ٣١١ ـ ٣١٢ وتقع هذه الدار في زقاق الصوغ بالقشاشية بجوار البنك الأهلي وهذه الدار لا تزال موجودة إلى الآن وتعرف اليوم بمكتبه مكة المكرمة . انظر البلادي : معالم مكة التاريخية ، ص ٢٧١ .

وفي أحد الأركان موضع يصعد إليه بدرجات حفظ فيه الحجر الذي كلم النبي ﷺ وحمل إلى الدار من جبل أبي قبيس <١> .

ونقل البلوي نقشاً من الدار يدل على عمارة الناصر الخليفة العباسي لها سنة ٥٧٦هـ/١١٨٠م <٢> وقد ذكر الفاسي هذه الدار بسوق الليل وأيد خبر عمارة الناصر لها في هذا التاريخ <٣> .

---

١ ـ التجيبي : مستفاد الرحلة ، ص ٣٢٣ . ونلاحظ تعدد الروايات من قبل الرحالة أنفسهم حول هذا الحجر الذي كلم النبي ﷺ فنجد أن التجيبي يذكر أنه من جبل أبي قبيس ونقل إلى دار مولد النبي ﷺ وابن رشيد يذكر أنه موجود بجهة باب النبي أمام دار أبي بكر الصديق رضي الله عنه بارز عن الحائط قليلاً وكذلك ابن جبير وابن بطوطة . بينما يذكر البلوي أن في هذا المكان مصطبة فيها متكأ يقصده الناس ويصلون فيه ويتمسحون بأركانه لأنه موضع جلوس النبي ﷺ . انظر ابن جبير : الرحلة ، ص ٩٢ ؛ ابن رشيد : ملء العيبة ، جـ ٥ ، ص ١٣١ ؛ ابن بطوطة : الرحلة ، ص ١٤٠ ؛ البلوي : تاج المفرق ، ص ٣١١ . ومجمل القول إنه لا يوجد ما يشهد بصحة معرفة مكان الحجر في السنة علاوة على التمسح والتبرك به فهذه من الأمور التي غالى فيها أهل تلك الفترة ولم يثبت فعل شيء من هذا القبيل في الأحاديث وقد ورد في ذكر الحجر ما رواه جابر بن سمرة عن النبي ﷺ قال « إني لأعرف حجراً بمكة كان يسلم علي قبل أن أبعث إني لأعرفه الآن » . انظر مسلم : صحيح مسلم بشرح النووي ، جـ ١٥ ، ص ٢٦ فقول النبي ﷺ هنا واضح وصريح ولم يعين لأحد مكانة ولاشتهار هذا الأمر بين أهل مكة يردد بعضهم قول شاعر على لسان الحجر :

انا الحجر المسلم كل حين	على خير الورى فلي البشارة
وتلك مزية من فضل ربي	خصصت بها وإن من الحجارة

ولم نستطع الحصول على مصدر قائل هذه الأبيات .

٢ ـ البلوي : تاج المفرق ، جـ ١ ، ص ٣١٢ .

٣ ـ الفاسي : شفاء الغرام ، جـ ١ ، ص ٤١٩ ، ٤٣١ ، ٤٣٣ .

دار الخيزران :

وصفها ابن جبير بمنشأ الإسلام وتقع بجوار الصفا ملتصق بها منزل صغير كان مسكناً لبلال قام بتجديده جمال الدين الوزير الجواد بمبلغ قدره ألف دينار وعلى يمين الداخل إلى الدار باب يفضي إلى موضع مقبب بديع البناء هو موضع جلوس النبي ﷺ بجوار صخرة يستند إليها تخترق الدار بهيئة المحراب ، وعن يمين موضع جلوس النبي ﷺ موضع جلوس أبي بكر وعلى رضي الله عنهما .

وقد أعلن عمر بن الخطاب إسلامه في هذه الدار وقام النبي ﷺ بتعليم المسلمين الأوائل مبادىء الإسلام بها سراً (١) وحدد التجيبي موقعها عند الصفا وكانت للأرقم ابن أبي الأرقم ثم صارت ملكاً للخيزران من قبل المهدي وكانت لأبيه المنصور الذي قام بشرائها من أولاد الأرقم مقابل مبلغ كبير من المال (٢) ، وقد أيد الفاسي أقوال الرحالة في مكانها ومتولي عمارتها وتاريخه (٣) .

دار أبي بكر الصديق رضي الله عنه :

وهي تقع بالقرب من دار الخيزران ووصفت بأنها دراسة الأثر (٤) ولم يأت الأزرقي على ذكرها في ذلك الموضع دلالة على أنها إحدى الشائعات التي تحاك حولها بعض الروايات التاريخية .

---

١ ـ ابن جبير : الرحلة ، ص ٩٢ ، ١٤٥ .

٢ ـ التجيبي : مستفاد الرحلة ، ص ٣٣٦ .

٣ ـ الفاسي : شفاء الغرام ، جـ ١ ، ص ٤٤٠ ؛ وكانت تقع على جانب جبل الصفا الأيمن فوق أنفاق الصفا المؤدية إلى جنوب العزيزية وقد هدمت ومكانها في ساحة موقف السيارات شرقي المسعي وأكثر الناس الآن لا يعرف موقعها . انظر البلادي : معالم مكة التاريخية ، ص ٢٧٢ ؛ حسين عرب : المساجد المأثورة في مكة المكرمة ، مجلة المنهل ، العدد ٤٧٥ ، المجلد ٥١ ، الربيعان ١٤١٠هـ/اكتوبر ونوفمبر ١٩٨٩م ، ص ٥٣ .

٤ ـ ابن جبير : الرحلة ، ص ٩٢ ؛ ابن بطوطة : الرحلة ، ص ١٤٠ ؛ البلوي : تاج المفرق ، جـ ١ ، ص ٣١ .

وذكر الفاس أن هذه الدار شيدت زمن نور الدين عمر بن رسول سنة ٦٢٣هـ/١٢٢٦م <١> في حين أشار إليها ابن رشيد ولكن دون تفاصيل <٢> . وذكر البلوي أنها دار سكة الأمير <٣> مما يدل على أن نقوداً خاصة بالأشراف كانت تسك بمكه في ذلك الوقت .

قبة الصفا والمروة :

انفرد ابن جبير بذكر قبةَ بين الصفا والمروة تنسب لعمر بن الخطاب يجلس فيها للحكم واستدرك قائلاً في نسبتها إلى عمر بن عبد العزيز على اعتبار أنه أصح وهي قريبةَ من دار تنسب إليه <٤> . ثم أشار إلى وجود بئر قديمةَ لم تكن موجودة زمن رحلته <٥> .

موضع صلب عبد الله بن الزبير :

حدد ابن جبير وابن بطوطةَ مكانه عند مقبرةَ المعلاه حيث شاهدا بقيةَ أثر بناء مرتفع هدمه أهل الطائف بسبب لعن الناس للحجاج المنتسب إليهم <٦> . في حين ذكر التجيبي وجود حائط في هذا المكان كتب عليه « **هنا صلب الحجاج بن يوسف عبد الله بن الزبير** » <٧> ولا يحمل النص أيه معلومات عن القائم بتشييد الحائط . ويبدو أن هذا الحائط اقيم كعلم للمكان .

---

١ ــ الفاسي : شفاء الغرام ، جـ ١ ، ص ٤٣٨ ــ ٤٣٩ .

٢ ــ ابن رشيد : ملء العيبة ، جـ ٥ ، ص ١٣١ .

٣ ــ البلوي : تاج المفرق ، جـ ١ ، ص ٢١٣ .

٤ ــ وكأنه يلمح بوجود دار لعمر بن عبد العزيز في ذلك الموضع ولكنه لم يذكرها .

٥ ــ ابن جبير : الرحلة ، ص ٩٢ ــ ٩٣ .

٦ ــ ابن جبير : الرحلة ، ص ٨٧ ــ ٨٨ ؛ ابن بطوطة : الرحلة ، ص ١٤٢ ، وهنا تشابه تام في الوصف مما يشير إلى نقل ابن بطوطة عنه .

٧ ــ التجيبي : مستفاد الرحلة ، ص ٣٣٩ .

الدور بالمشاعر المقدسه :

عرفات :

وجد أسفل جبل الرحمة على يسار القبله دار قديمة ذات غرف ونوافذ عديدة تنسب لآدم عليه السلام <١> .

وأشار الفاسي إلى الدار المنسوبة إلى آدم عليه السلام وذكر بأن من أمربينائها أم المقتدر بالله العباسى لوجود النقوش الدالة على ذلك في حجر في حائطها القبلي <٢> .

الدور بالمدينه المنورة :

وجدت بالبقيع دار « **نسبت لفاطمه بنت الرسول ﷺ قيل إنها اعتصمت بها حزناً بعد وفاة أبيها ﷺ** » <٣> .

الدور بجُدّة :

استعمل سكان جُدّة في بناء بيوتهم الأخصاص . كما وجدت بها فنادق بنيت بالحجارة والطين في أعلاها غُرف من أخصاص إضافة إلى سطوحها . فهذه الغرف والسطوح اتخذت كوسيلة لتفادى الحر . وقد ذكر ابن جبير أن بُجّدة آثار قبة قديمة قيل أنها منزل حواء أم البشر .

---

١ ـ إن نسبة هذه الدار لآدم عليه السلام وهم فالأزرقي لم يصف شيئاً كهذا في عرفات وأغلب الظن أنها من المستحدثات التي بنيت بعد ذلك .

٢ ـ الفاسي : شفاء الغرام ، جـ ١ ، ص ٤٨٢ ـ ٤٨٨ .

٣ ـ ابن جبير : الرحلة ، ص ١٧٣ ـ ١٧٤ .

وذكر ابن جبير أن الجباب والصهاريج مصدر الماء لأهل جُدَّة . كما أشار ابن جبير والتجيبي إلى تهدم أكثر دورها <١> .

الدور في قرى الحجاز :

أقام الشريف أبو نمى حول حصنه بالبرابر دوراً جميلة محفوفه بالنخيل والماء الجاري مزروع بها الكثير من الخضر <٢> .

---

١ ــ ابن جبير : الرحلة ، ص ٥٤ ؛ التجيبي : مستفاد الرحلة ، ص ٢١٨ ــ ٢١٩ .

٢ ــ التجيبي : مستفاد الرحلة ، ص ٢٢٢ ــ ٢٢٣ .

رابعاً : العمارة الحربيه :

الأسوار :

أسوار مكة المكرمة :

بالرغم من وقوع مكة المكرمة بين جبال قام أهلها بتشييد أسوار على مداخلها الثلاثة حيث شاهد ابن جبير اثاره من جهة المعلاه والمسفلة والعمرة <١> . وهي المداخل المستخدمة في دخولها . وأغلب الظن أن هذا السور يعود بناؤه إلى زمن المقتدر بالله <٢> . ولعله أول سور أقيم عليها إذ لم تشر المصادر إلى وجود سور قبل ذلك ويبدو أنه قد أصابه التلف أو السقوط إذ يلاحظ آثار تجديد له فيما بعد فقد رأى العبدري سوراً جديداً من الصخور عبارة عن « **حائطين من الصخور لا ملاط** <٣> **له قطعا الوادي عرضاً في أعلى مكة وأسفلها** » <٤> .

ويبدو أن الشريف أبا عزيز قتادة هو القائم بتجديده من قبل المظفر <٥> . صاحب إربل سنة ٦٠٧هـ / ١٢١٠م <٦> .

---

١ ـ ابن جبير : الرحلة ، ص ٩١ .

٢ ـ الفاسي : شفاء الغرام ، جـ ١ ، ص ٢٦ .

٣ ـ الملاط الطين الذي يجعل بين البناء ويملط به الحائط . انظر ابن منظور : لسان العرب ، جـ ٧ ، ص ٤٠٦ .

٤ ـ العبدري : الرحلة المغربية ، ص ١٧٣ .

٥ ـ كوكبري بن أبي الحسن على بن بكتكين الملك المعظم مظفر الدين صاحب إربل له مآثر حسنة بمكة ولد بقلعة الموصل ليلة الثلاثاء سابع عشر محرم سنة ٥٤٩هـ/١١٥٤م وتوفي ليلة الجمعة رابع عشر رمضان سنة ٦٣٠هـ/١٢٣٢م بقلعة إربل ودفن بها ثم حمل ليدفن بمكة بوصية منه في سنة ٦٣١هـ/١٢٢٣م فرجع الحاج ولم يصلوا مكة فردوه ودفنوه بالكوفة . انظر الفاسي : العقد الثمين ، جـ ٧ ، ص ١٠٠ ـ ١٠٧ .

٦ ـ ابن المجاور : تاريخ المستبصر ، ص ٩ ـ ١٠ ؛ الفاسي : شفاء الغرام ، جـ ١ ، ص ٢٦ .

وجعل لهذا السور أبواب منها باب المعلاه في أعلى مكة للوصول إلى الحجون فالحجون فيما يبدو من أقوال الرحالة كانت خارج مكة لم يمتد إليها العمران بعد . ومنها باب المسفله جهة الجنوب وباب يسمى الزاهر أو العمرة أو الشبيكة في الجهه الغربية <١> .

وما ذكره الرحالة في أسوار وأبواب مكة أيده مؤرخوا مكة في ذلك الوقت <٢> .

أسوار المدينة المنورة :

أشار ابن جبير إلى وجود سورين متقابلين اشتملت على أربعة أبواب متقابلة مصنوعة من الحديد يسمى أحدها باب الحديدوالآخر مغلق يسمى باب القبلة وأيضاً باب الشريعة وباب البقيع المفضي إلى البقيع شرقي المدينة <٣> . وقام الوزير الجواد بتشييد هذا السور <٤> .

---

١ ـ ابن جبير : الرحلة ، ص ٨٧ ـ ٨٩ ؛ العبدري : الرحلة المغربية ، ص ١٧٣ ؛ التجيبي : مستفاد الرحلة ، ص ٢٣٢ ـ ٢٣٣ ؛ ابن بطوطة : الرحلة ، ص ١٣١ ؛ البلوي : تاج المفرق ، جـ ١ ، ص ٣٠٨ ـ ٣٠٩ ؛ وذكر التجيبي أن باب العمره يعرف الآن بالشبيكة وقديماً بالذاهد ولعله أخطأ في اسمه فهو الزاهر وأرجع تسميته بالشبيكة إلى بئر بذلك الموضع معروف هناك . انظر ، التجيبي : مستفاد الرحلة ، ص ٢٣٣ ؛ وسماه العبدري الشبيكة . انظر العبدري : الرحلة المغربية ، ص ١٧٣ ؛ اما ابن بطوطة فسماه بالشبيكة والعمرة . انظر ابن بطوطة : الرحلة ، ص ١٣١ ؛ وسماه البلوي بالزاهر أو العمرة . انظر البلوي : تاج المفرق ، جـ ١ ، ص ٣٠٩ . وربما يكون اسم الشبيكة نسبة إلى آبار تعرف بالشبيكة هناك . انظر ابن جبير : الرحلة ، ص ٨٩ .

٢ ـ ابن المجاور : تاريخ المستبصر ، ص ٩ ـ ١٠ ؛ الفاسي : شفاء الغرام ، جـ ١ ، ص ٢٦ .

٣ ـ ابن جبير : الرحلة ، ص ١٧٣ ، ١٧٥ ـ ١٧٦ .

٤ ـ الفاسي : العقد الثمين ، جـ ٢ ، ص ٢١٣ ؛ السمهودي : وفاء الوفا ، جـ ٢ ، ص ٧٦٨ . انظر الرسم رقم ٢٦ ، ٢٧ .

ويبدوا أن السور قد أصابه الإهمال في زمن رحلة العبدري حيث أنه لم تمتد إليه يد العمران طوال الفترة بين ابن جبير والعبدري والتي تقدّر بأكثر من قرن ، كما وأن العبدري لم يشر إلى عدد أبواب المدينة مكتفياً بالقول باشتمالها على عدة أبواب <١> .

وقد ذكر السمهودي وجود أربعة أبواب للمدينة ولكن بأسماء غير الأسماء التي ذكرها الرحالة <٢> أما ابن بطوطة فلم يتطرق لوصفها العام بينما اتفقت معلومات البلوي وابن جبير بشأنها <٣> ، ولعله اعتمد عليه في وصفه .

أسوار جُدَّة :

عليها سور محيط بها أشار إلى آثارة ابن جبير وذكره ابن المجاور وقال إن أول القادمين إلى جدة من الفرس قاموا بتشييد سور حولها به أربعة أبواب <٤> ، وقد يكون اهتمام الفرس بجدة يرجع إلى رغبتهم في السيطرة على طريق التجارة بهذه المنطقة .

---

١ ـ العبدري : الرحلة المغربية ، ص ٢٠٣ .

٢ ـ وهى باب بالغرب يعرف بـدرب المصلى أو سويقه والباب الثاني في الغرب أيضاً يعرف بالدرب الصغير . والباب الثالث يعرف بالدرب الكبير أو الشامي والرابع يعرف بالبقيع في الشرق . انظر السمهودي : وفاء الوفا ، جـ ٢ ، ص ٧٧٠ .

٣ ـ البلوي : تاج المفرق ، جـ ١ ، ص ٢٩٠ .

٤ ـ ابن جبير : الرحلة ، ص ٥٤ ؛ ابن المجاور : تاريخ المستبصر ، ص ٤٣ . انظر الرسم رقم ٢٨ .

الحصون :

الحصون الموجودة بطرق الحجاز :

حصن بناه الشريف أبو نمي بالبرابر سماه بالجديد ذو بناء محكم شاهده التجيبي <١> كما وجد بعُسفان حصن قديم ذو أبراج ولكنه لقدمه وخرابه غير مأهول <٢> ، وبخليص حصنان أحدهما ذو عمارة جديدة مبني على ربوة والآخر متهدم يقع أسفل منه <٣> .

وفي بدر حصن على ربوة مرتفعة على مدخل بدر أغفل وصفه ابن جبير <٤> ، وبالعلا حصن حوله دور كثيرة <٥> .

أما الصفراء فقد أشار الرحالة إلى وجود حصون كثيرة بها منها حصنان يسميان التوأمين وآخر يعرف بالحسنية ورابع يعرف بالجديد وغيرها حصون كثيرة <٦> .

---

١ ـ التجيبي : مستفاد الرحلة ، ص ٢٢٢ .
٢ ـ ابن جبير : الرحلة ، ص ١٦٢ ؛ ابن بطوطة : الرحلة ، ص ١٢٩ .
٣ ـ ابن جبير : الرحلة ، ص ١٦٣ ؛ ابن بطوطة : الرحلة ، ص ١٢٩ ـ ١٣٠ .
٤ ـ ابن جبير : الرحلة ، ص ١٦٥ ـ ١٦٦ .
٥ ـ ابن رشيد : ملء العيبة ، جـ ٥ ، ص ١٥ .
٦ ـ ابن جبير : الرحلة ، ص ١٦٥ ـ ١٦٦ .

الحصون بمكة المكرمة :

شيد حصن فوق جبل أبي قبيس الأمير مكثر بن عيسى للتحصن فيه ولكن هدمه أمير الحاج العراقي إذ اعتبر بناء شيء كهذا خروجاً عن أوامر الخليفة <١> ، وقد أورد ابن الجوزي خبر هذه القلعة التي بناها أمير مكة كما فصل ابن فهد في خبر حادثة هدمها في حوادث سنة ٥٧١هـ/١١٧٥م <٢> .

الحصون بالمدينة المنورة :

ورد ذكر حصون بالمدينة في كتب الرحلات منها حصن متهدم على حافة الخندق سماه ابن جبير وابن بطوطة بحصن العُزّاب ونسبوا بناءه لعمر بن الخطاب الذي قام بإسكان عزاب المدينة فيه <٣> ، ولم نجد لهذا الحصن ذكر في كتب المصادر التي تيسر لنا الاطلاع عليها وليس بمستبعد قيام عمر بن الخطاب ببنائه .

ومما سبق نجد أن أهل الحجــاز قد عرفوا بناء القلاع والحصون وإن كنا لا نعرف الكثير عن تفاصيلها المعمارية أو أية تفاصيل أخرى عن المواد المستخدمة في بنائها .

ولا ننسى الخندق الموجودة آثاره بالمدينة بالجهة الغربية منها كما أشار إلى ذلك ابن جبير <٤> .

---

١ ـ ابن جبير : الرحلة ، ص ٨٥ ؛ التجيبي : مستفاد الرحلة ، ص ٢٥٢ .

٢ ـ ابن الجوزي : المنتظم ، جـ ١٠ ، ص ٢٦٠ ؛ ابن فهد : اتحاف الورى ، جـ ٢ ، ص ٥٣٦ ـ ٥٣٨ .

٣ ـ ابن جبير : الرحلة ، ص ١٧٦ ؛ ابن بطوطة : الرحلة ، ص ١٢٦ .

٤ ـ ابن جبير : الرحلة ، ص ١٧٥ .

القبور :

قبر السيدة خديجة رضي الله عنها بمكة المكرمة :

جاء أول ذكر لقبرها لدى التجيبي الذي أشار إلى وجوده بالمعلاة دون تحديد لمكانه ‹١› ، ومما يلفت النظر هنا أنه خلال وجود التجيبي بمكة سنة ٦٩٦هـ/١٢٩٦م لم يتوصل لتحديد مكانة خاصة وأن السابقين من الرحالة أغفلوا الإشارة إليه بينما أشار ابن بطوطة إلى وجوده بجانب قبر الخليفة أبي جعفر المنصور ‹٢› وعلى ذلك فهي أول رواية تقوم بتحديده دون إثبات الطريقة المتبعة في ذلك من إرجاع أصل الخبر إلى أهل العلم ، إضافة إلى أن أبا جعفر المنصور لم يعُرف على وجه الدقة القبر المدفون فيه ‹٣› .

والسؤال الذى يطرح نفسه هو عن كيفية معرفة أهل مكة المكرمة لقبر السيدة خديجة رضى الله عنها ثم قبر الخليفة أبي جعفر المنصور مع ملاحظة الفارق الزمني بين الاثنين وقد عقّب الفاسي بالقول في هذا الموضوع « **ليس في القبر الذي يقال له قبر خديجة بنت خويلد أثر يعتمد** » ‹٤› .

---

١ ـ التجيبي : مستفاد الرحلة ، ص ٣٤١ ويعرف الآن جزء من قبور المعلاه والتي تقع على يمين الصاعد إلى الحجون بقبور السيدة . انظر الرسم رقم ٢٩ ، ٣٠ .

٢ ـ ابن بطوطة : الرحلة ، ص ١٤٢ .

٣ ـ ابن الأثير : الكامل ، جـ ٥ ، ص ٤٤ .

٤ ـ الفاسي : شفاء الغرام ، جـ ١ ، ٤٥٦ .

القبور بالمدينة المنورة :

قبر حمزة رضى الله عنه وقد بني عليه مسجد وتنتشر قبور الشهداء بجواره بالإضافة إلى وجود تربة حمراء منسوبة لحمزة رضي الله عنه يتبرك الناس بها (١) ، وهو من البدع الشائعة والتي أشار بعض الرحالة إليها والدالة على معتقداتهم وحالتهم الدينية في تلك الفترة .

كما أشار ابن جبير إلى وجود مشهد صفية عمة الرسول ﷺ على يسار الخارج للبقيع وأمام قبرها قبر مالك بن أنس وعليه قبة صغيرة وأمام قبره قبر إبراهيم ابن النبي ﷺ وعليه قبة بيضاء أيضاً وعلى يمينه قبر عبد الرحمن بن عمر بن الخطاب ويجواره قبر عقيل بن أبي طالب وعبد الله بن جعفر الطيار رضي الله عنهم ويجوارهم روضة فيها قبور أزواج النبي ﷺ وبجانب الروضة روضة صغيرة فيها قبور ثلاثة من أولاد النبي ﷺ (٢) وتليها روضة العباس بن عبد المطلب والحسن بن علي رضى الله عنهما وعليها قبة عالية وموقع هذه الروضة على يمين الخارج من باب البقيع وموضع قبريهما متسع وقد دفن الحسن قرب قبر العباس رضى الله عنهما ، أما صفة القبرين فإنهما مرتفعان ويغطي كلا منهما ألواح من الصفر تمسكها بعض المسامير وينطبق الأمر كذلك على قبر إبراهيم ابن النبي ﷺ .

وفي آخر البقيع قبر عثمان بن عفان رضي الله عنه وعلى قبره قبة صغيرة وعلى مقربة منه مشهد لفاطمة بنت أسد أم علي رضي الله عنهما ونقش على قبرها « **ما ضم قبر أحد كفاطمة بنت أسد** » (٣) .

---

١ ـ ابن جبير : الرحلة ، ص ١٧٣ .

٢ ـ من المعروف أن النبي ﷺ توفي أولاده صغاراً بمكة ولكن ربما المقصود هنا بنات النبي ﷺ أو تكون من جملة الأخطاء التي وقع فيها الناس في ذلك الوقت ولم يسلم من الوقوع فيها الرحالة أنفسهم بسبب اشتهارها .

٣ ـ ابن جبير : الرحلة ، ص ١٧٣ ـ ١٧٤ .

ونجد أن العبدري لفت انتباهه الميزات التي اختصت بها تلك القبور فقال واصفاً إن القبور الموجودة بالبقيع والتي تخص الصحابة والتابعين والعلماء والصالحين وجد على أكثرها قباب ومباني وأشهر القباب وأعلاها وأجملها وأكبرها قبة عثمان بن عفان رضي الله عنه ‹١› ، ويلاحظ هنا اختلافاً عما أورده ابن جبير حيث يبدو وأن القبة قد طرأ عليها التجديد حتى بدت بهذا المنظر الذي وصفه العبدري .

ثم تأتي قبة العباس في الجمال والعلو والاتساع بعد قبة عثمان بن عفان رضي الله عنهما ، وأكد العبدري أن على كل عدة قبور قبة أو مبنى إلا قبر الإمام مالك بن أنس رضي الله عنه ، وفي موضع رأسه حجر كتب فيه « **توفي الإمام مالك بن أنس رضي الله عنه في ربيع الأول سنة تسع وسبعين ومائة ومولده في ربيع الآخر سنة ثلاث وتسعين** » .

وقد قام العبدري بالتبرك بالقبور مثل عامة الناس في ذلك الوقت وحمل معه بضع حصيات من قبر الإمام مالك على سبيل البركة والذكرى ‹٢› . ونلاحظ هنا أن العبدرى بالرغم من نقده اللاذع لما يفعله المسلمين من امور تخالف الشرع نجد انه انزلق هو ايضاً في هذا الامر وكأنه تناسى ما كان يقوله عمن يفعل مثل هذه الامور عندما قام بأخذ هذه الحصيات .

القبور بجُدَّة :

شاهد ابن جبير خارج جُدَّة قبة مبنية قيل إنها منزل حواء أم البشر في حين قال التجيبي في رحلته بأنه قبرها ولكن التجيبي أشار إلى أن أهل العلم ينفون ذلك ويذكرون أنه مكان نزولها فبنى ذلك البناء تشهيراً عليه لبركته وفضله وأضاف التجيبي أنه رأى بداخلها هيئة قبر ‹٣› .

---

١ ـ العبدري : الرحلة المغربية ، ص ٢٠٣ .

٢ ـ المصدر السابق ، ص ٢٠٣ .

٣ ـ ابن جبير : الرحلة ، ص ٥٤ ؛ التجيبي : مستفاد الرحلة ، ص ٢١٨ ـ ٢١٩ . ولا يزال إلى الآن الاعتقاد بأن هذا المكان هو قبرها ولا يزال الموضع معروفاً بجدة . انظر الرسم رقم ٣١ ، ٣٢ .

الآثار المعمارية القديمة بالحجاز :

تحدث الرحالة المغاربة والأندلسيون عن الآثار المعمارية في جدة المستحدث منها والقديم الخرب وسواء ما كان منها في العصور الإسلامية أو قبلها ومن هذه الآثار القديمة ما ذكره ابن جبير والتجيبي وابن بطوطة والتي تدل على أن جدة كانت مدينة قديمة من مدن الفرس ذات الشأن الكبير <١> ، وهذا ليس بمستبعد إذ له دلائل تؤيده أفاض بذكرها عبد القدوس الأنصاري <٢> ، إضافة إلى أن الفرس قد عرفوا الحجاز قديماً وخاصة مكة وكان ملوكها يعظمون الكعبة المشرفة ويأتون للطواف حولها كما كانوا يهدون إليها الهدايا والتي منها الغزالان اللذان وجدهما عبد المطلب في البئر عندما حفر زمزم <٣> ، وعليه فربما كانت الفرس منذ تلك الأيام تأتي لمكة إما عن طريق البر أو عن طريق البحر عبر جُدَّة التي ذكر ابن المجاور قدمها <٤> .

ولنا أن نشير إلى أن سبب تعظيم الفرس للكعبة المشرفة لما قيل إن أسلافهم يرجع نسبهم إلى إسحاق بن إبراهيم الخليل عليهما السلام فكانوا يحجون إلى الكعبة المشرفة وكان آخر من حج من ملوكهم ساسان بن بابك <٥> .

---

١ ـ ابن جبير : الرحلة ، ص ٥٣ ؛ التجيبي : مستفاد الرحلة ، ص ٢١٨ ـ ٢١٩ ؛ ابن بطوطة : الرحلة ، ص ٢٤٢ ـ ٢٤٣ .

٢ ـ عبد القدوس الأنصاري : موسوعة تاريخ جُدَّة ، ص ٥٨ ـ ٧٣ .

٣ ـ ابن هشام : السيرة النبوية ، جـ ١ ، ص ١٤٦ ؛ المسعودي : مروج الذهب ، جـ ١ ، ص ٢٤٢ .

٤ ـ ابن المجاور : تاريخ المستبصر ، ص ٤٢ ـ ٤٣ .

٥ ـ المسعودي : مروج الذهب ، جـ ١ ، ص ٢٤٢ .

وقد سبقت الإشارة إلى قدم سورها والجباب المحفورة في الحجر الصلد والتي أشير إلى كثرة عددها وفيها يقول ابن المجاور : إن الفرس بعد أن أتموا بناء جُدَّة وسورها خافوا من قلة الماء فبنوا هذه الصهاريج لتسد حاجتهم من الماء (١) . وأضاف أن الفرس هم الذين بنو ضريحاً على قبر حواء أم البشر وبقي متماسكاً إلى سنة ٦٢١هـ/١٢٢٤م (٢) .

وتجدر الإشارة هنا إلى أنه من غير المعروف قبر أحـــدٍ من الأنبياء يقيناً إلا قبر المصطفى ﷺ مما يضعف كون هذا الموضع قبر أم البشر حواء .

---

١ ـ ابن جبير :الرحلة ، ص ٥٣ ؛ التجيبي :مستفاد الرحلة ، ص ٢١٩ ؛ ابن بطوطة : الرحلة ، ص ٢٤٢ ؛ ابن المجاور : تأريخ المستبصر ، ص ٥٣ .

٢ ـ ابن المجاور : تأريخ المستبصر ، ص ٤٧ ـ ٤٨ .

خامساً : الزخارف النقوش :

استعمل أهل الحجاز النقوش والزخارف وسجّل الرحالة المغاربة والأندلسيون عدداً ليس بالقليل منها ، فمن هذه النقوش ما كتب على واجهات الأبنية سواء منها الدينية أو المدينة ، ومنها ما كتب على شواهد القبور ، ومنها كتب لتسجيل حادثة اثبت النقش فناء أصحابها والطريقة التي تم بها هلاكهم فمن هذه النقوش :

نقش بداخل قبة الوحي بدار السيدة خديجة رضي الله عنها :

سجل البلوي نقشاً وجد في داخل قبة الوحي يدل على أن الدار كانت محط عناية ملوك وأمراء المسلمين من حيث تجديدها وعمارتها والعناية بها ، كما يشير النقش إلى عناية واهتمام ملوك المسلمين بالتلقب بلقب خادم الحرمين الشريفين ونص النقش « **بسم الله الرحمن الرحيم تقرب إلى الله تعالى بعمارة هذا الموضع الشريف المنسوب إلى خديجة رضي الله عنها ومسكن رسول الله ﷺ ومهبط الوحي الكريم العبد المفتقر إلى رحمة الله تعالى مولانا السلطان ابن السلطان الملك المظفر يوسف بن عمر بن علي خادم الحرمين الشريفين بلّغه الله تعالى غاية آماله وتقبّل منه صالح أعماله وذلك بتاريخ شهر صفر سنة ست وثمانين وستمائة** » (١) .

ويبدو أن أول من حمل هذا اللقب السلطان صلاح الدين الأيوبي لأنه وجد نقش في بيت المقدس مؤرخ بسنة ٥٨٧هـ/١١٩١م (٢) ، وممن تلقب به أيضاً السلطان حسام الدين أبو الفتح لاجين المنصوري سلطان مصر فقد سمع التجيبي

---

١ ـ البلوي : تاج المفرق ، جـ ١ ، ص ٣١١ .

٢ ـ حسن الباشا : الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار ، ص ٢٦٨ .

الدعاء له على قبة بئر زمزم بعد صلاة المغرب من كل يوم وتلقيبه « **بملك البرين والبحرين خادم الحرمين الشريفين** » <١> . وذلك في سنة ٦٩٦هـ/١٢٩٦م .

وتلقب به بعد ذلك السلطان الناصر محمد بن قلاوون فقد شاهد البلوي نقشاً في سقف الروضة الشريفة بدأ بقصيدة شعرية وانتهى بسبغ وابل الألقاب على الملك الناصر وقد أثبت البلوي نص النقش في رحلته فقال « **اللهم أدم العز والتمكين والنصر والفتح المبين لعبدك المسكين الذين أوليته أمور المسلمين واخترته على كثير من العالمين السلطان الملك الناصر ناصر الدنيا والدين وأبو المعالى محمد قسم أمير المؤمنين سلطان الإسلام والمسلمين قاتل الكفرة والمشركين قاهر الفجرة والمتمردين حامي حوزة الدين سلطان الديار المصرية والعراقية والبلاد الشامية ملك البحرين خادم الحرمين الشريفين ولد السلطان المرحوم الملك المنصور سيف الدنيا والدين قلاوون الصالحي أدام الله أيامه ونشر في الخافقين رايته وأعلامه وجعل السعد والإقبال حيثما توجه أمامه وكان ابتداء العمل في شهر ربيع الأول وانتهاؤه في جمادي مستهل الأخير سنة إحدى وسبعمائة للهجرة النبوية** » <٢> .

ومما سبق يدل على مدى أهمية هذا اللقب وتنافس الملوك في حمله من مصر واليمن ويبدو أن هذا اللقب أصبح من ضمن الألقاب الرسمية لملوك مصر المماليك <٣> .

---

١ ـ التجيبي : مستفاد الرحلة ، ص ٣٠٤ .

٢ ـ البلوي : تاج المفرق ، جـ ١ ، ص ٢٨٥ .

٣ ـ القلقشندي : صبح الأعشي ، جـ ٦ ، ص ١٢٠ .

نقش عمارة دار مولد النبي ﷺ :

وكعادة البلوي في الحديث عن النقوش قام بتسجيل نقشٍ يدل على عمارة مكان مولد النبي ﷺ ونصه « **هذا ما أمر بعمله عبد الله وخليفته الإمام الناصر لدين الله أبو العباس أحمد أمير المؤمنين أعز الله أنصاره وضاعف اقتداره في سنة ست وسبعين وخمسمائة وصلى الله على سيدنا محمد وآله** » (١) .

نقش مسجد البيعة :

نقل التجيبي نقشاً في مسجد البيعة يدل على مكانة وقد كتب النقش على حجر بواجهته « **هنا كانت أول بيعه كانت في الإسلام** » (٢) .

نقش رباط الموفق :

أشار هذا النقش إلى تحديد تاريخ وفقه فقد شاهد الفاسي النقش على حجر به ونصه « **رباط القاضي الموفق جمال الدين علي بن عبد الوهاب الاسكندري وقفه على فقراء العرب الغرباء ذوى الحاجات المتجردين ، ليس للمتأهلين فيه حظ ولانصيب في سنه أربع وستمائه** » . (٣)

وفي هذا إشارة إلى احتواء الأربطه على نقوش تحدد سنه وقفها وواقفها .

---

١ ـ البلوي : تاج المفرق ، جـ ١ ، ص ٣١٢ .

٢ ـ التجيبي : مستفاد الرحلة ، ص ٢٤٨ .

٣ ـ الفاسي : شفاء الغرام ، جـ ١ ، ص ٥٣٦ ؛ الفاسي : العقد الثمين ، جـ ١ ، ص ١٢٢ .

نقش مسجد علي ابن ابي طالب :

سجل ابن جبير نقشاً نقله من واجهة مسجد يشير إلى أن هذا المسجد أصله دار أبي طالب ونصه « **هذا المسجد هو مولد على بن أبي طالب رضوان الله عليه وفيه تربى رسول الله ﷺ وكان دار لأبي طالب عم النبي ﷺ وكافله** » <١> .

نقش المصحف المنسوب لزيد بن ثابت رضي الله عنه :

أمدنا التجيبي بوصف مفصل للمصحف المنسوب لزيد بن ثابت وقال إنه كتب على ظهره بخط حديث ما نصه « **كتب عام ثمانية عشر لوفاة الرسول ﷺ** » وذكر أن خط المصحف يشبه الخط الكوفي وكل ورقه من أوراقه عبارة عن جلد كبش كامل قطعت أطرافه وأضاف أن المصحف أصابه البلل في معظم أجزائه بسبب السيول التي داهمت الحرم عقب التسعين وستمائة <٢> .

وقد مُحي كثير من الخط ، وفيه أوراق كتبت بخط حديث وإن جميع الخط خالٍ من الضبط سوى أحرف يسيره معجمـــة رأى منها الفاء منقوطة وعاين لفظ « **الربوا** » <٣> هكذا مكتوبة بالواو والألف كما رأى في أول السور عدد آي السور بالخط القديم <٤> .

١ ـ ابن جبير : الرحلة ، ص ١٤١ .

٢ ـ لم يدخل المسجد الحرام سيل كبير في هذه الفترة وربما كان السيل الذي حدث سنة ٦٦٩هـ/١٢٧٠م وحدث تصحيف للستين فأصبحت تسعين . انظر الفاسي : شفاء الغرام ، جـ ٢ ، ص ٤٢٤ .

٣ ـ القرآن الكريم : سورة البقرة ٢/٢٧٥ ـ ٢٧٦ ، ٢٧٨ .

٤ ـ التجيبي : مستفاد الرحلة ، ص ٣٢٦ ـ ٣٢٧ .

النقوش بالمسجد الحرام :

نقوش المسعى :

شاهد ابن جبير نقشاً على الميل الأخضر يثبت عمارة المهدي له مكتوب على لوح وضع في أعلى السارية وقد نقش بالذهب فيه [« **إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ** » <١> **تم أمر بعمارة هذا الميل عبد الله وخليفته أبو محمد المستضيء بأمر الله أمير المؤمنين أعز الله نصره في سنة ثلاث وسبعون وخمسمائة**] (هكذا ورد النص سبعون) كما نقل نقشاً آخر كتب على سارية خارج باب الصفا مسجل فيه أمر المهدي بتوسعة المسجد الحرام بحيث تكون الكعبة في وسطه ونصه « **أمر عبد الله محمد المهدي أمير المؤمنين أصلحه الله تعالى بتوسعة المسجد الحرام مما يلي باب الصفا لتكون الكعبة في وسط المسجد في سنة سبع وستين ومئة** » ، وكتب أسفل هذا النقش نقش آخر نصه « **أمر عبد الله محمد المهدي أمير المؤمنين أصلحه الله بتوسعة الباب الأوسط الذي بين هاتين الاسطونتين وهو طريق رسول الله ﷺ إلى الصفا** » .

وقد أشار ابن جبير إلى نقش ثالث في أعلى السارية التي تلي السارية السابقة منقوش عليها ما نصه « **أمر عبد الله المهدي محمد أمير المؤمنين أصلحه الله بصرف الوادي إلى مجراه على عهد أبيه إبراهيم ﷺ وتوسعته بالرحاب التي حول المسجد الحرام لحاج بيت الله وعمّاره** » وتحته نقش يشير إلى أمر المهدي بتوسعة الباب الأوسط <٢> .

---

١ ـ القرآن الكريم : سورة البقرة ١٥٨/٢ .

٢ ـ ابن جبير : الرحلة ، ص ٨٤ ـ ٨٥ .

نقوش وزخارف الحِجر :

وصف ابن جبير جدار الحِجر بأنه من الرخام المركب بأشكال جميلة على هيئة مربعات ودوائر مثبتة بواسطة أسلاك من الصفر المذهب ، أما أرض الحجر ففرشت بالرخام ووضعت رخامتان بجدار الحجر مقابل الميزاب وهي ذات شكل جميل نقش بها « **أمر بصنعها إمام المشرق أبو العباس أحمد الناصر بن المستضيء بالله أبي محمد الحسن بن المستنجد بالله أبي المظفر يوسف العباسي** » وفي رخامة في وسط الحِجر أمام الميزاب نقش فيها « **مما أمر بعمله عبد الله وخليفته أبو العباس أحمد الناصر لدين الله أمير المؤمنين وذلك في سنة ست وسبعين وخمسمائة** » .

كما حفظ ابن جبير لنا نقشاً في جدار الحِجر يشير إلى تجديده زمن الناصر ونصه « **أمر يصنعهما على هذه الصفة إمام المشرق أبو العباس أحمد الناصر بن المستضيء بالله أبي محمد الحسن بن المستنجد بالله أبي المظفر يوسف العباسي رضي الله عنه** » ‹١› .

بينما أشار البلوي إلى نقشٍ يدل على عمارة المطاف ونصه « **بسم الله الرحمن الرحيم أمر بعمارة المطاف الشريف سيدنا مولانا الإمام الأعظم المفروض الطاعة على سائر الأمم أبو جعفر المنصور المستنصر بالله أمير المؤمنين بلّغه الله آماله وزيّن بالصالحات أعماله وذلك في شهـــر وسنة إحدى وثلاثين وستمائة وصلى الله على سيدنا محمد وآله** » ‹٢› كما أشار البلوي أيضاً إلى الزخارف والنقوش الذهبية الجميلة الصنعة المطعّمة بالفضة التي كانت بمنبر المسجد الحرام ‹٣› .

---

١ ـ ابن جبير : الرحلة ، ص ٦٤ ـ ٦٥ .

٢ ـ البلوي : تاج المفرق ، جـ ١ ، ص ٣٠٤ . انظر مناقشة النقش ما سبق ، ص ٣٧٠ ، هامش ٢ .

٣ ـ المصدر السابق ، ص ٣٠٥ .

النقوش بالكعبة المشرفة :

حظيت الكعبة المشرفة بالكثير من النقوش الجميلة المكتوبة بالذهب والتي منها ما كتب على باب الكعبة المشرفة ويشير إلى القائم بتجديده ونصه « **مما أمر بعمله عبد الله وخليفته الإمــام أبو عبد الله محمد المقتفي لأمر الله أمير المؤمنين ﷺ وعلى الأئمــة آبائه الطاهرين وخلّد ميراث النبوة لديه وجعلهـــا كلمة باقية في عقبه إلى يوم الدين في سنة خمسين وخمسمائة** » <١> .

أما كسوة الكعبة المشرفة فقد نالت العناية الكافية من النقوش حيث أشار ابن جبير إلى نقش كتب بأعلى الكسوة برسم من الحرير الأحمر فيه « **إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ** » <٢> وإسم الإمام الناصر لدين الله كتب هذا النقش في مساحة سعتها ثلاثة أذرع كما وإن جميع كسوتها الخارجية ذات زخارف ونقوش بديعة متنوعة الأشكال من محاريب وكتابات مليئة بذكر الله تعالى والدعاء للناصر العباسي الآمر بإقامتها وجميع ما بها من رسوم وكتابات اتخذت لون الكسوة نفسها <٣> .

النقوش بالمسجد النبوي :

حظي المسجد النبوي بالكثير من النقوش والزخارف ذات الألوان المتعددة الجميلة فقد أشار ابن جبير إليها وقال واصفاً إن جدار القبلة منه قد غطى من أسفله برخام مجزع متعدد الألوان والنصف الأعلى منه مغطى بالفسيفساء موضوعة على شكل أشجار مختلفة الأشكال مائلات الأغصان ومحملة بالثمار .

---

١ ـ ابن جبير : الرحلــة ، ص ٦٩ ؛ التجيبي : مستفــاد الرحلة ، ص ٢٥٩ . انظــر مناقشــة النقش فيما سبق ، ص ٣٧٣ .

٢ ـ القرآن الكريم : سورة آل عمران ٣/٩٦ .

٣ ـ ابن جبير : الرحلة ، ص ٦٩ .

وقد شملت هذه الزخارف جميع أرجاء المسجد إلا أن جدار القبلة منه كان له النصيب الأوفر ويليه الجدار المواجه للصحن من جهة القبلة والجهة الشمالية ، أما الجهة الغربية والشرقية فقد غلب عليهما اللون الأبيض مع إضافة أنواع كثيرة من الألوان عليه لتزيينه <١> وأورد البلوي نقشاً ينص على أن الملك الظاهر قدم المدينة وخدم بالروضة ونصّه « **بسم الله الرحمن الرحيم خدم بهذه الدار بزينة للحرم الشريف مولانا السلطان الملك الظاهر ركن الدنيا والدين أبي الفتح بيبر الصالحي قسيم أمير المؤمنين في سنة ثمان وستين وستمائة** » <٢> .

النقوش ببعض مساجد المدينة المنورة :

نقش مسجد قباء :

سجل البلوي نقشاً وجد بأعلى محراب مسجد قباء يشير إلى تاريخ تجديده ونصه « **بسم الله الرحمن الرحيم لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ** <٣> ، **هذا مقام النبي ﷺ جدد هذا المسجد في تاريخ سنة إحدى وسبعين وستمائة** » <٤> ولم يحدد النقش شخصيته متولي التجديد .

---

١ ـ ابن جبير : الرحلة ، ص ١٧٢ ـ ١٧٣ .

٢ ـ البلوي : تاج المفرق ، جـ ١ ، ص ٢٨٥ ـ ٢٨٧ .

٣ ـ القرآن الكريم : سورة التوبة ١٠٨/٩ .

٤ ـ البلوي : تاج المفرق ، جـ ١ ، ص ٢٨٨ .

نقوش شواهد القبور :

امتازت كتب الرحالة المغاربة والأندلسيين بتقصي كل الأمور المتعلقة بالمدينتين المقدستين حتى أنهم سجلوا ما وجدوه من نقوش على شواهد القبور ومن ذلك ما سجله العبدري من نقش وجد على قبر الإمام مالك بن أنس رضى الله عنه كتب فيه « **توفي الإمام مالك بن أنس رضي الله عنه في ربيع الأول سنة تسع وسبعين ومائة ومولده في ربيع الآخر سنة ثلاث وتسعين** » (١) .

كما سجل ابن جبير وابن رشيد نقش قبر فاطمة بنت أسد ونصه « **ما ضم قبر أحد كفاطمة بنت أسد** » (٢) .

النقوش بطرق الحجاز :

تظهر أهمية النقوش التي كتبت على بعض الصخور في طرق الحجاز لإيضاح بعض الحوادث التي يتم فيها فناء قافلة من الحجيج فهذه النقوش يكتب فيها سبب هلاك القوم ومن هذه النقوش ما نقله ابن بطوطة عن نقشٍ وجد بوادي الأخيضر وفيه سجل سبب موت الحجيج في إحدى السنين ونصه « **إنه أصاب الحجاج بعض السنين مشقة بسبب ريح السموم التي تهب فأنتشفت المياه وانتهت شربة الماء إلى ألف دينار ومات مشتريها وبائعها** » (٣) .

---

١ ـ العبدري : الرحلة المغربية ، ص ٢٠٣ .

٢ ـ ابن جبير : الرحلة ، ص ١٧٣ ـ ١٧٤ ؛ ابن رشيد : ملء العيبة ، جـ ٥ ، ص ١٩ .

٣ ـ ابن بطوطة : الرحلة ، ص ١٢ ـ ١٣ .

سادساً : مشاريع المياه :

مشاريع المياه في المشاعر المقدسة :

المزدلفة وعرفات :

وجدت بعض مشاريع لتوفير المياه أيام الموسم منها صهاريج ومصانع لتجميع المياه قامت بعملها زبيدة زوجة الخليفة هارون الرشيد ، ولكن بالرغم من ذلك فقد كانت الشكوى من ندرة المياه بها كما أشار لذلك بعض الرحالة <١> .

كما انشئت جباب وصهاريج لحفظ الماء بعرفات أسفل جبل الرحمة لم يعرف القائم بعملها <٢> .

مشاريع المياه بمكة المكرمة :

الآبار وأماكن الوضوء :

تحدث ابن جبير عن آبار عذبة تسمى الشبيكة على طريق التنعيم كما وجد بالزاهر آبار دلت عليها البساتين المنتشرة هناك وأضاف إن بذي طوى آباراً تعرف بالشبيكة <٣> ولعله اختلط عليه أمرها فعدها اثنتين وهي في واقع الأمر منطقة واحدة تسمى الشبيكة ولازالت تعرف بهذا الاسم حتى العصر الحاضر ، كما أكد ابن بطوطة والبلوي على وجود آبار بطريق التنعيم تعرف بالشبيكة وقد أكد ابن بطوطة على وجود بساتين غنّاء في منطقة الزاهر مما يوكد وجود آبار لسقيها<٤> .

---

١ ـ ابن جبير : الرحلة ، ص ١٥٠ ـ ١٥٢ ؛ ابن رشيد : ملء العيبة ، جـ ٥ ، ص ١٠٠ ـ ١٠٤ ؛ ابن بطوطة : الرحلة ، ص ١٦٩ ؛ البلوي : تاج المفرق ، جـ ١ ، ص ٣١٦ .

٢ ـ ابن جبير :الرحلة ، ص ١٥٢ ؛ ابن بطوطة :الرحلة ، ص ١٩٦ ـ ١٧٠ ؛ البلوي : تاج المفرق ، جـ ١ ، ص ٣١٦ ـ ٣١٧ .

٣ ـ ابن جبير : الرحلة ، ص ٨٨ ـ ٨٩ . وتعرف الان بجرول .

٤ ـ ابن بطوطة : الرحلة ، ص ١٤٣ ؛ البلوي : تاج المفرق ، جـ ١ ، ص ٣٠٩ .

أما التجيبي فقد خص بالذكر بئراً بجانب باب العمرة أحد أبواب مكة المكرمة والذي كان يعرف زمن رحلته بباب الشبيكة اتخذت منه اسماً لها وذكر له أنه كانت هناك آباراً أخرى مما يعني زوالها زمن وجوده بمكة إذ لم ينص إلا على بئر الشبيكة <١> .

وانفرد ابن جبير بذكر بستان بالمسفلة <٢> مما يعنى توفر الماء هناك خاصة وأن الفاسي قد ذكر بئراً هناك <٣> .

وأشار ابن بطوطة إلى وجود بئر عند باب إبراهيم أحد أبواب المسجد الحرام وبئر آخر بداخل رباط ربيع <٤> . وأكد التجيبي وجود بئر إبراهيم وانفرد بذكر بئر عذبه بمكة المكرمة تسمى بئر عسيلة وقال « **لقد وافق اسمها مسماها إذ ليس حول مكة بئراً أشد حلاوة منه** » وتوجد هذه البئر قرب المتكأ بطريق التنعيم ضمن آبار تعرف بالزاهر <٥> . وقد أكد ذلك الفاسي <٦> .

ونجد أن استمرار وجود مثل هذه الآبار إنما يعبر عن توالي التعمير والصيانه لها من قبل أمراء وملوك المسلمين وهو ما أوضحه الفاسي عند إيراده لذكر الآبار <٧> .

---

١ ـ التجيبي : مستفاد الرحلة ، ص ٢٣٣ .
٢ ـ ابن جبير : الرحلة ، ص ٩٣ .
٣ ـ الفاسي : شفاء الغرام ، جـ ١ ، ص ٥٤٦ .
٤ ـ ابن بطوطة : الرحلة ، ص ١٤٣ ، ١٥٤ .
٥ ـ التجيبي : مستفاد الرحلة ، ص ٢٣٣ ، ٢٤٦ ، ٢٤٩ .
٦ ـ الفاسي : شفاء الغرام ، جـ ١ ، ص ٥٤٦ ـ ٥٥٢ .
٧ ـ المصدر السابق والجزء والصفحات .

أماكن الوضوء بمكة المكرمة :

أشار العبدري إلى عزم المنصور أبي الفتح لاجين سنة ٦٨٨هـ / ١٢٨٩م في إنشاء ميضأة عند باب إبراهيم ولكن حدوث فتنه في تلك السنة حال دون إنشائها ، وأضاف التجيبي إنها شيدت في عهد الناصر سنة ٦٩٩هـ/١٢٩٩م<١> .

ويذكر ابن بطوطة أن الملك الناصر بنى داراً للوضوء سنة ٧٢٨هـ/١٣٢٧م بجوار رباط العباس بالمسعى وجعل لها بابين الأول في سوق الصفا والآخر في سوق العطارين وفوقها سكن للقائمين على خدمتها وخدمة الرباط <٢> ، غير أن الفاسي ذكر عمارتها عند باب بنى شيبة وأكد ابن فهد على عمارتها سنة ٧٢٨هـ/١٣٢٧م <٣> .

عين بازان : أجراها دانيال العجمي سنة ٧٢٦هـ/١٣٢٥م بدعم من جوبان نائب العراق <٤> .

مشاريع المياه بالمدينة المنورة :

الآبار والعيون :

بئر في رحبة مسجد قباء :

حوضه متسع استعمل ماؤه للوضوء في زمن رحلة ابن جبير ، أما زمن البلوي فذكر أنها تقع أمام المسجد وقال إنها كبيرة ذات ماءٍ عذب يحمل ماؤها إلى المدينة <٥> .

---

١ ـ العبدري : الرحلة المغربية ، ص ٢١٨ ؛ التجيبي : مستفاد الرحلة ، ص ٢٤٨ ـ ٢٤٩ .

٢ ـ ابن بطوطة : الرحلة ، ص ١٤١ .

٣ ـ الفاسي : شفاء الغرام ، جـ ١ ، ص ٥٥٩ ، ٥٣٢ ؛ الفاسي : العقد الثمين ، جـ ١ ، ص ١٢٠ ؛ ابن فهد : اتحاف الورى ، جـ ٣ ، ص ١٨٧ .

٤ ـ انظر ما سبق ، ص ٢٨٥ ، هامش ٤ .

٥ ـ ابن جبير : الرحلة ، ص ١٧٥ ؛ البلوي : تاج المفرق ، جـ ١ ، ص ٢٨٨ .

ويبدو أن هذه البئر خاصة بالمسجد ولعلها ليست من الآبار المشهورة إذ لم يرد لها ذكر في كتب مؤرخي المدينة التي اطلعنا عليها إلا في كتاب المغانم والذي نقل خبرها من ابن جبير ‹١› الأمر الذي يؤكد أهمية كتب الرحالة كمصدر من مصادر تاريخ الحجاز حتى لمؤرخي القرون السابقة لنا .

بئر اريس ‹٢› :

يقع بالقرب من مسجد قباء ولم يقم ابن جبير وابن بطوطة بوصفها ‹٣› بينما أفاض في وصفها وابتداء أمرها والتجديدات المتوالية عليها وفضلها معظم مؤرخي المدينة ‹٤› ، وأضاف عبد القدوس الأنصاري أن البئر الآن ليس بها ماء سنة ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م وأضاف علي حافظ أن ملكية البئر الآن آلت إلى البلدية بعد أن قامت بعمل ميدان مسجد قباء في أواخر سنة ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م وتبعد البئر عن باب المسجد اثنتين واربعين متراً جهة الغرب وهي الآن ناضبه ويمكن إخراج ماءها بالارتوازي ‹٥› .

---

١ ـ الفيروز ابادي : المغانم المطابة ، ص ٣٢٤ ـ ٣٢٥ .

٢ ـ هي البئر التي سقط فيها خاتم النبي ﷺ من يد عثمان بن عفان وتعرف ببئر الخاتم . انظر ابن النجار : أخبار مدينة الرسول ، ص ٤١ ـ ٤٣ .

٣ ـ ابن جبير : الرحلة ، ص ١٧٥ ؛ ابن بطوطة : الرحلة ، ص ١٢٦ .

٤ ـ ابن النجار : أخبار مدينة الرسول ، ص ٤١ ـ ٤٣ ؛ السمهودي : وفاء الوفا ، جـ ٣ ، ص ٩٤٨ ؛ الفيروز ابادي : المغانم المطابة ، ص ٢٥ ـ ٢٩ .

٥ ـ عبد القدوس الأنصاري : آثار المدينة المنورة ، ص ٢٣٩ ؛ علي حافظ : فصول من تاريخ المدينة ، ص ١٨٧ ـ ١٨٨ .

بئر بضاعة ‹١› :

أغفل وصفها ابن جبير وابن بطوطة ‹٢› ، وقد جاء ذكرها وما ورد فيها من أثر النبي ﷺ لدى بعض مؤرخي المدينة ‹٣› وذكر عبد القدوس الأنصاري وعلى حافظ أنها لا تزال موجودة إلى الآن ‹٤› .

بئر رومة ‹٥› :

انفرد ابن بطوطة بذكرها وأغفل وصفها وحدد موقعها في جهة الغرب من حصن العزاب بالقرب من الخندق ‹٦› ، وقد نزحت وجددت في سنة ٧٤٨هـ/١٣٤٧م وقيل سنة ٧٥٠هـ/١٣٤٩م على يد شهاب الدين الطبري ‹٧› .

---

١ ـ بئر بضاعة بصق فيه الرسول ﷺ ودعا وقال فيه « إن الماء طهور لا ينجسه شيء » . انظر ابن النجار : أخبار مدينة الرسول ، ص ٤٤ .

٢ ـ ابن جبير : الرحلة ، ص ١٧٦ ؛ ابن بطوطة : الرحلة ، ص ١٢٦ .

٣ ـ ابن النجار : أخبار مدينة الرسول ، ص ٤٤ ـ ٤٥ ؛ السمهودي : وفاء الوفا ، جـ ٣ ، ص ٩٥٦ ـ ٩٥٩ ؛ الفيروز آبادي : المغانم المطابة ، ص ٣١ ـ ٣٥ .

٤ ـ عبد القدوس الأنصاري : آثار المدينة المنورة ، ص ٢٤٦ ؛ علي حافظ : فصول من تاريخ المدينة ، ص ١٨١ ـ ١٨٣ . ويذكر أن هذه البئر موجودة الآن داخل احدى عمارات تلك المنطقة . انظر الشنقيطي : الدر الثمين ، ص ١٦٧ .

٥ ـ بئر رومة ابتاعها عثمان بن عفان وتصدق بها . انظر ابن النجار : أخبار مدينة الرسول ، ص ٤٨ .

٦ ـ ابن بطوطة : الرحلة ، ص ١٢٦ .

٧ ـ ابن حجر : الدرر الكامنة ، جـ ١ ، ص ٢٩٧ ـ ٢٩٨ ؛ العقد الثمين ، جـ ٣ ، ص ١٦١ ـ ١٦٦ ؛ السخاوي : التحفة اللطيفة ، جـ ١ ، ص ٢٤٤ ، ٢٤٥ .

العيون :

عين تنسب للنبي ﷺ :

حـــدد ابن جبير والبلوي موقعها بين المدينة المنورة والخندق على يمين الطريق ، مبني عليها جدار كبير مستطيل وتقع العين في وسطه ، أما فوهة العين فهي عبارة عن حوض مستطيل يخرج منها سقايتان بني بينهما جدار ينزل إلى وسطها بواسطة درج عددها خمسة وعشرون درجة وماء هذه العين كثير وغزير ، ويعتمد أهل المدينة على مائها في غسل ملابسهم وشربهم ، وقد اشار ابن جبير إلى استعمال طريقة الاستقاء لتناول الماء منها صيانة وحفاظاً على نظافة الماء (١) ، وذكر ابن النجار مبتدأ أمرها بقوله « **كانوا أيام الخندق يخرجون برسول الله ﷺ ويخافون البيات فيدخلون به كهف بني حرام فيبيت فيه حتى إذا أصبح هبط فنقر رسول الله ﷺ في العينية التي عند الكهف فلم تزل تجري حتى اليوم وأضاف إن هذه العين ظاهر المدينة وعليها بناء وهي مقابلة المصلى** » (٢) .

ولم تعد تعرف هذه العين زمن السمهودى حيث دثرت ومحي أثرها وأوضح السمهودى الاختلاف في كونها العين التي تنسب للنبي ﷺ أو عين الأزرق ، وبين أنه يحتمل أن تكون عين النبي ﷺ كانت تجري إلى هناك وكذلك عين الأزرق ثم انقطعت الأولى وبقيت الثانية ، وأضاف إن اتفاق وصف ابن جبير وابن النجار لها يبعد احتمال كونها عين الأزرق (٣) .

---

١ ـ ابن جبير : الرحلة ، ص ١٧٥ ـ ١٧٦ ؛ البلوي : تاج المفرق ، جـ ١ ، ص ٢٩٠ . ولعله نقل وصفها من ابن جبير .

٢ ـ ابن النجار : أخبار مدينة الرسول ، ص ٤٩ .

٣ ـ السمهودي : وفاء الوفا ، جـ ٣ ، ص ٩٨٥ .

أما الفيروز آبادي فقد نفى أن تكون عين النبي ﷺ وأكد أنها عين الأزرق <١> .

وذكر علي حافظ أن الكهف معروف لدى أهل المدينة إلى الآن ولكنه لم يوضح هل لا يزال بها ماء أم لا <٢> ؟ .

عين داخل باب الحديد أحد أبواب المدينة المنورة :

وهي منخفضة عن مستوى سطح الأرض يُنزل إليها بواسطة درج ماؤها عذب قريبة من المسجد النبوي <٣> ، ولعل هذه السقاية إنما هي عين الأزرق فقد كان لها مجرى إلى سور المدينة وتخرج من تحت السور بمجريين على شكل درج وتستكمل مجراها إلى رحبة عند مسجد النبي ﷺ من ناحية باب السلام والذي تكفّل بإيصالها إلى باب السلام الأمير سيف الدين الحسين ابن أبي الهيجاء <٤> في حدود سنة ٥٦٠هـ/١١٦٤م <٥> .

---

١ ـ الفيروز آبادي : المغانم المطابة ، ص ٢٩٥ .

٢ ـ علي حافظ : فصول من تاريخ المدينة ، ص ٢٨٨ ـ ٢٨٩ .

٣ ـ ابن جبير : الرحلة ، ص ١٧٦ ؛ البلوي : تاج المفرق ، جـ ١ ، ص ٢٩٠ .

٤ ـ الحسين بن أبي الهيجاء صهر الصالح وزير الملوك المصريين أخذ من العين الزرقاء شعبة أوصلها إلى رحبة المسجد من جهة باب السلام وشعبة صغيرة تدخل صحن المسجد ثم بطل ذلك وعمل للحجرة الشريفة ستارة مكتوب عليها سورة ياسين بكاملها . انظر السخاوي : التحفة اللطيفة ، جـ ١ ، ص ٥١٦ .

٥ ـ السمهودي : وفاء الوفا ، جـ ٣ ، ص ٩٨٦ ؛ الفيروز أبادي : المغانم المطابة ، ص ٢٩٥ ـ ٢٩٦ .

قبة حجر الزيت :

بناءً عليه قبة تسمى قبة حجر الزيت يذكر أن الزيت رشح للنبي ﷺ من ذلك الحجر وتقع هذه القبة خارج المدينة <١> ، وأشار إليها السمهودي والفيروز آبادي ويذكر السمهودي روايتين تبين أن احجار الزيت تطلق على موضعين الأول قريب من البزواء والثاني في الحرة في منازل بني عبد الأشهل <٢> ، ويبدو من كلام ابن جبير وابن بطوطة أنه الموضع الأول ، وحدد علي حافظ موقعها بالمناخة قرب مشهد مالك بن سنان <٣> .

أماكن الوضوء :

أشار العبدري إلى أمر الملك المنصور ببناء دار للوضوء عند باب السلام من ناحية الغرب فأقام داراً واسعة محكمة البناء أجرى إليها الماء وأوصله بالمنازل في حينه <٤> وأكد ابن بطوطة والسمهودي ذلك حيث حدد الاخير تاريخ إنشائها بسنة ٦٨٦هـ/١٢٨٧م <٥> .

ونخلص مما سبق إلى القول إن المدينة المنورة كان عمرانها متقناً حسناً نستشف حسنها وترتيب بنائها من قول البلوي بأنها « **طيبة الرائحة متسعة الارجاء مشرقة الانحاء طيبة الهواء كثيرة النخيل والماء ممتدة التخطيط والاستواء حسنة الترتيب والبناء** » <٦> .

---

١ ـ ابن جبير : الرحلة ، ص ١٧٦ ؛ ابن بطوطة : الرحلة ، ص ١٢٦ .

٢ ـ السمهودي : وفاء الوفا ، جـ ٤ ، ص ١١٢١ ـ ١١٢٢ ؛ الفيروز أبادي : المغانم المطابة ، ص ٩ .

٣ ـ علي حافظ : فصول من تاريخ المدينة ، ص ٢٧ .

٤ ـ العبدري : الرحلة المغربية ، ص ٢١٨ .

٥ ـ ابن بطوطة : الرحلة ، ص ١١٨ ـ ١١٩ ؛ السمهودي : وفاء الوفا ، جـ ٢ ، ص ٧٠٤ .

٦ ـ البلوي : تاج المفرق ، جـ ١ ، ص ٢٩٠ .

فيبدو أن المدينة المنورة كانت أحسن حالاً من مكة المكرمة بدليل مشاهدات الرحالة المغاربة والأندلسيين من عمران تمثل في البناء المحكم على الآبار والعيون والسقايات واماكن الوضوء واغلب الظن أن المدينة المنورة نعمت باستقرار سياسي نسبي نظراً لوفرة الماء بها فقد ازدهرت بالزراعة وخاصة النخيل ، كما نشطت حركة البناء والتعمير خاصة وأن امراء المدينة المنورة أقل تأثراً بأمراء وملوك المسلمين المحيطين بهم ، فهم على الغالب تربطهم بهم روابط جيده بدليل إنشاء وتعمير أمراء وملوك المسلمين أماكن بها وخاصة إعادة بناء المسجد النبوى بعد حريقه .

ولا يعنى هذا أن المدينة المنورة لم تمر بها أوضاع سياسية عصيبة بل على العكس لابد وأن تكون قد عصفت بها خاصة عند تصارع الأمراء الاشراف بها على السلطة كما أشار إلى ذلك ابن بطوطة (١) .

ويبدو أيضاً أن بعض قرى الحجاز في تلك الفترة نعمت بهدوء سياسي اعقبه استقرار اقتصادى مثل وادى الصفراء .

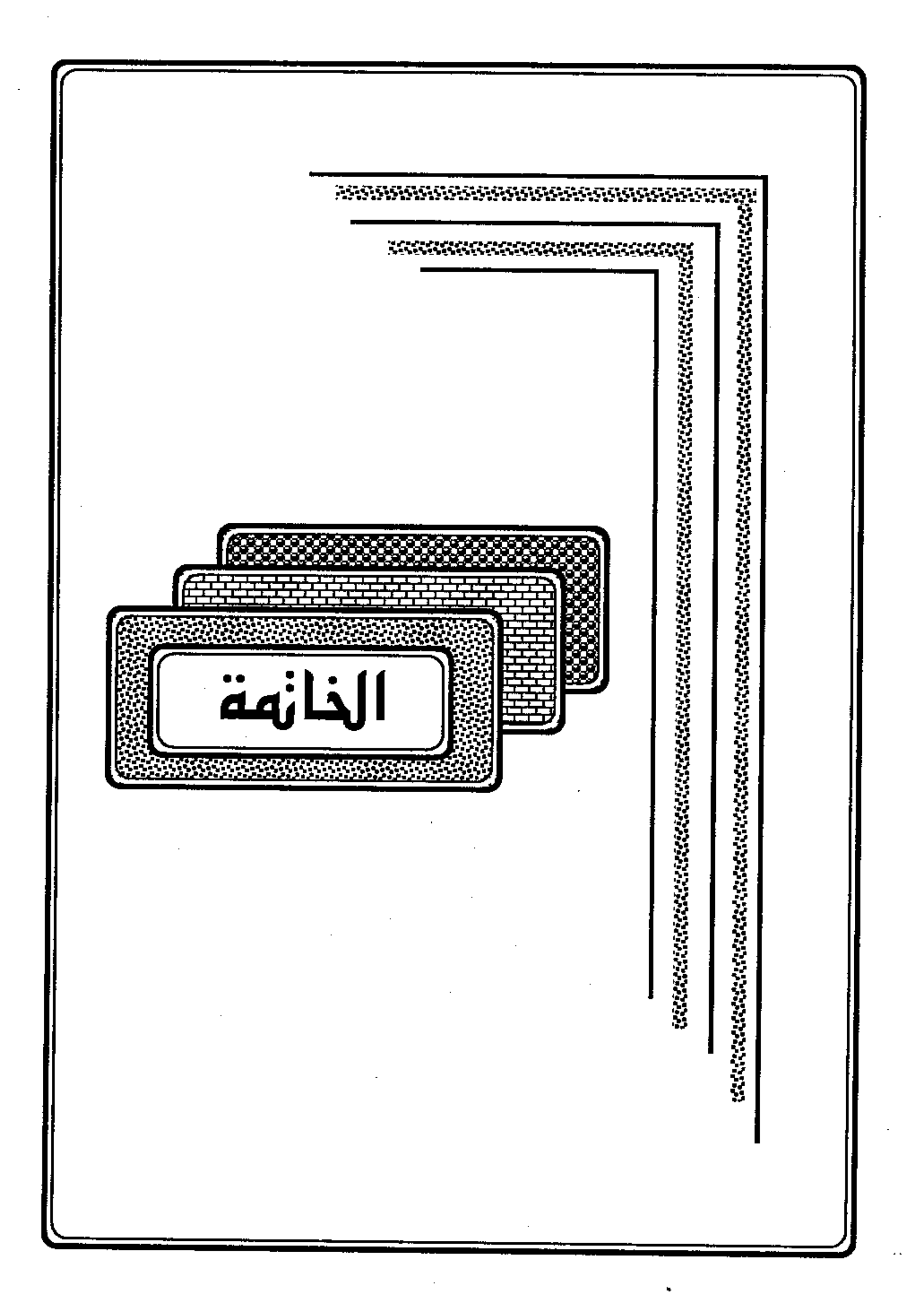
ونجد أن الحجاز قد عرف جميع أنواع البناء سواء منه المدني أو الحربي أو الديني ، ولمسنا مدى إتقانهم لأنواعه ، إضافة إلى اتقان أهل الحجاز لفنون الزخرفة والنقش التي كانت تزين أهم الأماكن بها مثل المسجدين المكى والمدني ، وعليه فإن الحجاز وجد به المقومات الأساسية للدولة ولولا سوء أوضاعه السياسية لأصبح من أعظم الأقاليم الإسلامية عمراناً وحضارة إذا أخذنا في الاعتبار الحركة العلمية الهائلة الموجودة به وما يأتيه من مساعدات اقتصادية كانت كفيلة بانتعاش اقتصاده وجعله من أحسن الأقاليم الإسلامية اقتصاداً .

---

١ ـ انظر ما سبق ، ص ١٧٩ ـ ١٨١ .

وعلى العموم فالمدينتين المقدستين قد نعمتا ببعض المشاريع التي توضح حرص وإهتمام المسلمين من ملوك وأمراء عامة بالبناء والتعمير بها طلباً وسعياً وراء الأجر والثواب من الله عز وجل .

ونستطيع القول أخيراً أنه لولا سوء أوضاع الحجاز السياسية التي تمثلت في تصارع الاشراف فيما بينهم من ناحية وتصارع الاشراف مع الدول المجاورة من ناحية أخرى إضافة إلى إنتهاز الاعراب قطاع الطرق لسوء الحالة الأمنية بها في كثير من الأحيان لأصبح الحجاز اقليماً ينعم بالاستقرار والهدوء خاصة بعد ان قيض الله تعالى للحجاز من خارجه أو داخله من يسد فراغ الناحية المعمارية بعد أن انصرف امرائها الاشراف عن هذه الناحية .


الخاتمة

حظى الحجاز بالعديد من الدراسات فى الأونة الأخيرة ، لما له من منزلة عظيمة في نفوس المسلمين واستخدمت كافة المصادر للإلمام بتاريخ هذه البقعة المهمة . ولكن الاعتماد على كتب الرحالة المغاربة والأندلسيين وإظهار أهميتها كمصدر مهم من مصادر تاريخ الحجاز لم تحظَ بالدراسة الكافية ٠

وقد اعتمدنا فى هذا البحث على بعض كتب الرحالة المغاربة والأندلسيين لإظهار أهميتها والتأكيد على أنها من المصادر المهمة لتاريخ الحجاز ولا يجب الاستغناء عنها فخلصنا إلى عددٍ من النتائج سواء منها ما يتعلق بالجانب العلمي أو الجانب الديني أو الاجتماعي أو الإقتصادى أو السياسي ٠ فمن هذه النتائج التى استخلصت مما كتبه الرحالة المغاربة والأندلسيين :

الجانب العلمي :

١ ـ إن الإسلام دينُ علّم ومعرفة فبرز من هذه الحقيقة الرحلة لطلبه فالرحلة قديمة قدم الإسلام نفسه ، فتعددت أغراضها وغاياتها خاصة وأن القرآن الكريم والسنة النبوية المطهره حضتا على وجوب السعى لتعلم العلم النافع ٠ فظهرت الرحلة كوسيلة للعلم والإعلام منذ عهد الرسول ﷺ وبدأت تأخذ مساراتها المختلفة منذ تلك الفترة ٠

٢ ـ إن العلم يتطلب السعى لنيله فقام العلماء للرحلة لطلبه فلمعت أسماء بعضهم بفضل ما قاموا به من رحلات بجميع أهدافها وأغراضها ٠

وقد ترتب على ذلك شغف المسلمين بالرحلة وعرفوا واتقنوا مختلف أنواعها وهذا ينطبق على مسلمي المشرق والمغرب على حد السواء ، إلا أن مسلمي المغرب والأندلس انفردوا بنوع فريد من الرحلات هى الرحلات الحجازية والتى أساسها أداء فريضة الحج والزيارة وطلب العلم ٠ وقد افرزت هذه الرحلات مذكرات ومشاهدات لهؤلاء الرحالة تكونت منها رحلاتهم التى أصبحت بمثابة موسوعة

علمية مصغرة لما حوته من معلومات هامة لكافة أحوال المسلمين فى تلك الفترة ٠ إضافة إلى كونها سجلاً ضمت قوائم باسماء علماء المسلمين البارزين الذين تخصصوا فى مختلف العلوم مثل علم القراءات وعلم الحديث والفقه واللغة العربية والتاريخ والشعر والأدب ، فالرحالة كانوا عبارة عن عين لاقطه لما حولهم يستقطب اهتمامهم جميع الأمور وإن صغرت ٠

٣ ـ ضمت مكة المكرمة جميع المذاهب الإسلامية بعلمائها الذين ساروا جنباً إلى جنب لدفع الحركة العلمية إذ تبين من خلال ما كتبه الرحالة المغاربة والأندلسيون مدى مكانة مكة المكرمة العلمية التى وصل اشعاعها لكافة الأمصار الإسلامية ٠ فمكة المكرمة مبدأ ومنتهى الحركة العلمية وحلقة الوصل بين المشرق والمغرب الإسلامي ٠

ففيها لمعت أسماء العلماء ومنها تنتشر الكتب إلى المشرق والمغرب على حد السواء وهذا بفضل الوسائل المهيئة لنشر العلم من وجود العلماء والكتب وتبادلها فيما بينهم وانتشار المدارس والأربطه التى كانت عبارة عن مساكن لطلبة العلم اقيمت بها مكتبات حوت نفيس الكتب التى كانت مدار الطلب فى ذلك الوقت ٠ فأكبوا على طلب العلم والنهل منه بعدما أُمنت حاجاتهم الأساسية من مسكن وغذاء ومرتبات بفضل ما كان يصل مكة المكرمة من الأعطيات والصدقات التى ترسل من ملوك وأمراء وأغنياء المسلمين لتفرق عليهم هناك ٠

٤ ـ بروز دور المسجد الحرام العلمي فقد كان بمثابة جامعة مفتوحة يتوافد إليه طلاب العلم المسلمين من جميع أنحاء العالم الإسلامي وفضل الكثير منهم المجاورة بمكة المكرمة لفترات قد تطول أو تقصر وذلك لتلقى العلم على أيدى علماء افذاذ مثلوا المذاهب الإسلامية وبرعوا فى فنون العلم المختلفة ٠

٥ ـ وجد بمكة المكرمة أعداداً هائلة من العلماء الذين لم يكونوا من أبناء الحجاز وحدها حيث لعب العلماء المجاورون دوراً بارزاً فى رواج الحركة العلمية بها وقد ظهر ذلك جلياً من خلال ما سجل من أسمائهم وترجمة لحياتهم فى كتب الرحلات التى ربما زادت عما ورد فى كتب التراجم نفسها بل إن ما كتبه الرحالة المغاربة والأندلسيون عن هؤلاء العلماء اعتمد عليه أصحاب كتب التراجم كالفاسي والسخاوى مثلاً فى ترجمتهم لهؤلاء العلماء ٠

فلقد تهيأ لمكة المكرمة ما لم يتهيأ لغيرها من مدن العالم الإسلامي فقد هفت إليها أفئدة العلماء الذين ذاعت شهرتهم فى علمٍ من العلوم التى اختصوا بها إلى جانب العدد الكبير من أبنائها العلماء والذين لعبوا جميعاً دوراً بارزاً فى رواج الحركة العلمية بها لتعدد حلقات الدرس فى المسجد الحرام فكان لكل مذهب من المذاهب الإسلامية زاوية ودرس خاص توفرت بها كتبهم العلمية وجلسوا للمناظرة والفتوى والشرح والاجازة ٠

٦ ـ ماثلة المدينة المنورة مكة المكرمة فى مكانتها العلمية بعد القرن السادس الهجرى وبلغت مكانة عالية فى القرن الثامن الهجرى بعد ان خفت وطئت سيطرة الشيعة على مقاليد أمور الناحية العلمية بها بسبب أحكام سيطرة المماليك حكام مصر على الأمور بها وذلك بتعيين الأئمة والخطباء والمؤذنين والقضاة السنيين بها ٠ حيث كان قبل ذلك أهل السنه مضطهدين لا يستطيعون البت فى أمورهم بل لقد وصل الأمر في بعض الفترات الى تركهم المدينة المنورة ومصادرة املاكهم ٠

الجانب الديني :

١ ـ لقد أدى ضعف الحالة الدينية فى الحجاز إلى أنها أصبحت مرتعاً خصباً لظهور الكثير من البدع والخرافات منها ما هو منافي للعقيدة مثل العروة الوثقى بالكعبة المشرفة وخرزة فاطمة الزهراء بالمسجد النبوى الشريف وما ذكر عن بيوت زوجات النبي ﷺ بالمسجد أيضاً ٠

ونجد أن الداعى إلى مثل هذه البدع هو استجلاب الأموال من عوام الناس والحجيج . كما تفشت عادة التبرك بقبور الأولياء والصالحين وكل ما يمت بصلة قريبة كانت أو بعيدة بالرسول ﷺ وصحابته رضوان الله عليهم .

٢ ـ استفحال تفشى البدع والشائعات بين طبقات المجتمع الحجازى المختلفة الأمر الذى أدى إلى أن صدقها الرحالة المغاربة والأندلسيون وضمنوها رحلاتهم مما يعطينا تصوراً واضحاً لضعف الحالة الدينية .

٣ ـ وجود بعض بدع وشائعات إلى وقتنا الحاضر كانت موجودة منذ تلك الأيام مثل زيادة ماء زمزم ليلة النصف من شعبان وعدم وقوع الحمام على الكعبة المشرفة .

٤ ـ إن أغلب ما وجد من أماكن نسبت إلى بعض الصحابة رضوان الله عليهم وبنيت عليها مساجد إنما الحقت نسبتها إليهم بعد فترة طويلة من وفاتهم مما يؤكد عدم صحة نسبتها إليهم فى كثير من الأماكن .

٥ ـ ضعف الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فى بعض فترات البحث وما وجد من قائمين به كانوا يعملون به من تلقاء أنفسهم وربما عوقبوا على قيامهم بهذا الأمر . ويبدو أن الأمر تغير إذ أصبح هناك موظفين قائمين بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وقد وضح ذلك مما أورده ابن بطوطه .

٦ ـ ضعف سلطة القاضي فى بعض الفترات وتغلب سطوة العامة من الناس والحجيج على بعض قرارته وخاصة فيما يتعلق بيوم الوقوف بعرفة .

الجانب الاجتماعي :

١ ـ تعدد الطبقات في المجتمع الحجازى واختلاف تركيبته السكانية بسبب مركزه الديني فى نفوس المسلمين . وقد شكل المجاورون بمختلف اجناسهم طبقة منه .

٢ ـ بسبب إختلاف التركيبة السكانية بالحجاز ومكانته الدينية ظهرت عادات وتقاليد خاصة أنفردت بها عن سائر الأمصار الإسلامية ٠ لا يزال بعضاً منها إلى وقتنا الحاضر ٠ كما جرى في بعض العادات تغييرات على مر السنين لاحظناها من رحالة لآخر ٠

٣ ـ إنفراد الرحالة المغاربة والأندلسيين بتسجيل الحياة الاجتماعية بالحجاز والتى أغفل ذكرها المؤرخون الذين اقتصروا على تسجيل الناحية السياسية ٠

الجانب السياسي :

١ ـ عم الاضطراب السياسي الحجاز داخلياً بسبب تصارع أمراء الأشراف فيما بينهم على الإمره فقامت الحروب فيما بينهم فى سبيل الحصول عليها ٠

٢ ـ استعانة الأمراء الأشراف بملوك مصر تارة وبملوك اليمن تارة أخرى فى سبيل الحصول على الحكم وربما لجأ كل أميرٍ منهم إلى دولة منهما فأصبحت بذلك الحجاز مسرحاً لتصارع مصر واليمن وإثبات قوتهما على حساب الحجاز ٠

٣ ـ منذ قيام الدولة الأيوبية بمصر التزم الأشراف فى الحجاز بالدعاء لهم على المنابر وخضوع الحجاز لسيادتهم وأصبح من ضمن الولايات التى أخذ عليها صلاح الدين الأيوبي تقليداً من الخليفة العباسي المستضيء ثم خضعت مباشرة للأيوبيين عقب استيلاء سيف الإسلام أخو صلاح الدين عليها ٠

وبالرغم من خضوع الحجاز للأيوبيين إلا أننا لم نلاحظ أن لهم تدخلات مباشرة في تعيين وعزل الأمراء الأشراف ولكن تُرك لهم حرية البت فى أمورهم من تلقاء أنفسهم والتفت الأيوبيون إلى تأمين طرق الحج وإسقاط المكوس عن الحجاج وتعويض أمرائها أموالاً وحبوباً أوقفوا عليها القرى والأراضي فى مصر لهذا الغرض ٠

٤ ـ ارتبط اشراف الحجاز ارتباطاً وثيقاً فى القرن الثامن الهجرى بالمماليك بمصر الذين تدخلوا فى شؤون الحجاز الداخلية وامتد ليشمل الامراء انفسهم من ناحية توليتهم وعزلهم ٠ وأكثر هذه الفترات ارتباطاً هى فترة حكم الناصر محمد بن قلاوون وخاصة بعد وفاة الأمير أبو نمي وما أعقب ذلك من تصارع أبنائه منذ سنة ٧٠١هـ / ١٣٠١م وما تلى ذلك من السنين ٠

٥ ـ لم يؤثر عن أشراف المدينة المنورة أرتباطهم بغير ملوك مصر الذين خضعوا لهم خضوعاً مباشراً خاصة عندما يحدث تصارع بين أمرائها ويلجأ أحدهما إلى سلطان مصر ٠

٦ ـ تراوح ولاء الحجاز بين مصر واليمن تبعاً لحجم الأعطيات التى تصله من أحدهما ٠

٧ ـ خضوع المدينة المنورة لأمراء مكة المكرمة فى بعض الفترات مثلما حدث فى جزء من فترة حكم أبو عزيز قتادة وأبو نمي ٠ كما حدث وان خضعت مكة المكرمة لإمراء المدينة المنورة مثلما حدث فى عهد مكثر بن عيسى أمير مكة المكرمة وهذا الأمر فى فترة وجيزه لا يلبث أمراء مكة المكرمة ان ينفردوا بحكمها ٠

٨ ـ إن محاولات أمراء مكة المكرمة لضم المدينة المنورة يقودنا إلى القول بقوة شخصية أمراء مكة المكرمة وتطلعاتهم لمد نفوذهم وسيطرتهم على المدينة المنورة خاصة وأن بعض أمرائها حل لقب ملك الحرمين مثل أبي نمي ٠

٩ ـ بالرغم من حدوث بعض الحروب بين أمراء المدينة المنورة وأمراء مكة المكرمة إلا أن جهودهما تتوحد عند احساسهما بخطر يهدد احدهما وظهر ذلك جلياً عندما تعاونا لإسترداد مكة المكرمة فسارعوا لتوحيد جهودهما مثلما حدث فى فترة أبي عزيز قتادة لإسترداد مكة المكرمة وفى فترة حكم أبو نمي ٠

١٠ـ إمتداد سيطرة أمراء مكة المكرمة على مناطق شاسعة خارج الحجاز بل وخارج نطاق الجزيرة العربية ليشمل مملكة سواكن وبلاد البجه حيث ظهر فى فترة البحث شريفان توليا ملكها هما زيد بن أبي نمي ومبارك بن عطيفه بن أبي نمي وقد أغفلت المصادر التاريخية الإشارة إلى ذلك ولم نعثر إلا على إشارة عابرة من الفاسى استقيناها من قصيدة تؤكد ما ذكره ابن بطوطه من ان زيد بن أبي نمي كان ملكاً عليها واشارة أخرى تؤكد أن عطيفه تولى ملكها أيضاً ولكن بدون تفصيل .

ونخلص من هذا إلى أن هناك علاقات خارجية لأشراف مكة المكرمة ببعض الدول والإمارات المجاورة أغفلت ذكرها كافة المصادر التاريخية التى تناولناها لموضوع البحث .

١٠ـ ارتباط أشراف الحجاز بسلاطين كلوه فقد كانت لهم رحلات سنوية إليهم وهذا الأمر أغفل ذكره المؤرخون .

١١ـ التنافس فى حل لقب خادم الحرمين الشريفين من قبل سلاطين مصر واليمن حيث إن أول من حمل لقب خادم الحرمين الشريفين هو صلاح الدين الأيوبي ثم أنتقل اللقب لملوك اليمن أثناء أنشغال ملوك مصر بأمورهم الداخلية ولكنه لم يلبث أن أصبح من ضمن القاب ملك مصر الذى ظهرت قوته وهيمنته على العالم الإسلامي فى ذلك الوقت .

١٢ـ ظهور مبدأ الإشتراك فى الإمره عوضاً عن ولاية العهد ولكن بصلاحيات أكبر تخوله الحكم والبت فى الأمور بوجود الشريك وهو مع ذلك مقاسمة فى واردات الأمارة الإقتصادية .

١٣ـ تبعت بعض مدن وقرى الحجاز الشمالية سلاطين مصر واربطوا معها بروابط إقتصادية فى بعض الأحيان مثل ينبع .

١٤ـ كانت ينبع ووادى نخل المنفى الأختيارى لأشراف مكة المكرمة فيقصدها الشريف المنهزم إما ليموت هناك أو لتجميع قوته والعودة مرة أخرى لإسترداد مكة المكرمة من منافسيه بعد ان يكون قد جمع الاتباع فيقوم إما بمهاجمة مكة المكرمة مباشرة أو يلجأ إلى فرض الحصار الإقتصادى عليها وقطع طريق الحجيج وبهذا يمتد الضرر ليشمل أهل الحجاز ومجاوريه وليس فقط الأمراء الأشراف .

١٥ـ سجل الرحالة المغاربة والأندلسيين بتقصي بارع جانباً من الوضع السياسي فى الحجاز ضاها ما ذكره بعض المؤرخين الآخرين لبعض الأحداث مما كشف أموراً كانت خافية اسبابها ودوافعها .

١٦ـ إنعدام الأمن فى داخل مكة المكرمة والمشاعر المقدسة أثناء الموسم وفى الطرق المؤدية إلى مدن الحجاز .

الجانب الإقتصادى :

١ ـ إستقرار الأحوال السياسية بالممالك الإسلامية المجاورة للحجاز يعقبه إستقرار سياسي وإقتصادي بالحجاز بسبب ما يصلها من أعطيات منهم بإنتظام .

٢ ـ عرف الحجاز مهناً صناعية عدة عمل بها أهل الحجاز واتقنوها مثل صناعة الحلوى والبناء التى امتدحهما ابن جبير .

٣ ـ وجود جالية مغربية عملت بالزراعة بالحجاز مما نتج عنه رواج هذه المهنة وإستصلاح كثير من الأراضي حول مكة المكرمة .

٤ ـ عدم التفات أمراء الحجاز للأصلاح الذى يخدم الحجاج وأهل الحجاز بالرغم من إرسال الكثير من الأموال إليهم والتفاتهم إلى تقوية مكانتهم ببناء الإستحكامات الحربية خوفاً من انقضاض غيرهم عليهم وإنتزاع الأمره سواء من داخل الحجاز أو خارجه .

٥ ـ عدم سماح أمراء مكة المكرمة بأي إصلاح بالمسجد المكي إلا بعد دفع أموالٍ توازي تكاليف الإصلاح أو التجديد وربما تزيد عليها إضافة إلى تذييل التعمير أو التجديد برسم الخليفه المعاصر بعد أخذ موافقته أولاً على المراد عمله دون ذكر القائم على العمل .

كما أن معظم ماتم من بناء إنما كان تجديداً أو ترميماً لما هو قائم دون زيادة مساحته وقد اتضح ذلك من بعض المباني التي كانت لا تزال إلى وقت قريب قائمة وأنطبق وصفها على ما ذكره الرحالة إضافة الى بقاء بعض طرز البناء المعمارى الى الوقت الحاضر .

٦ ـ معرفة أهل الحجاز لاساليب المعاملات التجارية بمختلف أنواعها من بيع وشراء ورهن واستدانة ومقايضة .

ومما استنتج عن الرحالة أنفسهم :

١ ـ إنصباب إهتمام الرحالة المغاربة والأندلسيين على تقصى أحوال مكة المكرمة من جميع جهاتها دون المدينة المنورة وباقي مدن وقرى الحجاز وهذا عائدٌ إلى طول مكوثهم بها .

٢ ـ تصدر الرحالة المغاربة والأندلسيون عند العودة إلى موطنهم للأقراء والتدريس وتولي القضاء والإمامة أو الكتابة لدى بعض أمراء المغرب أو الأندلس . فتأهلهم لشغل هذه المناصب التعليمية والدينية بفضل العطاء والأخذ العلمي الذي تم بالمدينتين المقدستين فأهلهم ذلك لإحتلال مثل هذه المناصب فأغلب الرحالة المغاربة والأندلسيين كانوا أدباء بارعين تولوا قبل مجيئهم إلى المشرق مناصب هامة فى بلادهم مثل الكتابة لأمرائهم .

٣ ـ معظم الرحالة المغاربة والأندلسيين كانوا يحملون كتب الرحالة السابقين عليهم للمقارنة واضفاء الجديد وتصحيح بعض الأخطاء التى وقع فيها من سبقهم وربما النقل عنهم فى بعض الأحيان للأمور التى لم يتسن لهم رؤيتها أو لبعد العهد والنسيان .

٤ ـ كان خروج الرحالة المغاربة والأندلسيين أساساً للحج والزيارة وطلب العلم فلمعت أسمائهم وذاع صيتهم بما نالوه من علم هناك إضافة إلى كتابتهم لرحلتهم التى توضح ثاقب نظرهم للأمور وتحليلها وحكمهم على الأحداث التى نقلوها بكل أمانة لبعدهم عن التحيز لجانب دون آخر .

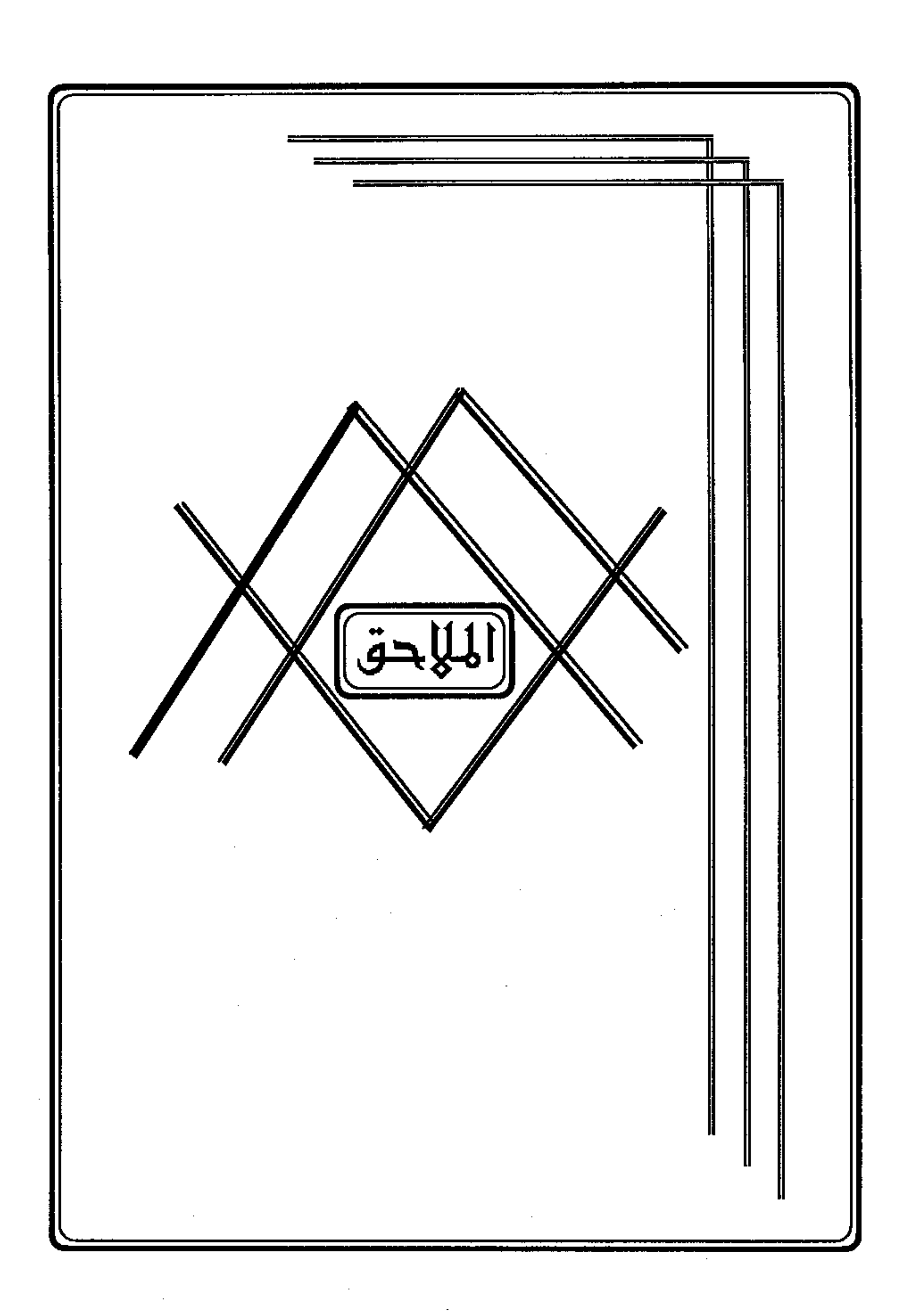
٥ ـ يتم تقييد الرحلة دون إعداد مسبق بل يسير وفق خط سير رحلتهم وما يصادفهم اثنائها .

وختاماً أسأل الله تعالى أن يكون قد حالفني التوفيق فى إبراز أهم النتائج التى توصل إليها البحث ومحققة بذلك الهدف منه .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا وشفيعنا النبي الأمين محمد بن عبدالله وعلى آله وصحبه وأزواجه أجمعين .

تم بحمد الله وتوفيقه .....

الباحثة


الملاحق

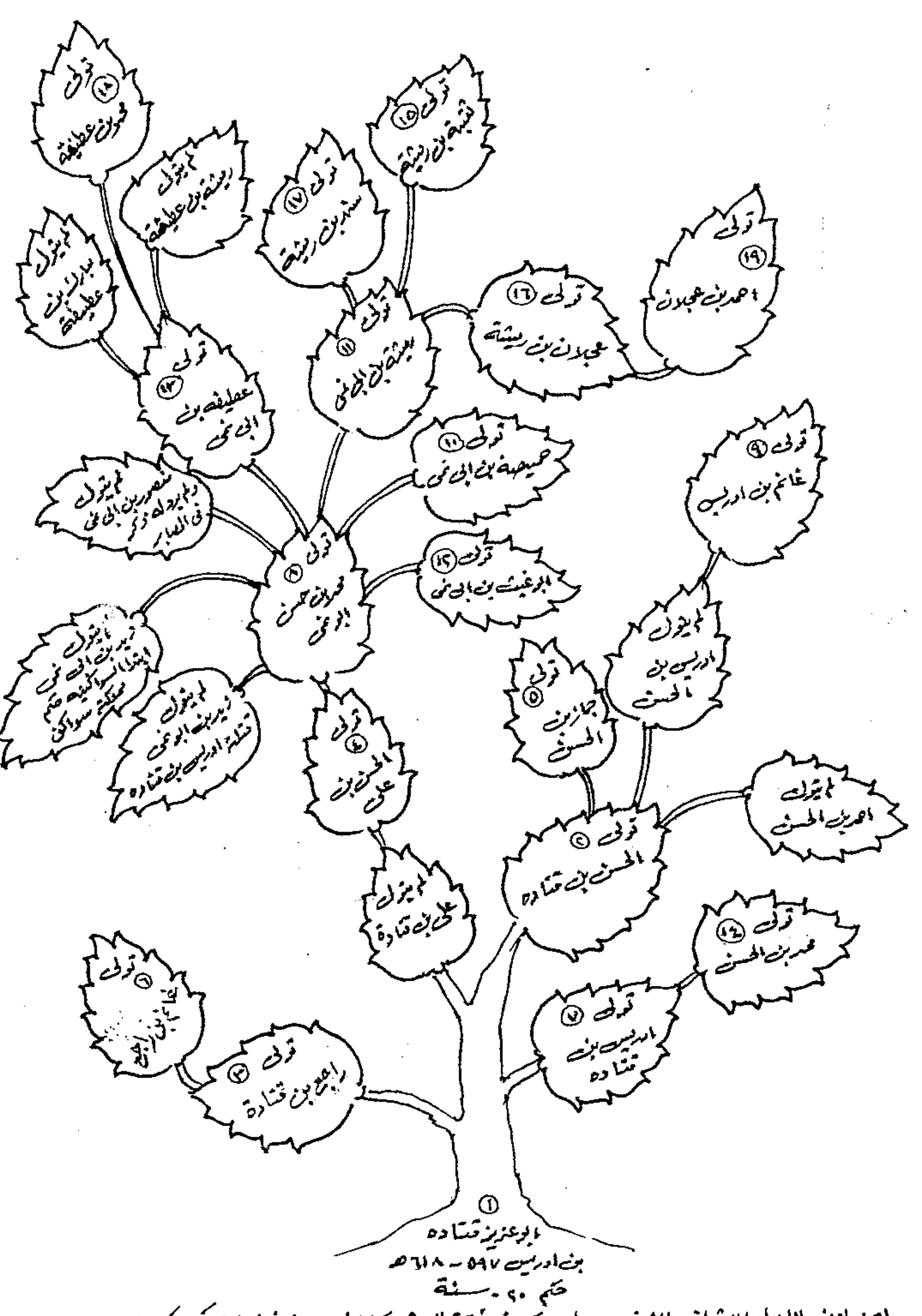
ملحق رقم (١)

نص كتاب السلطان صلاح الدين الأيوبي لأمير مكة المكرمة مكثر بن عيسى والذى يأمره فيه بإسقاط المكوس ويحذره من الجور .

" بسم الله الرحمن الرحيم ، أعلم أيها الشريف ، أنه ما أزال نعمة عن أماكنها ، وأبرز الهمم عن مكامنها ، وأثار سهم النوائب عن كنانتها ، كالظلم الذى لا يعفو الله عن فاعله ، والجور الذى لا يفرق في الإثم بين قائله وقابله ، فإما رهبت ذلك الحرم الشريف ، وأجللت ذلك المقام المنُيف ، وإلا قوّينا العزائم ، واطلقنا الشكائم ، وكان الجواب ما تراه لا ما تقرأه ، وغير ذلك ، فإنا نهضنا إلى ثغر مكة المحروسه فى شهر جمادى الأخرى ، طالبين الأولى والأخرى ، فى جيش قدملأ السهل والجبل ، وكظم على أنفاس الرياح ، فلم يتسلسل بين الأسل ، وذلك لكثرة الجيوش ، وسعادة الجموع ، وقد صارت عوامل الرماح تعطى فى بحار الدر " <١>

---

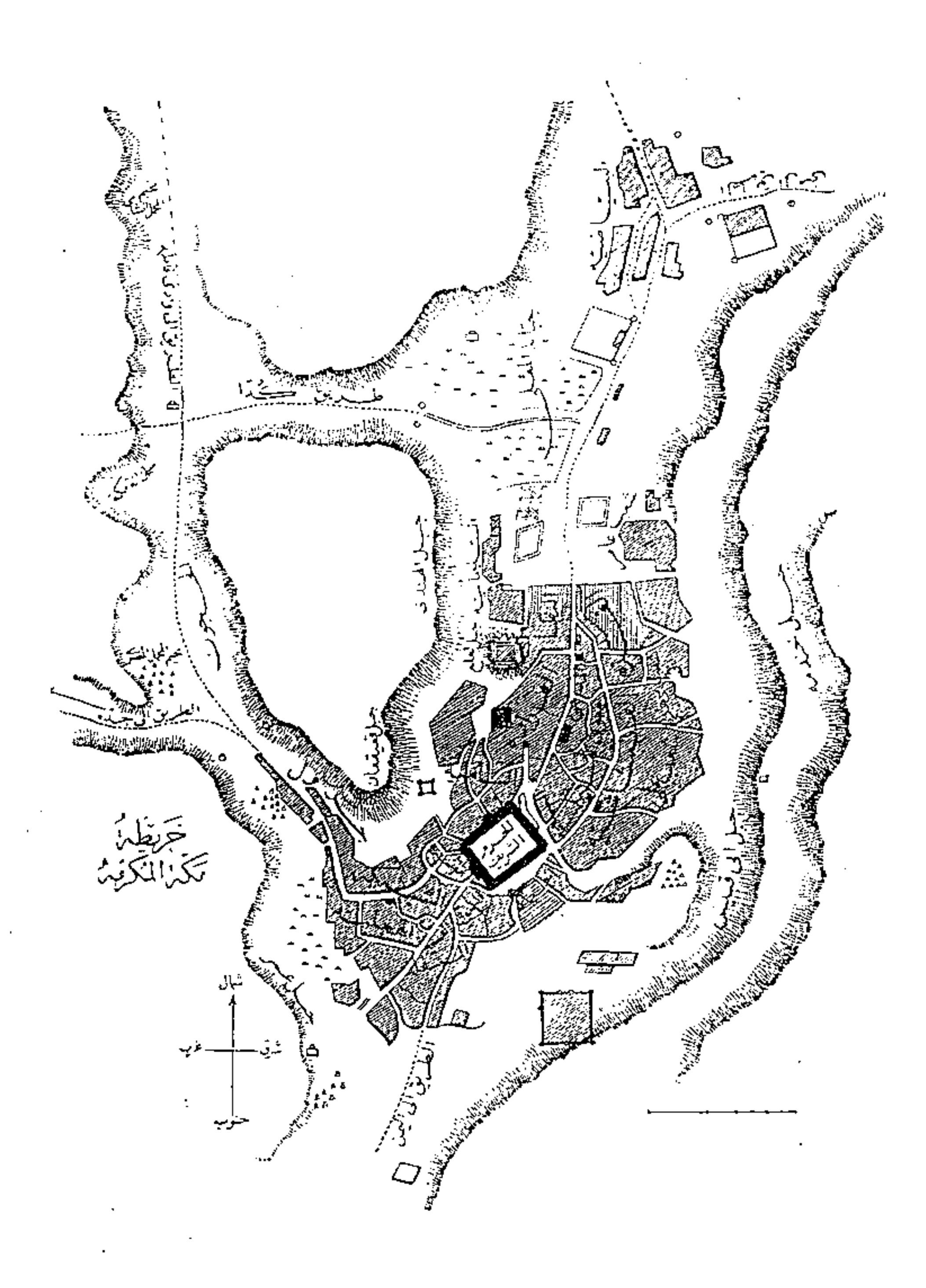
١ ـ الفاسي : العقد الثمين ، ج٧ ، ص ٢٧٨ ؛ عز الدين ابن فهد : غاية المرام ، ج١ ، ص ٥٤٣ ـ ٥٤٤ .



اسماء لبعض الامراء الاشراف الذين ورد لهم ذكر في فترة البحث وكان لهم اسهام في احداث مكة المكرمة السياسية

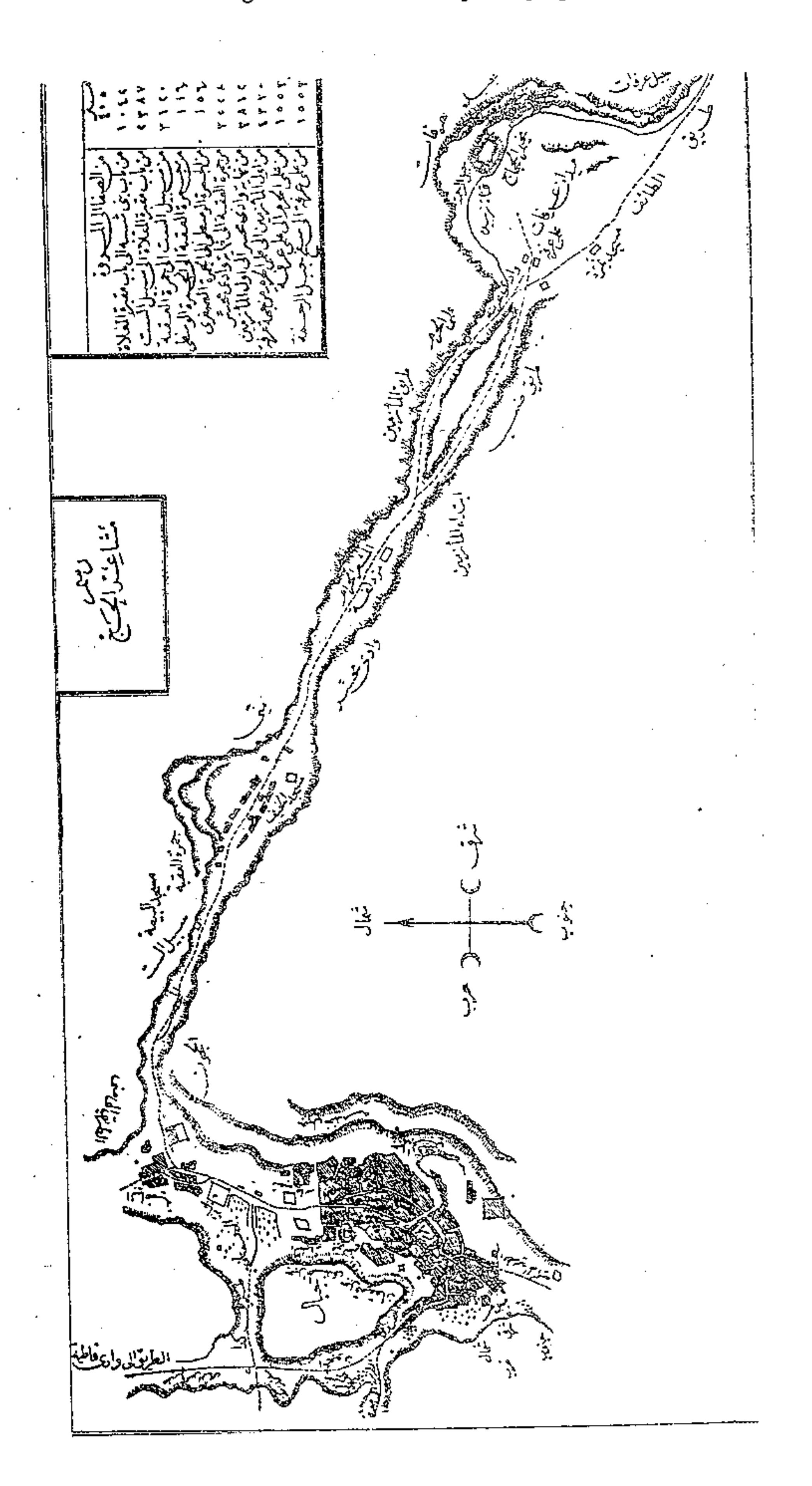
رســـــم رقـــــم (١)

رســـم تخطيطى لجغرافيـة مكـة المكرمـــة ويظهر منـه اتقان الرحالـة فـى وصفهـا حيث نجده مطابقا . نقـلا عـــن مرآة الحرميـــــــــــــــــن



رسـم رقـم (٢)

رســــم جغرافـي لمشاعر الحج يوضح دقـة وصــف الرحالـة لها نقـلا عــــــــن مرآة الحرميــــــــين

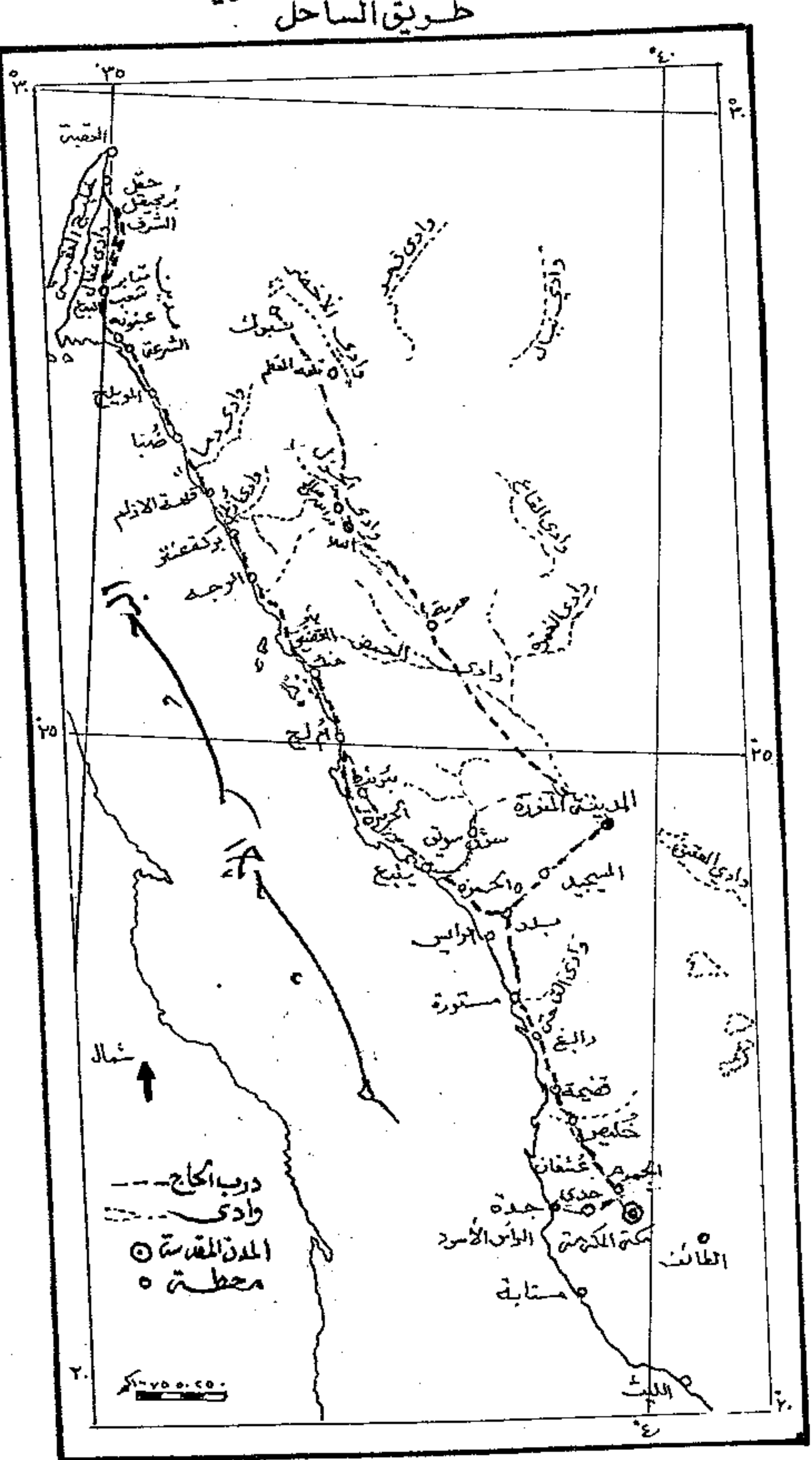


رسم رقم (٣) يمثل أماكن الحج كما يظهر جبل عرفات فى وسطها مثلما ذكر الرحالة. نقلا عن الحاج الى بيت الله الحـــــــرام



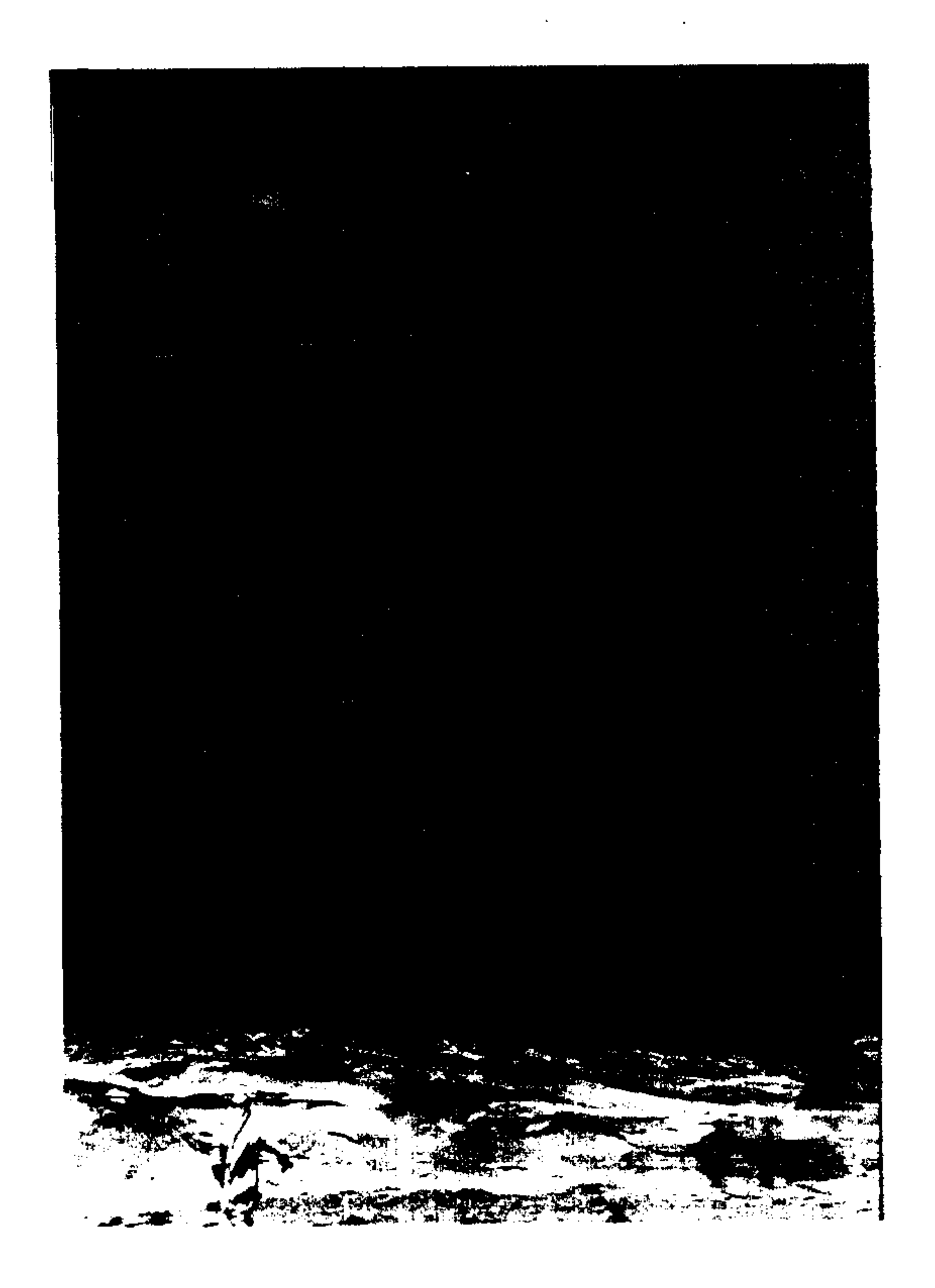
رســـــم رقـــــم (٤)

طريق الحاج المصرى والشامي نقلا عن الملامح الجغرافية لدروب الحجيج
-بإضافة طريق الحاج الشامي كما ورد فى كتب الرحلات



رســـــــم رقـــم (٥)

يظهر جـزء من مدائــــن صالـــــح التى وصفهـــا الرحالــــة





رسم رقم (٦)

المسجد الحرام ويظهر من الرسم مقدار مابلط حول الكعبة كما ذكر الرحالة وأماكن المقامات وقبة العباس أو الشراب . نقلا عن الحاج الى بيت الله الحرام

رسم رقم (٧)

رسم يمثل باب الصفا ويبدو كما وصفه الرحالة من أجمل أبواب المسجد الحرام نقلا عن مكة المكرمة العاصمة المقدسة



رســــــــــم رقـــم (٨)

يمثل الصفـا وتظهر كما وصفها الرحالة من وجود ثلاث عقود عليها كما تبدو الدور وهى محدقة بها ووجود الــــدرج بهــــــا



رســـم رقـم (٩٠)

يمثل المروة وتظهر كما وصفها الرحالة من وجود حوانيت الباعة وأحداق الدور بها ووجود العقد أعلى المروة كما تبدو الدرج والمصطبة أعلاها



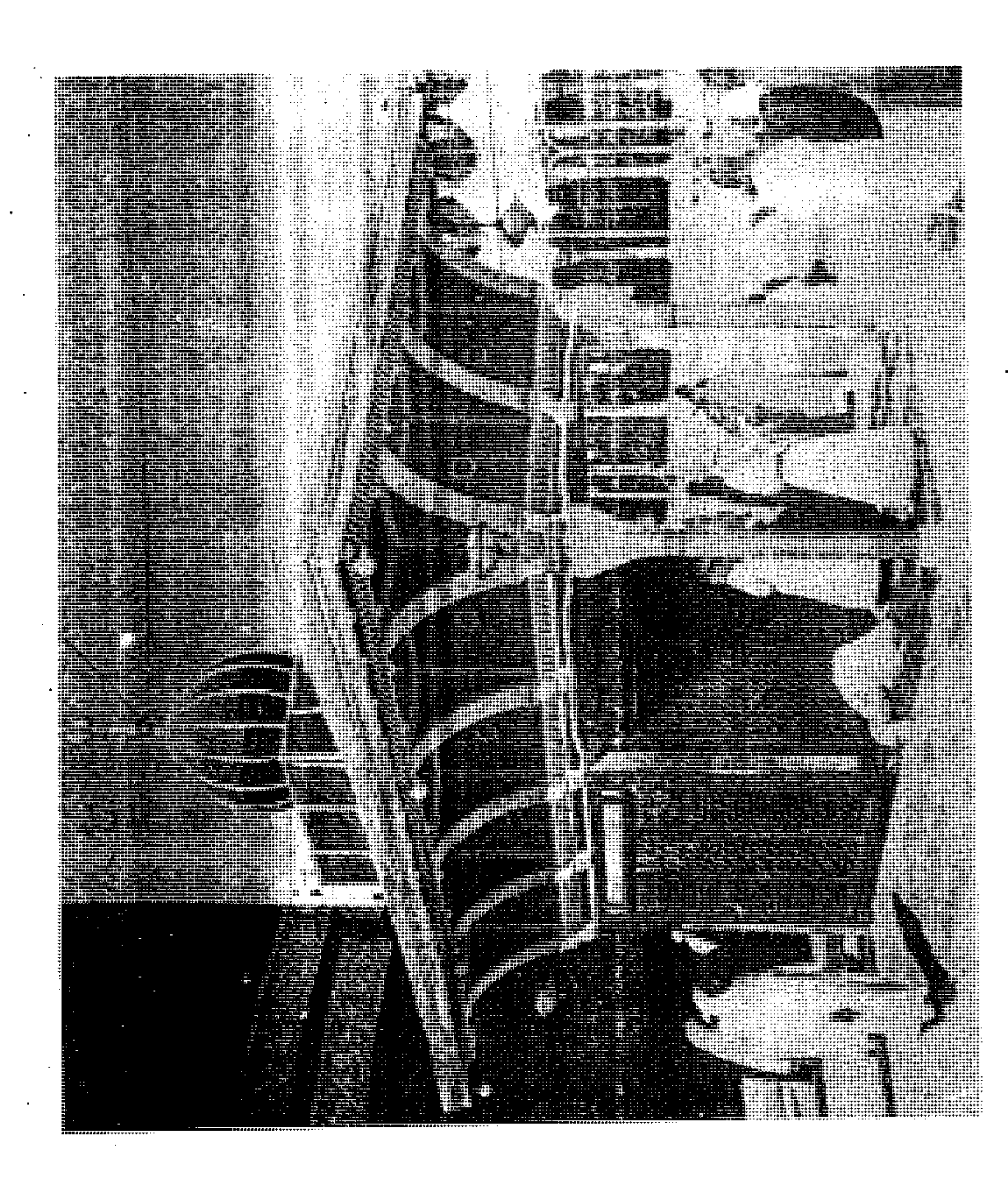
رســـــم رقـــم (١٠)

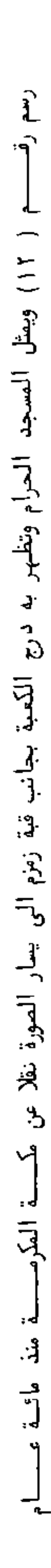
يمثـل المسجـد الحـرام ويظهـر درج الكعبـــة بجانـــب قبـــة زمـزم



رسـم رقـم (١١)

مقـام ابراهيـم بالمسجد الحرام ويبدو كما ذكر الرحالـة وتمكن المصلين من الصـلاة بجانبـه . نقـلا عن التاريخ القويـم

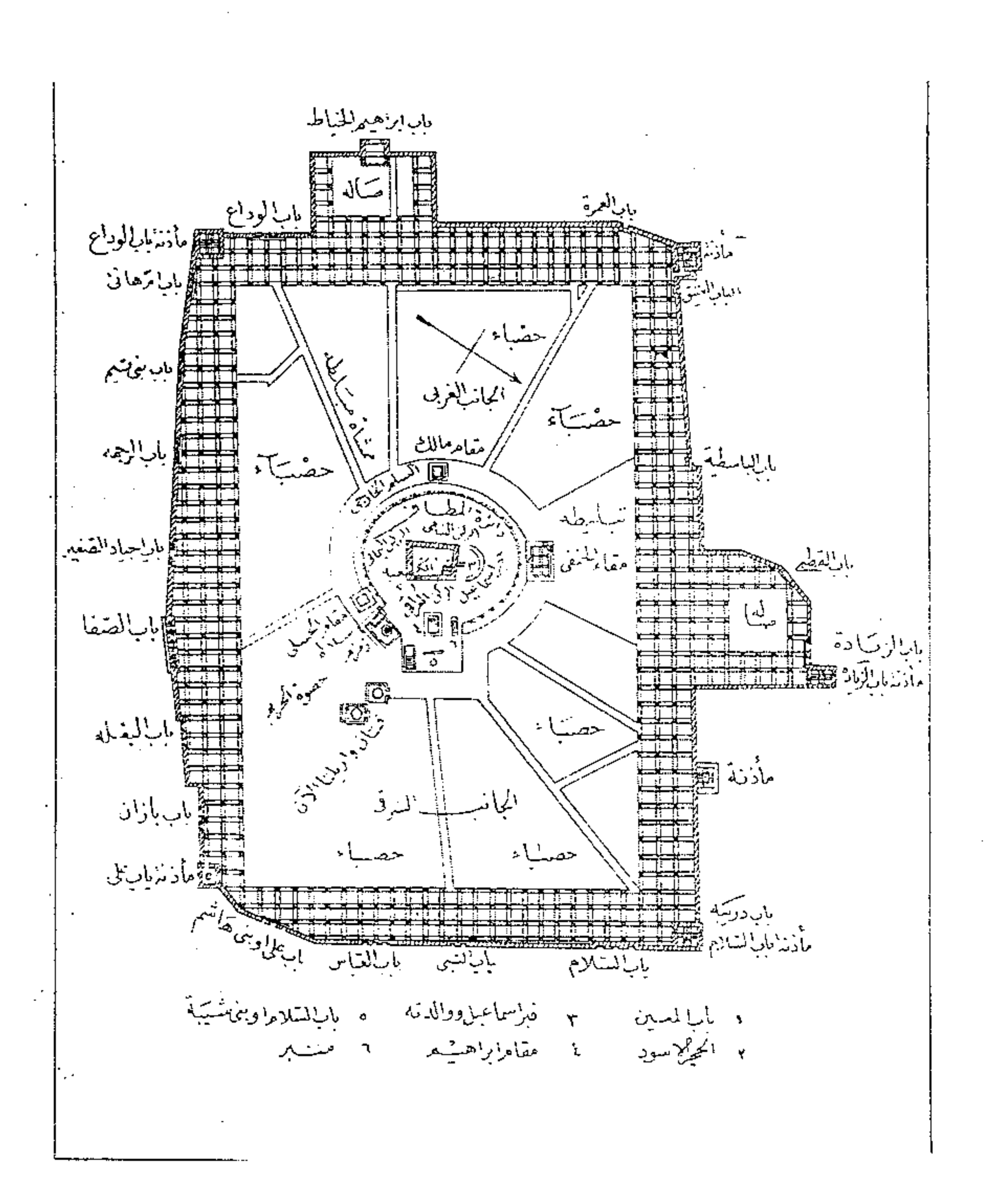




رسم رقـــم (١٢) ويمثل المسجد الحرام وتظهر به درج الكعبة بجانب قبة زمزم الى يسار الصورة نقلا عن مكـــة المكرمـــة منذ مائـة عـــام

رســـــم رقـــم (١٣)

يمثـــل المسجد الحرام وتظهـر به أماكـــن أغلـــب الأبـــواب
التى ذكر الرحالـــــة أسمائهـــا نقـــلا عن مـــرآة الحرمين



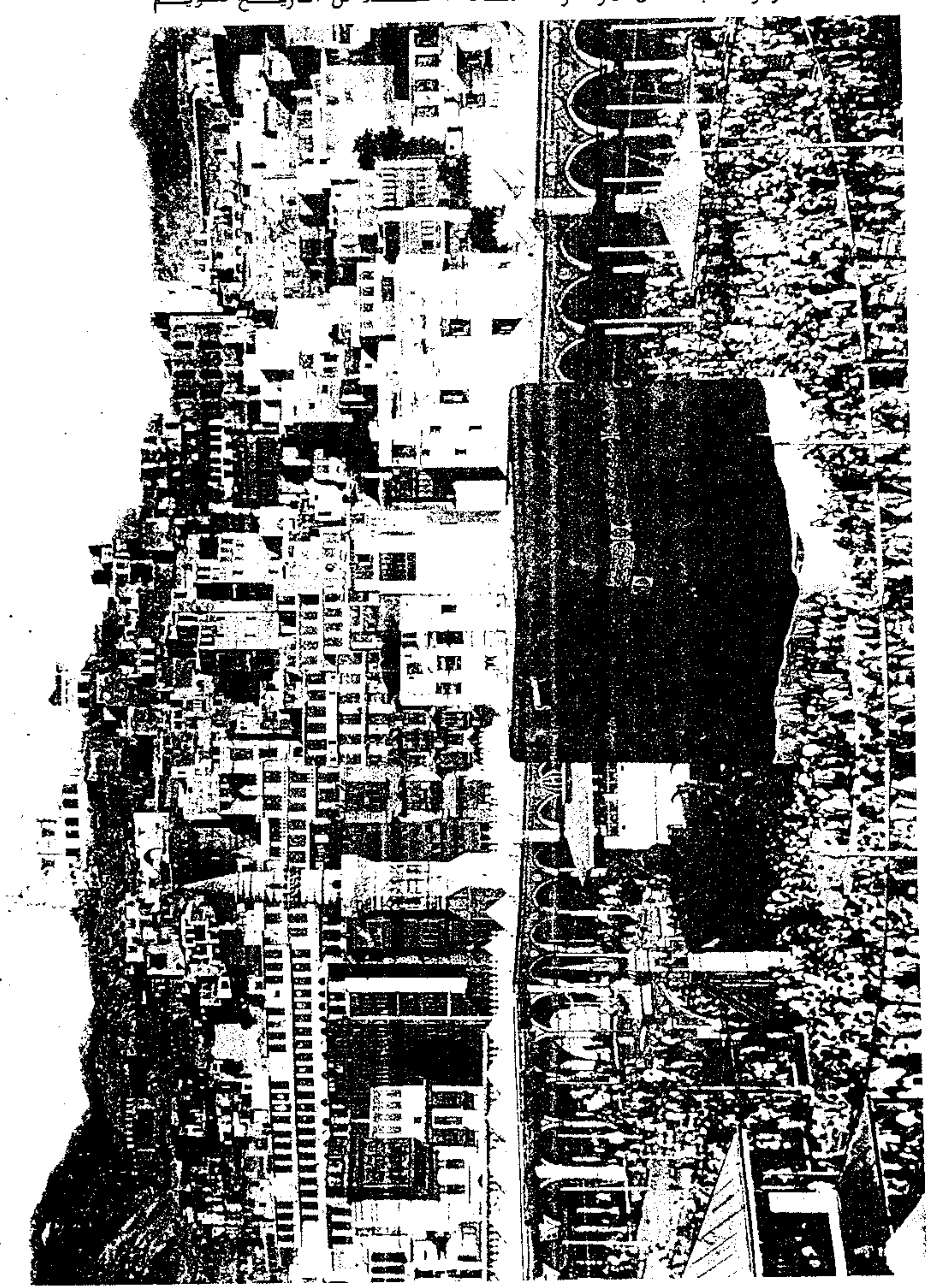
رســــم رقـــم (١٤)

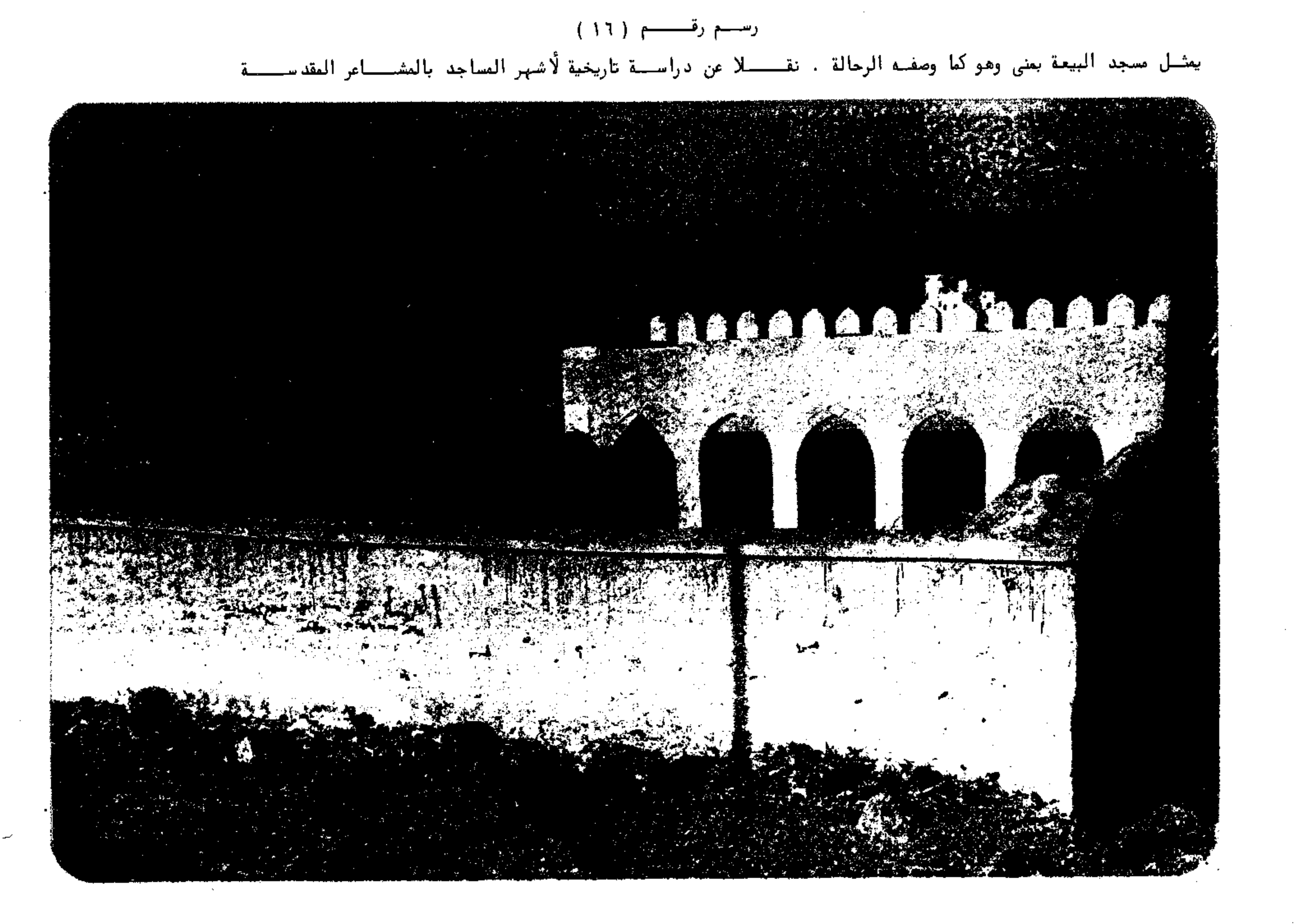


شكل المسجد المنسوب لبلال فوق جبل أبى قبيس
قبل هدمه نقلا عن أشهر المساجد فى الاســلام

رسم رقم (١٥)

يمثل المسجد الحرام ويظهر مسجد بلال أعلى جبل أبى قبيس فى أعلى الصورة وهو المسجد الذى ذكره الرحالة . نقلا عن التاريخ القويم

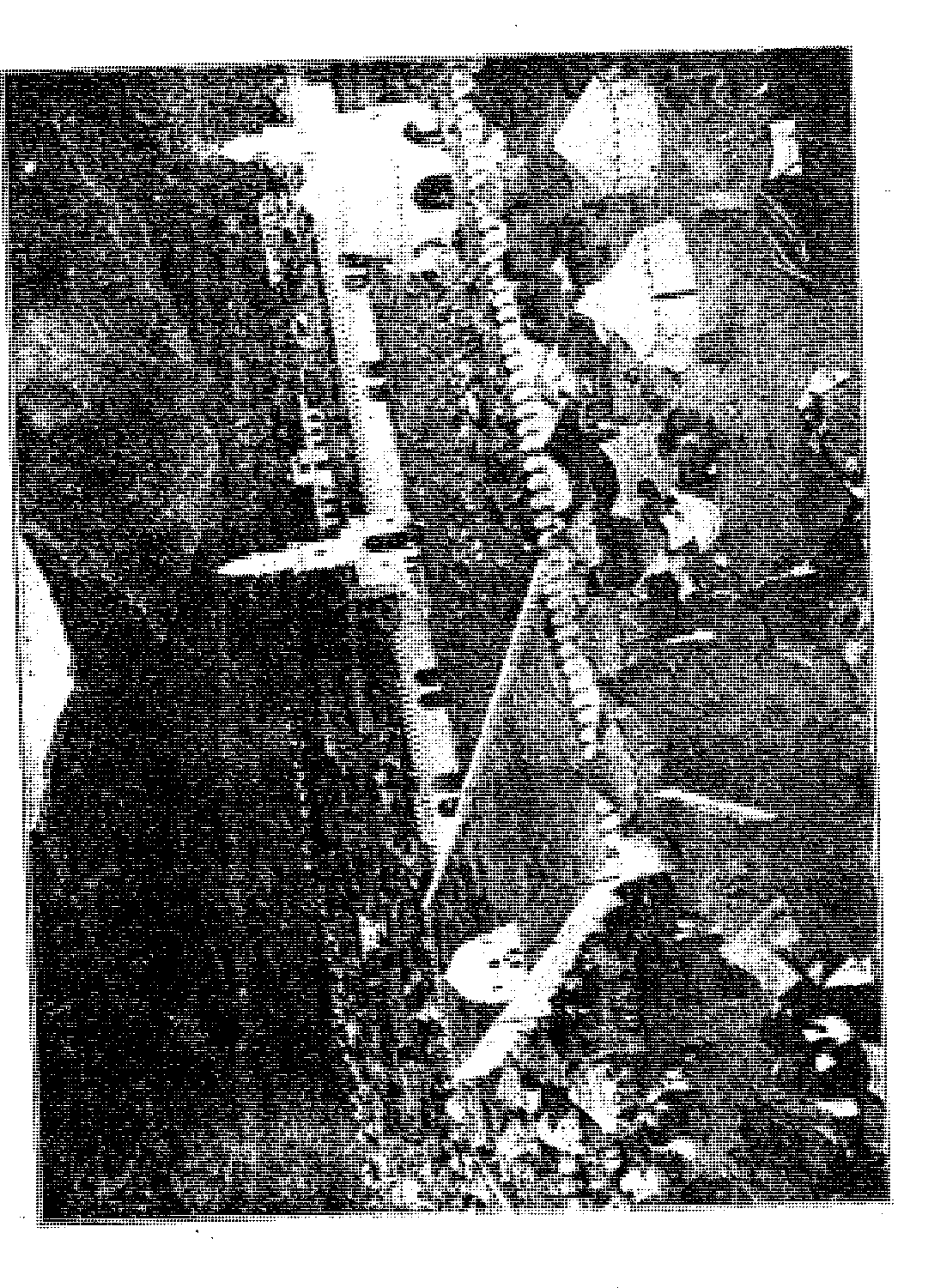




رسم رقم (١٦)

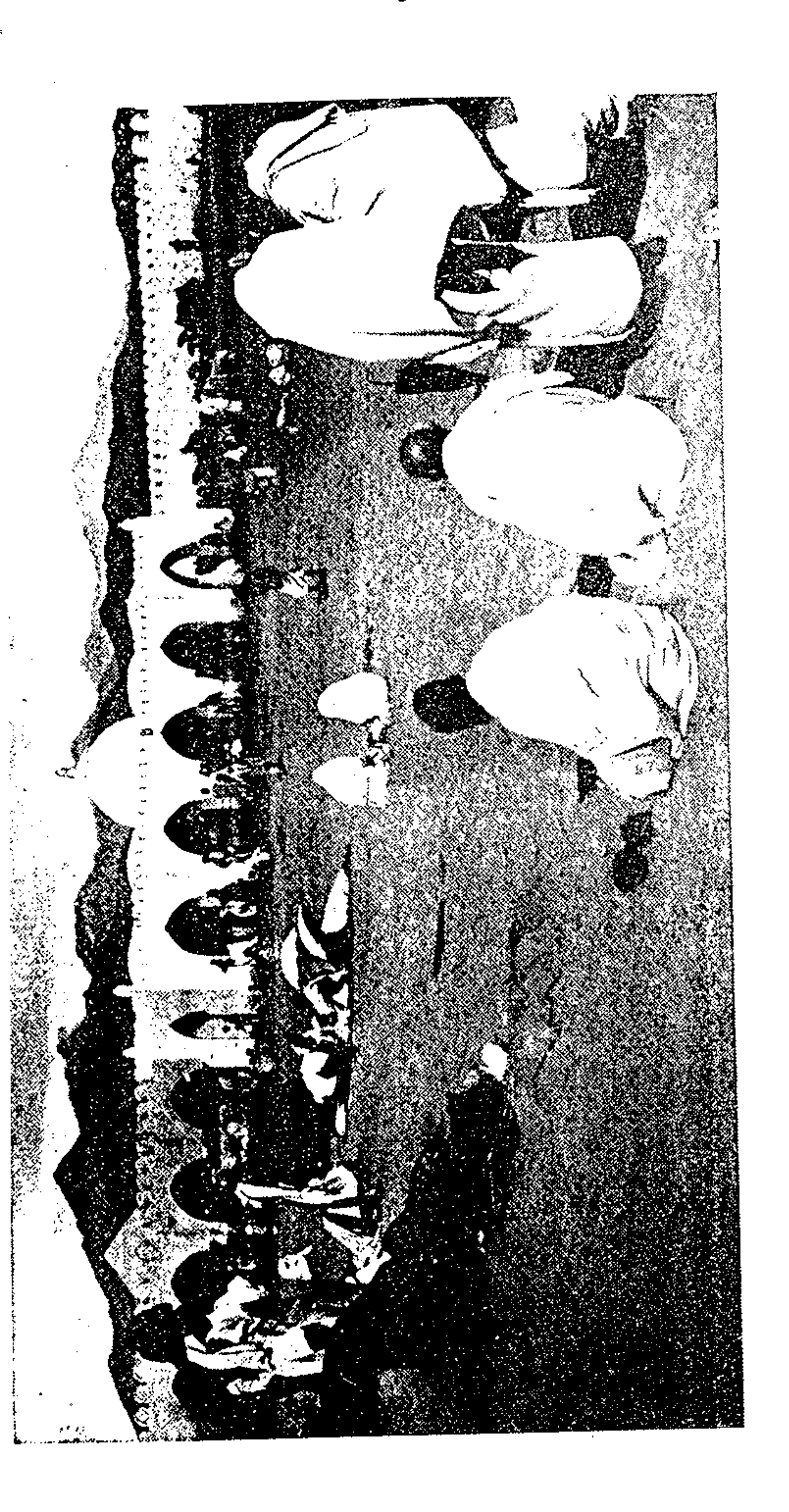
يمثل مسجد البيعة بمنى وهو كما وصفه الرحالة . نقلا عن دراسة تاريخية لأشهر المساجد بالمشاعر المقدسة

رسم رقم (١٧)
يمثل مسجد الخيف بمنى وهو كما وصفه الرحالة
- نقلا عن مرآة الحرمين



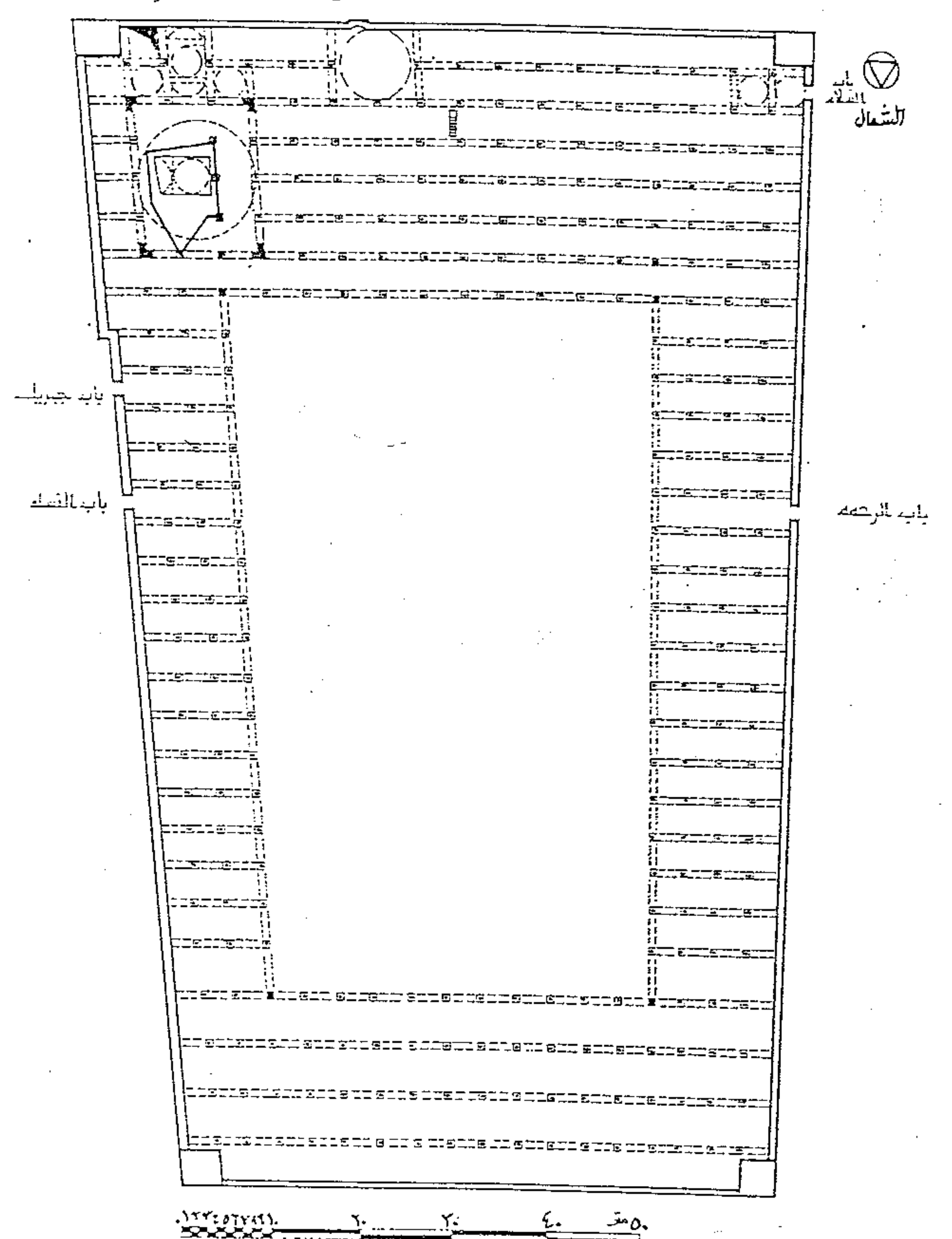
رسم رقم (١٨)

ويمثل مسجد ابراهيم بعرفة ويعرف الآن بمسجد نمرة . نقلا عن مرآة الحرمين



رســـــم رقـم (١٩)

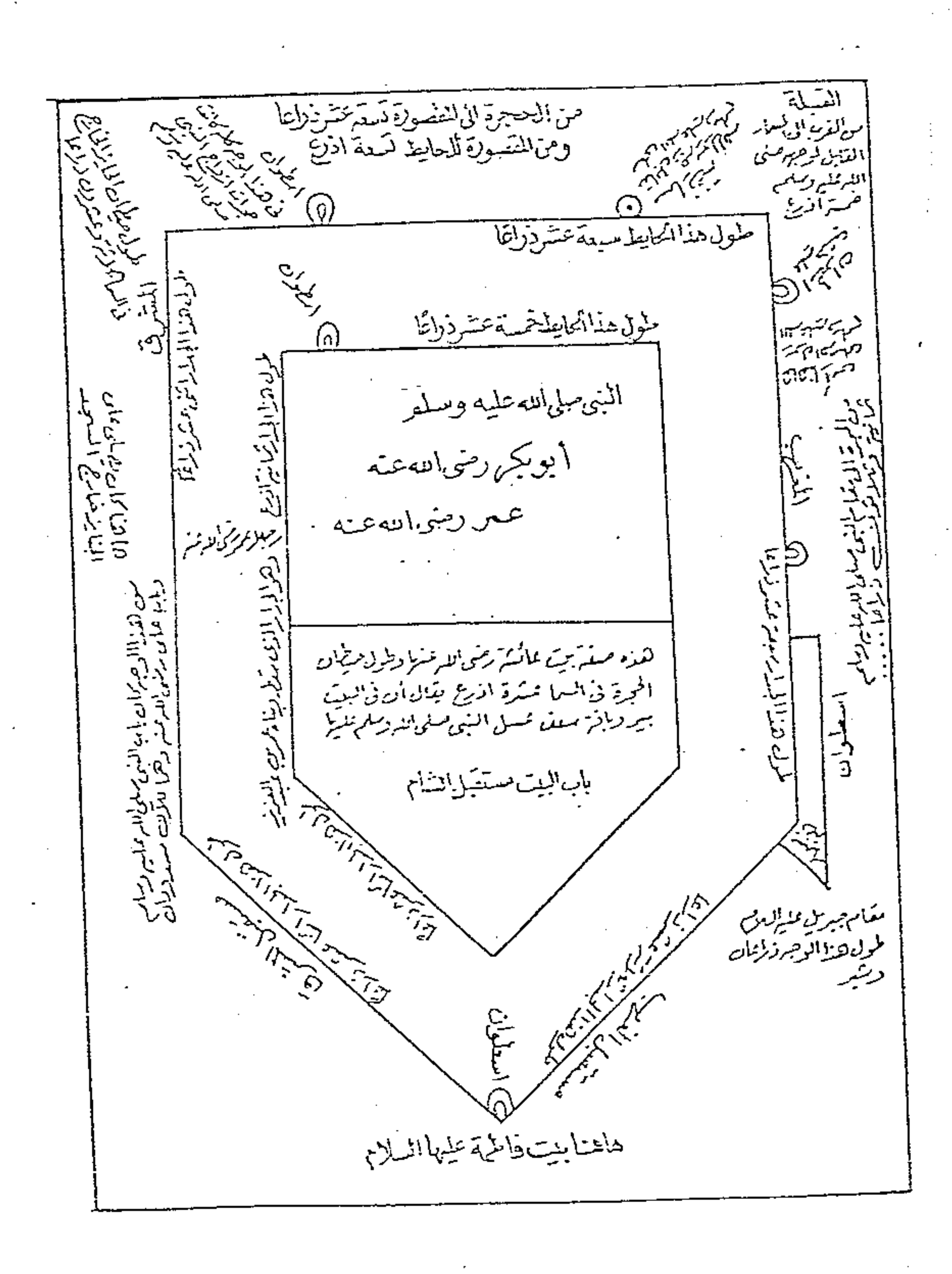
رسم تخطيطى يمثل المسجد النبوى بالمدينة المنورة كما تظهر أبواب المسجد بالأسماء التى ذكرها معظم الرحالـــــة نقلا عن المدينة المنورة تطورها العمرانى وتراثها المعمـــــارى

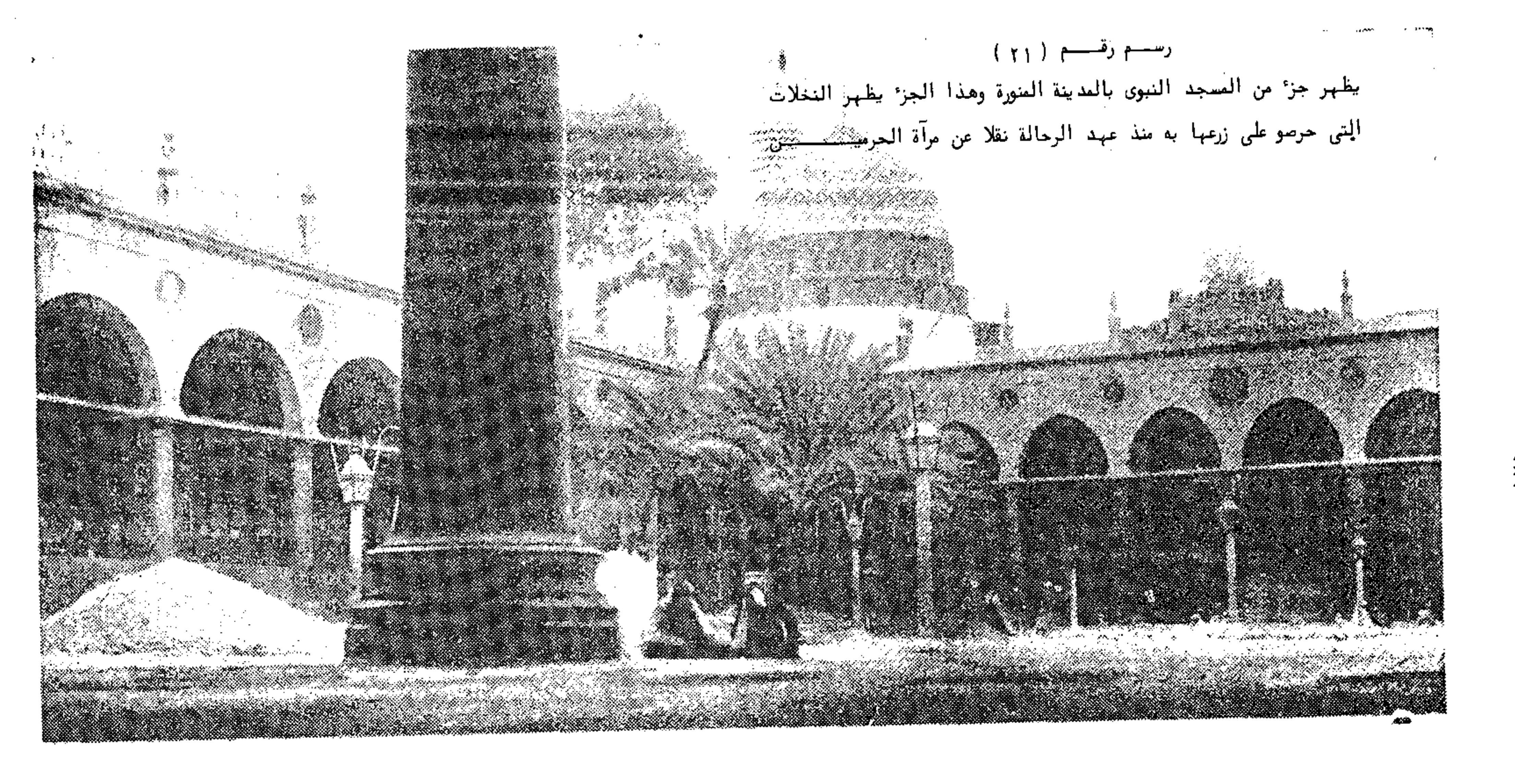


رســــــم رقـــم (٢٠)

يمثل موضع المقصورة التى دفن بداخلها الرسول صلى الله عليه وسلم وتبدو كما وصفها الرحالـــــة

نقلا عن الدره الثمينـــة



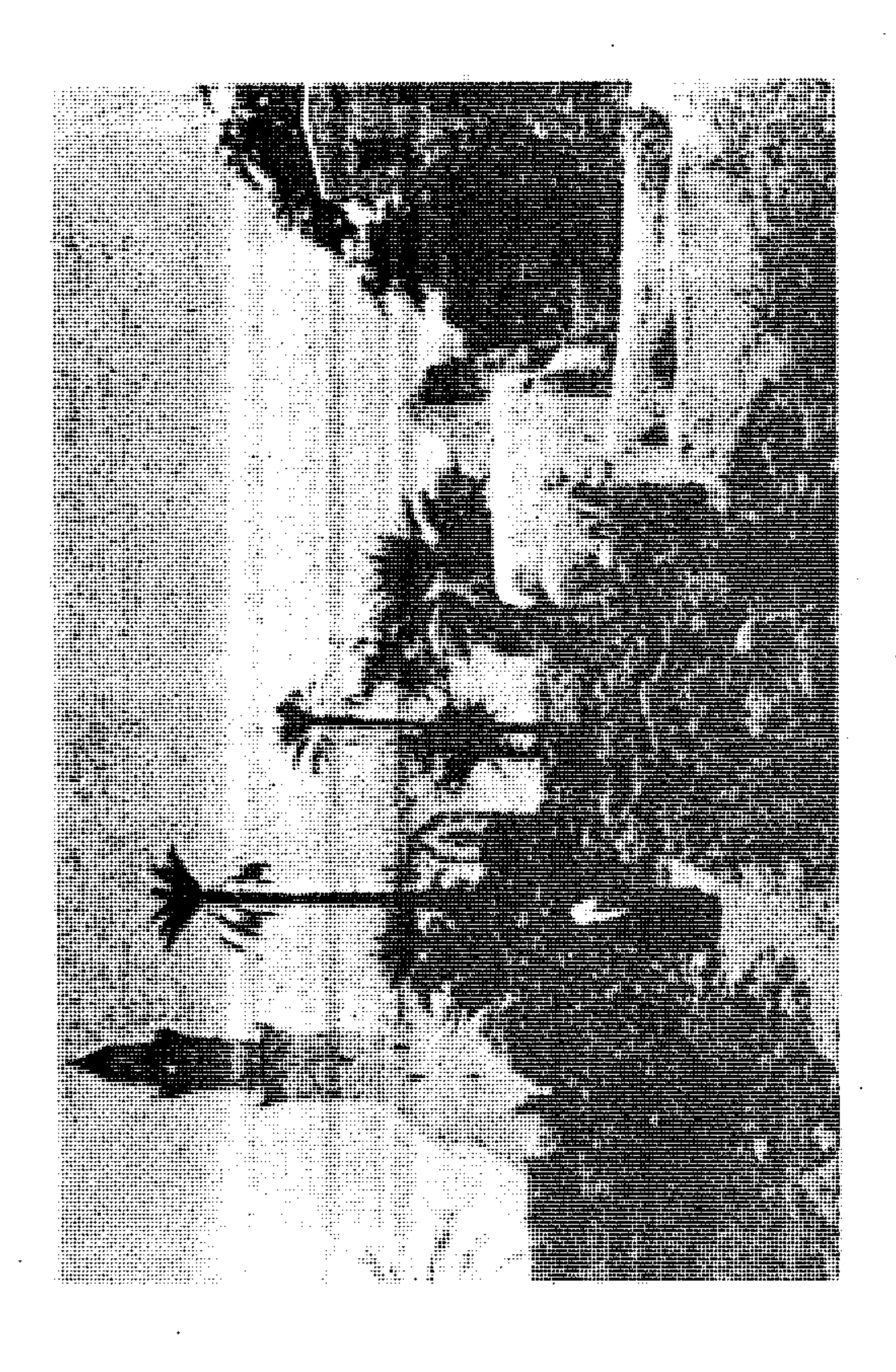


رسم رقم (٢١)

يظهر جزء من المسجد النبوى بالمدينة المنورة وهذا الجزء يظهر النخلات التى حرصو على زرعها به منذ عهد الرحالة نقلا عن مرآة الحرمين

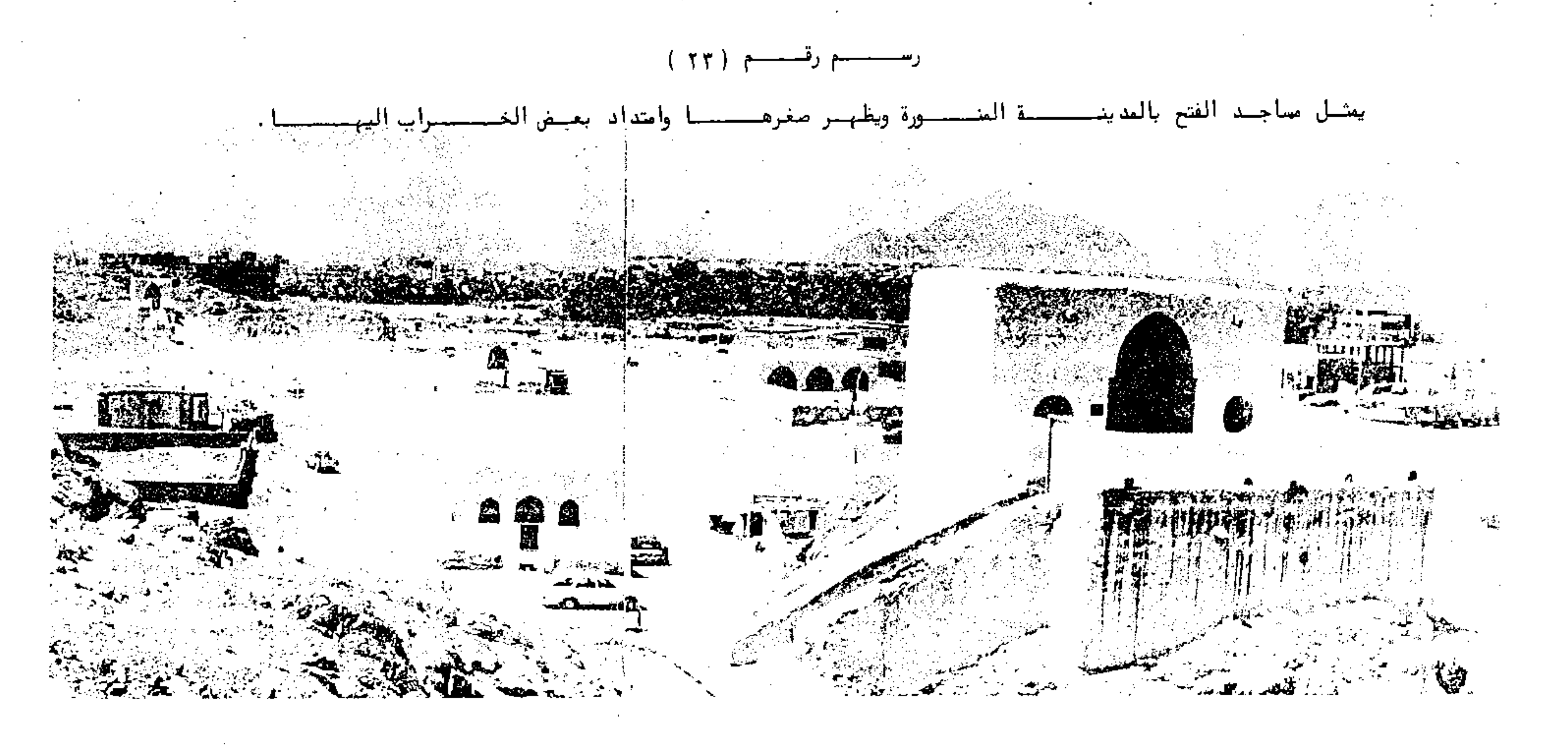
رســـــم رقـــــم (٢٢)

يمثل مسجد قباء بالمدينة المنورة وهو كما يظهر أبيض اللون تبدو منارته عالية من بعد كما ذكر الرحالة .
نقلا عن المدينة المنورة وطهورها العمرانى وتراثها المعمـــارى -

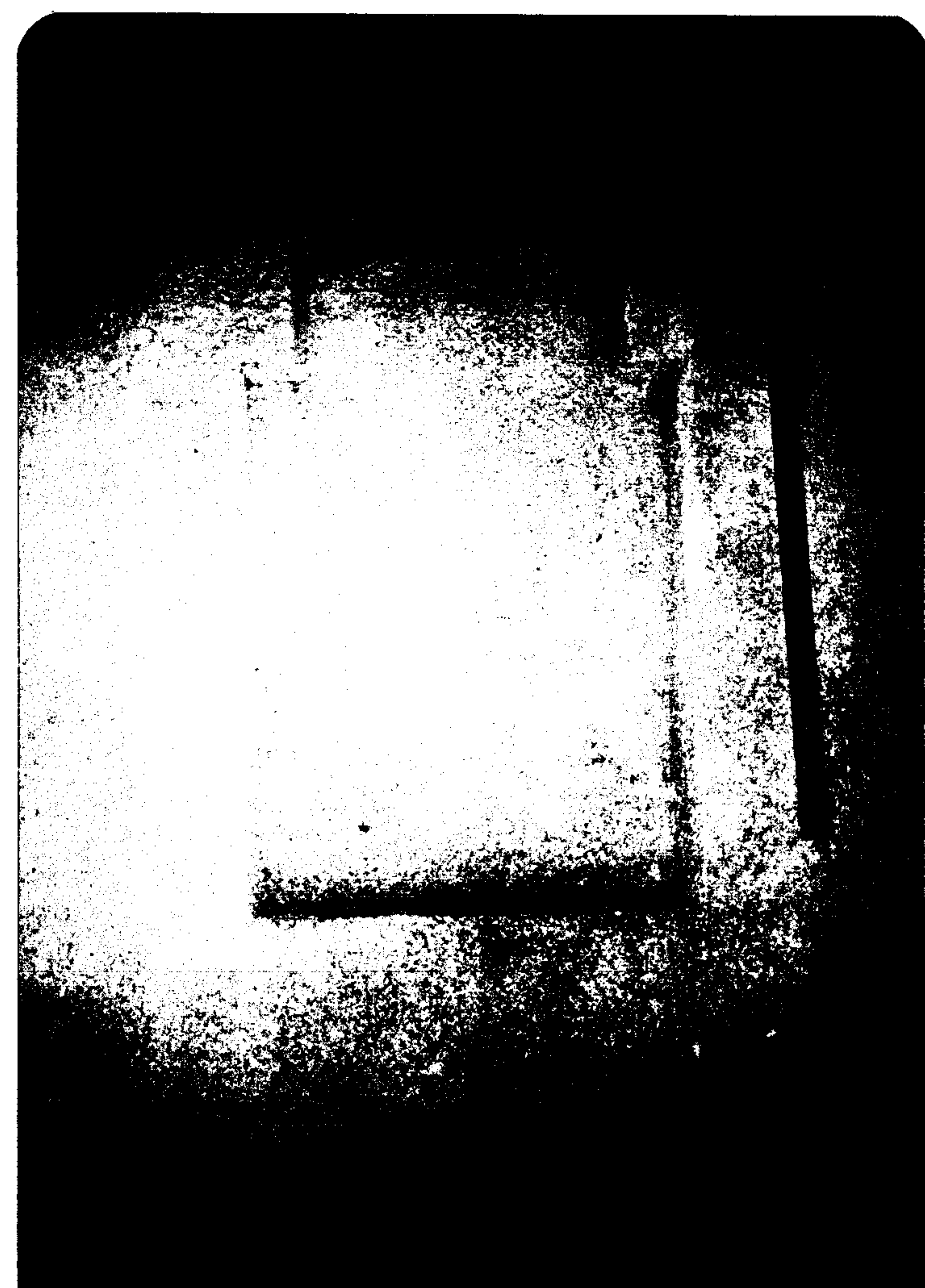


رســـم رقـــم (٢٣)

يمثـل مساجـد الفتح بالمدينـــة المنــــورة ويظهـر صغرهـــا وامتداد بعـض الخــــراب اليهـــا .



رســـــم رقـــــم (٢٤)
مثال على مايعمل فى الجدار من رفوف للتزيين الآن وهو يؤكد أيضا أن بعض أنماط الطراز المعمارى لاتزال موجودة الى الآن.



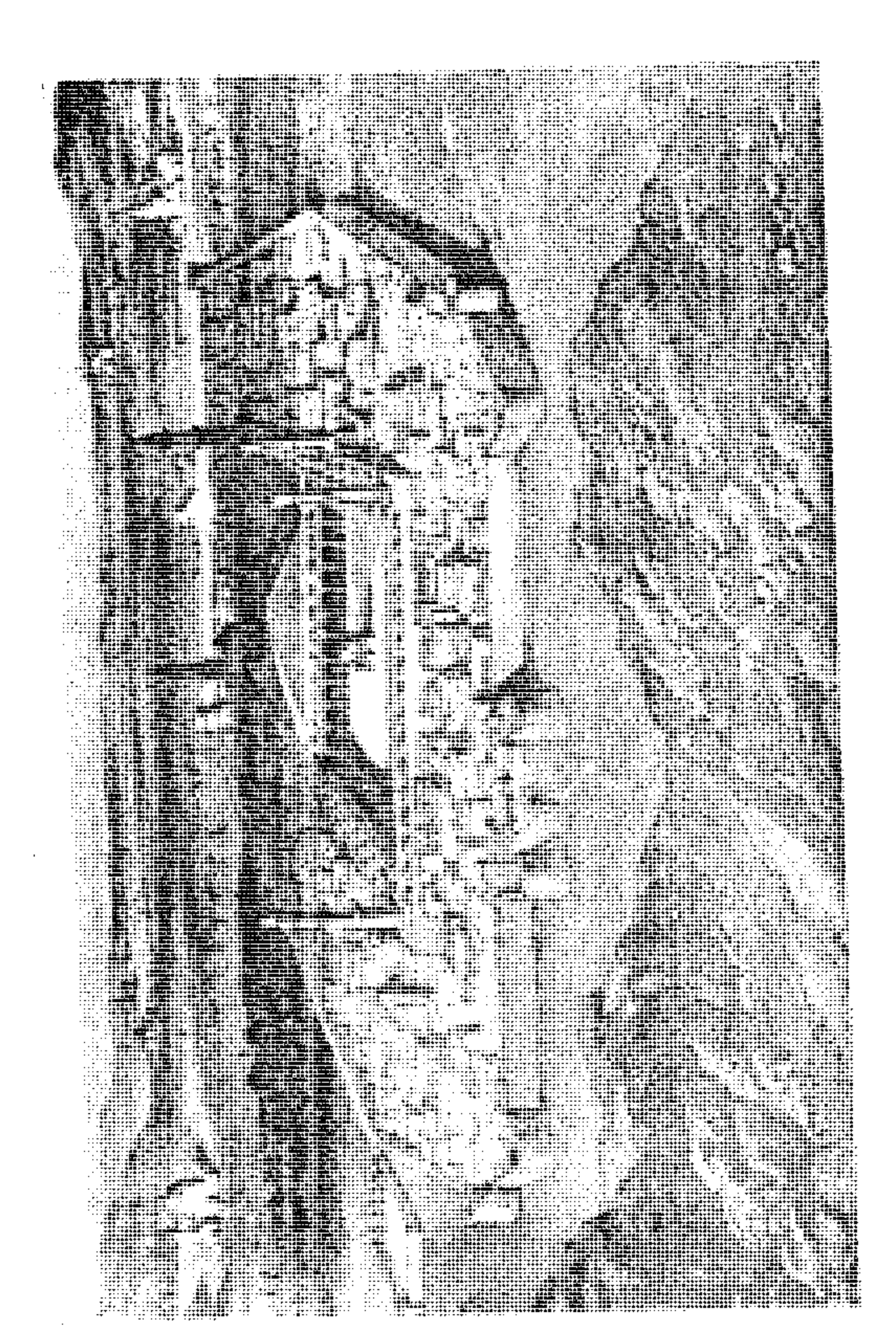


رسم رقم (٢٥)

نموذج آخر للأرفف التى تعمل فى الجدار لوضع بعض الكتب وبعض الأوانى للزينـــــة

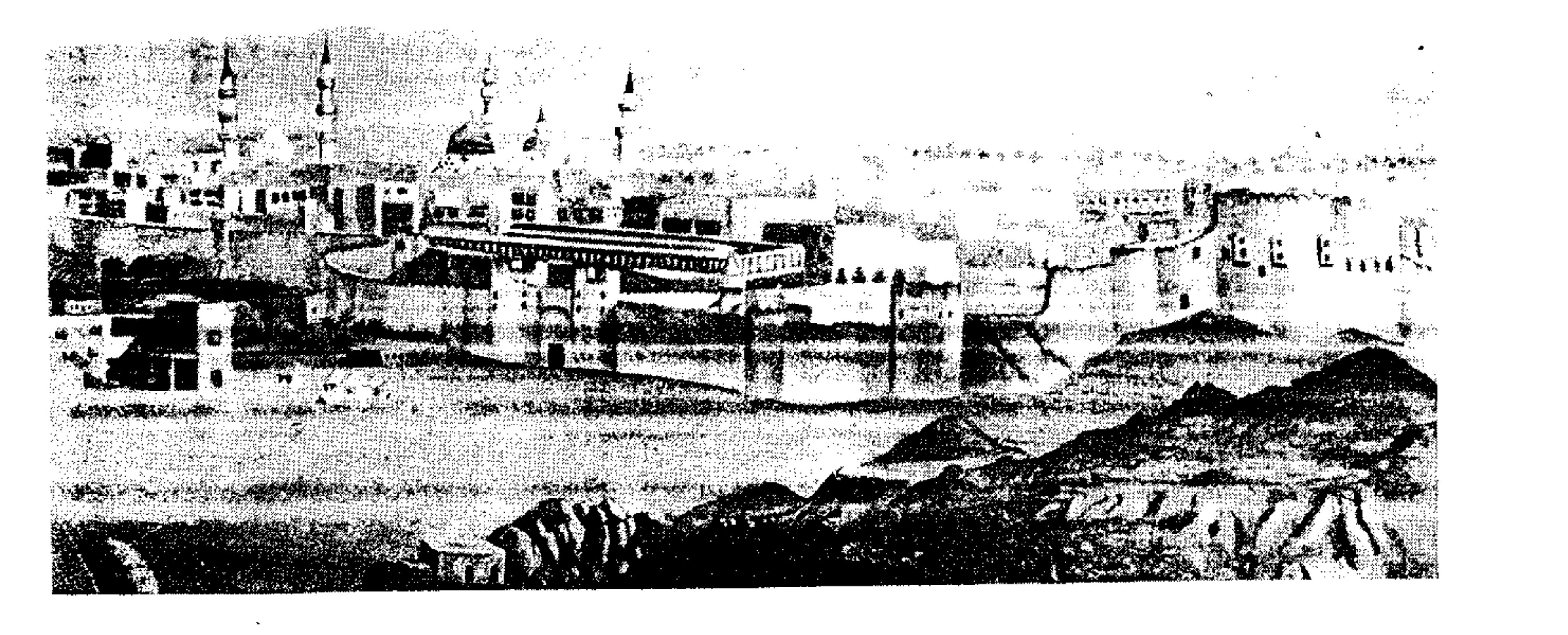
رسم رقم (٢٦)

يمثل المدينة المنورة عام ١٨٥٢م كما يظهر سور المدينة المنورة
نقلا عن المدينة المنورة تطورهاالعمرانى وتراثها المعمارى



رسم رقم (٢٧)

يمثل رسم للمدينة المنورة المؤرخ عام ١٣٠٠ هـ ويظهر سور المدينة المنورة أيضا نقلا عن فصول من تاريخ المدينة



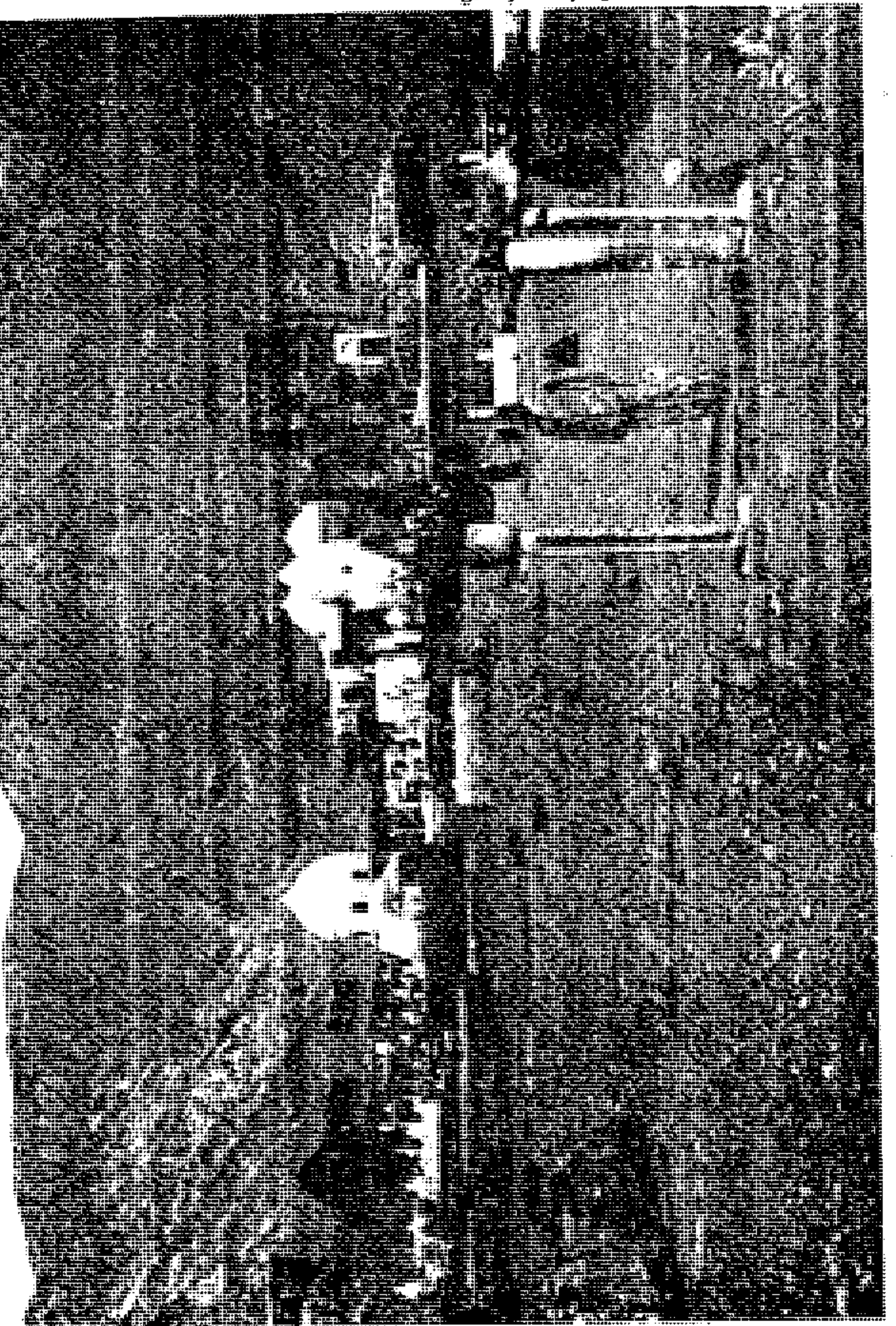
رســــم رقم (٢٨)

مدينة جده كما جاءت فى تاريخ المستبصر نقلا عن موسوعة تاريـــخ جـــــده



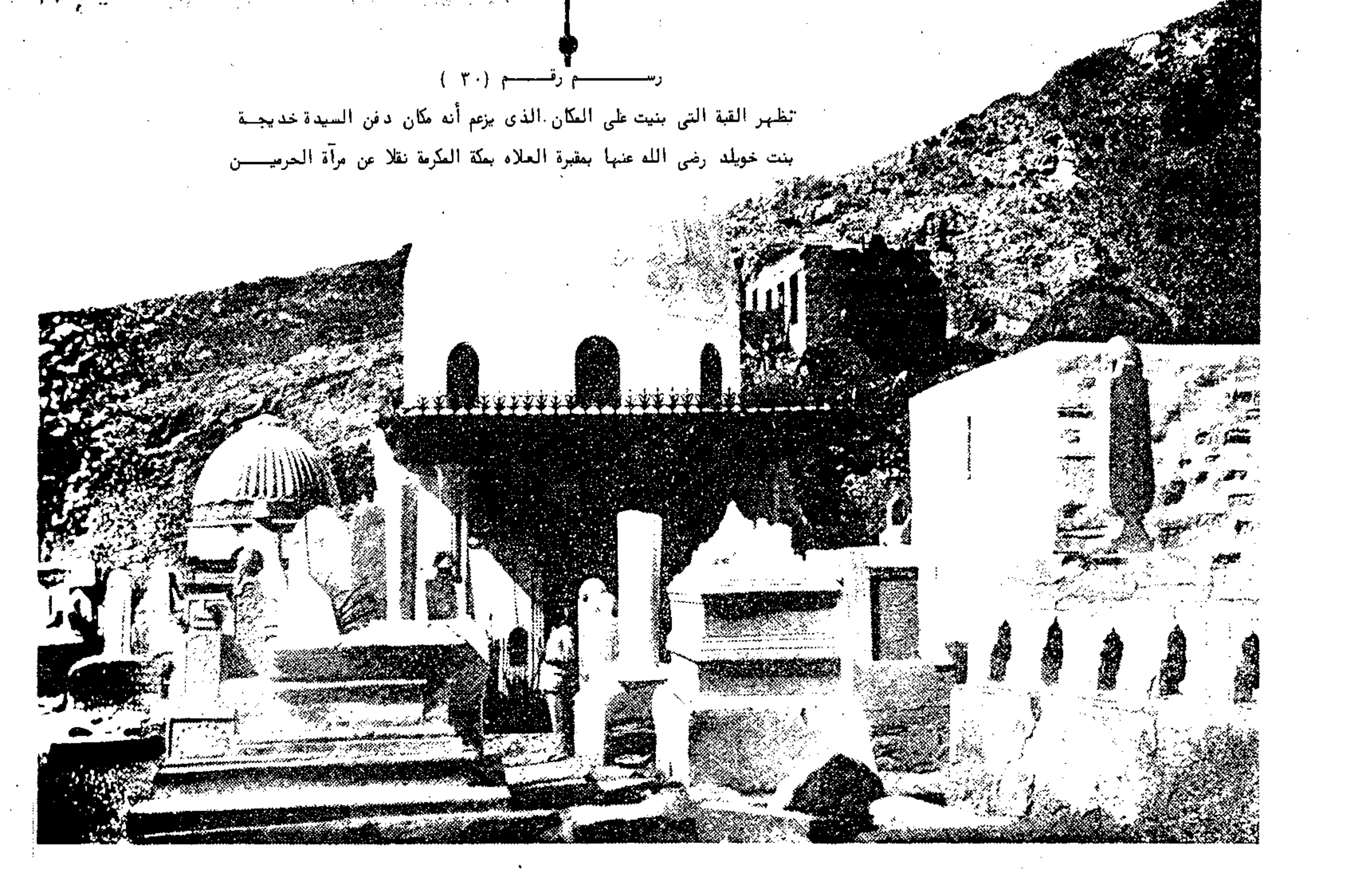
رســـم رقـــم (٢٩)

. يظهر القبة التي بنيت على المكان الذى يعتقد أنه مكان دفن السيدة خديجة بنت خويلد رضى الله عنها بمقبرة المعلاه بمكة المكرمة نقـــلا عن مرآة الحرمـــين



رســــم رقــــم (٣٠)

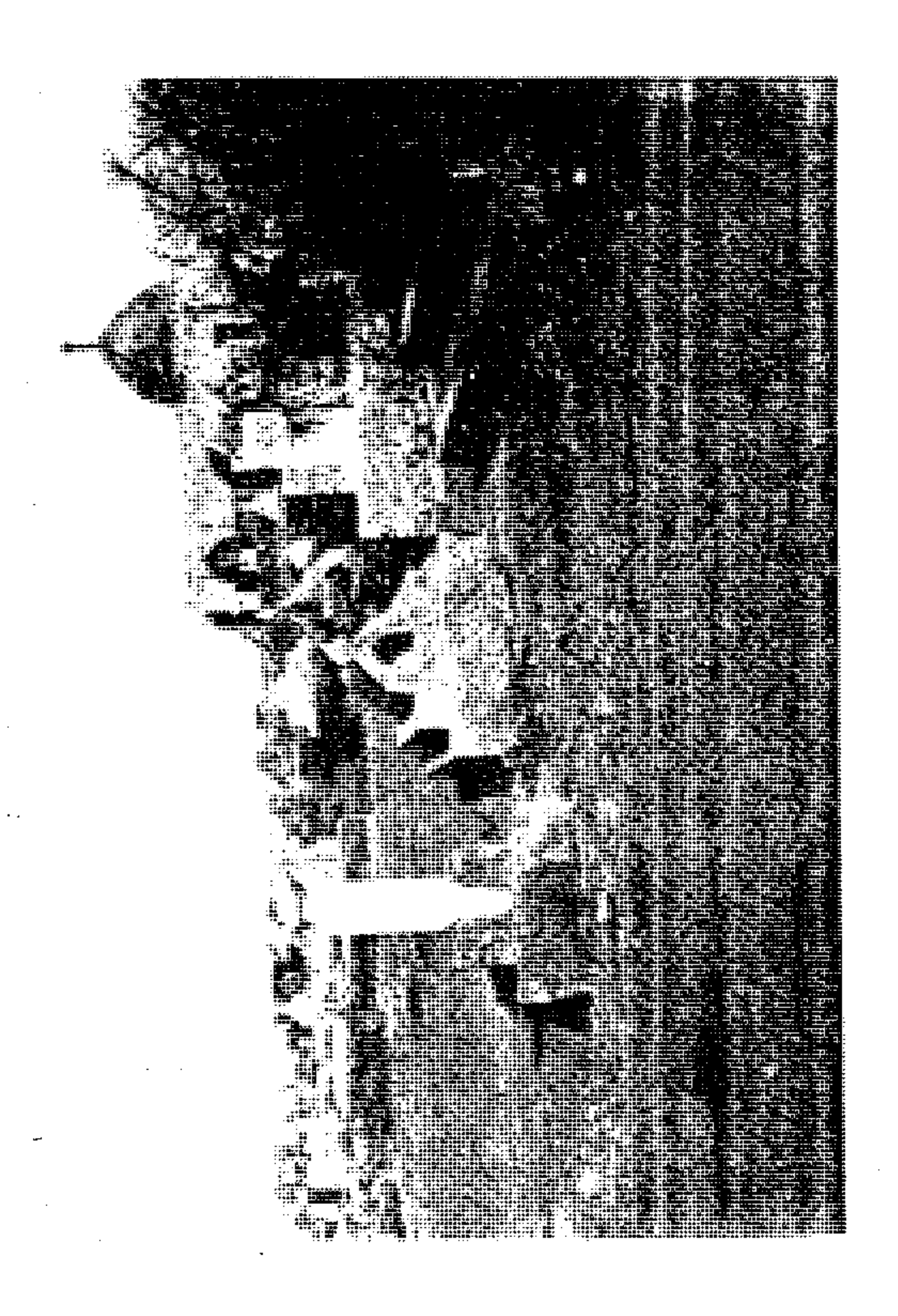
تظهر القبة التى بنيت على المكان الذى يزعم أنه مكان دفن السيدة خديجة بنت خويلد رضى الله عنها بمقبرة العلاه بمكة المكرمة نقلا عن مرآة الحرميـــن



رسم رقم (٣١)

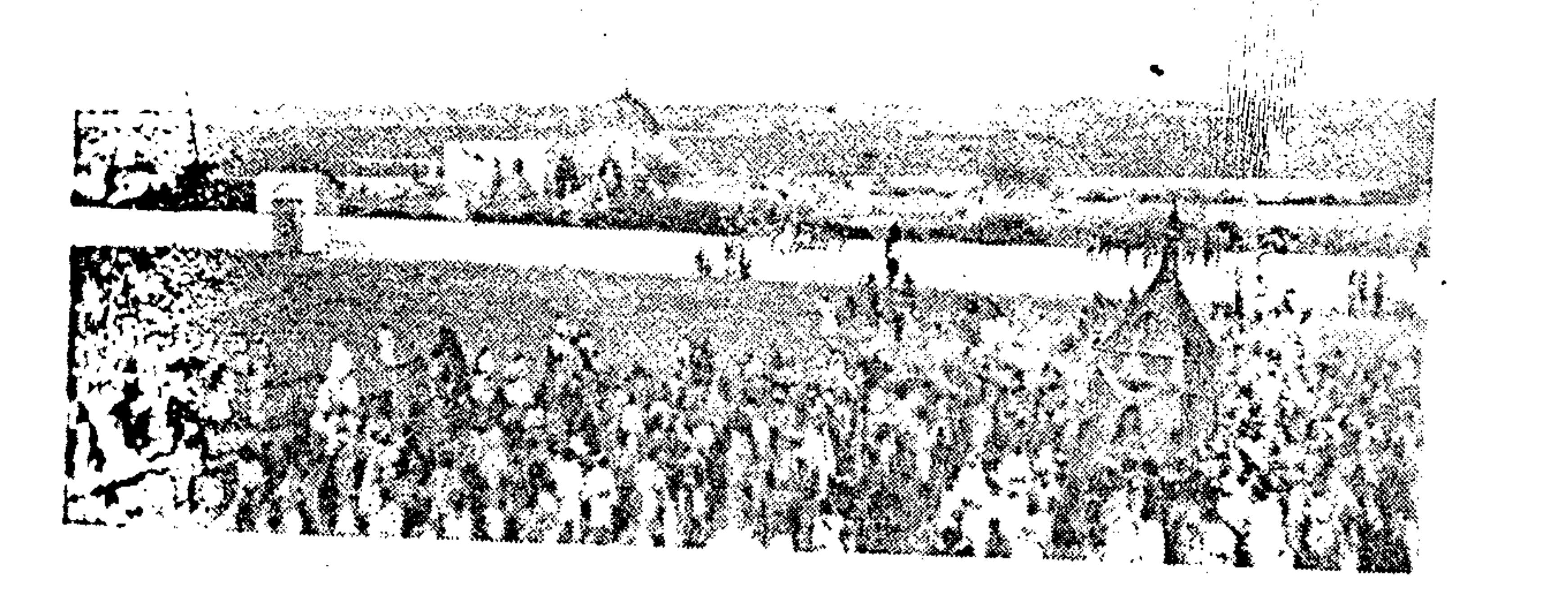
يظهر القبة التى بنيت على قبر حواء أم البشر .

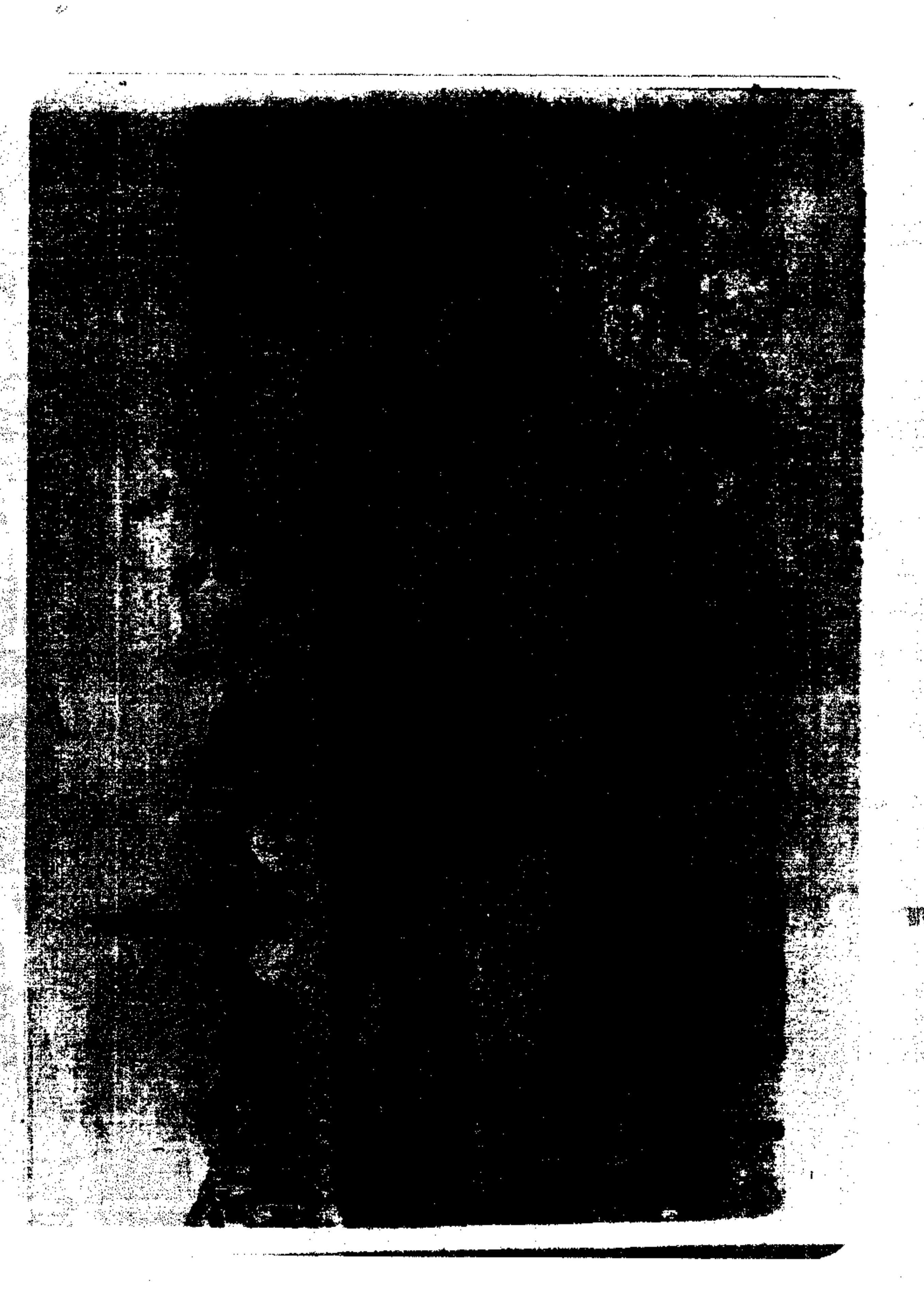
بجدة . نقلا عن مرآة الحرمين



رسم رقم (٣٢)

يظهر قبة الى اليسار هي علامة على ما قيل أنها قبر حواء أم البشر بجدة . نقلا عن مرآة الحرمين

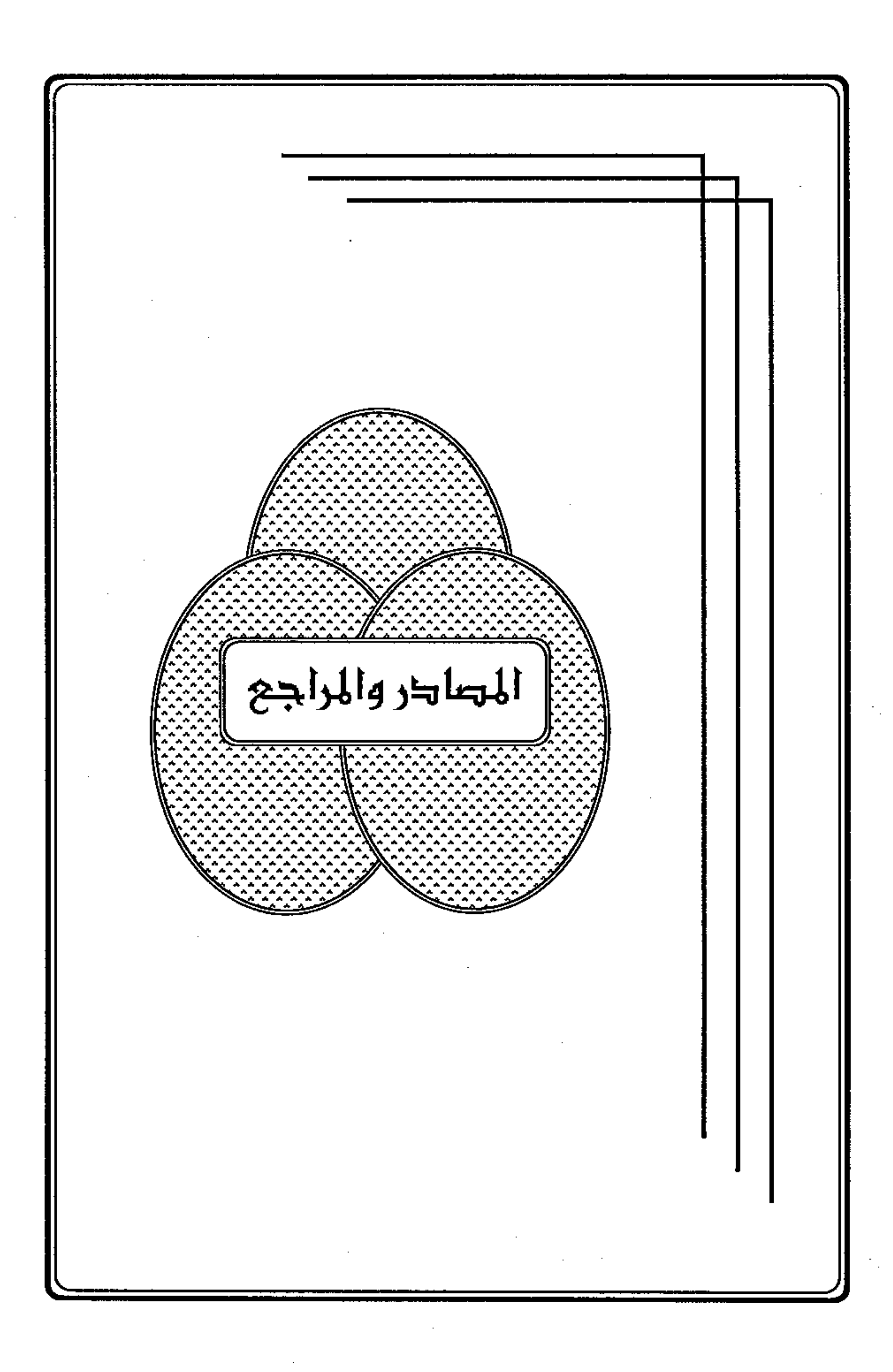




رسم رقم ٣٣

يوضح وجود قبتان متلاصقتان بأقصى اليمين بجانب قبه بئر زمزم كما وصف ابن جبير حيث كانت هاتان القبتان موجودتان منذ حوالى ٢٠٠ سنه . وهذا بدوره يثبت صدق الرحاله ودقتهم في الوصف مما يؤكد أهمية ما جاء في كتب الرحاله المغاربه والاندلسيين من معلومات عن الأوصاف المعماريه . وبالتالي اهميتها في النواحي الاخري.

نقلاً عن مكة المكرمة في نهاية القرن الثالث عشر الهجري .



المصادر والمراجع

أولاً : المصادر المطبوعة :

١ ـ القرآن الكريم

* ابن الاثير

عز الدين ابن الاثير أبو الحسن على بن محمد الجزرى (ت ٦٣٠هـ / ١٢٣٢م) ٠

٢ ـ أسد الغابة في معرفة الصحابة

دار الفكر ـ بدون ذكر سنة الطبع ٠

٣ ـ الكامل في التاريخ

ط ٤ ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت ـ ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م ٠

* ابن الأخوة

محمد بن محمد بن أحمد القرشي عرف بابن الأخوة (ت ٧٢٩هـ / ١٣٢٨م) ٠

٤ ـ معالم القربه في أحكام الحسبه

تحقيق محمد محمود شعبان وصديق أحمد عيسى المطيعي

الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ ١٧٩٦م ٠

* الأزرقي

أبوالوليد محمد بن عبدالله بن أحمد (ت ٢٥٠هـ / ٨٦٤م) ٠

٥ ـ إخبار مكة وما جاء فيها من الاثار

تحقيق رشدى الصالح ملحس

ط ٣ ـ دار الثقافة ـ ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م ٠

* ابن الاصبغ

عرام الاصبغ السلمي (ت ٢٧٥هـ / ٨٨٨م) ٠

٦ ـ أسماء جبال تهامة وسكانها وما فيها من القوى وما ينبت عليه من الأشجار وما فيها من المياه ٠

تحقيق عبدالسلام هارون

ط ١ ـ القاهرة ـ ١٣٧٤هـ / ١٩٥٥م ٠

* الاصفهاني

الحسن بن عبدالله (ت ٣١٠هـ / ٩٢٢م) ٠

٧ ـ بلاد العرب

تحقيق حمد الجاسر وصالح العلي

ط ١ ـ دار اليمامه ـ الرياض ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م ٠

* الانصارى

عبدالرحمن بن عبدالكريم (ت ١١٢٤هـ / ١٧١٢م) ٠

٨ ـ تحفة المحبين والأصحاب في معرفة ما للمدنيين من الأنساب ٠

تحقيق محمد العروس ٠

تونس ـ ١٩٧٠م ٠

* ابن اياس

محمد بن أحمد بن اياس الحنفي (ت ٩٣٠هـ / ١٥٢٤م) ٠

٩ ـ بدائع الزهور في وقائع الدهور ٠

تحقيق محمد مصطفى

ط ٢ ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ القاهرة ـ ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م ٠

* البخاري

ابوعبدالله محمد بن إسماعيل (ت ٢٥٦هـ / ٨٧٠م) ٠

١٠ـ صحيح البخاري بحاشية السندى ٠

دار المعرفة ـ بيروت ـ بدون ذكر سنة الطبع ٠

* ابن بطوطة ٠

ابوعبدالله محمد بن إبراهيم اللواتى المعروف بابن بطوطة (ت ٧٧٩هـ / ١٣٧٧م) ٠

١١ـ تحفة النُظارفي غرائب الأمصار وعجائب الأسفار (رحلة ابن بطوطة) ٠

دار بيروت ـ بيروت ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م ٠

* البغدادي

أبوبكر أحمد بن على الخطيب (ت ٤٦٣هـ / ١٠٧٠) ٠

١٢ـ تاريخ بغداد أو مدينة السلام ٠

دار الكتاب العربي ـ بيروت ـ بدون ذكر سنة الطبع ٠

* البغدادى

صفي الدين عبدالمؤمن بن عبدالحق البغدادى (ت ٧٣٩هـ / ١٣٣٨م) ٠

١٣ـ مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع ٠

تحقيق على محمد البجاوى ٠

ط ١ ـ دار المعرفة ـ بيروت ـ لبنان ـ ١٣٧٣هـ / ١٩٥٤م ٠

* البكري

عبدالله بن عبدالعزيز البكري الأندلسي (ت ٤٨٧هـ / ١٠٩٤م) ٠

١٤ـ معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ٠

تحقيق مصطفى السقا ٠

ط ٣ ـ عالم الكتب ـ بيروت ـ ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م ٠

* البلوي

خالد بن عيسى (ت ٧٨٠هـ / ١٣٨٧م) ٠

١٥ـ تاج المفرق فى تحلية علماء المشرق ٠

تحقيق ومقدمة الحسن السائح

بدون ذكر سنة الطبع ٠

* البنداري

الفتح بن على (ت ٦٤٣هـ / ١٢٤٥م)

١٦ـ سنا البرق الشامي ٥٦٢هـ / ١١٦٦م : ٥٨٣هـ / ١١٨٧م من كتاب البرق الشامي ٠

تحقيق فتحية البنداري

مكتبة الخانجي ـ مصر ١٩٧٩م ٠

* التجيبي

القاسم بن يوسف التجيبي السبتي (ت ٧٣٠هـ / ١٣٢٩م) ٠

١٧ـ برنامج التجيبي

تحقيق عبدالحفيظ منصور ٠

الدار العربية للكتاب ـ ليبيا ـ تونس ـ ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م ٠

١٨ـ مستفاد الرحلة والاغتراب

تحقيق عبدالحفيظ منصور ٠

الدار العربية للكتاب ـ ليبيا ـ تونس ـ ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م ٠

* الترمذي

محمد بن عيسى بن سُورة (ت ٢٧٩هـ / ٨٩٢م) ٠

١٩ـ السنن

ط ٢ ـ دار الفكر ـ بيروت ـ لبنان ـ ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م ٠

* ابن تغرى بردى

جمال الدين أبوالمحاسن يوسف (ت ٨٧٤هـ / ١٤٦٩م) ٠

٢٠ـ الدليل الشافي على المنهل الصافي

تحقيق فهيم شلتوت

مكتبة الخانجي ـ بدون ذكر سنة الطبع ٠

٢١ـ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة

دار الكتب ـ بدون ذكر سنة الطبع ٠

* التنبكتي ٠

ابي العباس سيدى أحمد بن أحمد بن أحمد بن عمر بن محمد اتيت عرف ببابا التنبكتي (ت ١٠٣٦هـ / ١٦٢٦م) ٠

٢٢ـ نيل الابتهاج بتطريز الديباج ٠

ط ١ ـ طبعة عباس بن عبدالسلام بن شعرون ـ الفحامين مصر ـ ١٣٥١هـ ٠

* ابن جابر

محمد بن جابر الوادى آشي (ت ٧٤٩هـ / ١٣٤٨م) ٠

٢٣ـ برنامج ابن جابر الوادى آشي ٠

تحقيق محمد محفوظ ٠

ط ١ ـ دار الغرب الإسلامي ـ أثينا ـ بيروت ـ ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م ٠

٢٤ـ برنامج ابن جابر الوادي آشي ٠

تحقيق محمد الحبيب الهيله ٠

تونس ـ ١٤٠١هـ / ١٩٨١م ٠

* ابن جبير

أبوالحسين محمد بن أحمد بن جبير الكناني البلنسي (ت ٦١٤هـ / ١٢١٧م) ٠

٢٥ـ تذكرة بالاخبار عن أتفاق الأسفار (رحلة ابن جبير) ٠

دار صادر ـ بيروت ـ ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م ٠

* الجزيري

عبدالقادر محمد بن عبدالقادر بن إبراهيم الأنصاري الجزيري الحنبلي (ت ٩٧٧هـ / ١٥٦٩م) ٠

٢٦ـ الدرر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطرق مكة المعظمة ٠

اعده للنشر حمد الجاسر ٠

ط ١ ـ دار اليمامه ـ ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م ٠

* ابن الجوزى

أبو الفرج عبدالرحمن بن على (ت ٥٩٧هـ / ١٢٠٠م) ٠

٢٧ـ المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ٠

ط ١ ـ مطبعة دائرة المعارف العثمانية ـ حيدر أباد ـ الدكن ـ ١٣٥٧هـ٠

* ابن حجر

شهاب الدين أبوالفضل أحمد بن على بن محمد بن علي العسقلاني (ت ٨٥٢هـ / ١٤٤٨م) ٠

٢٨ـ الأصابة في تمييز الصحابة ٠

دار الفكر ـ بيروت ـ ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م ٠

٢٩ـ فتح البارى شرح صحيح البخاري

تحقيق عبدالعزيز بن عبدالله بن باز ومحمد فؤاد عبدالباقي ومحب الدين الخطيب

دار المعرفة ـ بيروت ـ بدون ذكر سنة طبع ٠

٣٠ـ هدى السارى مقدمه شرح صحيح البخاري

أخرجه وصححه محب الدين الخطيب وأشرف على طبعه قصى محب الدين الخطيب

دار المعرفة ـ بيروت ـ لبنان ـ بدون ذكر سنة الطبع ٠

٣١ـ الدرر الكامنة في أعيان المائه الثامنه

دار الجيل ـ بيروت ـ بدون ذكر سنه الطبع ٠

* الحربي

الامام أبو إسحاق (ت ٢٨٥هـ / ٨٩٨م) ٠

٣٢ـ المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة

تحقيق حمد الجاسر ٠

ط ٢ ـ منشورات وزارة الحج والأوقاف ـ الرياض ـ ١٤٠١هـ / ١٩٨١م٠

* الحريري

أحمد بن علي (من رجال القرن العاشر الهجرى)

٣٣ـ الإعلام والتبيين في خروج الفرنج الملاعين على ديار المسلمين

تحقيق سهيل زكار

دارالملاح ـ ١٤٠١هـ / ١٩٨١م

* الحموي

شهاب الدين أبوعبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي الرومي البغدادي (ت ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م) ٠

٣٤ـ معجم البلدان

دار صادر ـ بدون ذكر سنة الطبع

٣٥ـ معجم المؤلفين

ط ٣ ـ دار الفكر ـ ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م

* الحميدي

ابوعبدالله محمد بن ابي نصر الحميدى (ت ٤٨٨هـ / ١٠٩٥ م)

٣٦ـ جذوة المقتبس في تاريخ علماء الاندلس

تحقيق ابراهيم الابيارى

ط ١ ـ ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م ـ دار الكتاب

دار الكتب الإسلامية ـ دار الكتاب المصرى القاهرة

* الحميري

محمد بن عبدالمنعم (ت ٩٠٠هـ / ١٤٩٤م

٣٧ـ الروض المعطار فى خبر الأقطار

تحقيق إحسان عباس

مكتبة لبنان ـ بيروت ـ ١٩٧٥م

* الحنبلي

أحمد بن ابراهيم (ت ٨٧٦هـ / ١٤٧١م) .

٣٨ـ شفاء القلوب في مناقب بني أيوب

تحقيق ناظم رشيد

بدون ذكر سنة الطبع

* الحنفي

بدر الدين أبي عبدالله محمد بن عبدالله الشبلي الحنفي (ت ٧٦٩هـ / ١٤٦٤م)

٣٩ـ غرائب وعجائب الجن كما يصورها القرآن والسنة

تحقيق إبراهيم محمد الجمل

مكتبة القرآن ـ القاهرة ـ بدون ذكر سنة الطبع

* ابن حوقل

أبو القاسم بن حوقل النصيبي (ت ٣٦٧هـ / ٩٧٨م)

٤٠ـ صورة الأرض

دار مكتبة الحياة ـ بيروت ـ لبنان ـ ١٩٧٩م

* ابن خرداذبه

أبو القاسم عبيدالله بن عبدالله (ت ٣٠٠هـ / ٩١٢م) ٠

٤١ـ المسالك والممالك

مكتبة المثنى ـ بغداد ـ بدون ذكر سنة الطبع

* الخزرجي

على بن الحسن (ت ٨١٢هـ / ١٤٠٩م)

٤٢ـ العقود اللؤلؤيه في تاريخ الدولة الرسوليه

تصحيح محمد بن على الأكوع الحوالي

ط ٢ ـ مركز الدراسات والبحوث اليمنى ـ صنعاء ـ ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م٠

* الخشني

ابوعبدالله محمد بن الحارث الخشني القروى (ت ٣٦١هـ / ٩٧١م)٠

٤٣ـ قضاه قرطبه

تحقيق إبراهيم الابياري

ط ١ ـ دار الكتاب اللبناني ـ ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م ٠

* ابن الخطيب

ذى الوزارتين لسان الدين (ت ٧٧٦هـ / ١٣٧٤م) ٠

٤٤ـ الاحاطة في أخبار غرناطه

تحقيق محمد عبدالله عنان

ط ١ ـ الشركة المصرية للطباعة والنشر ـ ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م

* ابن خلدون

عبدالرحمن بن محمد بن خلدون الخضرمي المغربي (ت ٨٠٨هـ / ١٤٠٥م)

٤٥ـ تاريخ ابن خلدون المسمى العبر وديوان المبتدأ والخبر فى أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر

مؤسسة جمال للطباعة والنشر ـ بيروت ـ لبنان ـ ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م ٠

* ابن خلكان ٠

ابن العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت ٦٨١هـ / ١٢٨١م)

٤٦ـ وفيات الأعيان وأبناء الزمان

تحقيق إحسان عباس

دار صادر ـ بيروت ـ ١٩٦٩م

* الدرعي

ابن عبدالسلام الناصرى الدرعي (١٢٣٩هـ / ١٨٢٣م)

٤٧ـ ملخص رحلتي ابن عبدالسلام الدرعي المغربي

تلخيص وعرض حمد الجاسر

ط ٢ ـ دار الرفاعي ـ ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م

* ابن دقماق

إبراهيم بن محمد بن ايدمر العلائي المعروف بابن دقماق (ت ٨٠٩هـ/١٤٠٦م)

٤٨ـ الجوهر الثمين في سير الملوك والسلاطين

تحقيق محمد كمال الدين عز الدين على

ط ١ ـ عالم الكتب ـ ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م

* الحسيني

شمس الدين أبوالمحاسن محمد بن على بن الحسن الحسيني الدمشقي (ت ٧٦٥هـ / ١٣٦٣م)

٤٩ـ ذيل تذكرة الحفاظ للإمام أبوعبدالله شمس الدين محمد الذهبي

دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ لبنان ـ بدون ذكر سنة الطبع

* الدينورى

أبو حنيفه أحمد بن داود (ت ٢٨٢هـ / ٨٩٥م) ٠

٥٠ـ الاخبار الطوال

تحقيق عبدالمنعم عامر ومراجعة جمال الدين الشيال ٠

ط ١ ـ القاهرة ـ ١٩٦٠م

* الذهبي

شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ / ١٣٧٤م)

٥١ـ سير أعلام النبلاء

تحقيق شعيب الارنؤوط ـ صالح السمر ٠

ط ٢ ـ مؤسسة الرسالة ـ ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م

٥٢ـ العبر في خبر من عبر

تحقيق أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول

دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ بدون ذكر سنة الطبع

٥٣ـ دول الإسلام

تحقيق فهيم محمد شلتوت ومحمد مصطفى إبراهيم

الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٤م٠

٥٤ـ أسماء الذين راموا الخلافه

نشرها صلاح الدين المنجد

ط ٢ ـ دار الكتاب الجديد ـ بيروت ـ لبنان ـ ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م

* ابن رسته

أبو على أحمد بن عمر (ت ٢٩٠هـ / ٩٠٣م)

٥٥ـ الاعلاق النفيسة

طبع ليدن ـ بريل ـ ١٨٩١م

* ابن رشيد

أبو عبدالله محمد بن عمر بن رشيد الفهرى (ت ٧٢١هـ / ١٣٢١م)

٥٦ـ ملء العيبه بما جمع بطول الغيبه في الوجهه الوجيهه إلى الحرمين مكة وطيبه

تحقيق محمد الحبيب ابن الخوجه ٠

جـ ٢ الدار التونسية للنشر ـ تونس ـ ١٤٠٢هـ /١٩٨٢م ، جـ ٣ ـ ١٩٨١م ، جـ ٥ ، ط ١ ، دار الغرب الإسلامي ـ بيروت ـ لبنان ـ ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م

* الرعيني

أبوالحسن على بن محمد بن على الرعيني الاشبيلي (ت ٦٦٦هـ / ١٢٦٧م)

٥٧ـ برنامج شيوخ الرعيني

دمشق ـ ١٣٨١هـ / ١٩٦٢م

* الزبيدى ٠

محب الدين أبي فيض السيد محمد مرتضى الحسيني (ت ١٢٠٥هـ/ ١٧٩٠م)

٥٨ـ شرح القاموس المسمى تاج العروس من جواهر القاموس ٠

تحقيق حسين نصار ومراجعة جميل سعيد وعبدالستار أحمد فراج

دار الجيل ـ الكويت ـ ١٣٦٩هـ / ١٩٦٩م ٠

٥٩ـ شرح القاموس المسمى تاج العروس من جواهر القاموس ٠

دار الفكر ـ بدون ذكر سنة الطبع ٠

* ابن أبي زرع

علي ابن أبي زرع الفاسي (ت ٧٤١هـ / ١٣٤٠م) ٠

٦٠ـ الانيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس

دار المنصور للطباعة والوراقة ، الرباط ـ ١٩٧٢م ٠

* السبكي

تاج الدين أبو نصر عبدالوهاب بن على بن عبدالكافي (ت ٧٧١هـ / ١٣٦٩م)

٦١ـ طبقات الشافعية الكبرى

تحقيق عبدالفتاح الحلو ومحمود الطناحي ٠

ط ١ ـ القاهرة ـ ١٣٨٥هـ / ١٩٦٦م

* السخاوي

شمس الدين محمد بن عبدالرحمن (ت ٩٠٢هـ / ١٤٩٦م)

٦٢ـ التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة

عني بطبعه ونشره أسعد طرا بزوني الحسيني

بدون ذكر سنة الطبع

* ابن سعد

محمد بن سعد (ت ٢٣٠هـ / ٨٤٤م) ٠

٦٣ـ الطبقات الكبرى

دار صادر ـ بيروت ـ ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م ٠

* السمهودي

نور الدين على بن أحمد (ت ٩١١هـ / ١٥٠٥م) ٠

٦٤ـ وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى

تحقيق محمد محي الدين عبدالمجيد ٠

ط ٤ ـ دار أحياء التراث العربي ـ بيروت ـ لبنان ـ ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م٠

* السنامي

عمر بن محمد بن عوض (ت ٦٩٦هـ / ١٢٩٧م) ٠

٦٥ـ نصاب الأحتساب

تحقيق موئل يوسف عز الدين

دار العلوم ـ ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م

* السيوطي

الحافظ جلال الدين عبدالرحمن (ت ٩١١هـ / ١٥٠٥م) ٠

٦٦ـ بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاه ٠

تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم

المكتبة العصرية ـ بيروت ـ لبنان ـ ١٣٨٤هـ / ١٩٦٤م

٦٧ـ تاريخ الخلفاء

مكتبة الرياض الحديثة ـ دار الفكر ـ بدون ذكر سنة الطبع .

٦٨ـ حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة

تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم

ط ١ ـ دار إحياء التراث العربي ـ ١٣٨٧هـ / ١٩٦٨م .

٦٩ـ تدريب الراوى في شرح النواوى

تحقيق عبدالوهاب عبداللطيف

ط ٢ ـ ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م ـ دار احياء السنه النبوية ـ بيروت ـ لبنان

* ابن شاكر

محمد بن شاكر الكتبي (ت ٧٦٤هـ / ١٣٦٢م) .

٧٠ـ فوات الوفيات والذيل عليها

تحقيق إحسان عباس

دار صادر ـ بيروت ـ بدون ذكر سنة الطبع

* أبو شامة

شهاب الدين أبو محمد عبدالرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسى الشافعي (ت ٦٦٥هـ / ١٢٦٦م) .

٧١ـ الروضتين في أخبار الدولتين

رواية الشيخ الإمام مجد الدين أبو المظفر يوسف بن محمد بن عبدالله الشافعي

دار الجيل ـ بيروت ـ بدون ذكر سنة الطبع

* ابن شهبه

أبي بكر بن أحمد بن محمد بن عمر بن محمد تقى الدين ابن قاضي شهبه الدمشقي (ت ٨٨٥هـ / ١٤٤٨م) .

٧٢ـ طبقات الشافعية

صححه وعلق عليه الحافظ عبدالعليم خان ور ٠

ط ١ ـ عالم الكتب ـ بيروت ـ ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م ٠

* الشهرستاني

أبو الفتح محمد بن عبدالكريم بن أحمد (ت ٥٤٨هـ / ١١٥٣م) ٠

٧٣ـ الملل والنحل

تحقيق محمد سيد كيلاني ٠

دار المعرفة ـ بيروت ـ بدون ذكر سنة الطبع

* الشيبي

محمد صالح بن أحمد بن زين العابدين الشيبي العبدرى الحجبي (ت ١٣٣٥هـ / ١٩١٦م)

٧٤ـ إعلام الأنام في تاريخ بيت الله الحرام

تحقيق إسماعيل أحمد إسماعيل حافظ

١٤٠٥هـ ٠

* الصفدى

صلاح الدين خليل ابن أيبك (ت ٧٦٤هـ / ١٣٦٢م) ٠

٧٥ـ الوافي بالوفيات

إعتناء إحسان عباس

ط ٢ ـ دار النشر فرانز شتايز بفيسادن ـ ١٤٠١هـ / ١٩٨١م

* الضبي

أحمد بن يحي بن أحمد بن عميره (ت ٥٩٩هـ / ١٢٠٢م) .

٧٦ـ بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس

دار الكتاب العربي ـ ١٩٦٧م

* الطبري

ابوالعباس احمد بن عبدالله بن محمد بن ابى بكر محب الدين الطبرى المكى (ت ٦٩٤هـ / ١٢٩٥م)

٧٧ـ القرى لقاصد ام القرى

تحقيق مصطفى السقا

ط٢ ـ ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م

مكتبة مصطفى الباني الحلبي واولاده بمصر

* الطبري

أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ / ٩٢٢م)

٧٨ـ تاريخ الأمم والملوك

دار الفكر ـ بيروت ـ بدون ذكر سنة الطبع

* ابن الطقطقا

محمد بن على بن طباطبا المعروف بابن الطقطقا (٧٠٩هـ /١٣٠٩م)

٧٩ـ الفخري في الأدب السلطانية والدول الإسلامية

دار بيروت ـ ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م .

* ابن ظهيره .

جمال الدين محمد جار الله بن محمد نور بن أبي بكر بن على (ت ٩٨٦هـ / ١٥٧٨م)

٨٠ـ الجامع اللطيف في فضل مكة وأهلها وبناء البيت الشريف

ط ٤ ـ المكتبة الشعبية ـ بيروت ـ لبنان ـ ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م .

* ابن عبدالبر .

عمر بن يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبدالبر بن عاصم النمرى القرطبي المالكي (ت ٤٦٣هـ / ١٠٧٠م).

٨١ـ جامع بيان العلم وفضله وما ينبغى في روايته وحمله

دار الفكر ـ بدون ذكر سنة الطبع ٠

* العبدري ٠

أبو عبدالله محمد بن العبدرى الحيحى (كان لا يزال على قيد الحياة سنة (٦٨٨هـ / ١٢٨٩م)

٨٢ـ الرحلة المغربية ٠

تحقيق محمد الفاسي ٠

الرباط ـ ١٩٦٨م ٠

* العصامي

عبدالملك بن حسين بن عبدالملك (ت ١١١١هـ / ١٦٩٩م) ٠

٨٣ـ سمط النجوم العوالى في أبناء الأوائل والتوالي

المطبعة السلفية ـ بدون ذكر سنة الطبع

* ابن عبدالظاهر

محي الدين بن عبدالظاهر (ت ٦٩٢هـ / ١٢٩٢م) ٠

٨٤ـ تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور

تحقيق مراد كامل ومراجعة محمد علي النجار

ط ١ ـ الشركة العربية للطباعة والنشر ـ ١٩٦١م ٠

* علي

يحي بن الحسين بن قاسم بن محمد (ت ١١٠٠هـ / ١٦٨٩م) ٠

٨٥ـ غاية الأماني في أخبار القطر اليماني

تحقيق سعيد عبدالفتاح عاشور ومراجعة مصطفى زيادة .

دار الكتاب العربي ـ القاهرة ـ ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م

* ابن العماد

أبوالفلاح عبدالحي بن العماد الحنبلي (ت ١٠٨٩هـ / ١٦٧٨م)

٨٦ـ شذرات الذهب في أخبار من ذهب

دار الفكر ـ بدون ذكر سنة الطبع

* العياشي

أبو سالم (ت ١٠٩٠هـ / ١٦٧٩م) .

٨٧ـ الرحلة العياشية (ماء الموائد)

وضع فهارسها محمد حجي

ط ٢ ـ مصدره بالاوفسيط ـ الرباط ـ ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م

* الفاسي

تقي الدين محمد بن أحمد الحسيني (ت ٨٣٢هـ / ١٤٢٨م)

٨٨ـ العقد الثمين في أخبار البلد الأمين

تحقيق محمد حامد الفقي وفؤاد سيد

ط ٢ ـ ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م ـ ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م

٨٩ـ شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام

تحقيق عمر عبدالسلام التدمري

ط ١ ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت ـ ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م

* أبو الفدا

الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل (ت ٧٣٢هـ / ١٣٣١م)

٩٠ـ المختصر في أخبار البشر (تاريخ أبو الفدا)

دار المعرفة ـ بيروت ـ لبنان ـ بدون ذكر سنة الطبع ٠

* ابن فرج

عبدالقادر بن أحمد (ت ١٠١٠هـ / ١٦٠٢م)

٩١ـ السلاح والعُدة في تاريخ بندر جُدة

تحقيق أحمد عمر الذيلعي وريكس سميث ـ بدون

بدون ذكر سنة الطبع أو دار النشر ٠

* ابن فرحون

برهان الدين إبراهيم بن على بن محمد بن فرحون اليعمرى المدني المالكي (ت ٧٩٩هـ / ١٣٩٦م)

٩٢ـ الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب

تحقيق محمد الأحمدى أبو النور ٠

دار التراث ـ القاهرة ـ بدون ذكر سنة الطبع ٠

* ابن فضلان

أحمد بن فضلان بن العباس راشد بن حماد (كان على قيد الحياة في مطلع القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادي .

٩٣ـ رحلة بن فضلان فى وصف بلاد الترك والخزر والروس والصقالبه سنة ٣٠٩هـ / ٩٢١م

تحقيق وتعليق سامي الدهان

المجمع العلمي العربي ـ دمشق ـ ١٣٧٩هـ / ١٩٥٩م .

* ابن فهد .

النجم عمر بن محمد بن محمد بن محمد بن فهد (ت ٨٨٥هـ / ١٤٨٠م)

٩٤ـ أتحاف الورى بأخبار أم القرى

تحقيق فهيم شلتوت

ط ١ ـ مكتبة الخانجي ـ ١٤٠٤هـ / ١٩٨٣م

* العز ابن فهد

عزالدين عبدالعزيز بن محمد بن فهد الهاشمي القرشي (ت ٩٢٢هـ / ١٥١٦م)

٩٥ـ غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام

تحقيق فهيم شلتوت

ط ١ ـ دار المدني ـ ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م

* الفيروز أبادى

مجد الدين محمد بن يعقوب (ت ٨١٧هـ / ١٤١٤م)

٩٦ـ القاموس المحيط

دار الجيل ـ بدون ذكر سنة الطبع

٩٧ـ المغانم المطابه فى معالم طابه

تحقيق حمد ٠ الجاسر قسم المواضع

ط ١ ـ دار اليمامه ـ الرياض ـ ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م)

* الفيومي

أحمد بن محمد بن على المقرى الفيومي (٧٧٠هـ / ١٣٦٨م)

٩٨ـ المصباح المنير في غريب شرح الكبير

دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م

* ابن القاضي

أبو العباسى أحمد بن القاضي المكناسي الشهير بابن القاضي (كان حياً في حوالى منتصف القرن السابع الهجرى) ٠

٩٩ـ جنوة الاقتباس فى ذكر من حل من الإعلام مدينة فاس

دار المنصور للطباعة والوراقه ـ الرباط ـ ١٩٧٣م٠

١٠٠ـ ذيل وفيات الأعيان المسمى درة الحجال

ط ١ ـ دار التراث ـ القاهرة ـ المكتبة العتيقة ـ تونس ـ ١٣٩١هـ / ١٩٧١م

* القرطبي

أبو عبدالله محمد بن أحمد الأنصارى (ت ٦٧١هـ / ١٢٧٢م)

١٠١ـ الجامع لأحكام القرآن

بدون ذكر سنة الطبع

* القزويني

زكريا بن محمد بن محمود (ت ٦٨٢هـ / ١٢٨٣م)

١٠٢ـ آثار البلاد وأخبار العباد

دار صادر ـ بيروت بدون ذكر سنة الطبع

* القطبي

عبدالكريم (ت ١٠١٤هـ / ١٧٠٢م)

١٠٣ـ إعلام العلماء الأعلام ببناء المسجد الحرام

تعليق أحمد محمد جمال وعبدالعزيز الرفاعي وعبدالله الحيورى

ط ١ ـ دار الرفاعي ـ ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م

* القلقشندى

أحمد بن على (ت ٨٢١هـ / ١٤١٨م)

١٠٤ـ صبح الاعشى في صناعة الانشا

شرح وتعليق ومقابلة نصوص نبيل خالد الخطيب

ط ١ ـ دار الفكر ـ دار الكتب العلمية ـ ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م

* ابن كثير

الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي
(ت ٧٧٤هـ / ١٣٧٢م)

١٠٥ـ تفسير القرآن العظيم

بدون ذكر سنة الطبع

١٠٦ـ البداية والنهاية

ط ٤ ـ مكتبة المعارف ـ ١٤٠١هـ / ١٩٨١م

* ابن ماجه

الحافظ أبو عبدالله محمد بن يزيد القزويني (ت ٢٧٥هـ / ٨٨٨م)

١٠٧ـ السنن

حققه محمد فؤاد عبدالباقي

دار الفكر ـ بدون ذكر سنة الطبع

* ابن المجاور

جمال الدين أبي الفتح يوسف بن يعقوب بن محمد المعروف بابن
المجاور الشيباني في الدمشقي (ت ٦٩٠هـ / ١٢٩١م)٠

١٠٨ـ تأريخ المستبصر

ضبط وتصحيح أوسكر لوفغرين

طبع بريل ـ ليدن ـ ١٩٥١م

* الماوردى

أبو الحسن على بن محمد بن حبيب البصرى البغدادي (ت ٤٥٠هـ / ١٠٥٨م)

١٠٩ـ الأحكام السلطانية والولايات الدينية

دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ بدون ذكر سنة الطبع ٠

* المراكش

أبو عبدالله محمد بن محمد بن عبدالملك الأنصارى الأوسى (ت ٧٠٣هـ / ١٣٠٣م)

١١٠ـ الذيل والتكملة لكتاب الموصول والصلة

تحقيق إحسان عباس

دار الثقافة ـ بيروت ـ لبنان ـ ١٩٦٥م

* المسعودى

أبو الحسن على بن الحسين بن على (ت ٣٤٦هـ / ٩٥٧م)

١١١ـ مروج الذهب ومعادن الجوهر

تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد

بدون ذكر سنة الطبع

* مسلم الإمام أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري (ت ٣٠٦هـ / ٩١٨م)

١١٢ـ صحيح مسلم بشرح النورى

ط ٢ ـ ١٣٩٢هـ ٠

* المقرى

أحمد بن محمد المقرى التلمساني (ت ١٠٤١هـ / ١٦٣١م)

١١٣ـ نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب

تحقيق إحسان عباس

دار صادر ـ بيروت ـ ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م

١١٤ـ أزهار الرياض في أخبار عياض

تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأبيارى وعبدالحفيظ شلبي

لجنة التأليف والترجمة والنشر ـ القاهرة ـ ١٣٥٩هـ / ١٩٤٠م

* المقريزى

تقي الدين أبو العباس أحمد بن على (ت ٨٤٥هـ / ١٤٤١م)

١١٥ـ المواعظ والأعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية

ط ٢ ـ مكتبة الثقافة الدينية ـ ١٩٨٧م

١١٦ـ السلوك لمعرفة دول الملوك

نشرة محمد مصطفى زيادة

لجنة التأليف والترجمة والنشر ـ القاهرة ـ بدون ذكر سنة الطبع

* المنذرى

زكي الدين أبو محمد عبدالعظيم عبدالقوى (ت ٦٥٦هـ / ١٢٥٨م)

١١٧ـ التكملة لوفيات النقله

تحقيق بشار عواد معروف

ط ٢ ـ مؤسسة الرسالة ـ ١٤٠١هـ / ١٩٨١م .

* ابن منظور

أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الأفريقي المصري (ت ٧١١هـ / ١٣١١م)

١١٨ـ لسان العرب

دار صادر ـ بيروت ـ بدون ذكر سنة الطبع

* مؤلف مجهول

مؤلف مجهول من كتاب القرن السادس الهجري

١١٩ـ الاستبصار في عجائب الأمصار

تحقيق سعد زغلول عبدالحميد

دارالنشر المغربية ـ الدار البيضاء ـ ١٩٨٥م

* الناصرى

أبو العباس أحمد بن خالد (ت ١٣١٥هـ / ١٨٩٧م)

١٢٠ـ الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى

تحقيق جعفر الناصرى ومحمد الناصرى

دار الكتاب ـ الدار البيضاء ـ ١٩٥٦م

* ابن النجار

محمد بن محمود (ت ٦٤٣هـ / ١٢٤٥م)

١٢١ـ أخبار مدينة الرسول المعروف بالدره الثمينه

تحقيق صالح محمد جمال

ط ٣ ـ مكتبة الثقافة ـ ١٤٠١هـ / ١٩٨١م .

١٢٢ـ الدره الثمينه ملحق بكتاب شفاء الغرام

حقق أصله وعلق عليه لجنه من كبار العلماء والأدباء

دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ مكتبة النهضة الحديثة ـ ١٣٧٦هـ/١٩٥٦م ٠

* النباهي

أبو الحسن بن عبدالله بن الحسن النباهى المالقي الأندلسي (ت ٧١٣هـ / ١٣١٣م)

١٢٣ـ تاريخ قضاه الأندلس المسمى كتاب المراقبه العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا تحقيق لجنة إحياء التراث العربي

دار الأفاق الجديدة ـ بيروت ـ ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م

* النعيمي

عبدالقادر بن محمد النعيمي الدمشقي (ت ٩٢٧هـ / ١٥٢١م)

١٢٤ـ الدارس فى تاريخ المدارس

تحقيق جعفر الحسني

مكتبة الثقافة الدينية ـ ١٩٨٨م

* الهجرى :

ابو على هارون بن زكريا (عاش في اواخر القرن ٣هـ)

١٢٥ـ ابو على الهجرى وابحاثه في تحديد المواضع

تحقيق حمد الجاسر

منشورات دار اليمامه ـ الرياض ـ بدون ذكر سنة الطبع

* ابن هشام

الإمام أبو محمد عبدالملك بن هشام المعافرى (ت ٢١٣هـ /٨٢٨م)

١٢٦ـ السيرة النبوية لابن هشام

حققها وضبط وشرحها ووضع فهارسها مصطفى السقا وإبراهيم الأبيارى وعبدالحفيظ شلبي

دار الكنوز الأدبية ـ بدون ذكر سنة الطبع ٠

* الهمداني

لسان اليمن الحسن بن أحمد بن يعقوب (ت ٣٣٤هـ / ٩٤٥م)

١٢٧ـ صفة جزيرة العرب

تحقيق محمد بن على الأكوع الحوالي اشرف على طبعه حمد الجاسر.

دار اليمامه ـ الرياض ـ ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م

* ابن واصل

جمال الدين أبو عبدالله محمد بن سالم بن نصر الله بن واصل الحموى الشافعي (ت ٦٩٧هـ / ١٢٩٧م)

١٢٨ـ مفرج الكروب في أخبار بنى أيوب ـ عصر صلاح الدين ٥٦٩هـ / ٥٨٩هـ / ١١٧٤ـ ١١٩٣م .

حققه وعلق حواشيه جمال الدين الشيال .

المطبعة الأميرية بالقاهرة ـ ١٩٥٧م .

* الورثيلاني

الحسين بن محمد السعيد (ت ١١٩٣هـ / ١٧٧٩م) .

١٢٩ـ نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار المشهور بالرحلة الورثيلانيه

ط ٣ ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت ـ لبنان ـ ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م .

* ابن الوردي

زين الدين عمر الوردي (ت ٧٤٩هـ / ١٣٤٩م) .

١٣٠ـ تتمه المختصر في أخبار البشر (تاريخ ابن الوردي)

تحقيق أحمد رفعت البدراوي

ط ١ ـ دار المعرفة ـ بيروت ـ لبنان ـ ١٣٨٩هـ / ١٩٧٠م .

* اليعقوبي

أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح الكاتب العباسي المعروف باليعقوبي (ت ٢٨٤هـ / ٨٩٧م)

١٣١ـ تاريخ اليعقوبي

دار صادر بدون ذكر سنة الطبع

ثانياً : المراجع العربية

* أحمد

أحمد رمضان

١٣٢ـ الرحلة والرحالة المسلمون

دار البيان العربي للطباعة والنشر والتوزيع ـ بدون ذكر سنة الطبع

* أرسلان

شكيب

١٣٣ـ الحلل السندسيه في الأخبار والآثار الأندلسيه

ط ١ ـ المطبعة الرحمانيه ـ مصر ـ ١٣٥٥هـ / ١٩٣٦م

١٣٤ـ الحلل السندسيه في الأخبار والآثار الأندلسيه

ط ١ ـ مطبعة عيسى البابي وشركاه ـ مصر ١٣٥٨هـ / ١٩٣٩م

* الأنصارى

عبدالقدوس

١٣٥ـ مع ابن جبير فى رحلته

ط ١ ـ المطبعة العربية الحديثة ـ ١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م

١٣٦ـ آثار المدينة المنورة

ط ٤ ـ ١٤٠٦هـ / ١٩٨٥م

١٣٧ـ التحقيقات المعُدة بحتمية ضم جيم جُده

كتاب المنهل ـ بدون ذكر سنة الطبع

١٣٨ـ موسوعة تاريخ جُده ـ ج ١

ط ٣ ـ دار مصر للطباعة ـ القاهرة ـ ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م

* با سلامه

حسين عبدالله

١٣٩ـ تاريخ عمارة المسجد الحرام

ط ٣ ـ تهامه ـ ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م

* الباشا

حسن

١٤٠ـ الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والاثار

دار النهضة العربية ـ ١٩٨٧م

* با قاسي

عائشة عبدالله

١٤١ـ بلاد الحجاز في العصر الأيوبي (٥٦٧هـ ـ ٦٤٨هـ / ١١٧١ ـ ١٢٥٠م)

ط ١ ـ ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م

* البرادعي

أحمد بن محمد صالح الحسيني

١٤٢ـ المدينة المنورة عبر التاريخ الإسلامي

ط ١ ـ ١٣٩١هـ / ١٩٧٢م

* البركاتي

ناصر عبدالله ومحمد نيسان سليمان مناع

١٤٣ـ دراسة تاريخية لمساجد المشاعر المقدسة ـ مسجد الحنيف ـ مسجد البيعه بمنى

ط ١ ـ دار المدني ـ ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م

* البستاني

المعلم بطرس

١٤٤ـ دائرة المعارف

دار المعرفة ـ بيروت ـ لبنان ـ بدون ذكر سنة الطبع

* البغدادي

إسماعيل باشا

١٤٥ـ هدية العارفين وأسماء المؤلفين وآثار المصنفين

دار العلوم الحديثة ـ بيروت ـ لبنان

* بكـر

سيد عبدالمجيد

١٤٦ـ الملامح الجغرافية لدروب الحجيج

ط ١ ـ تهامه ـ ١٤٠١هـ / ١٩٨١م

١٤٧ـ أشهر المساجد في الإسلام

ج ١ ـ دار القبله ـ ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م

* البلادي

عاتق بن غيث

١٤٨ـ معجم معالم الحجاز

ط ١ ـ مطبوعات نادى الطائف الأدبي ـ ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م

١٤٩ـ معالم مكة التاريخية والأثرية

ط ١ ـ دار مكة ـ ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م

* الجاسر

حمد

١٥٠ـ بلاد ينبع ـ لمحات تاريخية جغرافية وانطباعات خاصة

دار اليمامه ـ بدون ذكر سنة الطبع

١٥١ـ في شمال غرب الجزيرة ـ نصوص ـ مشاهدات ـ انطباعات

ط ٢ ـ دار اليمامه ـ ١٤٠١هـ / ١٩٨١م

١٥٢ـ رسائل في تاريخ المدينة

دار اليمامه ـ الرياض ـ ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م

* حافظ

علي

١٥٣ـ فصول من تاريخ المدينة المنورة

ط ٢ ـ شركة المدينة للطباعة والنشر ـ ١٤٠٥هـ

* الحجي

عبدالرحمن علي

١٥٤ـ التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطه ٩٢ ـ ٨٩٧هـ / ٧١١ ـ ١٤٩٢م

ط ٢ ـ دار القلم ـ دمشق ـ ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م

* حسن

حسن إبراهيم

١٥٥ـ تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي

ط ٧ ـ مكتبة النهضة المصرية ـ القاهرة ـ ١٩٦٤م

* حسن

زكي محمد

١٥٦ـ الرحالة المسلمون في العصور الوسطى

دار الرائد العربي ـ بيروت ـ لبنان ـ ١٤٠١هـ / ١٩٨١م

* حسين

جميل حرب محمود

١٥٧ـ الحجاز واليمن في العصر الأيوبي

ط ١ ـ تهامه ـ ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م

* حسين

حسني محمود

١٥٨ـ أدب الرحلة عند العرب

ط ٢ ـ دار الأندلس ـ ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م

* الحسيني

محمد

١٥٩ـ الحياة العلمية في الدولة الإسلامية

الكويت ـ ١٩٧٣م

* حميده

عبدالرحمن

١٦٠ـ أعلام الجغرافيين العرب ومقتطفات من آثارهم

ط ٢ ـ دار الفكر ـ دمشق ـ ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م

* الخربوطلي

على حسنى

١٦١ـ الحضارة العربية الإسلامية

مكتبة الخانجي ـ القاهرة ـ بدون ذكر سنة الطبع

* الخطيب

محمد عجاج

١٦٢ـ السنة قبل التدوين

ط ٣ ـ دار الفكر ـ ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م

* خليفه

مصطفى بن عبدالله الشهير بحاجى خليفه وبكاتب جلبي

١٦٣ـ كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون

دار العلوم الحديثة ـ بيروت ـ لبنان ـ بدون ذكر سنة الطبع

* الدقن

السيد محمد

١٦٤ـ كسوة الكعبة المعظمة عبر التاريخ

ط ١ ـ ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م

* رفعت

إبراهيم

١٦٥ـ مرآة الحرمين أو الرحلات الحجازية والحج ومشاعره الدينية

دار المعرفة ـ بيروت ـ بدون ذكر سنة الطبع

* الزركلي

خير الدين

١٦٦ـ الإعلام ـ قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين

ط ٧ ـ دار العلم للملايين ـ بيروت ـ لبنان ـ ١٩٨٦م

* زيادة

نقولا

١٦٧ـ رواد الشرق العربي في العصور الوسطى

ط ٢ ـ دار لبنان للطباعة والنشر ـ بيروت ـ ١٩٨٦م

١٦٨ـ الجغرافية والرحلات عند العرب

ط ٣ ـ المطبعة الأهلية للنشر والتوزيع ـ بيروت ـ ١٩٨٢م

* زيتون

محمد محمد

١٦٩ـ المسلمون في المغرب والأندلس

دار الوفاء للطباعة ـ ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م

* الزيلعي

احمد عمر

١٧٠ـ مكة وعلاقاتها الخارجية (٣٠١ ـ ٤٨٧هـ)

ط ١ ـ مطابع جامعة الرياض ـ ١٤٠١هـ / ١٩٨١م

* السباعي

أحمد

١٧١ـ تاريخ مكة

ط ٦ ـ مطبوعات نادى مكة الثقافي ـ ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م

* ششه

نوال سراج

١٧٢ـ جدة فى مطلع القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي

ط ١ ـ مكتبة الطالب الجامعي ـ ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م

* شلبي

أحمد

١٧٣ـ موسوعة النظم والحضارة الإسلامية ـ ج ٥ ـ التربية الإسلامية نظمها ـ فلسفتها ـ تاريخها

ط ٦ ـ مكتبة النهضة المصرية ـ ١٩٧٨م

* الشنقيطي

غالى محمد الأمين

١٧٤ـ الدر الثمين فى معالم دار الرسول الأمين ﷺ

ط ٣ ـ دار القبله للثقافة الإسلامية ـ جُدّه ـ ١٤١١هـ / ١٩٩١م

* الصابوني

محمد بن علي

١٧٥ـ صفوة التفاسير

ط ٤ ـ دار القرآن الكريم ـ بيروت ـ ١٤٠٢هـ / ١٩٨١م

* الصياد

محمد محمود

١٧٦ـ رحلة ابن بطوطه

دار المعارف للطباعة والنشر والتوزيع ـ سوسه ـ تونس ـ ١٩٨٥م

* ضيف

شوقي

١٧٧ـ عصر الدول والأمارات ، الجزيرة العربية ـ العراق ـ إيران

دار المعارف ـ مصر ـ ١٩٨٠م

* العبادي

أحمد مختار

١٧٨ـ تاريخ الغرب والأندلس

مؤسسة الثقافة الجامعية

١٧٩ـ في التاريخ العباسي والأندلسي

ط ١ ـ دار النهضة العربية ـ بيروت ـ ١٩٧٢م

* عبدالله

عبدالرحمن صالح

١٨٠ـ تاريخ التعليم في مكة المكرمة

ط ١ ـ دار الشروق ـ ١٤٠٣هـ / ١٩٨٢م

* عسه

أحمد

١٨١ـ المعجزة المغربية

ط ١ ـ دار القلم للطباعة ـ بيروت ـ لبنان ـ ١٩٧٤م ـ ١٩٧٥م

* علي

جواد

١٨٢ـ المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام

ط ٢ ـ دار العلم للملايين بيروت ـ مكتبة النهضة بغداد ١٩٧٨م

١٨٣ـ تاريخ العرب قبل الإسلام

المجمع العلمي العراقي ـ ١٣٧٨هـ / ١٩٥٩م

* عنان

محمد عبدالله

١٨٤ـ تراجم إسلامية شرقية وأندلسية

ط ٢ ـ مكتبة الخانجي ـ القاهرة ـ ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م

* القثامي

حمود بن ضاوى

١٨٥ـ معجم المواضع والقبائل والحكومات

مطبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ ١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م

١٨٦ـ الآثار في شمال الحجاز

مطبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ ١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م

* قطب

سيد

١٨٧ـ في ظلال القرآن

ط ٩ ـ دار الشروق ـ ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م

* الكتاني

عبدالحي بن عبدالكبير

١٨٨ـ فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات

أعتناء د/ إحسان عباس

دار الغرب الإسلامي ـ بيروت ـ لبنان ـ ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م

* كحاله

عمر رضا

١٨٩ـ معجم المؤلفين ـ تراجم مصنفي الكتب العربية

دار إحياء التراث العربي ـ بدون ذكر سنة الطبع

١٩٠ـ المستدرك على معجم المؤلفين

ط ١ ـ مؤسسة الرسالة ـ ١٤٠٦هـ / ١٩٨٥م

* الكردي

محمد طاهر

١٩١ـ التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم

ط ١ ـ مكتبة النهضة الحديثة ـ ١٣٨٥هـ

* مال الله

علي محسن عيسى

١٩٢ـ أدب الرحلة عند العرب في المشرق نشأته وتطوره حتى نهاية القرن الثامن الهجري

مطبعة الأرشاد ـ بغداد ـ ١٩٧٨م

* المالكي

سليمان عبدالغني

١٩٣ـ سلطنة كلوه الإسلامية

ط ١ ـ دار النهضة العربية ـ ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م

ط ١٤٠٨هـ / ١٩٨٧م

١٩٤ـ مرافق الحج والخدمات المدينة للحجاج فيأراضي المقدسة من السنة الثامنة من الهجرة حتى سقوط الخلافة العباسية

١٩٥ـ بلاد الحجاز منذ بداية عهد الأشراف حتى سقوط الخلافة العباسية في بغداد في منتصف القرن الرابع الهجري حتى منتصف القرن السابع الهجري

دار الملك عبدالعزيز ـ الرياض ـ ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م

* مرداد

محمد عبدالحميد

١٩٦ـ مدائن صالح تلك الأعجوبة

ط ٢ ـ المكتبة الصغيرة ـ ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م

* مرزا

معراج نواب

عبدالعزيز صقر الغامدى ، محمد محمود السرياني ، زهير محمد جميل كتبي

١٩٧ـ مكة المكرمة العاصمة المقدسة

مطابع الصفا ـ ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م

* مصطفى

صالح لمعى

١٩٨ـ المدينة المنورة ـ تطورها العمراني وتراثها المعمارى

دار النهضة ـ بيروت ـ ١٩٨١م

* مطر

فوزيه حسين

١٩٩ـ تاريخ عمارة الحرم المكى الشريف إلى نهاية العصر العباسي الأول

ط ١ ـ تهامه ـ ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م

* مليبارى

محمد عبدالله

٢٠٠ـ المنتقى في أخبار أم القرى

مطابع الصفا ـ مكة المكرمة ـ ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م

* مؤنس

حسين

٢٠١ـ في معالم تاريخ المغرب والأندلس

ط ١ ـ مؤسسة المعارف ـ بيروت ـ القاهرة ـ ١٩٨٠م

٢٠٢ـ تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس

ط ٢ ـ مدريد ـ ١٩٨٦م

* مورتيل

ريتشارد

٢٠٣ـ الأحوال السياسية والإقتصادية في العصر المملوكي

ط ١ ـ جامعة الملك سعود ـ ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م

* النجار

عبدالوهاب

٢٠٤ـ قصص الأنبياء

دار الفكر ـ بيروت ـ بدون ذكر سنة الطبع

ثالثاً : المراجع المعّربه

* كراتشكوفسكى

أغناطيوس يوليا نوفتش

٢٠٥ـ تاريخ الأدب الجغرافي العربي

نقله إلى العربية صلاح الدين عثمان هاشم وراجعه أيغور يلياين

طبعة جامعة الدول العربية ـ ١٩٥٧م

* متز

آدم

٢٠٦ـ الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري

ترجمة محمد عبدالهادى أبو ريده

ط ٤ ـ بيروت ـ ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م

* هير جرونج

كريستيان سنوك

٢٠٧ـ مكة المكرمة منذ مائة عام

صاغها مع مقدمة جديدة انجلوبيشى

دار ايميل للنشر ـ لندن ـ ١٤٠٧هـ / ١٩٨٦م

٢٠٨ـ مكة المكرمة في نهاية القرن الثالث عشر الهجرى ج٢

تعريب وتعليق

محمد بن محمود السرياني ومعراج بن نواب مرزا

مراجعة

محمد ابراهيم أحمد على

نادى مكة المكرمة الثقافي الأدبي ـ ط١ ـ ١٤١١هـ/١٩٩٠م

رابعاً: البحوث والدوريات والمؤتمرات العربية

* الأوسي

حكمة علي

٢٠٩ـ يحي بن الحكم الغزال

مجلة المجمع العلمي العراقي ـ ج ٢١ ـ العراق ـ ١٣٩١هـ / ١٩٧١م

* الجاسر

حمد

٢١٠ـ موقع عكاظ

مجلة العرب ـ ملحق الجزء الثالث ـ س ٣ ـ ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م

٢١١ـ من آثار مكة المكرمة

مجلة العرب ـ ج ١٠ ـ س ٢ ـ ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م

* حافظ

إسماعيل

٢١٢ـ باب الكعبة المعظمة على مر العصور

مجلة الداره ـ العدد ٣ ـ س ٧ ـ ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م

* الحوت

عبدالرحمن

٢١٣ـ رسالة المسجد والإمام

بحوث مؤتمر رسالة المسجد المنعقد في ١٥ ـ ٢٠ رمضان ١٣٩٥هـ / ٢٠ ـ ٢٥ سبتمبر ١٩٧٥م

* الدهاس

فواز بن على

٢١٤ـ الأربطة ودورها العلمي والإجتماعي بمكة المكرمة

بحث لم ينشر

٢١٥ـ المدارس في مكة المكرمة في العهدين الأيوبي والملوكي

بحث لم ينشر

٢١٦ـ وقفه عند كتاب المنتقى في أخبار أم القرى الجزء الأول والثاني

جريدة عكاظ ـ العدد ٦٩٦٠ ـ ٢١ شوال ١٤٠٥هـ / ٩ يوليو ١٩٨٥م

جريدة عكاظ ـ العدد ٧٠٢٣ ـ ٢٥ ذى الحجة ١٤٠٥هـ / ١٠ سبتمبر ١٩٨٥م

* ابودياك

صالح محمد فياض

٢١٧ـ التبادل الفكرى بين المغرب والأندلسى وشبه الجزيرة العربية

مجلة الداره ـ العدد ٢ ـ س ١٣ ـ ١٤٠٨هـ / ١٩٨٧م

* الزيلعي

أحمد بن عمر

٢١٨ـ نظام المشاركة في الحكم لدى الأشراف بمكة المكرمة

مجلة الداره ـ العدد ٣ ـ س ١٤ ـ ١٤٠٩هـ

* عثمان

شوقي عبدالقوي

٢١٩ـ تجارة المحيط الهندى في عصر السيادة الإسلامية

مجلة عالم المعرفة ـ العدد ٥١ ـ ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م

* عراقي

فيصل

٢٢٠ـ الأماكن المأثورة في مكة المكرمة

مجلة المنهل ـ العدد ٤٧٥ ـ ج ٥١ ـ ١٤١٠هـ / ١٩٨٩

* العقيلي

محمد بن أحمد

٢٢١ـ قبيله بنى شعبه

مجلة العرب ـ مجلد ـ ١١ ـ ١٢ ـ ١٣٩٤هـ / ١٩٨٤م

* العلي

صالح

٢٢٢ـ تحديد الحجاز عند المتقدمين

مجلة العرب ـ ج ٣ ـ س ٣ ـ ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م

* عنقاوى

عبدالله عقيل

٢٢٣ـ المؤرخ تقى الدين الفاسى وكتابه شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام

دراسات تاريخ الجزيرة العربية ـ الكتاب الأول ـ الجزء الثاني ـ جامعة الرياض ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م

* قلور

عز الدين

٢٢٤ـ الحاج إلى بيت الله الحرام

وزارة الأعلام ـ المديرية العامة للصحافة ـ بدون ذكر سنة الطبع

* مجنوب

محمد

٢٢٥ـ رسالة المسجد قديماً وحديثاً

بحوث مؤتمر رسالة المسجد المنعقد في ١٥ ـ ٢٠ رمضان ١٣٩٥هـ / ٢٠ ـ ٢٥ سبتمبر ١٩٧٥م

* نصر الله

توفيق

٢٢٦ـ الأغوات نسل منقطع النظير

مجلة اليمامه ـ العدد ١٩٢ ـ ١٤١٠هـ

* المتوني

محمد

٢٢٧ـ الجزيرة العربية فى الجغرافيات والرحلات المغربية وما إليها

دراسات تاريخ الجزيرة العربية ـ الكتاب الأول ـ الجزء الثاني

جامعة الرياض ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م

خامساً: الرسائل الجامعية

* نجار

ليلى أحمد

٢٢٨ـ المغرب والأندلس فى عهد المنصور الموحدى

رسالة دكتوراه ـ جامعة أم القرى ـ ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م

إشراف الدكتور / أحمد سيد دراج .

* الهمزاني

بندر بن رشيد

٢٢٩ـ علاقات مكة المكرمة الخارجية في عهد أسرة الهواشم

رسالة ماجستير ـ جامعة أم القرى ـ ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م

إشراف الدكتور / فواز الدهاس .

قائمة المحتويات

الموضـــوع	رقم الصفحه
* المقدمة	١
* التمهيد ..	١٣
* تحديد الحجاز ..	١٤
* مفهوم الرحلة في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ...	١٧
* الرحلة في مفهوم اللغة	٢٩
* بداية الرحلات في الإسلام وأشهرها	٣١
* الفصل الأول :	٥٨
فن الرحلة عند المغاربة والأندلسيين	٥٩
أنواع الرحلات والبرامج	٦٠
خصائص الرحلات المغربية والأندلسية	٦٥
الخصائص العامة	٦٥
الخصائص الخاصة	٧٩
أهمية الرحلات المغربية والأندلسية	٨٢
* الفصل الثاني :	٨٦
الرحالة المغاربة والأندلسيون ومناهجهم	٨٦
ابن جبير	٨٧

تابع قائمة المحتويات

تابع قائمة المحتويات

الموضــوع	رقم الصفحه

تابع قائمة المحتويات

تابع قائمة المحتويات

الموضـــوع	رقم الصفحه

تابع قائمة المحتويات

تابع قائمة المحتويات

تابع قائمة المحتويات

الموضوع	رقم الصفحه
أسماء أمراء مكة المكرمة الذين كان لهم اسهام في احداثها	٤٦٣
ملحق رقم (١) خارطه جغرافيه مكة المكرمة	٤٦٤
ملحق رقم (٢) خارطه جغرافية المشاعر المقدسة	٤٦٥
ملحق رقم (٣) أماكن الحج	٤٦٦
ملحق رقم (٤) خارطة طرق الحج	٤٦٧
ملحق رقم (٥) مصور مدائن صالح	٤٦٨
ملحق رقم (٦) مصور للمسجد الحرام	٤٦٩
ملحق رقم (٧) مصور لباب الصفا	٤٧٠
ملحق رقم (٨) مصور للصفا	٤٧١
ملحق رقم (٩) مصور للمروه	٤٧٢
ملحق رقم (١٠) مصور للمسجد الحرام	٤٧٣
ملحق رقم (١١) مصور لمقام إبراهيم	٤٧٤
ملحق رقم (١٢) مصور للمسجد الحرام	٤٧٥
ملحق رقم (١٣) مصور تخطيطي للمسجد الحرام	٤٧٦
ملحق رقم (١٤) مصور لمسجد بلال	٤٧٧

تابع قائمة المحتويات

الموضوع	رقم الصفحه

تابع قائمة المحتويات